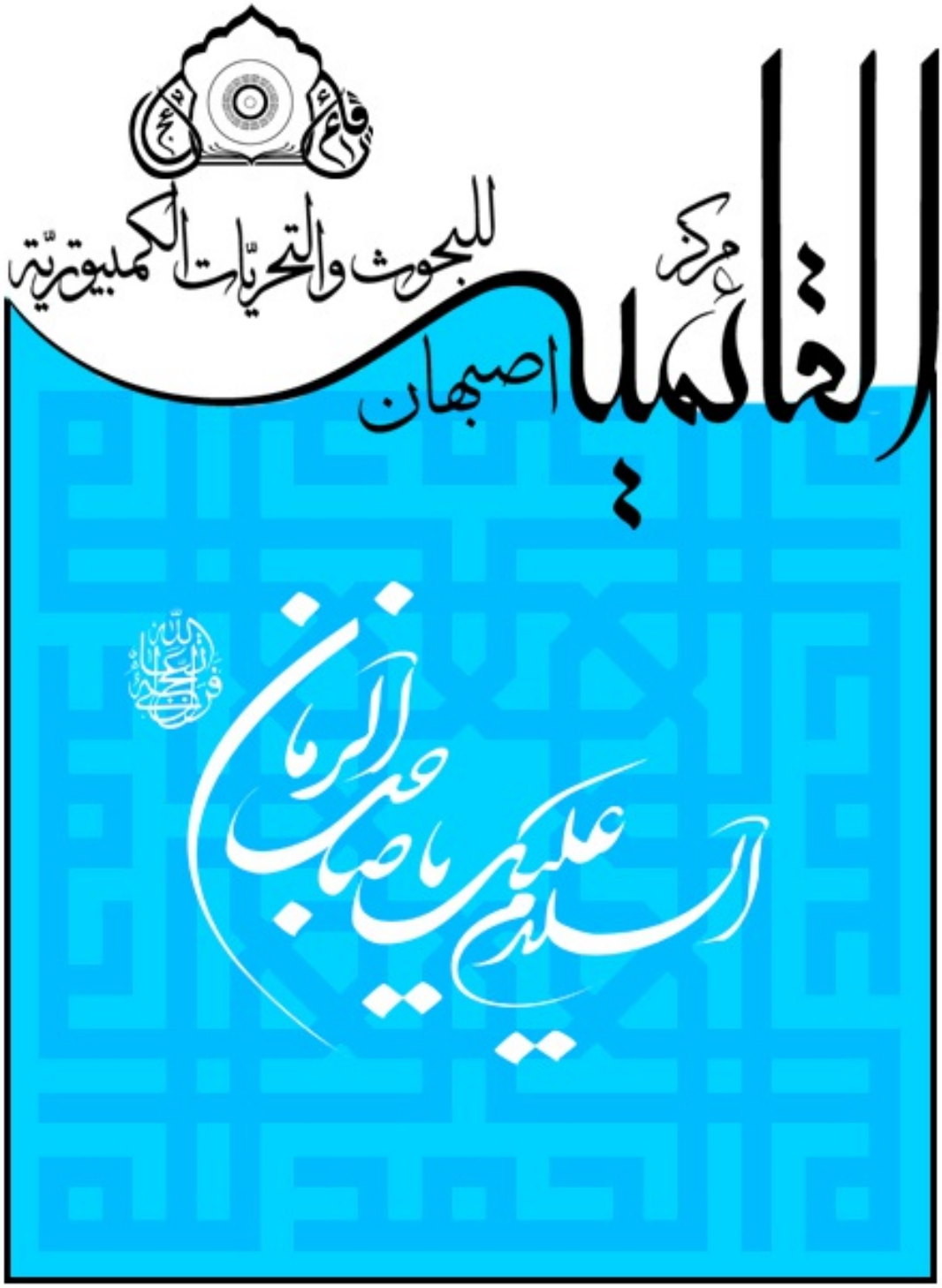

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء العاشر

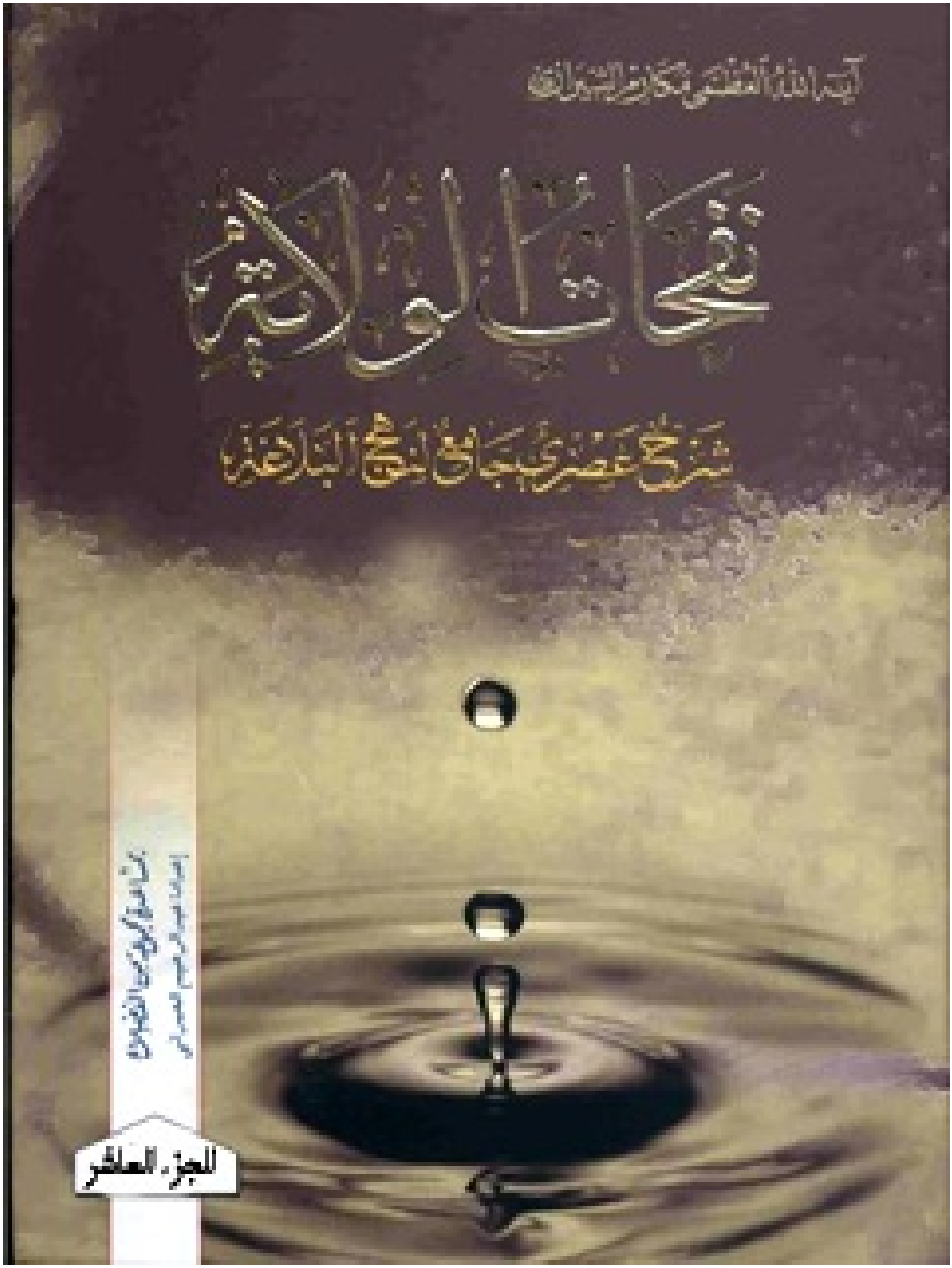

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۱۰ ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
الرسالة ۳۲ ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
نظرة عامّة للرسالة ----- ۱۷
الشرح والتفسیر: لا تهلک نفسک ولا الناس ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
تأمّل ----- ۲۱
رسائل متوالیة ----- ۲۱
الرسالة ۳۳ ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
نظرة عامّة للرسالة ----- ۲۱
الشرح والتفسیر: راقب أوضاع مکّة بدقّة ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
تأمّل ----- ۲۴
من هو قثم بن العباس؟ ----- ۲۴
الرسالة ۳۴ ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
نظرة عامّة للرسالة ----- ۲۵
الشرح والتفسیر: تطییب خاطر محمّد بن أبی بکر ----- ۲۵
تأمّل ----- ۲۷
من هو محمّد بن أبی بکر؟ ----- ۲۷

الرسالة ۳۵ ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۸
نظرة عامّة للرسالة ----- ۲۸
الشرح والتفسير: شكوى من الأتباع الضعفاء ----- ۲۸
تأمل ----- ۳۰
روعة البلاغة فی هذه الرسالة ----- ۳۰
الرسالة ۳۶ ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
نظرة عامّة للرسالة ----- ۳۱
القسم الأول ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
الشرح والتفسير: قصّة الضحاک بن قيس ----- ۳۳
القسم الثانی ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
الشرح والتفسير: لا أكف عن مقارعة الخائنين ----- ۳۶
الرسالة ۳۷ ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۸
نظرة عامّة للرسالة ----- ۳۸
الشرح والتفسير: ما أنت والطلب بدم عثمان؟ ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
تأمل ----- ۴۰
رسالة معاوية إلى ابن عباس وجوابه ----- ۴۰
الرسالة ۳۸ ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱

نظرة عامّة للرسالة ----- ۴۱
القسم الأول ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
الشرح والتفسير: المصريون الذين غضبوا للّه ----- ۴۲
القسم الثانى ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
الشرح والتفسير: نصبت عليكم والياً مقتدراً وبصيراً بالأمور ----- ۴۴
الرسالة ۳۹ ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
نظرة عامّة للرسالة ----- ۴۶
الشرح والتفسير: لقد بعت دينک بدنيا غيرک! ----- ۴۷
تأمّلان ----- ۴۹
۱. عمرو بن العاص فى الجاهليّة والإسلام ----- ۴۹
۲. بعض أعمال معاوية ----- ۴۹
الرسالة ۴۰ ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
نظرة عامّة للرسالة ----- ۵۰
الشرح والتفسير: سخط اللّه وعصيان الإمام ----- ۵۱
الرسالة ۴۱ ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
نظرة عامّة للرسالة ----- ۵۲
القسم الأوّل ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۳
الشرح والتفسير: ألا تؤمن بالمعاد؟! ----- ۵۳

القسم الثانی ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
الشرح والتفسیر: لا أتسامح فی بیت المال حتی مع أولادی ----- ۵۵
تأمّل ----- ۵۷
من هو ابن عباس؟ ----- ۵۷
الرسالة ۴۲ ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۱
نظرة عامّة للرسالة ----- ۶۱
الشرح والتفسیر: أحسنت! لقد أدّیت الأمانة ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
تأمّل ----- ۶۲
التعرّف علی عمر بن أبی سلمه المخزومی والنعمان بن عجلان؟ ----- ۶۲
الرسالة ۴۳ ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
نظرة عامّة للرسالة ----- ۶۳
الشرح والتفسیر: جمیع المسلمین سواسیة فی بیت المال ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۴
تأمّل ----- ۶۶
جواب مصقلة للإمام علیه السلام ----- ۶۶
الرسالة ۴۴ ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
نظرة عامّة للرسالة ----- ۶۷
الشرح والتفسیر: إحذر من أغوائهم! ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷

تأمّل ----- ۷۰
قصّة نسب زیاد المعقدة ----- ۷۰
الرسالة ۴۵ ----- ۷۳
اشارة ----- ۷۳
نظرة عامّة للرسالة ----- ۷۳
القسم الأوّل ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
الشرح والتفسیر: دعوة الوالی إلی مأدبة فاخرة! ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
تأمّل ----- ۷۵
من هو عثمان بن حنیف؟ ----- ۷۵
القسم الثانی ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
الشرح والتفسیر: لم أدّخر من الدنیا شیئاً لنفسی ----- ۷۶
القسم الثالث ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
الشرح والتفسیر: کیف أکون أمیرالمؤمنین ولا اشارکهم فی مکاره الدهر؟ ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
تأمّل ----- ۸۲
قصّة فدک المحزنة ----- ۸۲
القسم الرابع ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
الشرح والتفسیر: لست کالبهیمة المربوطة! ----- ۸۵
القسم الخامس ----- ۸۹

اشارة ----- ۸۹
الشرح والتفسیر: أیّتها الدنیا ابتعدی عنّی! ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
تأمّل ----- ۹۲
طلاق الدنیا ----- ۹۲
القسم السادس ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
الشرح والتفسیر: هل الغرض الأکل والنوم فقط؟ ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
تأمّل ----- ۹۴
الریاضة المشروعة وغیر المشروعة ----- ۹۴
القسم السابع ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
الشرح والتفسیر: أیّها الوالی! إحذر المشارکة فی مثل هذه الضیافة! ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
تأمّلان ----- ۹۸
۱. الزهد والانتفاع من المواهب الإلهیّة ----- ۹۸
۲. من هم حزب اللّه؟ ----- ۹۹
الرسالة ۴۶ ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
نظرة عامّة للرسالة ----- ۱۰۰
الشرح والتفسیر: عامل الناس بالرفق! ----- ۱۰۰
الرسالة ۴۷ ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳

نظرة عامّة للرسالة ۱۰۳
القسم الأوّل ۱۰۴
اشارة ۱۰۴
الشرح والتفسير: كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً! ۱۰۴
القسم الثانى ۱۰۶
اشارة ۱۰۶
الشرح والتفسير: أفضل الأعمال صلاح ذات البين! ۱۰۶
القسم الثالث ۱۰۸
اشارة ۱۰۸
الشرح والتفسير: وصايا هامّة على فراش الشهادة! ۱۰۸
اشارة ۱۰۸
تأمل ۱۱۴
أهمّية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ۱۱۴
القسم الرابع ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
الشرح والتفسير: توصية الإمام عليه السلام المؤكدة حول قاتله! ۱۱۵
الرسالة ۴۸ ۱۱۷
اشارة ۱۱۷
نظرة عامّة للرسالة ۱۱۷
الشرح والتفسير: نصيحة جامعة لمعاوية ۱۱۸
الرسالة ۴۹ ۱۲۰
اشارة ۱۲۰
نظرة عامّة للرسالة ۱۲۰
الشرح والتفسير: الحرص على الدنيا لا يوصلك إلى شىء! ۱۲۰

الرسالة ۵۰ ----- ۱۲۲
اشارة ----- ۱۲۲
نظرة عامّة للرسالة ----- ۱۲۳
القسم الأوّل ----- ۱۲۳
اشارة ----- ۱۲۳
الشرح والتفسير: لا يبعدنّكم المقام عن الناس! ----- ۱۲۳
القسم الثانى ----- ۱۲۴
اشارة ----- ۱۲۴
الشرح والتفسير: حقوق الإمام وحقوق القادة ----- ۱۲۴
الرسالة ۵۱ ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
نظرة عامّة للرسالة ----- ۱۲۸
القسم الأوّل ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
الشرح والتفسير: حذارِ من ظلم الناس! ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
تأمّل ----- ۱۳۰
ماذا يعنى الخراج؟ ----- ۱۳۰
القسم الثانى ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
الشرح والتفسير: رعاية إنصاف فى أخذ الخراج ----- ۱۳۱
الرسالة ۵۲ ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
نظرة عامّة للرسالة ----- ۱۳۴

الشرح والتفسير: آداب الصلاة وأوقاتها! ---- ۱۳۴
اشارة ---- ۱۳۴
تأمّل ---- ۱۳۶
أداء الصلوات الخمس فی ثلاثة أوقات ---- ۱۳۶
الرسالة ۵۳ ---- ۱۳۸
اشارة ---- ۱۳۸
نظرة عامّة للرسالة ---- ۱۳۹
خمسون نكتة مهمّة فی عهد واحد ---- ۱۳۹
القسم الأوّل ---- ۱۴۳
اشارة ---- ۱۴۳
الشرح والتفسير: التوصية الاولى التقوى وجهاد النفس ---- ۱۴۳
اشارة ---- ۱۴۳
تأمّل ---- ۱۴۶
أخطار النفس الأمارة ---- ۱۴۶
أهميّة بلاد مصر ---- ۱۴۷
القسم الثانی ---- ۱۴۸
اشارة ---- ۱۴۸
الشرح والتفسير: احترام حقوق جميع المواطنين! ---- ۱۴۸
القسم الثالث ---- ۱۵۲
اشارة ---- ۱۵۲
الشرح والتفسير: لا تكن مغروراً أبداً! ---- ۱۵۲
القسم الرابع ---- ۱۵۵
اشارة ---- ۱۵۵
الشرح والتفسير: إحذر من لعنة المظلومين! ---- ۱۵۵

القسم الخامس ----- ۱۵۷
اشارة ----- ۱۵۷
الشرح والتفسير: كن مع جمهور الناس! ----- ۱۵۷
تأمّل ----- ۱۶۱
أنواع الحكومات ----- ۱۶۱
القسم السادس ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱
الشرح والتفسير: عليک بستر العيوب! ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۲
تأمّل ----- ۱۶۴
موارد الاستخبارات والتستر على عيوب الناس ----- ۱۶۴
القسم السابع ----- ۱۶۴
اشارة ----- ۱۶۵
الشرح والتفسير: إحذر هؤلاء المستشارين! ----- ۱۶۵
اشارة ----- ۱۶۵
تأمّل ----- ۱۶۶
أهمّيّة المشورة فى حياة الإنسان ----- ۱۶۶
القسم الثامن ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۷
الشرح والتفسير: الوزير الجيد والوزير السيىء! ----- ۱۶۸
القسم التاسع ----- ۱۷۰
اشارة ----- ۱۷۰
الشرح والتفسير: إحيى السنن الحسنة ----- ۱۷۱
تأمّل ----- ۱۷۴

سبب ظهور السنن ---- ۱۷۴
القسم العاشر ---- ۱۷۵
اشارة ---- ۱۷۵
الشرح والتفسير: الطبقات الاجتماعيّة المختلفة ---- ۱۷۵
اشارة ---- ۱۷۵
تأمّل ---- ۱۷۷
الشرائح الاجتماعيّة ---- ۱۷۷
القسم الحادى عشر ---- ۱۷۷
اشارة ---- ۱۷۷
الشرح والتفسير: الأواصر بين الطبقات الاجتماعيّة ---- ۱۷۸
القسم الثانى عشر ---- ۱۸۲
اشارة ---- ۱۸۳
الشرح والتفسير: شروط قادة الجيش ---- ۱۸۳
القسم الثالث عشر ---- ۱۸۶
اشارة ---- ۱۸۶
الشرح والتفسير: أفضل قادة الجيش ---- ۱۸۶
القسم الرابع عشر ---- ۱۸۹
اشارة ---- ۱۸۹
الشرح والتفسير: طرق حلّ المشكلات ---- ۱۸۹
اشارة ---- ۱۸۹
تأمّل ---- ۱۹۰
من هم اولوا الأمر؟ ---- ۱۹۰
القسم الخامس عشر ---- ۱۹۱
اشارة ---- ۱۹۱

الشرح والتفسير: يجب أن يتصف القضاة بهذه الصفات الاثنى عشر! ---------- ۱۹۲

تعريف مركز ---------- ۲۲۷

نفحات الولایة المجلد ۱۰

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الرسالة ۳۲

اشارة

إلی معاویة[۱]

نظرة عامّة للرسالة

تتشكل هذه الرسالة (طبقاً لما أورده السيّد الرضى فى نهج البلاغة) من ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: يتضمّن نصيحة لمعاوية، النصيحة المقترنة بالتوبيخ والتحذير من إضلال الناس وإعادتهم إلى عصر الجاهليّة، وأنّه ينبغى عليه أن يتدبّر فى عاقبة هذا الأمر.

وفى القسم الثانى، يتحدّث الإمام عليه السلام عن الأشخاص الذين يحيطون بمعاوية وهم

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶

السائرون فى خط الضلالة والانحراف ويعيشون التفاخر القومى والقبلى ويتّبعون معاوية على هذا الأساس، ولكن ثمّة جماعة من أهل البصيرة عندما اطّلعوا على مسلك معاوية المشبوه والفاسد تركوا التعاون معه وأداروا ظهورهم إليه وأنابوا اللّه تعالى، وفى ختام هذا المقطع من الرسالة، يدعو الإمام على عليه السلام معاوية إلى الالتزام بتقوى اللّه والورع وعدم اتّباع الشيطان ويذكّره بأنّ الدنيا فانية وغير ثابتة على كلّ حال وأنّ الآخرة قريبة.

وفى القسم الثالث، يدعو معاوية إلى الالتزام بتقوى اللّه والورع وعدم اتّباع الشيطان ثم يلفت نظره إلى إقتراب أجله وأنّه عما قريب سوف يواجه صحيفة أعماله فى محكمة العدل الإلهيّة.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷

وَأَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيراً؛ خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَن فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ. فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، والسَّلَامُ

الشرح والتفسير: لا تهلك نفسك ولا الناس

اشارة

ما أورده السيّد الرضى من هذا الكتاب يمثّل مقطعاً من رسالة كان الإمام على عليه السلام قد أرسلها لمعاوية، ويتحدّث الإمام عليه السلام فى مطلعها، طبقاً لنقل المؤرخ المعروف المدائنى، من موقع النصيحة والتحذير من الغرور بالدنيا الخداعة والمتقلبة وأن يلتزم بالتقوى ويعلم أنّ اللّه تعالى للظالمين بالمرصاد، فالدنيا سريعاً ما تنقلب عليه وتعرض عنه وسيواجه حينئذٍ الحسرة والندامة، فينبغى عليه فى هذا السن المتقدمة من العمر أن يفكر فى نهاية حياته واقتراب أجله وأن لا يعمل شيئاً يكون وبالًا عليه يوم القيامة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام تعرض لهذا الموضوع، وهو أنّك ستتحمل، مضافاً لمسؤوليّة ضلالك وانحرافك، مسؤوليّة إضلال جمهور من الناس، وكما ذكر السيّد الرضى فإنّ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸

الإمام عليه السلام يقول فى مستهل حديثه:

«وَأَرْدَيْتَ ۲] جِيلًا[۳] مِنَ النَّاسِ كَثِيراً؛ خَدَعْتَهُمْ

بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ».

وهذه إشارة إلى أنّ معاوية يتحمل مسؤوليّة انحراف جمهور غفير من المسلمين الذين خدعهم بمكره وغيّه وسوف يقف يوم القيامة

ليجيب عن ذلك.

وعبارة

«مَوْجِ بَحْرِكَ»

تعبير لطيف عن الحوادث والأزمات التى تشبّه عادة بأمواج البحر، وهى الحوادث الصعبة التى يصعب مواجهتها والتصدى لها، لأنّ الأمواج العاتية كالجبال فى البحر تقذف بالبشر من هنا إلى هناك كالريشة فى مهبّ الريح، وأحياناً تقتلعهم فى مطاويها ودواماتها ويعيش الإنسان فى تلك اللحظات الحرجة الظلمة والشدّة بحيث تسودّ الدنيا فى عينيه.

والتعبير ب

«الظُّلُمَاتُ» وَ «الشُّبُهَاتُ»

إشارة إلى أعمال معاوية من قبيل طرح مسألة قتل عثمان والدفاع عنه، ورفع قميصه الدامى وإثارة الناس ضد الإمام عليه السلام والخليفة بالحقّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكذلك (والعياذ باللَّه) الأمر بلعن الإمام على عليه السلام على المنابر وسبّه وشتمه فى المحافل، فهل هناك ظلمة أشدّ من هذا، أو شبّهة أوحش من هذه؟

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نتيجة هذه الأساليب الماكرة والشبهات المضللة ويقول:

«فَجَازُوا[۴] عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا[۵] عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا[۶] عَلَى أَحْسَابِهِمْ ۷]»

، أى أنّ هذه الأمور أدّت إلى عودة بعض الناس عن الحقّ إلى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۹

زمان الجاهليّة وأعرضوا عن الإسلام والرسالة الإلهيّة وأخذوا يتفاخرون بالحسب والنسب كما كان العرب يتفاخرون فى الجاهليّة.

ونعلم أنّ معاوية كان من بقايا العصر الجاهلى، وأبوه أبوسفيان العدو الأوّل للإسلام والنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأنّ غالبية الحروب والفتن ضد الإسلام كانت بقيادة أبى سفيان، وقد أعلن أبوسفيان الإسلام ظاهراً وأخذ ينتظر اليوم الذى تملك فيه بنو اميّة مقاليد الأمور ويسيطروا على أجهزة الحكومة الإسلاميّة ويجلسون مجلس النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وحينئذٍ يتحركون على مستوى إعادة الناس إلى قيم وثقافة الجاهليّة، ويذكر التاريخ أنّ هؤلاء قد نجحوا فى مسعاهم غاية النجاح، ولولا حادثة عاشوراء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فى كربلاء ويقظة المسلمين فى ظلّ هذه الحوادث الدامية بحيث لم تستمر حكومتهم أكثر من ثمانين عاماً، فإنّه لا يعلم أحد ما سيجرى على الإسلام والمسلمين.

ثمّ يستثنى الإمام عليه السلام طائفة من أهل الشرف والدين والإيمان، هؤلاء من الذين انخدعوا بأساليب معاوية وكلامه البراق، ولكنّهم عندما رأوا عن كثب أعماله وعرفوا حقيقة أمره أعرضوا عنه والتحقوا بالإمام على عليه السلام وأصحابه يقول الإمام عليه السلام:

«إِلَّا مَن فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ ۸]، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ».

مفردة

«إلّا»

استثناء من

«جيل»

التى قالها الإمام عليه السلام فى مطلع الرسالة وإشار إلى المخدوعين والمغرورين الذين تأثروا بشبهات معاوية من قبيل شبهة قتل

عثمان والمطالبة بدمه وشبهات أخرى والتحقوا به، ولكنّهم عندما رأوا أعماله وسلوكياته عن كثب وشاهدوا فساد أعوانه وأنّهم عموماً من بقايا عصر الجاهليّة أو من أبنائهم،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰

فالتفتوا بسرعة إلى خطئهم وغفلتهم وابتعدوا عنه، هذه الفئة رغم أنّهم قلّة فى مقابل الكثير ممّن اتّبعه، ولكن مقامهم الكريم يستوجب أن يذكرهم الإمام عليه السلام بوصفهم أهل البصائر والسائرون فى طريق الحقّ والمنيبون إلى اللَّه تعالى.

ويذكر المحقق التسترى فى شرحه لنهج البلاغة ذيل الخطبة ۱۵۵ أسماء جماعة من أهل البصائر الذين التحقوا بالإمام على عليه السلام فى معركة صفين ومنهم: ابن عم عمرو بن العاص وابن اخته شرحبيل، وعبداللَّه بن عمرو العنسى، وكذلك جماعة من قراء القرآن ۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى المقطع الثالث من هذه الرسالة يوصى معاوية بتقوى اللَّه ويقول:

«فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِى نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ ۱۰] الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ۱۱]، فَإِنَّ الدُّنْيَا

مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، والسَّلَامُ».

ورغم أنّ معاوية بعد شهادة الإمام على عليه السلام بقى على قيد الحياة عشرين سنة، ولكن مع الالتفات إلى أنّ عمره ستون فى ذلك الزمان الذى كتبه الإمام عليه السلام هذه الرسالة فإنّه قد مضى عليه الشطر الأكبر من حياته وكل شخص فى مثل هذا العمر لابدّ أن يفكر فى نهاية عمره وعاقبته.

وجملة

«وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ»

، تشير إلى أنّ معاوية قد سلّم زمام أموره بيد الشيطان، فالإمام عليه السلام يوصيه بأن يمسك زمامه ولا يترك الشيطان يقوده فى دروب الضلالة والانحراف، لأنّ نهاية عمره قريبة وأهم شىء فى حياة الإنسان هو حسن العاقبة حيث يمكنه حلّ مشكلاته بهذه الطريقة.

والعجب أنّ مثل هؤلاء الجبّارين عندما يحين أجلهم، كما هو حال فرعون عندما غمرته أمواج النيل، ينتبهون من غفلتهم وفى حين أنّه قد ولّى وقت جبران

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱

الأخطاء وتغير المسار فلا ينفع الندم والحسرة، وربّما لو عادوا لساروا فى نفس الخط وكما يقول القرآن الكريم: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»[۱۲].

يقول ابن كثير فى كتاب «البداية والنهاية»: عندما اشتد المرض بمعاوية ويأس من شفائه ورأى نفسه مشرفاً على الموت أخذ ينشد هذه الآبيات:

لَعَمْرى لَقَدْ عَمَّرْتُ فِى الدَّهْرِ بُرْهَةًوَدانَتْ لِى الدُّنْيا بِوَقْعِ الْبَواتِرِ

وَأُعْطِيتُ حُمُر الْمالِ وَالْحُكْمِ وَالنُّهىوَلى سُلِمَتْ كُلُّ الْمُلُوكِ الْجَبابِرِ

فَأَضْحَى الَّذى قَدْ كانَ مِمَّا يَسُرُّنى كَحُكْمِ مَضى فِى الْمُزْمَناتِ الْغَوابِرِ

فَيا لَيْتَنى لَمْ أَعْنِ فِى الْمُلْكِ ساعةًوَلَمْ أَسْعَ فِى لَذاتِ عيشٍ نواضِرِ

وَكُنْتُ كَذى طِمْرَيْنِ عاشَ بِبُلْغَةٍفَلَمْ يَكُ حَتّى زارَ ضيقَ الْمَقابِرِ

ولا يبعد أنّ لقب «ذى طمرين» إشارة إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حيث يتأسف معاوية على أنّه لم يختر طريقه ولم يسلك فى طريق الحقّ، لأنّ هذه الكلمة قد وردت فى كلام الإمام على عليه السلام نفسه فى الرسالة ۴۵ من نهج البلاغة حيث يقول:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ...».

ولكن التأسف والتحسر فى مثل هذه المواقع كاذب، فلو زالت الأزمة وحلّت المشكلة لعادوا إلى حالهم السابق وتحركوا فى نفس الخط.

تأمّل

رسائل متوالية

يستفاد من شرح ابن أبى الحديد لهذه الرسالة وجود مراسلات بين أميرالمؤمنين على عليه السلام ومعاوية فى هذا المقطع الزمنى وبلغت بمجموعها خمس رسائل من قِبل الإمام عليه السلام وأربع رسائل من قِبل معاوية، وفى كلّ رسالة كان معاوية يزداد وقاحة وجرأة على الإمام عليه السلام، والعجيب أنّه يتحدّث عن نفسه وكأنّه من أولياء اللّه المقرّبين

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲

وقد نسى ماضيه وحاضره وأخذ يتحدّث فى رسائله بكلمات نابية وعبارات وقحة.

والملفت أنّ ابن أبى الحديد بعد نقله لهذه الرسائل يتحدّث بما خلاصته:

«وأعجب وأغرب ما جاء به الدهر، وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة، أن يفضى أمر على عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونضيراً مماثلًا يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساوى فيما يواجه أحدهما صاحبه، ولا يقول له على عليه السلام كلمة إلّاقال مثلها، وأخشن مسّاً منها، فليت محمّداً صلى الله عليه و آله كان قد شاهد ذلك عياناً لا خبراً أنّ الدعوة التى قام بها وقاسى أعظم المشاق فى تحملها، وكابد الأهوال فى الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها وشيّد أركانها وملأ الأفاق بها، خلصت صفواً وعفواً لأعدائه الذين كذبوه لما دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لما حض عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم كما قال أبوسفيان فى أيّام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة، إنّ الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس فى يد غلماننا اليوم يتلاعبون به، ثمّ آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليّاً كما يتفاخر الأكفاء والنضراء ...».

إذا عَيَّرَ الطائى بِالْبُخْلِ مادِرٌوَقَرَّعَ قُسّاً بِالْفَهاهَةِ باقِلٌ

وَقالَ السُّها لِلشَّمْسِ أَنْتَ خَفِيٌّوَقالَ الدُّجى يا صُبْحَ لَوْنُكَ حائِلٌ

وَفاخَرَتِ الْأَرْضُ السَّماءَ سَفاهَةًوَكاثَرَتِ الشُّهُبِ الْحِصى وَالْجَنادِلُ

فَيا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَياةَ ذَمِيمَةٌوَيا نَفْسُ جِدى إِنَّ دَهْرَكَ هازِلٌ ۱۳]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳

الرسالة ۳۳

اشارة

إلى قُثَم بْنِ الْعَبّاسِ وَهُوَ عامِلُهُ عَلى مَكَّةَ[۱۴]

نظرة عامّة للرسالة

تتشكل هذه الرسالة من قسمين:

القسم الأوّل: يمثّل تحذيراً من الإمام عليه السلام إلى قثم بن العباس واليه على مكّة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴

وينبهه إلى أنّ جماعة من أزلام معاوية ممن باعوا بدينهم بدنياهم أرسلهم معاوية فى موسم الحج ليثيروا الفتنة وليعملوا على تغيير الواقع لصالح معاوية على حساب إضعاف المؤيدين للإمام عليه السلام، وقد تحدّث الإمام فى هذه الرسالة عن أزلام معاوية بكلمات دقيقة وبليغة حيث نجد نظائر هؤلاء فى كلّ عصر وزمان وخاصّة فى عصرنا الحاضر.

وفى القسم الثانى يوصيه أن يأخذ جانب الحيطة والحذر فى مقابل هذه المؤامرة الخطيرة ولا يعمل شيئاً يحتاج بعده إلى الإعتذار وطلب الصفح.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِى- بِالْمَغْرِب- كَتَبَ إِلَىَّ يُعْلِمُنِى أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُناسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ؛ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِى يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: راقب أوضاع مكّة بدقّة

اشارة

كما أشرنا آنفاً أنّ هذه الرسالة أرسلها الإمام عليه السلام إلى قثم بن العباس عندما وصل الخبر إلى الإمام عليه السلام من مكّة من قِبل بعض عيونه وجواسيسه، أنّ معاوية بعث جماعة من أهل الشام لإشاعة الأكاذيب وتسميم الأجواء ضد أميرالمؤمنين عليه السلام فى أيّام الحج، ويستفاد من كلام ابن الأعثم الكوفى فى الفتوح أنّ معاوية أرسل جيشاً مكوّناً من ثلاثة آلاف رجل ومعهم العدّة الكاملة بشكل خفى إلى مكّة ليقوموا بإنتفاضة عندما تسنح الفرصة المناسبة ويواجهوا أنصار الإمام على عليه السلام ويربكوا أوضاع الحج.

وكيف كان فالإمام فى مستهل هذه الرسالة يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِى ۱۵]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶

بِالْمَغْرِب ۱۶]- كَتَبَ إِلَىَّ يُعْلِمُنِى أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ ۱۷] أُناسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ».

ثمّ يذكر صفاتهم فى ثلاث جمل مختصرة وأعمالهم فى أربع، ويقول:

«الْعُمْيِ ۱۸]

الْقُلُوبِ، الصُّمِ ۱۹] الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ ۲۰] الْأَبْصَارِ».

وهذا الكلام فى الحقيقة مقتبس من الآية الشريفة فى قول تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ»[۲۱].

وكما ورد فى تفسير الآية الشريفة أيضاً أنّ طرق معرفة الإنسان ثلاثة: العقل، الذى يفكر ويتدبر به، العين التى يرى بها الحوادث

المختلفة، والتجارب المتنوعة، والاذن، التى يسمع بها العلوم النقليّة، والأشخاص الذين يفقدون هذه الأعضاء الثلاثة فإنّ جميع طرق المعرفة ستكون موصدة أمامهم.

أجل، فمعاوية اختار هؤلاء البعيدين عن اللَّه والأزلام الذين اختاروا الضلالة على الهدى، والدنيا على الآخرة، ومهمتهم أن يبثوا الإشاعات المغرضة والأكاذيب الملفقة ويرتكبوا ما يحلوا لهم من ذنوب وآثام للوقيعة بأتباع أميرالمؤمنين عليه السلام وإثارة الفتنة فى صفوف حجاج بيت اللَّه الحرام.

ثمّ تحدّث الإمام عليه السلام عن أعمالهم وقال:

«الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ٢٢] الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ،

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٧

وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِى مَعْصِيةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ ٢٣] الدُّنْيَا دَرَّهَا[٢٤] بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ

عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ».

وبديهى أنّ الأشخاص الذين يعيشون العمى فى القلب، والصمم فى الأسماع لا ينتبهون إلى هذه الأمور ومن أجل التمويه على الناس يخلطون الحقّ بالباطل، ومن أجل كسب رضا المخلوق ونيل الجوائز والعطايا لا- يطيعون أمر اللَّه ولا- يمتثلون لتعاليمه، ومن أجل تحصيل متاع الدنيا يبيعون رأسمالهم الدينى، هؤلاء الذين بلغ العمش فى بصيرتهم إلى درجة أنّهم لا- يرون سوى دنياهم الفانيّة والملذات الرخيصة ويغفلون عن الآخرة وما فيها من المواهب المعنويّة والماديّة العظيمة والأبديّة، ولهذا السبب لا يعيرون أهمّية للآخرة ويبيعونها بأبخس الأثمان من أمور الدنيا.

وبديهى أنّ معاوية لا يختار أبداً الأشخاص الذين يملكون بعض الإيمان ولهم سابقة فى الإسلام لهذه لأعمال الشنيعة، بل يبحث عن الأشخاص الذين لا يملكون ذرة من الإيمان أو العقل أو الوجدان، فهم عبيد وغلمان وضعوا أرواحهم فوق أكفّهم سمعاً وطاعة لأوامر السلطان، وهذا هو منهج جميع حكّام الجور وقوى الاستكبار والهيمنة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أشار إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ كلّ إنسان يعمل الخير أو يقترف المنكر فسوف يثاب ويعاقب حسب عمله، يقول:

«وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ».

وهذا المفهوم مقتبس من الآيات الشريفة قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه»[٢٥].

وهو إشارة إلى أنّ هؤلاء عندما يتحركون فى خط خلق الفتنة وإيجاد المفسدة

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ١٨

والاختلاف بين المسلمين لا ينالون فى نهاية المطاف سوى الشر والفساد وسوف تصل إليهم وإلى زعيمهم هذه النار وتحرقهم.

ثمّ يخاطب الإمام عليه السلام قثم بن العباس ويقول:

«فَأَقِمْ عَلَى مَا فِى يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ ٢٦]، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ ٢٧]، وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ».

وبهذه الطريقة يثير فيه الإمام عليه السلام العزيمة والروحية وتقوية الإرادة لأداء المهمّة الملقاة على عاتقه فى مقابل مؤامرات معاوية وأتباعه من أهل الشام ويؤكّد له ضمناً أنّه مشرف وناظر لأعماله.

وبهذا البيان الموجز والعميق فى محتواه يبيّن الإمام عليه السلام شروط القائد الموفق والوالى الناجح، كسعة آفاق التفكير، الاستقامة والصمود فى مقابل الحوادث والتحديات، وحبّ الخير للناس، والإطاعة لإمامه ومقتداه وإمتثال أوامره، ومعلوم أنّ هذه الشروط إذا توفرت فى كلّ مدير أو قائد فسوف يكون مُوفّقاً فى عمله وإدارته وباستطاعته مواجهة مؤامرات الأعداء وإحباطها.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى ختام هذه الرسالة يذكر تحذيراً آخر لعامله ويقول:

«وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً[۲۸]، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا[۲۹]، وَالسَّلَامُ».

ثمّة مثل معروف متداول بين الناس يقولون: «إنّ الاعتذار لا يعيد ماء الوجه للإنسان» فصحيح أنّ الإنسان ينبغى أن يعتذر للطرف المقابل من خطئه وما صدر منه من خطيئة وزلة، ولكن يجب الالتفات إلى أنّ هذا الإعتذار لا يعيد مكانة الإنسان إلى سابق عهدها، فالأفضل أن يعيش الإنسان الانتباه والحذر لئلا يضطر

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹

للإعتذار، وكذلك يجب أن يكون مسلطاً على نفسه ويملك شخصيّة قويّة بحيث لا يتأثر باقبال أو إدبار النعم الدنيويّة، ولا يكون كالأشخاص من الضعفاء النفوس بحيث يفرحون بشدّة لأدنى نجاح إلى درجة أنّهم يخرجون عن طورهم وفى المقابل يتأثرون ويغتمون من أدنى اخفاق وفشل إلى درجة أنّهم يفقدون مشاعرهم ولا يسيطرون على أنفسهم.

وعندما ننظر إلى هذه الرسالة المختصرة للإمام عليه السلام من موقع الدقّة والعمق فسوف نرى أنّها تتضمن كلّ شىء، وهذه آية جلية من آيات الفصاحة والبلاغة لكلام الإمام عليه السلام وتشير إلى سعة إطلاعه ومعرفته بجميع الأمور السياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة.

تأمّل

من هو قثم بن العباس؟

«قثم» فى الأصل «قاثم» بمعنى الشخص الكريم الجواد «ثمّ سقطت ألفه» وهذا الاسم يعتبر بالنسبة لقثم ابن العباس اسماً على المسمى، لأنّه كان من الأجاويد والكرماء المشهورين، وهو ابن عم النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام وابن أخ عبدالمطلب وامّه ام الفضل لبابة بنت الحارث أحد أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وذكروا أنّ امّه كانت بعد خديجة أول امرأة اعتنقت الإسلام، وجاء فى كتب الرجال والتواريخ أنّ القثم كان رجلًا قوياً وذو فضائل، وفى زمان خلافة الإمام على عليه السلام كان والياً على المدينة لمدّة معينة ثمّ صار والياً على مكّة من قِبل الإمام عليه السلام وظّل فى هذا المنصب إلى زمان استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام، وفى سنة ۳۸ للهجرة اختير أميراً للحجاج من قِبل الإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام ويقال إنّ أميرالمؤمنين عندما ضربه ابن ملجم فى محراب مسجد الكوفة، كان قثم حاضراً فى المسجد وهو الذى قبض على ابن ملجم وهو يحاول الفرار.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰

وفى أيّام معاوية بسبب صداقته مع سعيد بن عثمان والى خراسان توجه قثم إلى خراسان وحضر فى حرب ضد الكفّار فى سمرقند ونال درجة الشهادة هناك ۳۰].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱

الرسالة ۳۴

اشارة

إلى مُحَمّدِ بْنِ أبى بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزْلِهِ بِالْأَشْتَرِ

عَنْ مِصْرَ، ثُمَّ تُوفى الأشترُ فى تَوَجُّهِهِ إِلى هُناكَ

قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْها[۳۱]

نظرة عامّة للرسالة

نعلم أنّ معاوية بعد قصة التحكيم كان يروم إثارة القلاقل فى المناطق الخاضعة لسيطرة حكومة الإمام على عليه السلام، فكان يهجم على المناطق الحدوديّة من جهة، ومن جهة أخرى كان قد أعطى عهداً لعمرو بن العاص بسبب خدماته الجليلة له أنّه إذا نجح فى تولى الخلافة واستلام زمام الحكومة الإسلاميّة فإنّه سيعطيه مصر، ومن أجل تحقيق هذه الغاية بذل هذان الرجلان جهوداً كبيرة فى هذا السبيل.

وكان الإمام على عليه السلام قد شعر بأنّ محمّد بن أبى بكر واليه على مصر وإن كان رجلًا أميناً، إلّاأنّ مصر تحتاج إلى رجل أقوى وأشدّ منه وأكثر تجربة ليقف فى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲

مواجهة مؤامرات معاوية، ولذلك اختار مالك الأشتر لهذا الأمر وكتب له عهده المعروف ب «عهد مالك الأشتر».

وعندما اطلّع معاوية على هذا الخبر وأنّ مالك الأشتر توجه إلى مصر أصابه القلق من ذلك ودبّر له مكيدة لقتله قبل وصوله إلى مصر، فأمر أحد جواسيسه الذى كان على إرتباط وثيق بآل عمرو بن العاص، أن يقتل مالكاً بالسم بأية صورة، فجاء هذا الرجل إلى مالك وأظهر له المودة وعرّف نفسه أنّه من شيعة الإمام على عليه السلام ومن أتباع أهل البيت عليهم السلام وتحدّث له عن فضائل الإمام وبنى هاشم إلى أن صدّقه مالك ووثق به واعتقد أنّه واقعاً من أتباع أهل البيت عليهم السلام وفى ذلك الوقت أهدى هذا الرجل طعاماً مسموماً لمالك «والمعروف أنّه كان عسلًا مسموماً» وعندما تناول مالك من هذا العسل شعر بالتسمم، وقبل وصوله إلى مصر توفى فى منطقة يقال لها «قلزم».

وعندما وصل خبر تنصيب مالك الأشتر والياً على مصر إلى محمّد بن أبى بكر، بدا منه تأثراً من ذلك، فكتب له الإمام عليه السلام الرسالة أعلاه ليرفع قلقه ويزيل استياءه وأبقاه فى منصبه [۳۲].

وعلى ضوء ذلك فإنّ الغرض من هذه الرسالة رفع ما خالج محمّد بن أبى بكر من تأثر واستياء من جراء تنصيب مالك الأشتر مكانه، وقد أكد له الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة أنّه راضٍ تماماً عن أفعاله وأنّ استبداله بمالك الأشتر لا يعنى أنّه قد قصّر فى مهمته بل لغرض كان محمّد بن أبى بكر يعلم به أيضاً، وكذلك تهدف هذه الرسالة لتقوية إرادة محمّد بن أبى بكر وتحكيم موقفه فى مقابل العدو لحفظ حكومة مصر، ويوصيه الإمام عليه السلام بالتوكل على اللّه والاستقامة فى طريق التصدى للأعداء.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِى مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّى لَمْ أَفْعَلْ ذلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِى الْجَهْدِ، وَلَا ازْدِيَاداً لَكَ فِى الْجِدِّ وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِى كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللَّهُ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ؛ أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ! فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الْاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزَلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الشرح والتفسير: تطييب خاطر محمّد بن أبى بكر

لقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة المختصرة إلى عدّة نقاط مهمّة فقال أوّلًا:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِى مَوْجِدَتُكَ ۳۳] مِنْ تَسْرِيحِ ۳۴] الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ ۳۵]، وَإِنِّى لَمْ أَفْعَلْ ذلِكَ اسْتِبْطَاءً[۳۶] لَكَ فِى الْجَهْدِ، وَ لَاازْدِيَاداً لَكَ فِى الْجِدِّ».

وبهذا الكلام سعى الإمام عليه السلام لتطييب خاطر محمّد بن أبى بكر وأكّد له أنّه راضٍ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴

عن عمله وأنّ هذا التغيير والاستبدال لا يعنى أبداً أنّ محمّد بن أبى بكر مقصّر فى عمله، أو أنّ الإمام عليه السلام مستاء منه.

ثمّ واصل الإمام عليه السلام كلامه مخاطباً لمحمّد بن أبى بكر لتهدئة نفسه أكثر ورفع أى التباس فى ذهنه وقال:

«وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بذكره لهاتين النقطتين، وهما أنّه راضٍ من جهة عن أعمال محمّد بن أبى بكر، ومن جهة أخرى أنّه لو عزله عن موقع معين فإنّه سيختار له موقعاً أفضل، وبذلك رفع أى إلتباس وقلق من واليه على مصر.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة أنّه سيعطيه مكاناً أفضل وأيسر مؤنة، وهى ولاية حكومة خراسان أو بلاد فارس أو اليمن، لأنّ جميع مناطق البلاد الإسلاميّة فى ذلك الوقت ما عدا الشام، كانت تحت حكومة الإمام على عليه السلام ۳۷].

ثمّ ذكر الإمام عليه السلام السبب فى اختياره لمالك الأشتر والياً على مصر، ليرفع من جهة الشبهة عن ذهن محمّد بن أبى‌بكر، ومن جهة أخرى يلفت نظره إلى بعض نقاط الضعف والقصور فى شخصيّته ليتمكن من إصلاحها واستبدالها بنقاط قوّة، يقول:

«إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِى كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً[۳۸]، فَرَحِمَهُ اللَّهُ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ ۳۹]، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ؛

أَوْلَاهُ ۴۰] اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ!».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵

والحقيقة أنّ مالك الأشتر رحمه الله كان كذلك، بلاءه المشهود فى صفين ودفاعه الحاسم عن الإمام عليه السلام فى مواقع مختلفة ووفاءه المطلق واستقامته فى جميع الحوادث الصعبة التى وقعت فى ذلك العصر، كلّها شاهد حى على صحة كلام الإمام عليه السلام فى حق الأشتر، فقد كان الأشتر هو القائد الفذ الذى جعل جيش معاوية فى صفين يصل إلى حدّ الهزيمة الكاملة، ولكن مؤامرة رفع المصاحف على الرماح أجهضت سعيه وأعاقت تحقيق النصر على معاوية.

يقول ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة عند وصوله لجملة

«فَرَحِمَهُ اللَّهُ»

: «ولست أشك بأنّ الأشتر بهذه الدعوة يغفر اللَّه له ويكفّر ذنوبه ويدخله الجنّة، ولا فرق بينها وبين دعوة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله،

وَياطُوبىٰ لِمَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام بَعضُ هَذا»[۴۱].

وقد تحدّث الإمام عليه السلام فى رسائل عدّة فى نهج البلاغة عن مالك الأشتر بوصفه شخصيّة ممتازة وعالى الهمة، وهذا الثناء يشير إلى أنّ للأشتر مكانة سامية عند الإمام عليه السلام الذى كان يكنّ له الحبّ والاحترام، وقد تحدّثنا فى شرح الرسالة ۱۳ عن بعض فضائل مالك الأشتر وامتيازاته النادرة، وسنشير فى ذيل هذه الرسالة والرسائل أخرى أيضاً إلى أمور أخرى عن هذه الشخصيّة الإسلاميّة الفذة.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة: ولكن الآن حيث استشهد مالك ولا أعرف أفضل منك لتولى هذا المنصب فعليك بالبقاء فيه والاستعداد لمواجهة العدو بشجاعة وبصيرة:

«فَأَصْحِرْ[۴۲] لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ[۴۳] لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ».

وجملة «

فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ

» إشارة إلى هذه النقطة، وهى أنّ الإمام عليه السلام أكد عليها فى خطبة الدعوة للجهاد حيث قال:

«وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶

قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا».

وجملة

«وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ»

أمر بضرورة التزام الحذر التام والانتباه الكامل فى مقابل مؤامرات العدو وأن يتحرك بدقّة متناهية لإبطال مساعيه وإجهاض مؤامرته.

وجملة »

وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ

» إشارة من جهة إلى أنّك لا تبدأ بالحرب، ومن جهة أخرى إذا بدأك العدو بالحرب فاستعد لدحره ودفع خطره وكن على أهبة الاستعداد بشكل دائم.

وهذه التوصيات الثلاث للإمام عليه السلام لا تخصّ محمّد بن أبى بكر فقط بل تشمل جميع المسلمين فى كلّ زمان ومكان، فإذا عملوا بها فذلك سيقودهم إلى النصر المحتم.

وفى ختام الرسالة يدعوه الإمام عليه السلام للتوجه إلى اللّه تعالى والتوسل به فبيده مفتاح جميع المشكلات ولا يمكن تحقيق أى هدف إلّابمعونته، ويقول الإمام عليه السلام:

«وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الْاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزَلُ ۴۴]

بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومعلوم أنّ مثل هذا الإيمان والاعتقاد وهذا التوجه للذات المقدّسة لا يورث الإنسان الأثر المعنوى الكبير فحسب، بل يمنحه القوّة الروحية والاستقامة فى العمل والنشاط فى المشاعر والانفتاح، وهذه هى الأمور التى تتسبب فى إنتصار جيش المسلمين على قوى الكفر والضلالة فى عصر النّبى الإسلام عليه السلام فى حين أنّ المسلمين كانوا أقل عدداً وعدّة من أعدائهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷

تأمّل

من هو محمّد بن أبى بكر؟

محمّد بن أبى بكر، كما يتبيّن من اسمه، هو ابن الخليفة الأوّل، ومع إنتمائه لمثل هذا الأب، كان يعيش العشق الشديد للإمام على بن أبى طالب عليه السلام ومستعد لكلّ أشكال التضحية فى سبيله، وبدوره فالإمام على عليه السلام أيضاً كان يعتمد على محمّد بن أبى بكر اعتماداً كاملًا، ومن هذه الجهة اختاره على مصر، ولكنه استشهد على يد عمّال معاوية وقد تأثر الإمام عليه السلام كثيراً بمقتله.

وسبق أن ذكرنا سيرته وترجمة حياته فى ذيل الخطبة ۶۸ من الجزء الثالث من هذا الكتاب ۴۵].

ج ج

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹

الرسالة ۳۵

اشارة

إلى عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْعَبّاسِ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمّدِ بْنِ أبی‌بَكْرٍ[۴۶]

نظرة عامّة للرسالة

أشار الإمام عليه السلام فی هذه الرسالة الموجزة إلى ثلاث نقاط:

الاولى: أنّه أبلغ ابن عباس بشهادة محمّد بن أبی بكر فی مصر على يد أزلام معاوية وتحدّث عن محمّد بوصفه ابن له ورجلًا صالحاً وشجاعاً ومدافعاً عن الحقّ.

والثانية: أشار الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهی أنّه كان يتوقع مثل هذا الأمر، وبذلك طلب من أهل العراق أن يهبوا لمساعدة محمّد سرّاً وعلانية بكل سرعة ولكن مع الأسف فإنّ العناصر الانتهازية وأصحاب الادعاءات الجوفاء لم يصغوا إلى هذه الدعوة وبالتالی وقعت هذه المصيبة فی أرض مصر واستشهد محمّد على أثرها.

والثالثة: يدعو الإمام عليه السلام اللّه تعالى من قلب متحرق يحكی عن الحزن الشديد

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰

الذی جرح قلب الإمام عليه السلام، والإمام هنا يسأل اللّه تعالى أن يخلصه من هؤلاء الناس من ضعفاء الإيمان والمعرضين عن الحقّ ويقسم أنّه لولا عشقه للشهادة لما أحبّ أن يبقى يوماً واحداً مع هؤلاء الناس.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِی‌بَكْرٍ- رَحِمَهُ‌اللَّهُ- قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً، وَعَامِلًا كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دافِعاً. وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الْآتِی كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِی مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلًا؛ فَوَاللَّهِ لَوْلَا طَمَعِی عِنْدَ لِقَائِی عَدُوِّی فِی الشَّهَادَةِ؛ وَتَوْطِينِی نَفْسِی عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِی بِهِمْ أَبَداً.

الشرح والتفسير: شكوى من الأتباع الضعفاء

كما هو الملاحظ فی عنوان هذه الرسالة، أنّ الإمام عليه السلام يخاطب فيها عبداللّه بن العباس، وكان فی ذلك الزمان والياً من قِبل الإمام عليه السلام على البصرة، وفی مطلع هذه الرسالة يخبره الإمام عليه السلام عن سقوط مصر بيد جيش معاوية واستشهاد محمّد بن أبی‌بكر ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِی‌بَكْرٍ- رَحِمَهُ‌اللَّهُ- قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ ۴۷]».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲

ثمّ يضيف:

«وَلَداً[۴۸] نَاصِحاً، وَعَامِلًا كَادِحاً[۴۹]، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دافِعاً».

وهذه الصفات الأربع لشخصية محمّد بن أبی بكر متجلية بشكل واضح فی سيرته وشخصيّته وتعكس هذه العبارات عن جملة من

فضائله، فى البداية يشير إلى كونه من أهل الخير وبمنزلة الابن له، فمحمّد لم يكن فقط الابن الروحانى للإمام على عليه السلام، بل مع الالتفات أنّ امّه أسماء تزوجت بعد وفاة أبى بكر من الإمام على عليه السلام وكان محمّد قد تربى فى حجر الإمام عليه السلام فإنّه يعدّ بمثابة الابن للإمام عليه السلام ٥٠].

ثمّ يشير الإمام إلى صفة العامل الكادح لمحمّد فى منصب الوالى على مصر وأنّه كان ماضى الهمة وشديد العزيمة ومدبّراً خبيراً، ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لمواقف محمّد فى مقابل الأعداء ويقول عنه أنّه كان سيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وبعد ذلك يشير الإمام عليه السلام إلى لجوء محمّد باتخاذ تدابير دفاعية فى مقابل هجوم الأعداء والحوادث المؤسفة ويشبهه بالعمد القوى والأساس الصلب والركن الدافع الذى يمنع البناء من الإنهيار ويدفع عنه البلايا والأخطار.

ومن أجل أن لا يتوهم أحد أنّ الإمام عليه السلام قصّر فى الدفاع عن محمّد بن أبى بكر وحفظه يقول:

«وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٥١] النَّاسَ عَلَى لَحاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ

الْوَقْعَةِ[٥٢]، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً[٥٣]، فَمِنْهُمُ الآتِى كَارِهاً، وَمِنْهُمُ

الْمُعْتَلُّ ٥۴] كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلًا[٥٥]».

وينقل الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ٣٨ أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الأثناء دعا أهل الكوفة إلى التجمع: فقام علىٌّ بالناس وقد أمر فنودى الصلاة الجامعة، فاجتمع الناس فحمد اللّه وأثناء عليه وصلى على محمّد صلى الله عليه و آله، ثمّ قال:

«أمَّا بَعدُ فَإنّ هٰذا صَرِيخُ مُحَمّد بن أَبِى بَكرٍ وَأخوانُكم مِنْ بلادِ مِصرَ قَدْ سَارَ إلَيهم ابنُ النَّابِغَةِ عَدوَّ اللَّهِ ووَلِّى مَنْ عَادَ اللَّهَ، فَلا يَكُونَنَّ أَهلُ الضَّلالِ إلى بَاطِلِهِم وَالرُّكُونِ إلى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أَشَدُّ إجتِمَاعاً مِنْكُم عَلى حَقِّكُم هٰذا، فَإنَّهُم قَدْ بَدَأُوكُم وَإخوانُكم فِى الغَزو فَعَجِّلُوا إلَيهِم المُواسَاةَ وَالنَّصرَ عِبادُ اللَّهِ إنَّ مِصرَ أَعظَم مِنَ الشَّامِ وَأَكثَر خَيراً وَخَير أهَلًا فَلا تُغلَبُوا عَلى مِصر فَإنَّ بَقَاءَ مِصر فِى أيدِيكُم عَزٌّ لَكُم وَكَبتٌ لِعَدوِّكُم اخرجُوا إلى الجُرعَةِ بَينَ الحِيرَةِ وَالكُوفَةِ، فَوافُونِى بِها هَناكَ غَداً إنْشَاءَاللَّه».

ثمّ يضيف الطبرى: فلما كان من الغد خرج يمشى فنزلها بكرة، فأقام بها حتى التصق النهار يوم ذلك فلم يوافيه منهم رجل واحد، فرجع، فلمّا كان من العشية بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب فقال:

«الحَمْدُ للَّهِ عَلى مَا قَضى مِن أَمرٍ وَقَد قَدّرَ مِن فِعلٍ وَابتَلانى بِكُم أَيَّتُها الفُرقَةُ مِمَن لايُطيعُ إذا أَمرتُ وَلا يُجِيبُ إذا دَعوتُ، لاأَباً لِغَيرِكُم مَاذا تَنتَظِروا بِصَبرِكُم وَالجِهادِ عَلى حَقِّكُم».

(والقسم المهم من هذه الخطبة أوردناه فى ١٨٠ من الجزء السادس من هذا الكتاب).

وينقل الطبرى فى قسم آخر من كلامه هذا الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام قاله بعد استشهاد محمّد بن أبى بكر حيث أخذ يوبخ أتباعه بشدّة ويقول:

«دَعَوتُكُم إلى غِياثِ إخوانِكُم مُنذُ بِضعٍ وَخمسِينَ لَيلَةً فَتَجَرجَرتُم جَرجَرةَ الجَمَلِ

الأَشدقِ وَتَثَاقَلتُم إلى الأَرضِ تَثَاقُلَ مَنْ لَيسَ لَهُ نُيَّةُ فِى جِهادِ العَدوّ وَلا اكتسابِ الأجرِ ...»[٥۶].

وهذه الطوائف الثلاث الذين يتحدّث عنهم الإمام عليه السلام لا ينحصر تواجدهم فى ذلك العصر، توجد مثل هذه الشخصيّات الهزيلة والنفوس المريضة فى كلّ عصر وزمان وينخرطون فى أحد هذه الطوائف الثلاث، فالأشخاص الذين يواجهون المصاعب ويحضرون إلى الميدان كارهين لا يوفّقون للقيام بأى عمل إيجابى، والفئة الثانية هم الذين ينسلون من ميدان المواجهات بتبريرات وأعذار مختلفة لابعاد أنفسهم عن مواجهة العدو، والفئة الأخيرة هم الذين يخالفون الحضور فى الميدان بصراحة ويحرضون الناس على القعود معهم، فالويل للمجتمع الذى تكون فيه الغالبية من الناس من هذه الطوائف الثلاث، فمهما اوتى القادة لهذا المجتمع من

قدرة وعزم وحنكة فى إدارة الأمور فإنّهم وبسبب عدم توفر الأنصار والأتباع الذين يعيشون روح التضحية والشجاعة والمسؤوليّة، فإنّهم لا يحققون أى نتيجة لمجتمعهم ولا ينجحون فى تجسيد طموحاتهم وتطلعاتهم على أرض الواقع المجتمعى.

إنّ التدبّر فى الآيات القرآنيّة يرشدنا إلى أنّ هذه الطوائف الثلاث كانت موجودة أيضاً فى عصر رسول اللّه صلى الله عليه و آله، رغم أنّ جماعة المؤمنين المخلصين كانت هى الغالبة.

يقول القرآن الكريم بالنسبة للطائفة الاولى فى ذلك العصر: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ»[۵۷].

وفيما يخص الطائفة الثانية يستعرض القرآن الكريم قضايا معركة الأحزاب ويقول: «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً»[۵۸].

أمّا بالنسبة للطائفة الثالثة فيقول: «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵

وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَاتَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ»[۵۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام ينطلق بالدعاء ويتوجّه إلى اللّه تعالى من أعماق قلبه ويسأله أن يخلصه من هذا الواقع الأليم:

«أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلًا».

ولغرض التأكيد على هذه الحقيقة يضيف الإمام عليه السلام:

«فَوَاللَّهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ؛ وَتَوْطِينِي ۶۰] نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِي بِهِمْ أَبَداً».

إنّ نذالة هؤلاء الأتباع وخسّتهم وصلت إلى درجة أنّ الإمام عليه السلام بما يملك من صبر واستقامة بحيث بقى خمس وعشرين عاماً فى زاوية البيت وفى الحلق شجى وفى العين قذى كما يقول الإمام عليه السلام نفسه وقد تحمل ذلك، ولكن فى هذه المدّة القصيرة من خلافته واجه الإمام عليه السلام ضغوطات وصعوبات بحيث إنّه تمنى أن لا يبقى مع هؤلاء الناس ولا يوماً واحداً، وما يدعوه للبقاء معهم هو شوق الشهادة فى سبيل اللّه تعالى.

ومثل هذا الكلام ذكره الإمام عليه السلام فى الخطبة ۱۱۹ حيث قال:

«وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ- وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ ...».

تأمل

روعة البلاغة فى هذه الرسالة

تعتبر هذه الرسالة من أفصح وأبلغ رسائل وكتب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام والتى كتبها بعبارات موجزة وكلمات بليغة بحيث أدّى حقّ المطلب تماماً.

وقد تأثر ابن أبى الحديد كثيراً بفصاحة وبلاغة هذه الرسالة فقال فى شرحه لهذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶

الرسالة: «انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها، وتملّكه زمامها، وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلوا بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه، سِلسلة سهلة تتدفق من غير تعسّف ولا تكلّف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال:

«يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِي بِهِمْ أَبَداً».

وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا فى كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قَسْرَها بإعراب واحد ظهر منها فى التكلّف أثرٌ بيّن، وعلامة واضحة، وهذا الصِّنف من البيان أحد أنواع الإعجاز فى القرآن، ذكره عبدالقاهر، قال: انظرْ إلى سورة النّساء وبعدها سورة المائدة، الاولى منصوبة الفواصل، والثانية ليس فيها منصوب، ولو مزجت إحدى السورتين بالاخرى لم يمتزجا، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما.

ثمّ إنّ فواصل كلّ واحد منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعى لا الصناعة التكلّفية، ثمّ انظر إلى الصفات الموصوفات فى هذا الفصل، كيف قال:

«وَلَداً نَاصِحاً»

،، «وَعَامِلًا كَادِحاً»، «وَسَيْفاً قَاطِعاً»، «وَرُكْناً دافِعاً»،

لو قال: «ولداً كادحاً» و «عاملًا ناصحاً»، وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا فى الموقع واقعاً، فسبحان اللّه من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلامٌ من أبناء عرب مكّة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء، وخرج أعرفَ بالحكمة ودقائق العلوم الإلهيّة من إفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانيّة، لأنّ قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط، ولم يربّ بين الشجعان، لأنّ أهل مكّة كانوا ذوى تجارة، ولم يكونوا ذوى حرب، وخرج أشجعَ من كلّ بشرٍ مشى على الأرض، قيل لخَلف الأحمر[۶۱]: أيّما أشجع عَنبسة وبِسطام أم علىّ بن أبى طالب؟ فقال: إنّما يذكر عَنبسة وبسطام مع البَشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة، فقيل له: فعلى كلّ حال، قال: واللّه لو صاح فى وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما، وخرج أفصحَ سَحبان

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷

وقُسّ، ولم تكن قريش بأفصح العرب، كان غيرها أفصح منها، قالوا: أفصح العرب جُرْهم وإن لم يكن لهم نَباهة، وخرج أزهد الناس فى الدنيا، وأعفّهم، مع أنّ قريشاً ذوو حرص ومحبّة للدنيا، ولا غرو فيمن كان محمّد صلى الله عليه و آله مربّيه ومخرِجه، والعناية الإلهيّة تمدّه، وترفُدُه أن يكون منه ما كان»[۶۲].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹

الرسالة ۳۶

اشارة

إلى أخيهِ عَقيلِ بن أبى طالب، فى ذِكْر جَيْشٍ أنْفَذَه إلى بَعْضِ الْأَعْداءِ وَهُوَ جَوابُ كِتابٍ كَتَبَهُ إلَيْهِ عَقيلُ ۶۳]

نظرة عامّة للرسالة

ورد فى المصادر التاريخيّة فى قصّة هذه الرسالة أنّ معاوية بعد واقعة التحكيم سمع أنّ الإمام على عليه السلام عازم مرّة أخرى على مواجهته وقتاله، فخاف خوفاً شديداً وأخذ يعمل فى إضعاف معنويات أهل الكوفة والعراقيين من خلال برنامج إعلامى مدروس ومن ذلك أنّه أرسل الضحاك بن قيس مع ثلاثة آلاف نفر إلى العراق وقال له: «سرّ حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها مااستطعت، فمن وجدته من الأعراب فى طاعة علىٍّ فأغر عليه، وإن وجدته له مصلحة (أى معهم السلاح) أو خيلًا فأغر عليها، وإذا أصبحت فى بلدة

فأمسى فى أخرى، ولا تقيمن لخيل وبلغك أنّها

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۰

سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها».

فأقبل الضحاك ونهب الأموال وقتل من لقى من الأعراب ...

فوصلت أخبار حملة الضحاك إلى عقيل وهو فى مكّة، فقلق من ذلك وكتب كتاباً لأخيه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم عنه:

«لعبداللَّه على أميرالمؤمنين من عقيل بن أبى طالب، سلام عليك فإنّى أحمد إليك اللَّه الذى لا إله إلّاهو، أمّا بعد فإنّ اللَّه حارسك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال إنى فقد خرجت إلى مكّة معتمراً فلقيت عبداللَّه بن سعد بن أبى سرح، فى نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء،- عرفت المنكر فى وجوههم- فقلت إلى أين يا أبناء الشانئين، أبمعاوية تلحقون؟ عداوة واللَّه لنا منكم قديماً ظاهرة غير مستنكرة، تريدون بها اطفاء نور اللَّه، وتبديل أمره فأسمعنى القوم وأسمعتهم.

ثمّ قدمت مكّة فسمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء ثمّ إنكفأ راجعاً سالماً، فأُف لحياة فى دهر جرأت عليك الضحاك، وما الضحاك! إلّافقع بقرقر وقد وطئت، وقد توهمّت- حيث بلغنى ذلك- أنّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إلىَّ- يابن امى- برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بولد أخيك، وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت، فواللَّه ما أحُب أن أبقى فى الدنيا بعدك فواقاً، واقسم بالأعزّ الأجل إنّ عيشاً أعيشه بعدك فى هذه الدنيا لغير هنىء ولا مرىء، ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته»[۶۴].

فكتب إليه الإمام عليه السلام هذه الرسالة جواباً له واطمئنه على أنّ جيش الضحاك قد هرب موليّاً ومُنى بهزيمة منكرة وقتل منهم من قتل، فسّر عقيل لذلك.

والملفت للنظر أنّ مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغة بعد أن يورد هذه الرسالة (رسالة عقيل للإمام عليه السلام) يقول: مع الأخذ بالحسبان أنّها وقعت فى أواخر عمر الإمام على عليه السلام وأنّ عقيل قد كتب هذه الرسالة له وبثّ فيها من شجونه وعواطفه ممّا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۱

يحكى عن محبّة شديدة وطاعة مطلقة لأوامر أخيه الإمام على عليه السلام، فما يقال من أنّ عقيل ترك أخيه أميرالمؤمنين عليه السلام والتجأ إلى معاوية، ادّعاء محض واكذوبة فاضحة.

وتشير هذه الرسالة إلى عدّة أمور:

۱. هجوم جماعة من أتباع معاوية على أطراف الكوفة ومواجهتهم لجيش الإمام على عليه السلام الذى أدى إلى إندحارهم وفرارهم.

۲. شكوى الإمام عليه السلام من قريش وأنّهم هم الذين وقفوا فى مواجهة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة واتحدوا ضد الرسالة الإلهيّة وأنّهم اتفقوا على معاداة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

۳. رأى الإمام عليه السلام بالنسبة للأشخاص الذين نكثوا بيعته والتحقوا بعدوّه وأنّه يجب التصدى لهم وجهادهم إلى أن يعودوا إلى الحقّ.

۴. التذكير بهذه الحقيقة، وهى أنّ إقبال وإدبار الأفراد لا يؤثر على روحياته ومعنوياته، فهو صامد كالجبل الشامخ فى مقابل الأعداء ولا يأبه لكثرة التحديات والمؤامرات ولا يضعف لما يواجهه من مصائب ومصاعب.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۳

القسم الأول

اشارة

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا. فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

الشرح والتفسير: قصّة الضحاك بن قيس

كما رأينا آنفاً أنّ هذه الرسالة عبارة عن جواب من الإمام عليه السلام لأخيه عقيل بن أبى طالب فيما يتصل بحملة الضحاك بن قيس على أطراف الكوفة وهزيمتهم وفرارهم، ومن هنا فإنّ الضمير فى «إليه» يعود إلى الضحاك، رغم أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة يعتقدون أنّ هذه القصة تتعلق بحملة «بسر بن ارباط» على اليمن، والأعجب من ذلك أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ الضمير يعود إلى معاوية فى حين أنّ كلا هذين المعنيين بعيدان عن الصواب.

وعلى أيـة حال، فالإمام عليه السلام فى مطلع هذه الرسالة، الذى حذفه السيّد الرضى اختصاراً (وطبقاً لما ورد فى كتاب تمام نهج البلاغة ومصادر نهج البلاغة) بعد أن حمد اللّه أثنى عليه ودعا بالخير لعقيل أعلن له أنّ رسالته وصلت إليه بواسطة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۴

عبداللّه بن عبيد الأزدى وفهم منها الإمام عليه السلام قلق عقيل من حملة الضحاك على أطراف الكوفة.

ومن أجل رفع هذا القلق كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لأخيه عقيل يشرح له حادثة حملة جيش معاوية بقيادة الضحاك ويقول له:

«فَسَرَّحْتُ ۶۵] إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً[۶۶]

مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ ۶۷] نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ،

وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ».

«كَثِيفاً»

يعنى المزدحم والجمع الغفير، وطبقاً لبعض الروايات فإنّ عدد جيش الإمام عليه السلام فى هذه الحملة أربعة آلاف نفر من الرجال المستعدين لانزال العقاب بالأعداء والذين ينقضون كالصقر، ولهذا السبب قرر أزلام معاوية وثلول الضحاك الفرار على القرار وندموا على هجومهم وعدوانهم على أطراف الكوفة، ولكن جيش الإمام عليه السلام ظلّ يتعقبهم إلى أن أوشكت الشمس على المغيب، حيث يبيّن الإمام عليه السلام فى العبارات اللاحقة أخطار هذه المواجهة.

وعبارة

«مِنَ المُسلِمينَ»

إشعار إلى أنّ الجيش المعادى وقائدهم الأصلى فى الشام ليسوا من المسلمين.

وجملة

«شمّر هارباً»

يقصد بها السخرية من الضحاك، لأنّ شمّر تأتى عادة بمعنى الشخص الذى يرفع كميه استعداداً للقيام بعمل مهم لا للفرار والنكوص

وهو ما اختاره الضحاك فى هذه المواجهة الحاسمة.

وجملة «

طَفَّلَتِ الشَّمْسُ

» مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ «طفول» بمعنى الاقتراب، فالجملة إشارة إلى أنّ الجيشين التقيا عندما أوشكت الشمس على الافول فى الافق، والتعبير ب «

الْإِيَابِ

» كناية عن أنّ الشمس تطلع فى الصباح الباكر وكأنّها تخرج من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۵

مقرها وفى وقت العصر تعود إلى مكانها الأوّل، وهذا تعبير لطيف عن ظاهرة غروب الشمس.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه عن هذه الواقعة ويقول:

«فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً[۶۸] بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخَنَّقِ ۶۹]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا».

والجدير بالذكر أننا أشرنا إلى هذه الواقعة ذيل الخطبة ۳۹، وهذه الرسالة متناغمة مع مضامين تلك الخطبة.

وعبارة

«كَلَا وَلَا»

تعنى أنّ هذا العمل تمّ انجازه بسرعة وانسجام تام كما فى لفظة «لا ولا»، وفى بعض عبارات العرب يقال: «لا وذا»، وكليهما إشارة إلى المدّة القصيرة من الزمان، كما يقال فى المثل: «كلمح البصر».

وعبارة

«بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمَخَنَّقِ»

، والمخنق تعنى ما يشير إلى الرقبة والحنجرة التى تتعرض للخنق بضغط يسير، وهو إشارة أنّ جيش الإمام عليه السلام أوصلوا الضحاك وجيشه إلى حدّ الموت بحيث لم يبق منهم سوى رمق ضئيل، وهذه العبارة متداولة فى اللغة العربية وفى اللغات الاخرى فعندما يواجه الشخص على رقبته ضغوطاً شديدة يقال إنّه بلغ به الخناق، أو ضيق عليه الخناق.

واللافت أنّ إبراهيم الثقفى ينقل فى كتابه «الغارات» واقعة معينة تتضمن تفسيراً وشرحاً لعبارة الإمام عليه السلام فى قوله:

«وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ»،

ويقول: عندما هرب الضحاك من «حجر بن عدى» قائد جيش الإمام على عليه السلام شعر بالعطش الشديد، لأنّه أضل إبله التى تحمل الماء، وعرضت عليه سِنة من النوم فى ذلك الوقت، وبذلك انحراف عن الطريق، وعندما انتبه من نومه لم يجد من جيشه سوى عدّة نفر ولم

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۴۶

يكن معهم شىء من الماء، فأرسل بعضهم لطلب الماء ولكنّهم لم يعثروا على شىء، وفجأة ظهر رجل وقال له الضحاك: ياعبداللّه أننى عطشان فاسقنى، فقال: واللّه لا أسقيك حتى تدفع لى ثمنه، فقال الضحاك: وما ثمنه؟ فقال: ثمن الماء دينك، ثمّ واصل حكاية القصة إلى وصلوا لجماعة كان معهم الماء وشربوا منه ۷۰].

وعبارة

«لَأْياً بِلَأْيٍ»

، ومع الالتفات أنّ لأی‌تعنی الشدّة، فمفهوم هذه العبارة أنّ الضحاك ومن بقی معه من فلول جيشه واجهوا الشدة بعد الشدّة إلى أن نجوا بجلودهم من الهلكة.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فی مقطع آخر من رسالته لعقيل أنّ عبداللّه بن سعد، أخ عثمان بن عفان من‌الرضاعة، كان يسير مع أربعين رجلًا من شباب قريش باتجاه غير معلوم، فسأله عقيل: إلى أين تذهبون يا أبناء أعداء النّبی، هل تريدون اللحاق بمعاوية؟ هنا يقول الإمام عليه السلام: وأمّا حديثك عن مخالفة قريش لی فإنّ قريش بجميع مساعيها فی طريق الضلال والشرك والعداء لا ـ زالوا يتحركون فی متاهات الضلالة والشقاق:

«فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ ۷۱] فِی الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ ۷۲] فِی الشِّقَاقِ ۷۳] وَجِمَاحَهُمْ ۷۴] فِی التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِی كَإِجْمَاهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله قَبْلِی».

ثمّ يضيف:

«فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّی الْجَوَازِی! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِی، وَسَلَبُونِی سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّی».

جملة:

«فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّی الْجَوَازِی!»

، مع الالتفات إلى أنّ الجوازی جمع جازية، وتعنی الجزاء والمكافأة على العمل، فمفهوم الجملة أنّ جزاء أعمال قريش

سيصيبهم عمّا قريب وسيواجهون عاقبة أعمالهم السيئة هذه، وهذه الحقيقة بمثابة الدعاء عليهم لأنّهم لم يراعوا حقّ رحمه وقرابته منهم ولم يسمحوا للإمام عليه السلام بتسلم مقاليد الخلافة التی قررها اللّه تعالى له عليه السلام وأكد عليها النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله والضامنة لسعادة المسلمين فی الدنيا والآخرة.

أجل، هؤلاء كانوا فی عصر النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله من ألد أعدائه وأعداء الرسالة السماوية وكانوا يشعلون نيران الحروب ضد الإسلام وكانت قريش المحور لهذه الفتن والحروب وتتزعم هذه الحروب وكانت آخر من أسلم أو استسلم للنّبی الأكرم عليه السلام فی حين أنّ إسلام الكثير منهم يعدّ إسلاماً صورياً لا حقيقياً.

وبعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله سلكوا ذات الطريق والمنهج مع خليفته ووصيه الإمام علی بن أبی طالب عليه السلام، بل إنّهم كانوا أشدّ وأنكى على الإمام عليه السلام لما كانوا يعيشونه من حالات الحقد والانتقام ضده.

ونقرأ فی الحديث الشريف للنّبی الأكرم صلی الله علیه و آله أنّه قال يوماً مخاطباً لعلی بن أبی طالب عليه السلام وهو يبكی ويذرف الدموع:

«ضَغَائِنُ فِی صُدُورِ أقوَامٍ لايُبْدُونَها لَكَ إلَّا مِنْ بَعدِی»[۷۵].

وقد أوردنا فی ذيل الخطبة ۱۷۲ من الجزء الثالث من هذا الكتاب فی بيان شكوى الإمام عليه السلام إلى اللّه تعالى من قريش، بحثاً مفصلًا عن عداوة قريش للإمام علی عليه السلام.

وعبارة

«ابْنِ أُمِّی»

، عن النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله إمّا من جهة أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله والإمام علی عليه السلام كليهما من أبناء فاطمة المخزومية بنت عمرو بن عمران ام عبداللّه والد النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله وام أبی طالب (والد أميرالمؤمنين) أو من جهة أنّ فاطمة بنت أسد ام أميرالمؤمنين عليه السلام وكان فی ذاك زمان النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله تحت تكفل أبی‌طالب وقامت بتربية النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله كامّه، ولذلك قال النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله عنها:

«فاطِمَةُ أُمِّی بَعْدَ أُمِّی».

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۴۹

القسم الثانی

اشارة

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْیِی فِی الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْیِی قِتَالُ الْمُحِلِّینَ حَتَّی أَلْقَی اللَّهَ؛ لَا یَزِیدُنِی کَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِی عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّی وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِیکَ- وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ- مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّیْمِ وَاهِناً، وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِیءَ الظَّهْرِ لِلرَّاکِبِ الْمُتَعَقِّدِ، وَلکِنَّهُ کَمَا قَالَ أَخُو بَنِی سَلِیم:

فَإِنْ تَسْأَلِینِی کَیْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِی صَبُورٌ عَلَی رَیْبِ الزَّمَانِ صَلِیبُ

یَعِزُّ عَلَیَّ أَنْ تُرَی بِی کَآبَةٌ فَیَشْمَتَ عَادٍ أَوْ یُسَاءَ حَبِیبُ

الشرح والتفسیر: لا أکف عن مقارعة الخائنین

إنّ کلام الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الرسالة ناظر إلی ما ذکره عقیل فی نهایة کتابه إلیه وقد سبق ذکره حیث یقول: «فاکتب لی یابن امی برأیک، إن کنت الموت تریده فحملت إلیک بنی أخیک وولد أبیک، فعشنا معک ما عشت ومتنا معک إذا مت ...»، أی أنّک إذا أردت قتال هؤلاء الناکثین للبیعة فأمرنا لنقاتلهم معک فی هذا السبیل، فکتب له الإمام علیه السلام من قوله:

«وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْیِی فِی الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْیِی قِتَالُ الْمُحِلِّینَ ۷۶] حَتَّی أَلْقَی اللَّهَ».

وکلمة

«محلّین»

إمّا أنّها تشیر إلی الأشخاص الذین نقضوا بیعتهم للإمام ورفعوا

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۵۰

لواء التمرد والفتنة فی البصرة ووقعة الجمل والأشخاص الذین التحقوا بهم بعد ذلک، أو إشارة إلی قوی الضلالة فی الشام الذین أحلّوا سفک الدماء فی معرکة صفین والذین استمروا فی نفس المسار الشیطانی، أو إشارة إلی الطائفتین.

ثمّ یتحرک الإمام علیه السلام لیبیّن عزمه الراسخ وإرادته الجازمة لأخیه عقیل فی قتال هؤلاء المتمردین ویؤکّد له أنّ کثرة المخالفین له والخارجین علیه لا تؤثر شیئاً فی عزمه وإرادته ویقول:

«لَا یَزِیدُنِی کَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِی عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّی وَحْشَةً».

وهذا الشعار، الذی ینطلق من موقع العمق الفکری والشعور الوجدانی والمقتبس من الآیات الشریفة: «أَلَیْسَ اللَّهُ بِکَافٍ عَبْدَهُ ...»[۷۷]، أو «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِی ...»[۷۸]، وأمثالها، تشیر إلی أنّ أولیاء اللَّه والعظماء من رجال الحقّ وبالاعتماد علی الذات المقدّسة، لا یشعرون بشیء من الوحشة من کثرة مخالفیهم ولا یعیشون حالات الغرور من جموع الموافقین، فلو أنّ جمیع المسلمین اتّخذوا کلام الإمام علیه السلام هذا شعاراً لهم فی حیاتهم وسلوکیاتهم، فمن البدیهی أنّهم لا یصابون بالاهتزاز والخور فی مقابل الغزو السیاسی والعسکری والثقافی للغرب وسیحققون النجاحات فی جمیع هذه الجبهات.

ثمّ یخاطب الإمام علیه السلام أخیه فی کلام زاخر بالحیویة والعمق ویقول:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ- وَلَو أَسْلَمَهُ النَّاسُ- مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْم ۷۹] وَاهِناً، وَلَا سَلِسَ ۸۰]

الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ[۸۱] الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَعَقِّدِ».

فی هذه العبارات الأربع یبیّن الإمام علیه السلام المراحل المختلفة للتسلیم والإذعان فی

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۵۱

مقابل العدو، أحدها أسوأ من الأخری الأولی أن یتّخذ اسلوب التضرع والخشوع والتوسل فی مقابل العدو، والأخری أن یخشی قدرة العدو ویشعر بالضعف والخور ویستسلم له، والثالثة، أنّه مضافاً إلی الاستسلام یفقد زمام أموره من یده ویسلم قیاده لعدوه لیری رأیه فیه

«وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ»

، وأخیراً یحنی ظهره لیرکبه العدو ویسوقه إلی حیث یرید

«وَلَا وَطِیءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ».

ما أروع هذه العبارات الدقیقة والحیّة التی تحکی عن غایة الفصاحة والبلاغة فی کلام الإمام علیه السلام وأنّ الإمام ینفی عنه نفسه أی شکل من أشکال الاستسلام والخضوع فی مقابل العدو.

وکلمة

«متقعد»

وردت فی بعض النسخ «مقتعد»، وتعنی الشخص الذی اختار مکاناً للجلوس والقعود، وهو إشارة إلی راکب الدابة الذی یرکب دابته ولا یستفید منها فی المسیر فقط، بل فی جمیع حاجاته، فتارة یقف ویتحدّث إلی شخص آخر، وأخری یشتری حاجات من السوق وهو راکب، وأحیاناً یعطی شیئاً لآخر وأمثال ذلک، والخلاصة أنّه جالس علی مرکبه ویقوم بأعماله ووظائفه دون أن یهتم لهذه الدابة وثقله.

وفی ختام هذه الرسالة، ومن أجل التأکید أکثر علی عزمه الراسخ وإرادته الصلبة فی مقابل العدو، یستشهد الإمام علیه السلام بشعر شاعر من طائفة بنی تمیم ویقول: إنّ حالی

کَمَا قَالَ أَخُوبَنِی سَلِیم:

فَإِنْ تَسْأَلِینِی کَیْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِیصَبُورٌ عَلَی رَیْبِ ۸۲] الزَّمَانِ صَلِیبُ ۸۳]

یَعِزُّ عَلَیَّ أَنْ تُرَی بِی کَآبَةٌ[۸۴] فَیَشْمَتَ ۸۵] عَادٍ[۸۶] أَوْ یُسَاءَ حَبِیبُ

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۵۲

وهنا خلاف فی الشاعر الذی ینسب إلیه هذا الشعر، فابن أبی الحدید ینسبه فی شرحه لنهج البلاغة إلی عباس بن مرداس السلمی، ولکنّه یقول إننی لم یجده فی دیوانه.

یقول المحقق التستری فی شرحه لنهج البلاغة: «قال بن أبی الحدید: الشعر نسب إلی العباس بن مرداس السلمی، ولم أجده فی دیوانه»[۸۷].

قلت: بل الظاهر أنّ هذین البیتین لصخر بن عمرو السلمی، قال فی الأغانی کان صخر طعن فی جنبه فی حرب، فمرض قریباً من حول وقد نتأت فی موضع الطعنة قطعة مثل الکبد، فأحمسوا له شعرة، ثمّ قطعوها لعله یبرأ، فسمع أن أخته تقول:

کیف کان صبره؟ فقال: بهاتین البیتین»[۸۸].

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۵۳

الرسالة ۳۷

اشارة

إلى معاوية[٨٩]

نظرة عامّة للرسالة

هـذه الرسالـة، كمـا ورد فى تمام نهـج البلاغـة فى بحث سـندها، تبتـدىء بكلام لم يـذكره السيّد الرضـى للاختصار، ولكن من أجل استيعاب محتوى الرسالـة وفهم مضامينها لابـدّ من اسـتعراض المقطع الأوّل منها، وقبل ذلك ينبغى الالتفات إلى هـذه النقطة، وهى أنّ هذه الرسالة لم تكن رسالة ابتدائية من الإمام عليه السلام لمعاوية بل هى جواب عن رسالة أرسلها معاوية للإمام عليه السلام، ورغم أنّ نص رسالـة مفقود ولم يتعرض له أحـد من شـرّاح نهـج البلاغـة ولكن يتبيّن من جواب الإمام عليه السـلام إجمالًا أنّ معاويـة أشار فى رسالته إلى ثلاثة أمور:

الأوّل: إنّه استند فى إثبات حقانيّته أنّه منصوب من قبل عمر بن الخطاب لهذا المقام.

والآخر: أنّه اقترح على الإمام عليه السلام أن يضع بيده وتحت اختياره الشام ومصر وأن

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٤

يوافق الإمام عليه السلام على أن تكون الخلافة من بعد الإمام له.

الثالث: أنّه اتّهم الإمام عليه السلام بالمشاركة فى قتل عثمان وادّعى المطالبة بثأره والانتقام من قاتله.

فكتب إليه الإمام عليه السلام جواباً على ذلك يقول:

«أمّا بعـد، فإنَّ الـدُّنيا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ ذاتُ زِينَـةٍ وَبَهجَـةٍ، لَمْ يَصْبُ إلَيهَا أَحَـدٌ إلّا شَـغَلَتْهُ بِزِينَتِها عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنهَا وَبِالآخِرةِ أُمِرنا، وَعَلَيهَا حُثِثنا فَدَعْ، يا مُعاوِيةُ، مَا يَفْنى اعْمَلْ لِمَا يَبقى واحْذَرْ المَوْتَ الَّذِى إلَيهِ مَصِيرُكَ، وَالحِساب الَّذى إلَيهِ عَاقِبَتُكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ- تَعَالى- إذا أَرَدا بِعَبْدٍ خَيْراً حَالَ بَينهُ وَبَينَ مَا يَكْرَهُ، وَوَفَّقَهُ لَطَاعَتِهِ، إذا أَرَدا بِعَبْدٍ سُوءاً أَغْرَاهُ بِالدُّنيَا، وَأَنسَاهُ الآخِرةَ، وَبَسَطَ لَهُ أَمَلَهُ، وَعَاقَّهُ عَمَّا فِيهِ صَلاحُهُ وَقَدْ وَصَلَنِى كِتابُكَ فَوَجَدْتُكَ تَرْمِى غَيرَ عَرَضِكَ، وَتَنْشُدُ غَيرَ ضَالَّتِكَ، وَتَخْبِطُ فِى عَمَايَةٍ وَتَتِيهُ فِى ضَلالَةٍ وَتَعْتَصِمُ بِغَيرَ حُجَّةٍ، وَتَلُوذُ بِأَضْعَفِ شُبهَةٍ فَأَمَّا سُؤالِكَ إلَيَّ المُتارَكَةَ وَالاقرارَ لَكَ عَلَى الشَّام، فَلَو كُنْتُ فَاعِلًا ذَلِكَ اليَومَ لَفَعَلْتُهُ أمسِ، وَأَمَّا قَولُكَ: إنَّ عُمَرَ وَلّاكَها، فَقَدْ عَزَلَ مَنْ كَانَ وَلّاهُ صَاحِبُهُ، وَعَزَلَ عُثمَانُ مَن كَانَ عَمَرُ وَلّاهُ وَلَمْ يُنصَب لِلنَّاسِ إمامٌ اءلّا مِنْ صَالِحِ الأُمَّةِ مَا قَدْ كَانَ ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ قَبلَهُ، أو خَفِى عَنْهُم عَيبُهُ، والأمرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الأَمرُ، وَلِكُلٍّ وَالٍ رأى واجتِهادٌ ...»[٩٠].

***

وما ذكره السيّد الرضى فى نهج البلاغة يمثّل المقطع التالى من هذه الرسالة.

وعلى أية حال بالإمكان تقسيم ما ورد من الرسالة فى نهج البلاغة إلى قسمين:

الأوّل: توبيخ معاوية بسبب اتباعه لهوى النفس وتجاهله الحقائق الموضوعية وإنكاره العهود الإلهيّة.

والثانى: الجواب عن ادّعاءات معاوية فى المطالبة بدم عثمان ومطالبته الإمام عليه السلام بتسليم قاتله.

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٥٥

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتْعِبَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِى هِىَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ. فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، والسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: ما أنت والطلب بدم عثمان؟

اشارة

كما أشرنا آنفاً أنّ المؤرخين وكتّاب السير وللأسف لم يذكروا، بحدود علمنا، نص رسالة معاوية للإمام عليه السلام، رغم أنّ بعض مقاطع تلك الرسالة يمكن استيحاؤها من جواب الإمام عليه السلام له، وفى هذا المقطع من رسالة الإمام عليه السلام نرى أنّ الإمام يوبخ معاوية بشدّة بسبب اتباعه للأهواء المطامع الموهومة التى تقوده إلى متاهات الحيرة، ويتبيّن أنّ معاوية كان قد كتب للإمام عليه السلام كلمات وقحة وتجرأ على الإمام بعبارات لا مسؤولة، ومن هنا يقول له الإمام عليه السلام:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتْعِبَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ ۹۱] الْوَثَائِقِ، الَّتِى هِىَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ».

فالإمام عليه السلام فى هذه العبارة الوجيزة والعميقة المعنى يلخص علل وعوامل انحراف معاوية عن جادة الحقّ بأربعة أمور، الأوّل: اتّباع الأهواء والنوازع النفسانيّة، والآخر: اتّباع عوامل الحيرة وسبل المتاهة، والثالث: غض النظر عن

الحقائق الموضوعية، والرابع: نقض العهود والمواثيق الإلهيّة.

وبديهى أنّ كلّ واحد من هذه العوامل من شأنه أن يقود الإنسان إلى مهاوى الضلالة والتردى فى وادى السقوط الأخلاقى، فكيف إذا اجتمعت كلّها فى شخص واحد؟!

إنّ الحقائق التى أشار إليها الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة، والتى ضيّعها معاوية تعدّ من الخصائص المنحصرة بشخص الإمام على عليه السلام فى العصر الأوّل للإسلام والذى كان مع النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله منذ بداية الدعوة إلى آخر أيّام النّبى المباركة، وفى المقابل نسيان معاوية لسوابقه فى عصر الجاهليّة وما ارتكبه أبوه وامّه من أعمال شنيعة بحيث لا يسع أى عاقل أن يقارنه بالإمام على عليه السلام مع تلك الخصوصيات الفذة والخصال الممتازة التى اجتمعت فيه، ومع كلّ ذلك يريد معاوية أن يخلف الإمام على عليه السلام فى مسند الحكومة والخلافة ويطمح أن تكون له السيطرة فى حياة الإمام على قسم عظيم من البلاد الإسلاميّة.

«وثائق»:

أى العهود والمواثيق، وهى إشارة إلى المواثيق التى اخذت من الإنسان المؤمن بأن يسير فى خط الطاعة والتسليم لأحكام اللَّه تعالى، وجملة

«الَّتِى هِىَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ»

، بما أن طلبة تعنى المطلوب، فهى إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى يطالب عبيده بالوفاء بجميع هذه العهود والمواثيق.

فمن جهة فإنّ كلّ إنسان مؤمن، وبمقتضى قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا»[۹۲]، يحمل الأمانة الإلهيّة فى حياته، ومن جهة أخرى وبمقتضى قوله تعالى: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ»[۹۳]، مطالب بإطاعة أوامر اللَّه ورسوله، ومن جهة ثالثة وبمقتضى قوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا

بَنِى آدَمَ أَنْ لَاتَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»[۹۴]، مطلوب منه ترك عبادة الشيطان واتّباع وساوسه، فكل هذه الأمور متضمنة فى ثنايا المواثيق الإلهيّة وقد أتمّ اللَّه حجّته على عباده بمقتضى هذه الآيات الشريفة.

ويتابع الإمام عليه السلام فى المقطع الثانى من هذه الرسالة كلامه فى توبيخ معاوية ويقول:

«فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ ۹۵] عَلَى عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، والسَّلَامُ».

فالإمام عليه السلام يتعجب من هذا الادعاء الواهى لمعاوية وكأنّه يرى نفسه ولى دم عثمان، فيقول له الإمام عليه السلام بتعبير شيق وبليغ، بأنّك أنت الذى منعت نصرك لعثمان وخذلته، لأننا نعلم، والتاريخ أيضاً شاهد على هذا المعنى، بأنّ عثمان طلب النصرة والمعونة من معاوية وأن يرسل له معاوية جيشاً ليذب عنه وينصره، ولكن معاوية أمر الجيش بالاقتراب من المدينة وعدم دخولها وكأنّه يريد أن يقتل عثمان ويهيىء الأرضية اللازمة لتولى الخلافة ثمّ يقول للناس إننى أرسلت جيشاً لنصرته ولكنّ الجيش تأخر عن الوصول للمدينة.

يقول البلاذرى المؤرخ المعروف: «لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، بعث يزيد بن أسد القسرى، جدّ خالد بن عبداللّه بن يزيد أميرالعراق وخال له: إذا أتيت ذاخُشب فأقم بها، ولا تتجاوزها، ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنّنى أنا الشاهد وأنت الغائب.

قال الراوى: أقام بذى خُشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذٍ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذى أرسل معه».

ويضيف البلاذرى هنا: «وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه»[۹۶].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۵۸

والملفت أنّ الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة بعد أن ذكر هذه القصة قال:

«تشهد جميع المواقف من سيرة معاوية أنّ هذه الحادثة، وفيما سبق نقلناها عن المؤرخين والباحثين القدمى والجدد، أنّ معاوية خذل عثمان فى حياته وطلب منه أن يجعله وليَّ دمه، وأنّه بعد أن تمّ له الأمر تجاهل عثمان ودم عثمان، وأنّه كان يستقبل قتلته ويجيزهم بالأموال (انظر كتاب معاوية، العقاد، ص ۱۵۰ الطبعة الثالثة سنة ۱۹۶۶)»[۹۷]. يعنى أنّ جميع الشواهد التاريخيّة فى سيرة معاوية تشهد أنّ هذهالرواية عين الحقيقة والواقع، ولكن عندما هدأت الأوضاع ورأى معاوية أنّ الطلب بدم عثمان ذريعة جيدة لدعوة الناس إليه، رفع قميص عثمان وأخذ بالبكاء والنحيب وإثارة أحاسيس الناس، والأعجب من ذلك أنّه عندما استشهد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وجلس معاوية على مسند الخلافة، ليس فقط لم يترك فقط قتلة عثمان، بل استقبلهم برحابة صدر وأجزل لهم العطاء.

تأمل

رسالة معاوية إلى ابن عباس وجوابه

ومن النقاط الملفتة للنظر أنّ ابن أبى الحديد أورد فى ذيل هذه الرسالة مورد البحث رسالة معاوية إلى ابن عباس فى أيّام صلحه مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث دعاه إلى بيعته، ومن جملة ما ذكر له فى هذه الرسالة: «ولعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك للّه‌رضاً، وأن يكون رأياً صواباً، فإنّك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بينى وبينك صلح فيمنعك منّى ولا بيدك أمان».

ولكن ابن عباس لم يشعر بالخوف من تهديد معاوية وأجابه جواباً حاسماً

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۵۹

ومطولًا يقول فيه: «وأمّا قولك إنى من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بينى وبينك صلح فيمنعك منّى، فأقسم باللّه لأنت المتربص بقتله، والمحبّ لهلاكه، والحابس الناس عنه على بصيرة فى أمره، ولقد آتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به، حتى بعثت إليه معذراً بأجرة، أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقُتل كما كنت أردت، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك، فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه، وتقول: قتل مظلوماً، فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم

الظالمين، ثمّ لم تزل مصوّباً مصعّداً، وجاثماً ورابضاً؛ تستغوى الجهّال، وتنازعنا حقّاً بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت ... «وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»[۹۸] (وهذه الجملة الآية مقتبس من الآية ۱۱۱ من سورة الأنبياء).

ويستفاد من رسالة معاوية إلى ابن عباس، وكذلك رسالته للإمام عليه السلام، أنّه كان ينسب بكلّ وقاحة، ما كان سهيماً فيه للوصول إلى أهدافه ومطامعه، لأىشخص يريد لكى يثير إحساسات العامّة من الناس ضده ويجعله يستسلم لمطالبه ويذعن لخلافته، فى حين أنّ جميع الشواهد التاريخيّة تشير إلى أنّ معاوية كان فى باطنه يرغب فى قتل عثمان ولم يتقدم خطوة لنصرته، مع أنّ عثمان طلب منه بصراحة النصرة والمساعدة، وعلى حدّ تعبير محمّد بن مسلمة الأنصارى الذى كتبه فى جواب معاوية، أنت فى حياة عثمان لم تقدم على نصرته بل نصرته بعد موته:

«وَلَئِن كُنْتَ نَصرتَ عُثْمانَ مَيِّتاً لَقَدْ خَذَلْتَهُ حَيّاً»[۹۹].

وذكرنا فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب، ص ۴۲۱، والجزء الثانى، ص ۴۸۰، والجزء الثالث، ص ۲۲۶، تفاصيل جديرة بالنظر فيما يخص رسالة الإمام عليه السلام لمعاوية لبيعته والإشارة إلى علل وعوامل مقتل عثمان.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۱

الرسالة ۳۸

اشارة

إلى أَهْلِ مِصْرَ لَمَّا وَلّى عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرَ[۱۰۰]

نظرة عامّة للرسالة

نعلم بأنّ الإمام عليه السلام كتب رسالة وسلّمها لمالك الأشتر وفيها يذكر المناهج العمليّة والأساليب الإدارية فى المجالات المختلفة فى قضايا الحكومة والإدارة، وهذه الرسالة المعروفة ب «عهد مالك الأشتر» وردت فى نهج البلاغة، الكتاب ۵۳، وسيأتى بيانها وشرحها، وقد كتب رسائل أخرى أيضاً إلى أهل مصر عندما أرسل إليهم مالك الأشتر والياً على مصر، وإحدى هذه الرسائل هى ما سنبحثه الآن، والأخرى المرقمة ۶۲ فى نهج البلاغة، ويتبيّن من جميعها ما كان لمالك الأشتر من مقام وشخصيّة قويّة وإيمان عميق وأنّه إنسان قوى وشجاع ومدير ومدبّر ومخلص.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۲

والرسالة مورد البحث تتشكل من قسمين:

القسم الأوّل: يتضمّن مدح وتمجيد أهالى مصر، الذين هبّوا للدفاع عن الإسلام فى وقت ساد فيه الظلم والفساد المجتمعات البشرية وانطفأت جذوة الحقّ والعدالة فى الامّة وشاعت المنكرات والقبائح فى فضاء البلاد الإسلاميّة.

وفى القسم الثانى: يستعرض شخصيّة مالك الأشتر بوصفه رجلًا يتمتع بإمتيازات ومواهب ممتازة بحيث تجعله جديراً بالولاية والإمارة، ويذكره فى هذه الرسالة بعبارات راقية قلّما ذكر الإمام عليه السلام أحداً بهذه الصفات، وبعد ذلك طلب الإمام من أهالى مصر أن يتواصلوا معه من موقع الطاعة لأوامره والتقدير لشخصيّته.

***

نفحات الولايه، ج ١٠، ص: ۶۳

القسم الأول

اشارة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أميرالْمُؤْمِنينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ و الظَّاعِنِ، فَلا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

الشرح والتفسير: المصريون الذين غضبوا للّه

يستهل الإمام عليه السلام رسالته لأهالى مصر، كما تمّت الإشارة إليه، بوصف بليغ لهؤلاء المؤمنين، ويقول:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أمِيرالْمُؤْمِنينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِىَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ ١٠١] عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيم

والظَّاعِنِ ١٠٢]، فَلا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ».

وفيما يتصل بوقت صدور هذه العبارات الواردة فى الرسالة يتفق جميع شرّاح نهج البلاغة أنّها تشير إلى عصر كان عبداللّه بن أبى سرح المجرم المعروف والياً على مصر من قِبل عثمان بن عفان، فقد سلك هذا الوالى ومعه أزلامه وأعوانه طريق الظلم والجور على أهالى مصر بعيداً عن التعاليم الرساليّة والأحكام الإسلاميّة، فلم يعترف عملًا بالأمر المعروف والنهى عن المنكر ولا اتّخذ خطوات عمليّة فى هذا المجال.

نفحات الولايه، ج ١٠، ص: ۶۴

ولا ننسى أنّ عبد بن أبى سرح كان من جملة كتّاب الوحى فى بداية الأمر ولكن بسبب خيانته فقد سخط عليه النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ونزلت آية من القرآن فى ذمّه، فكان أن ارتد عن الإسلام والتحق بالمشركين وأخذ يتآمر ضد الإسلام، وعندما فتح المسلمون مكّة كان هذا الرجل أحد الأفراد المعدودين الذى أمر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بقتلهم، ولكن بما أنّ عبداللّه أخو عثمان من الرضاعة فقد أخفاه عثمان فى داره، ثمّ جاء به إلى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وطلب منه الأمان له، فأعرض النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بوجهه عنه وكرر عثمان طلبه هذا ثلاث مرات، وأخيراً وافق النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله على طلبه، وعندما غادر عثمان ومعه عبداللّه من عند النّبى قال النّبى صلى الله عليه و آله لمن حوله من أصحابه:

«لَقَد صَمَتُّ لَيَقُومَ إِلَيهِ بَعضُكُم فَيَضرِبَ عُنُقَ»

، فقام رجل من الأنصار وقال:

«فَهلّاً أَومَأتَ إِلَيَّ يارَسُولاللَّه»

، فقال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«إنّ النّبِيَّ لايَقتُل بِالإشارة»[١٠٣].

وعلى أيّة حال فإنّ أهل مصر ثاروا ضد هذا الرجل الخائن، ولكنّه صمد لهم وتمسك بمنصبه بقوّة، ومن هنا تحركت جماعة من ألفى رجل من مصر باتجاه المدينة يطالبون عثمان بعزله، ولكنّ عثمان، ليس فقط لم يعزل هذا الوالى بل كتب إليه كتاباً وأرسله مع غلامه يتحدّث فيه عن لزوم معاقبة رؤوس المعترضين ويوصيه باعدامهم أمام الملأ ـ ويعاقب البعض الآخر بشدّة ليكونوا عبرة للآخرين، فاكتشف الثوّار المصريون هذه الرسالة وارتفعت أصوات اعتراضهم ضد عثمان وقالوا: يجب علينا العودة إلى المدينة لعزل عثمان من

سدّة الخلافة.

وفى ذلك الوقت كانت جماعات كثيرة قد أقبلت من الكوفة والبصرة وكانوا يحملون معهم اعتراضات وشكاوى مماثلة، أضف إلى ذلك أنّ الكثير من المهاجرين والأنصار كان يرون أنّ عثمان، وبسبب أعماله السلبية، غير جديرة بخلافة المسلمين وينبغى عزله، ولكنّ عثمان ثبت فى موقعه وأصرّ على البقاء فى الخلافة وفى هذا المقام، وتسبب ذلك بسيادة الغضب وسخط الثائرين عليه وأخيراً

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۵

استطاعوا قتله على يد أبى حرب الغافقى المصرى، وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ قاتله أشخاص آخرون ۱۰۴]، هذا فى حين أنّ الإمام على عليه السلام أرسل ولديه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام إلى دار عثمان لمنع دخول الناس إليها، لأنّ الإمام على عليه السلام لم يكن موافقاً على قتل عثمان، رغم أنّه كان يعتقد بلزوم عزل عثمان.

وأمّا ما يرتبط بالرسالة مورد البحث وما ورد فيها من تقدير وتبجيل من الإمام على عليه السلام لأهالى مصر فبعض المؤرخين استنبط من هذه الرسالة أنّ الإمام عليه السلام كان موافقاً على قتل عثمان.

يقول ابن أبى الحديد فى هذا المورد: «هذا الفصل يشكل علىَّ تأويله، لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أميرالمؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا للَّه حين عصى فى الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان، وإتيان المنكر، ويمكن أن يقال إن كان متعسّفاً: إنّ اللَّه تعالى عصى فى الأرض لا من عثمان، بل من وُلاته وأمرائه وأهله، وذهب بينهم بحق اللَّه، وضربت الجور سرادقه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر، والمقيم والضاعن، فشاع المنكر، وفقد المعروف».

ثمّ يضيف ابن أبى الحديد: «ويبقى أن يقال: هب أنّ الأمر كما تأولت، فهؤلاء الذين غضبوا للَّهإلى ماذا آل أمرهم؟ أليس الأمر آل إلى أنّهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان؟ فلا تعدوا حالهم أمرين: إمّا أن يكونوا أطاعوا اللَّه بقتله فيكون عثمان عاصياً مستحقاً للقتل، أو يكونوا اسخطوا اللَّه تعالى بقتله، فعثمان إذاً على حقّ، وهم الفسّاق العصاة، فكيف يجوز أن يبجّلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين؟ ويمكن أن يجاب على ذلك بأنّهم غضبوا للَّه، وجاءوا من مصر، وأنكروا على عثمان تأميره الامراء الفسّاق، وحصروه فى داره طلباً أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه، أو يؤدّبوه على ما كتبه فى أمرهم، فلما حُصِر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص۶۶

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۶

من أهل المدينة وغيرها، وصار معظم الناس إلباً عليه، وقلّ عدد المصريين بالنسبة إلى ما اجتمع من الناس على حصره، ومطالبته بخلع نفسه، وتسليم مروان وغيره من بنى اميّة إليهم، وعزل عمّاله والاستبدال بهم، ولم يكونوا حينئذٍ يطلبون نفسه، ولكن قوماً منهم ومن غيرهم تسوروا داره، فرماهم بعض عبيده بالسهام، فجرح بعضهم، فقادت الضرورة إلى النزول، والاحاطة به، وتسرع إليه واحد منهم وقتله، ثمّ إنّ ذلك القاتل قُتِل بالوقت، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وشرحناه، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون، لأنّهم ما أنكروا إلّاالمنكر، وأمّا القتل فلم يقع منهم، ولا راموه ولا أرادوه، فجاز أن يقال: إنّهم غضبوا للَّه، وأن يثنى عليهم ويمدحهم»[۱۰۵].

وقد وافق بعض شرّاح نهج البلاغة على هذا الكلام والتقرير، ويظهر من كلماتهم أنّ هذا الكلام خالٍ من التكلّف، لأنّ القرائن التاريخيّة من جهة تشير إلى أنّ الإمام على عليه السلام لم يؤيد أحداً على قتل عثمان بل كان مانعاً عن قتله، رغم أنّه كان يعترض بشدّة على أعمال عثمان وتسليطه أفراد من بنى اميّة الفاسدين على أموال وأرواح المسلمين، ومن جهة أخرى أنّ الرسالة مورد البحث تشير إلى أنّ قيام أهالى مصر يستحق الثناء والتبجيل، ويمكن الجمع بين هذين الأمرين بما ذكر آنفاً وأنّ كلام الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة لا يدلّ اطلاقاً على مدح قتلة عثمان ۱۰۶].

وضمناً فقد بيّن الإمام فى هذه الرسالة خصوصيات المجتمع الفاسد فى عبارات موجزة وذلك بقوله: إنّ مثل هذا المجتمع هو الذى تظهر فيه المعاصى والمنكرات وتتكرس فيه حالات الجور والظلم لتستوعب جميع الأخيار والأشرار، فلا أمان لأحد لا فى المدن ولا فى البرارى وأنّ الرذائل ستشتد وتقوى على حساب الفضائل.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۷

القسم الثانى

اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ؛ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِى؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِى لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

الشرح والتفسير: نصبت عليكم والياً مقتدراً وبصيراً بالأمور

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من رسالته لأهالى مصر من موقع التمجيد والتعريف بمالك الأشتر، وبعد أن يصفه بست صفات ممتازة جدّاً، يأمر أهالى مصر بالطاعة له ويدعوهم لامتثال أمره وكأنّ هذا الأمر بالطاعة مقترن بالدليل على ذلك.

بداية يقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ»

. المجيء بكلمة «عبد» نكرة يراد به التعظيم والإشارة إلى أنّ مالك الأشتر فى مقام العبودية للّه تعالى جدير بهذا المقام، والإمام عليه السلام يصفه بأهم وأعلى صفة للإنسان وهى مقام العبودية للّه، وهذا هو ما نقوله فى صلاتنا اليومية لمقام النبوة والرسالة، حيث نقول فى التشهد:

«أشهد أنّ محمّداً عبده ورسولُه»

، وهذه هى الحقيقة التى يفتخر بها

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۸

الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ويقول:

«كَفى بِى عِزّاً أن أَكُونَ لَكَ عَبداً»[۱۰۷].

يتابع الإمام عليه السلام وصفه لمالك الأشتر ويذكر الصفة الثانية والثالثة بقوله:

«لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ ۱۰۸] عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ ۱۰۹]».

وهذان الوصفان فى الحقيقة من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الإنسان لتحقيق النصر على العدو، والاستعداد الدائم فى زمان الخوف من هجوم العدو وعدم الخشية من حيله ومكره، ولا كثرة عدده وعدّته، وهو ما يلزم القائد الفذ والزعيم المقدام، والتاريخ يشهد أنّ القادة والامراء الذين هزموا بالمعارك لم يكونوا يتمتعون باحدى هاتين السمتين، فإمّا أنّهم غفلوا عن مكر العدو، أو قادهم الخوف من العدو إلى الهزيمة والذلّة.

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الرابعة ويقول:

«أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكَ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ۱۱۰]».

عبارة «

حَرِيقِ النَّارِ

» تعتبر فى الحقيقة أبلغ تعبير لبيان الهجمات الشرسة لمالك الأشتر على الأعداء فى ميادين القتال، لأنّه ليس كمثل النار فى الإفناء والإهلاك، فالماء يغرق، والحجر يكسر، ولكن النار تحرق وتحوّل الشيء إلى رماد.

وينقل المحقق التسترى فى شرحه نهج البلاغة عن كتاب (صفين لنصر بن مزاحم) خرج رجل من أهل الشام- فى معركة صفين- قلّما رؤى أطول وأعظم منه وشجاعاً مقداماً فدعا إلى المبارزة طبقاً للعادة المتداولة فى الحروب فى ذلك الزمان، فلم يخرج إليه إنسان من جيش أميرالمؤمنين عليه السلام لمبارزته أو الخروج له- وخرج إليه مالك الأشتر فقتله، فقال رجل منهم: اقسم باللَّه لأقتلنّ قاتلك، فحمل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۶۹

على مالك الأشتر فضربه، فإذا هو بين يدى فرسه وحمل أصحابه فاستنقذوه جريحاً، فقال أبو رفيقة السهمى:

«كان هذه ناراً فصادفت إعصاراً»

، أى أنّه لم يقاوم أمام الإعصار[۱۱۱].

ثمّ يخرج الإمام عليه السلام بنتيجة من هذه الأوصاف المذكوره لمالك الأشتر ويقول:

«فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيما طَابَقَ الْحَقَّ».

وبديهى أنّ العبد المخلص للَّه تعالى والمنتبه لمخططات العدو والذى لا يجفل ولا ينكل عن الأعداء بل يهجم عليهم كالنار أو الصاعقة، هو الشخص الذى ينبغى إطاعة أمره والاصغاء لتوجيهاته، والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام يقول:

«فِيما طَابَقَ الْحَقَّ»

، وهو إشارة إلى أنّه لا أحد من البشر معصوم سوى الأنبياء والأوصياء ومن هنا فإنّ إطاعة أوامره يجب أن يكون محدوداً فى إطار مطابقة الحقّ، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام يوصى بهذه التوصية حتى لأقرب المقربين منه، ولذلك يقول ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه العبارة: «وهذا يشير إلى القدرة الإيمانيّة والصلابة الروحية للإمام بحيث إنّه لا يرى التساهل والتسامح حتى بالنسبة لأحب الأفراد إليه، ولذلك يقيد إطاعة أمره بهذا القيد، لأنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«لْا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعصِيَةِ الخَالِقِ»[۱۱۲].

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الخامسة للمال الأشتر ويقول:

«فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلُ ۱۱۳] الظُّبَةِ[۱۱۴]، وَلَا نَابِى ۱۱۵] الضَّرِيبَةِ»[۱۱۶].

جملة:

«سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ»

تعدّ أفضل تعبير عن رجل شجاع كمالك الأشتر

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۰

من حيث قوّة شكيمته ورسوخ عقيدته وشدّة بطشه بالأعداء.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ سيف اللَّه لقب خالد بن وليد، ولكنّهم اختلفوا فى مَن لقّبه بهذا اللقب، فذهب بعض إلى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو الذى منحه هذا اللقب، ولكنّ ابن أبى الحديد يصرّح بأنّ الصحيح أنّ هذا اللقب لخالد قد لقّبه به أبوبكر بسبب حروبه مع أهل الردّة ومسيلمة الكذاب وانتصاره عليهم، ولكننا نعلم أنّ خالد بن وليد كان قد اقترف أعمالًا سيئة

وتصرفات سلبية كثيرة ولا- يقبل المقارنة مع مالك الأشتر وهو الرجل الشجاع والصادق والمخلص، والجدير بالذكر أنّ ابن الأثير يقول: «عندما قتل خالد مالك بن نويرة (بدون مبرر شرعي) وتزوج من زوجته، غضب عمر عليه وقال لخالد، قتلت مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، اقسم واللّه لأرجمنّك بأحجارك، وأصرّ على أبي بكر أن يقتص من خالد بسبب قتله مالك بن نويرة، ولكن أبا بكر قال في جوابه: لقد فعل خالد وأخطأ ولكنني لا أشيم سيفاً سلّه اللّه على المشركين»[۱۱۷] (وهذا هو السبب الذي دعى البعض إلى أن يلقّبوه بسيف اللّه، ولكن يا لهذا السيف!!).

ثمّ يستطرد الإمام عليه السلام بذكر نتيجة لهذا الاستدلال ويقول:

«فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا».

ثمّ يصف الإمام عليه السلام الأشتر بالصفة السادسة والأخيرة ويقول:

«فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ ۱۱۸]، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ ۱۱۹] عَلَى عَدُوِّكُمْ».

وبديهي أنّ مالك الأشتر لم يكن يصدر أوامر وتوصيات من الإمام عليه السلام في

الأمور الجزئية وفي التفاصيل مع تلك الفاصلة الكبيرة بين مصر والعراق والكوفة، هذا يعني أنّ الإمام عليه السلام قد علّمه مبادىء عامّة وأصولًا كلّية (كما ورد في عهده المعروف للمالك الأشتر في الرسالة ۵۳ كما سيأتي لاحقاً) وفوّض معرفة الفروع والتفاصيل لمالك من خلال ردّها إلى تلك الأصول الكلّية، وهذا هو الاجتهاد بمعناه الصحيح وهو: ردّ الفروع إلى الأصول.

إنّ هذه الصفات الست إذا توفرت في أي شخص فإنّه سيبلغ مرتبة الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المادية والمعنويّة والظاهريّة والباطنيّة.

وبذلك يقول الإمام عليه السلام في آخر جملة من هذه الرسالة: بالرغم من أنني أود أن يكون مالك الأشتر معي، ولكنني

«وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ».

في هذه العبارة يصرّح الإمام عليه السلام بأنّه بالرغم من أنّ مالك الأشتر يعدّ ضرورياً ولازماً في جيشه وتحت قيادته، ولكن لأهميّة مصر من حيث سعتها وتاريخها وأهلها الواعين والملتزمين بالقيم والرسالة فإنني آثرتكم على نفسي وتنازلت لكم عن قائد مقدام هو مالك الأشتر، وهذا من جهة يبيّن مكانة الأشتر السامية، ومن جهة أخرى، يبيّن أهميّة مصر وأهلها.

***

الرسالة ۳۹

اشارة

إلى عَمْرو بْنِ الْعاص ۱۲۰]

نظرة عامّة للرسالة

هذه الرسالة مليئة بالتوبيخ الشديد من قِبل الإمام عليه السلام لعمرو بن العاص حيث يوبخه الإمام عليه السلام لخضوعه واتباعه الأعمى لمعاوية ويصف معاوية أيضاً بالصفات اللائقة به.

والقسم الآخر من هذه الرسالة يتضمن تهديداً من الإمام عليه السلام لعمرو ومعاوية ويقول: لو أنى انتصرت عليكما فساعاقبكما بما تستحقان وإن لم أنتصر فإن العقاب الإلهى ينتظركما.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۴

والجدير بالذكر، طبقاً لما ورد فى كتاب تمام نهج البلاغة، أنّ لهذه الرسالة مطلع وخاتمة فى عبارات قليلة لم يذكرهما السيّد الرضى، فبدايتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبدِ اللَّهِ عَلِىٍّ أَمِيرِالمُؤمِنِينَ إِلى الأَبتَرِ عَمْرِو بْنِ العاصِ بنِ وَائِل، شَانِىء مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِى الجاهِلِيَّةِ وَالإِسلامِ، سَلامٌ عَلى مَنْ اتَّبَعَ الهُدى

، وخاتم الرسالة:

«وَاللَّهِ حَسْبُكُما وَكَفَى بِانتِقامِهِ إِنتِقَاماً وَبِعَقَابِهِ عِقَاباً السَّلامُ لأَهلِهِ»[۱۲۱].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۵

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ. فَإِنْ يُمَكِّنِّى اللَّهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِى سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: لقد بعت دينك بدنيا غيرك!

يتحرّك الإمام عليه السلام فى مستهل رسالته من موقع التوبيخ واللوم لعمرو بن العاص ويقول له:

«فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ۱۲۲]،

يَشِينُ ۱۲۳] الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ ۱۲۴] بِخِلْطَتِهِ ۱۲۵]».

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ جملة:

«يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ»،

إشارة إلى ما أمر به معاوية من سبّ الإمام على عليه السلام وبنى هاشم فى المجالس، حيث كان هؤلاء الأعاظم وطيلة سنوات متمادية يسبّون فى مجلس معاوية ومجالس أخرى،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۶

ولكنّ معنى العبارة المذكورة لا ينحصر بهذا المعنى، بل إنّ عمرو بن العاص كان، مضافاً إلى ذلك، يهزأ من الشخصيّات المرموقة من أنصار الإمام على عليه السلام وشيعته ويتحدّث معهم لدى حضورهم فى مجلس معاوية بكلمات ركيكة وعبارات نابية قاصداً بذلك إهانتهم والسخرية منهم، وفى المقابل كان الكثير منهم يردونه بجواب قاطع وحاسم من دون الاعتناء بالأخطار المحدقة بهم بسبب جرأتهم فى حضور معاوية، وعلى كلّ حال فإنّ معاوية كان رجلًا سيء الكلام وهاتكاً للحرمة.

ومن ذلك أنّ «جارية بن قدامة» كما ينقل العقد الفريد، دخل يوماً إلى مجلس معاوية فقال له معاوية: «ما كان أهونَكَ على أهلِك إذ سَمَّوك جارية! قال: ما كان أهونَك على أهلِك إذ سَمَّوكَ مُعاوية! وهى الانثى من الكلاب، قال: لا امّ لك! قال:

امّى وَلَدتْنى للسُّيوف التى لَقِيناكَ بها فى أيدينا، قال: إنّك لَتُهدِّدنى، قال: إنّك لم تَفْتَتِحْنا قَسراً، ولم تَمْلِكنا عَنوةً، ولكنّك أعطَيتنا عَهداً وَمِيثاقاً، وأعطيناك سَمعاً وطاعة، فإن وَفّيت لنا وَفَّينا لك، وإن فَزِعت إلى غير ذلك، فإنّا تَركنَا وراءنا رجالًا شِدّاداً، وألسنَةً

حُدَاداً، قال معاوية: لا كَثّر اللّه فى الناس أمثالك، قال جارية: قُلْ مَعرُوفاً ورَاعنا، فإنّ شَرَّ الدُّعاء المُحتَطب»[۱۲۶].

وجملة:

«وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ»،

إشارة إلى أنّه يقال فى مجلسه كلام تافه وركيك إلى درجة أنّ الإنسان العاقل يعدّ سفيهاً فى ذلك المجلس، وهذه هى نتيجة المشاركة فى مجلس يحضره معاوية ورفاقه.

هذه الأوصاف الأربع التى وصف بها الإمام عليه السلام معاوية، بإمكانها تجسيد شخصيّة معاوية بكل وضوح وتبيّن من يدعى خلافة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن يجلس على منبره، والأعجب من ذلك حال الأشخاص الذين قرأوا سيرته وتاريخه ومع ذلك يعتبرونه من الصحابة الأجلاء لرسول اللّه صلى الله عليه و آله ولا يبيحون أية إهانة تلحق به! هذه نتيجة التعصب الأعمى الذى يجر الإنسان إلى كثير من البلايا والآفات.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۷

ويتابع الإمام عليه السلام خطابه لعمرو بن العاص:

«فَاتّبِعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ ۱۲۷] يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ ۱۲۸]، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ ۱۲۹] فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ!».

وعادة فى مثل هذه الموارد يتمّ التشبيه بالثعلب الذى يتحرك تبعاً للأسد المفترس لينتفع من فضلات مائدته وبقايا فريسته، ولكن الإمام عليه السلام استخدم التشبيه بالكلاب بدل الثعلب، لإظهار شدّة دنائة ووقاحة عمرو بن العاص، ونعلم أنّ عمرو بن العاص هو الشخص الذى لم يكن قادراً على تولى الحكم والإمارة بنفسه، ولكن من خلال مكره ودهائه فى تقديم الخدمة لمعاوية بحيث أنّه أعطاه أخيراً ولاية مصر، فكان أن خسر الدنيا، لأنّه لم يبق له سمعة فيها، وخسر الآخرة بما لا حاجة لبيانه.

وجاء فى كتاب تاريخ اليعقوبى أنّ عمرو بن العاص عندما دنت منه الوفاة نظر إلى أمواله الكثيرة (وقد صعب عليه أن يفارقها جميعاً ويذهب خال اليدين) فقال لابنه: «ودّ أبوك أنّه كان مات فى غزاة ذات السلاسل، إنّى قد دخلت فى أمور ما أدرى ما حجّتى عند اللّه فيها»، ثمّ نظر إلى ماله فرأى كثرته وقال: «ياليته كان بعراً ياليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت دينى، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمى علىّ رشدى حتى حضرنى أجلى، كأنّى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتى»[۱۳۰].

ويواصل الإمام عليه السلام توبيخه لعمرو ويقول:

«وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ».

إشارة إلى أنّك كنت تملك الدنيا والآخرة لأنّك تملك الاستعداد الكافى للفوز بهما، ولكنّك للأسف قد سرت فى طريق الباطل وتوغلت فى الرذيلة فى حين أنّ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۸

الكثير من الناس يمكنهم وبواسطة ذكائهم وقابلياتهم أن يعيشوا السعادة فى الدنيا ويتنعمون بها بطريق حلال دون أن يضرّ ذلك بآخرتهم ولكنّهم قد يخطئون المسار ويتنكبون عن الطريق.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال وهو: لو أنّ عمرو بن العاص كان قد أذعن للحق، فهل سيعطيه الإمام عليه السلام ما أراد، مثلًا يعطيه إمارة مصر، فى حين أنّ سيرة الإمام على عليه السلام تأبى ذلك؟

وفى مقام الجواب عن هذا السؤال يمكن القول: إنّ عمرو بن العاص إذا كان واقعاً يطلب الحقّ ويسير فى الصراط المستقيم ويعيش تقوى اللّه تعالى، فإنّه بما لديه من ذكاء ومواهب يكون جديراً بهذا المقام فلا يبعد أنّ الإمام عليه السلام سيكلفه بتولى هذا المنصب، أضف إلى ذلك أنّ المراد بجملة: «ما طلبت» ليس فقط حكومة مصر، بل أن يملك الإنسان المقام اللائق حتى لو كان مقاماً أدنى من

حكومة مصر.

وفى ختام هذه الرسالة ينطلق الإمام عليه السلام من موقع التهديد لمعاوية وعمرو ويقول:

«فَإِنْ يُمَكِّنِّى اللَّهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِى سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ».

وقد أورد بعض شرّاح نهج البلاغة فى هذا المورد بحثاً يتلخص فى أنّ الإمام عليه السلام إذا كان قد انتصر على معاوية وعمرو بن العاص فهل سيقتلهما، أو أنّه سيعفو عنهما، أو سيعاقبهما بعقوبة أخرى؟ ورغم أنّ الكلام عن مسألة لم تقع إطلاقاً لا يعدّ ذا فائدة، ولكن من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام إذا كان يعفو عنهما فإنّه لا يعفو عن حقّ الناس، وما إرتكباه من جرائم وجنايات فى سبيل تحقيق مطامعهما فى الرئاسة والدنيا، والشاهد على هذا الكلام ما ورد فى ذيل هذه الرسالة وروايات أخرى قال:

«فَإِنْ يُمَكِّنِّى اللَّهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِى سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۷۹

تأمّلان

۱. عمرو بن العاص فى الجاهليّة والإسلام

يقول العالم المصرى المعروف «محمّد عبدة» فى شرحه لنهج البلاغة فى مستهل هذه الرسالة: «من مآسى الزمن ومهازله فى الوقت نفسه أنّ عمرو بن العاص هو الذى أرسلته قريش إلى نجاشى الحبشة يطالب بتسليم جعفر بن أبى طالب ومن معه من المهاجرين، وردّهم إلى مكّة لترى فيهم قريش رأيها، وأنّ عمرو بن العاص نفسه هو الذى قاتل على بن أبى طالب فى صفين، فبنفس الروح التى قاتل بها ابن أبى طالب الأوّل، قاتل بها ابن أبى طالب الثانى، وهكذا كانت محنة الإسلام فى أنّ الذين قاتلوه لدى ظهوره عادوا يقاتلونه بعد انتصاره، فتلبس بلباس الإسلام نفسه.

ثم يضيف هذا العالم المصرى: وقد كان لعمرو بن العاص ما أراد من أن يكون له مصر طعمة خالصة، وذلك صورة من صور حكم ابن العاص بمصر.

ثم ينقل عن المقريزى وهو من أشهر مؤرخى القرن التاسع قوله: خلف عمرو بن العاص سبعين بهاراً دنانير، والبهار جلد ثور، وبلغه إردبان بالحصرى، هذا ما انتهى إليه أمر الإسلام: سبعون بهاراً دنانير منهوبة من أقوات الشعب وأرزاقه يخلفها وال واحد»[۱۳۱].

۲. بعض أعمال معاوية

نقل ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه العبارة من كلام الإمام عليه السلام:

«ظَاهِرٍ غَيُّهُ»

، يقول: «فأمّا قوله عليه السلام فى معاوية: «ظاهر غيّه»، لا ريب فى ظهور ضلاله وبغيه، وكلّ باغٍ هاوٍ، أمّا

«مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ»

فإنّه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار، ومعاوية لم يتوقّر ولم يلزم قانون الرئاسة إلّامنذ خرج على أميرالمؤمنين عليه السلام،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۰

واحتاج إلى الناموس والسكينة، وإلّا فقد كان فى أيّام عثمان شديد التهتك موسوماً بكلّ قبيح، وكان فى أيّام عمر يستر نفسه قليلًا خوفاً منه، إلّاأنّه كان يلبس الحرير والديباج، ويشرب فى آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها

جلال الديباج والوشى، وكان حينئذٍ شاباً وفيه نزق الصبى وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة ونقل الناس عنه فى كتب السير أنّه كان يشرب الخمر فى أيّام عثمان فى الشام، وأمّا بعد وفاة أميرالمؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه، فقيل: إنّه شرب الخمر فى ستر، وقيل: أنّه لم يشربه، ولا خلاف فى أنّه سمع الغناء وطرب له وأعطى ووصل عليه أيضاً»[۱۳۲].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۱

الرسالة ۴۰

اشارة

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ ۱۳۳]

نظرة عامّة للرسالة

من هو المخاطب فى هذه الرسالة؟ لم يتحمل بعض الشرّاح عناء الفحص عنه وبيّنوا ذلك بصورة إجماليّة، ولكن يستفاد من البلاذرى فى «أنساب الأشراف» وابن الدمشقى فى «جواهر المطالب»، أنّ المخاطب بهذه الرسالة هو عبداللّه بن العباس الذى كان والياً على البصرة.

توضيح ذلك، طبقاً لما نقله هذان المؤرخان، كتب أبو الأسود رسالة بهذا المضمون إلى أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ اللّه تعالى قد جعلك والياً أميناً لنا عارفاً بوظيفتك، وقد اختبرناك ورأيناك أميناً تريد خير الامّة وتؤدّى حقّها للبيت المال ومعرضاً عن الدنيا، وأنّك لم تنفق من أموال هذه الامّة شيئاً لنفسك ولم تقبل رشوة، ولكنّ ابن عمّك تصرف فى أموال بيت المال بدون علمك، ولم أر من السليم أن أكتمك هذا الأمر ولهذا كتبت لك هذا الكتاب.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۲

وفى مقام الإمام عليه السلام الجواب عن هذه الرسالة إلى أبى الأسود الدؤلى يشكره فيها على موقفه هذا، ثمّ كتب الرسالة مورد البحث إلى ابن عباس ۱۳۴]، ويتحدّث فيها معه بلغة التوبيخ واللوم ولكن ليس على محمل على القطع واليقين، بل ورد كلامه عليه السلام فى هذه الرسالة بأنّه إذا كان ما وصلنى صحيحاً وقد عصيت أمرى ولم يؤدّ حقّ الأمانة ... وكذلك أمره بأن يرسل له فوراً حساب بيت المال، وفى ختام الرسالة يحذّره من الحساب الإلهى الذى هو أدق وأعظم من حساب الناس.

ولكن تردد بعض شرّاح نهج البلاغة فى كون هذه الرسالة إلى ابن عباس، واعتبر مقامه بشهادة التاريخ مقاماً شامخاً أن يكون قد إرتكب مثل هذه الأعمال.

والجدير بالذكر أنّ البلاذرى بعد ذكره لرسالة أبى الأسود ورسالة الإمام عليه السلام لابن عباس قال: إنّ ابن عباس كتب كتاباً للإمام على وصرح فيها أنّ الخبر المذكور غير صحيح (ومن أخبرك بهذا الخبر إمّا أنّه أخطأ فى ذلك أو لديه غرض معين).

أمّا نص رسالة ابن عباس للإمام عليه السلام:

«أمّا بَعد فَإنَّ الَّذِى بَلَغَكَ عَنِى باطِلٌ وَأَنا لِما تَحتَ يَدى أَحوطُ وَأضبَطُ فَلا تُصَدِّقْ عَلى الإظناءِ رَحِمَكَ اللّهُ وَالسَّلام».

وسيأتى المزيد من التوضيح فى هذا الموضوع فى الرسالة الآتية.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۳

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِى عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِى أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ

فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: سخط اللّه وعصيان الإمام

يقول الإمام عليه السلام فى مستهل هذه الرسالة القصيرة والمثيرة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ ۱۳۵] أَمَانَتَكَ».

فى هذه العبارة الموجزة نرى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث مع مخاطبه ابن عباس (أو شخص آخر) بعبارات من موقع الاحتياط، فلم يقل إنّك قد إرتكبت إثماً فى هذه الأعمال بل يحذّره بأنّه إذا ما وصلنى من الخبر صحيحاً فأنت مسؤول أمام اللّه تعالى وأمام إمامك، وقد افتضحت أمام الناس والامّة.

ما أبلغ وأدقّة هذا التعبير بأنّ الإنسان وبسبب إرتكابه لبعض الأمور تسقط شخصيته ومكانته أمام اللّه والإمام والناس أجمعين.

وجملة

«وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ»

ربّما تشير إلى الأمانة فى المقام والمنصب أى مقام

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۴

الولاية، وفيها إشارة إلى أنّ عملك يتضمّن فضيحتك فى أمر الولاية، أو إشارة إلى الأمانة والاعتبار والحيثية فى نظر الناس، أى أنّك فضحت نفسك أمام الخلق فلا اعتبار لك بينهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام توضيحاً أكثر فى هذا المجال وهو فى الحقيقة تفصيل بعد الإجمال، وتبيين بعد الابهام، يقول:

«بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ».

وجملة

«جَرَّدْتَ الْأَرْضَ»

أى جعلته عارية وجرداء ربّما تكون إشارة إلى أنّك أخذت المحصولات الزراعية للأراضى الخراجيّة لنفسك، وكذلك يمكن أن تكون إشارة إلى تخريبه للأراضى الزراعيّة بسبب سوء تدبيره، واحتمل بعضهم أنّ الأرض هنا بمعنى أرض بيت المال، يعنى أنّك أخذت الأموال الموجودة فى بيت المال وجعلته خالياً، ولكن الاحتمال الأوّل والثانى أقوى حسب الظاهر.

والجدير بالإلتفات إلى أنّ كلمة «جرّدت» من مادة «جريد» ويعنى تعرية الشىء، ومن هنا قيل للجراد «جراد» لأنّه يعرى الأرض ويأكل الأشجار ويجعل الأرض والأشجار عارية.

وفى ختام هذه الرسالة يقول عليه السلام:

«فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَالسَّلَامُ».

وبديهى أنّ حساب الناس أحياناً يخالطه الاشتباه والغفلة، وأحياناً يستطيع المرء إخفاء بعض النواقص عنهم، فى حين أنّ الحساب الإلهى لا يمسّه الخطأ والاشتباه، ولا يستطيع أى شخص إخفاء أعماله فى حكمة العدل الإلهيّة، كما يقول القرآن الكريم: «يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّماواتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ»[۱۳۶].

والمراد من الحساب الذى أشار إليه الإمام عليه السلام حساب ما يتجمع فى بيت المال

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۵

أعم من محصولات الأراضى الخراجيّة والزكاة والغنائم وأمثال ذلك، إذ أنّ الوالى مكلّف أن يكتب للإمام عليه السلام مجموع المكتسبات وكذلك النفقات، ليتبيّن هل هناك حيف واختلاس فى بيت المال أم لا؟

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۷

الرسالة ۴۱

اشارة

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ ۱۳۷]

نظرة عامّة للرسالة

هذه الرسالة كما سيأتى بيانه بشكل تفصيلى فى نهاية هذا البحث، كتبها الإمام عليه السلام لعبد بن عباس كما هو معروف، وفيها يوبّخه الإمام على عدم رعاية الموازين الصحيحة فى بيت المال، وكذلك يهيب به كالأب المتحرق الذى يرى ابنه يسير فى طريق الخطأ والزيغ، ويدعوه إلى إصلاح المسير والعودة إلى الطريق القويم، ومن هنا يوجّه الإمام عليه السلام لابن عباس كلمات لاذعة ويخاطبه بلغة التأنيب والتوبيخ.

وفى القسم الأوّل من هذه الرسالة يذكره الإمام عليه السلام بإحسانه له أنّه كان يعتبره من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۸

خواصه وقد أوكل إليه أحد المناصب المهمّة فى حكومته، أى منصب والى البصرة.

وفى القسم الثانى يشير الإمام عليه السلام إلى إساءة هذا الوالى ويوبّخه على عدم رعاية موازين العدل فى أمر بيت المال ويأمره بتقوى اللَّه تعالى وإعادة أموال المسلمين إلى بيت المال.

وفى القسم الثالث، يقسم الإمام عليه السلام لو أنّ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مع شدّة قربهما إليه، قد إرتكب مثل هذا العمل فإنّ سيقف منهما موقفاً حازماً ولا يتسامح معهما فى هذا الأمر.

وفى القسم والرابع والأخير من هذه الرسالة يحذّره الإمام عليه السلام ويبيّن له فناء الحياة الدنيا وعدم ثباتها وأنّه سيرحل منها عمّا قريب، وسيحضر فى محضر محكمة العدل الإلهى وعليه أن يجيب على ما إرتكبه من أعمال سيئة وأنّه سيندم حين ذاك على الكثير من أعماله حيث لا ينفع الندم.

أمّا بالنسبة للمخاطب فى هذه الرسالة وهل أنّه عبد اللَّه بن عباس حقيقة، وهو من أصحاب الإمام على عليه السلام المعروفين، أم أنّه أخوه عبيداللَّه أم شخص آخر؟ هناك خلاف كثير بين المؤرخين وشرّاح نهج البلاغة وعلماء الرجال، وسنشير إلى هذه المسألة فى ختام هذه الرسالة وسنبيّن ما هو الأقرب فى نظرنا.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۸۹

القسم الأوّل

اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی کُنْتُ أَشْرَکْتُکَ فِی أَمَانَتِی، وَجَعَلْتُکَ شِعَارِی وَبِطَانَتِی، وَلَمْ یَکُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِی أَوْثَقَ مِنْکَ فِی نَفْسِی لِمُوَاسَاتِی وَمُوَازَرَتِی وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَیَّ، فَلَمَّا رَأَیْتَ الزَّمَانَ عَلَی ابْنِ عَمِّکَ قَدْ کَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِیَتْ، وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَنَکَتْ وَشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّکَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِینَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِینَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِینَ، فَلَا ابْنَ عَمِّکَ آسَیْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَّیْتَ. وَکَأَنَّکَ لَمْ تَکُنِ اللَّهَ تُرِیدُ بِجِهَادِکَ، وَکَأَنَّکَ لَمْ تَکُنْ عَلَی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّکَ، وَکَأَنَّکَ إِنَّمَا کُنْتَ تَکِیدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْیَاهُمْ، وَتَنْوِی غِرَّتَهُمْ عَنْ فَیْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْکَنَتْکَ الشِّدَّةُ فِی خِیَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْکَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَیْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَیْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِیَةَ الْمِعْزَی الْکَسِیرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَی الْحِجَازِ رَحِیبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَیْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، کَأَنَّکَ لَا أَبَا لِغَیْرِکَ حَدَرْتَ إِلَی أَهْلِکَ تُرَاثَکَ مِنْ أَبِیکَ وَأُمِّکَ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ!

الشرح والتفسير: ألا تؤمن بالمعاد؟!

فی بدایة هذه الرسالة یشیر الإمام علیه السلام إلی تعاطفه وحبّه لهذا الوالی ویذکّره بخدماته ومؤازرته له فی مواقع الشدّة لیثیر فیه الشعور بالندم ممّا اقترفه من خطئة یقول علیه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی کُنْتُ أَشْرَکْتُکَ فِی أَمَانَتِی، وَجَعَلْتُکَ شِعَارِی ۱۳۸]

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۰

وَبِطَانَتِی ۱۳۹]، وَلَمْ یَکُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِی أَوْثَقَ مِنْکَ فِی نَفْسِی لِمُوَاسَاتِی وَمُوَازَرَتِی ۱۴۰]

وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَیَّ».

یشیر الإمام علیه السلام فی هذه العبارات المقتضبة إلی ثلاث نقاط فیما یتصل بهذا الوالی:

۱. إنّ هذا الوالی کان سهیماً ومؤازراً للإمام علیه السلام فی إدارة وتدبیر أمر الحکومة والامّة وکان یملک أحد أهم المناصب الحساسة فی الدولة.

۲. أنّه کان محرم أسرار الإمام علیه السلام ومن بطانته والموثوقین فی الامور.

۳. کان هذا الوالی من أکثر الولاة قرباً واعتماداً لدی الإمام علیه السلام من بین جمیع أقربائه وأرحامه، ومن هذه الجهة لم یکن یتوقع فی مقابل کلّ هذا الاعتماد والمحبّة أن یقوم بعمل سلبی تجاه حکومة الإمام.

ثمّ یستعرض الإمام علیه السلام مخالفات والیه وعامله ویبتدیء الکلام بالقول:

«فَلَمَّا رَأَیْتَ الزَّمَانَ عَلَی ابْنِ عَمِّکَ قَدْ کَلِبَ ۱۴۱]، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِیَتْ،

وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَنَکَتْ ۱۴۲] وَشَغَرَتْ ۱۴۳]، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّکَ ظَهْرَ الْمِجَنِ ۱۴۴] فَفَارَقْتَهُ مَعَ

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۱

الْمُفَارِقِینَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِینَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِینَ، فَلَا ابْنَ عَمِّکَ آسَیْتَ ۱۴۵]، وَلَا

الْأَمَانَةَ أَدَّیْتَ».

وجملة

«قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّکَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ»

تعنی فی معناها الحرفی: قلبت الدرع لابن عمّک علی باطنه، وهی کنایة عن إعراضه عن الإمام علیه السلام، لأنّ المجاهدین فی میدان الحرب عندما یواجهون الطرف الآخر وجهاً لوجه یلبسون الدروع أمامهم ویکون ظهر الدرع فی الواجهة، ولکن فی حالة الهرب یکون

باطن الدرع فی مواجهتهم، ومن هذه الجهة استخدمت هذه الحالة کنایة عن الشخص الذی یعرض عن شخص آخر أو عن شیء.

وفی الجمل الخمس الاولی یرسم الإمام علیه السلام حالة الزمان: صعوبة الظروف فی المحیط الاجتماعی، جرأة العدو فی الحرب، عدم اهتمام الناس بأمر الأمانة، عدوان الامّة علی الأحکام الإلهیّة.

ثمّ یستعرض الإمام علیه السلام مخالفات ابن عمّه معه من أبعاد مختلفة وذلک فی عدّة جمل: الإعراض عن الإمام، التماهی مع المناوئین، خذلانه للإمام وعدم نصرة الحقّ، الانسیاق مع الخاذلین وخیانته لبیت المال مع الخائنین، وعلی ضوء ذلک فإنّ جمیع هذه الصفات التی أطلقها الإمام علیه السلام علیه بهذه الجمل البلیغة والزاخرة بالمعنی جسد الإمام حالات هذا الوالی الذی خذل الإمام فی ساعات المحنة، ونری الإمام علیه السلام بیّن الجملتین الآخرتین بفاء التفریع: مفارق الإمام مع المفارقین والخیانة فی الأمانة.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یتحرک لرصد أعمال هذا الوالی ویتحدّث معه بلغة الوجدان لإثارة أحاسیسه الدینیّة بهذه العبارات:

«وَکَأَنَّکَ لَمْ تَکُنِ اللَّهَ تُرِیدُ بِجِهَادِکَ، وَکَأَنَّکَ لَمْ تَکُنْ عَلَی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّکَ، وَکَأَنَّکَ إِنَّمَا کُنْتَ تَکِیدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْیَاهُمْ، وَتَنْوِی غِرَّتَهُمْ ۱۴۶] عَنْ فَیْئِهِمْ».

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۲

بدایة یشکک الإمام علیه السلام، فی هذه الجمل الثلاثة، فی إخلاص نیّة هذا الوالی فی أمر الجهاد، ثمّ یشکّک الإمام فی کون أعماله تستند إلی الدلیل والبیّنة الشرعیّة، وأخیراً یشبّه الإمام علیه السلام عمله بمن یرید إغفال الناس وخداع الامّة لسلب حقوقهم من بیت المال.

ولعل هذا الوالی (سواء کان ابن عباس أو غیره) عند قراءته لهذه العبارات والجمل یستیقظ ضمیره ویتحرک علی مستوی إعادة أموال بیت المال.

ثمّ یواصل الإمام علیه السلام کلامه لهذا الوالی ویقول:

«فَلَمَّا أَمْکَنَتْکَ الشِّدَّةُ فِی خِیَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْکَرَّةَ[۱۴۷]، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ[۱۴۸]، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَیْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَیْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ ۱۴۹] الذِّئْبِ الْأَزَلِ ۱۵۰] دَامِیَةَ[۱۵۱] الْمِعْزَی ۱۵۲] الْکَسِیرَةَ[۱۵۳]، فَحَمَلْتَهُ إِلَی الْحِجَازِ رَحِیبَ ۱۵۴] الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَیْرَ مُتَأَثِّمٍ ۱۵۵] مِنْ أَخْذِهِ، کَأَنَّکَ لَا أَبَا لِغَیْرِکَ حَدَرْتَ ۱۵۶] إِلَی أَهْلِکَ تُرَاثَکَ مِنْ أَبِیکَ وَأُمِّکَ».

هذه العبارات البلیغة فی خطاب الإمام علیه السلام ناطقة بالمعنی وتشبیه الإمام لحالة

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۳

هذا الشخص صریح وشدید ولا یمکن تصور بیان المقصود بأبلغ من هذه العبارات الدقیقة والکلمات المتماسکة.

عبارة تعبیر به

«أَسْرَعْتَ الْکَرَّةَ»

و

«عَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ»

» و

«اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَیْهِ»

وتشبیهه بالذئب الذی یجرح ویدمی المعزی الکسیرة، وکذلک قوله:

«تُرَاثَکَ مِنْ أَبِیکَ وَأُمِّکَ»

وکأنّه یحسب أنّ بیت المال کمیراث ورثه من والدیه، کلّها جمل معبرةعن شناعة وقباحة هذا العمل الذی یقام به هذا الوالی.

جمله

«لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ...»

تعدّ نوعاً من الاحترام لذلك الوالى، لأنّه عندما تحقير شخص: «لا أبا لك» ومن هذا المنطلق فالإمام عليه السلام فى الوقت الذى يخاطب فيه هذا الوالى بتلك العبارات اللاذعة والتوبيخات القارعة، فإنّه لايزال يحترمه بالمقدار اللازم.

وبعبارة تعبير به

«تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ»

تعبير جميل يقال فى هذه الموارد بالنسبة للشخص الذى يقع على أموال ويتصرف بها دون وازع فيقال له: كأنّ هذا المال إرثاً ورثته من أبيك وامّك.

وفى ختام هذا المقطع من الرسالة يظهر الإمام عليه السلام تعجبه الشديد من هذا السلوك المنحرف لعامله ويقول:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَ مَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ ۱۵۷]

الْحِسَابِ!».

وهذه إشارة إلى أنّ الشخص الذى يؤمن بالقيامة والمعاد ويعتقد حقّاً ما ورد فى قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[۱۵۸].

لا ينبغى أن يتصرف فى أموال بيت المال مثل هذا التصرف الذميم، فمثل هذا العمل يتقاطع مع الإيمان والاعتقاد بالمعاد الحساب، أو أن يكون إيمانه ضعيفاً إلى درجة وكأنّه قد نسى يوم القيامة وما سيوجهه من حساب على أعماله.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۹۵

القسم الثانى

اشارة

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ- كَانَ- عِنْدَنَا مِنْ أُولِى الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِى اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِى الَّذِى مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِى فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِى هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِرَا مِنِّى بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِى أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِى، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِى، فَضَحٍّ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِى يُنَادِى الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ «وَلاتَ حِينَ مَناصٍ».

الشرح والتفسير: لا أتسامح فى بيت المال حتى مع أولادى

فى هذا المقطع من الرسالة يواصل الإمام عليه السلام توبيخه وإعتراضه الشديد لعامله ويقول:

«أَيُّهَا الْمَعْدُودُ- كَانَ- عِنْدَنَا مِنْ أُولِى الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ ۱۵۹] شَرَاباً وَطَعَاماً.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۹۶

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ

أَفَاءَ[۱۶۰] اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ،

وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ!».

والتعبير ب «كان» ناظر إلى الماضى إلى أنّك كنت عندنا فى السابق من العقلاء وأهل الحزم والحنكة، ولكنّك بهذا العمل الذى صدر منك، فقدت ذلك الموقع ولم تعدّ كما كنت فى السابق.

جمله

«كَيْفَ تُسِيغُ ..»

إشارة إلى أنّ جميع حياتك ومعيشتك ستختلط بالحرام وسيكون مأكلك ومشربك من مال المقتصد من بيت المال، فلا يجوز لك تناول شىء من هذا المأكل والمشرب، وهكذا فى الجوارى التى تشتريها بهذا المال الحرام أو الزوجات التى تدفع لهنّ المهر من هذا المال الحرام كلّ ذلك يتسبب فى أن تكون حياتك العائليّة ومعيشتك ملوثة بالحرام.

جمله

«مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ...»

إشارة إلى أنّه إذا كانت هذه الأموال متعلقة بأشخاص أثرياء فإنّ قبح هذا العمل وغصب هذه الأموال كان أقلّ شناعة، وأمّا إذا كان الغصب من متعلّقاً بأموال اليتامى والمحرومين والمجاهدين فى سبيل للّه فسيكون أقبح وأشنع بمراتب عديدة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد هذا التوبيخ المطول يستنتج من ذلك:

«فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ».

ثمّ يتحرك الإمام عليه السلام فى خطابه لهذا الوالى بلغة التهديد الشديد، ويقول:

«فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ ۱۶۱] إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ!».

وهذه إشارة إلى أنّنى لا أسل سيفى إلّافى سبيل اللّه وفى مقابل أعدائه من قوى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۹۷

الظلم والكفر والانحراف، وأيّما شخص ضربته بسيفى هذا فإنّ مصيره الحتمى سيكون إلى النار وبئس المصير.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال، ولماذا يستحق الشخص المختلس لشىء من بيت المال للإعدام، فى حين أنّ الوارد فى الحدود الإسلاميّة أنّ مثل هذا السارق لا يستحق إلّالإجراء حدّ السرقة عليه، مضافاً إلى أنّ إجراء حدّ السرقة على هذا المورد بعيد أيضاً، لأنّ من شروط حدّ السرقة أن تقع السرقة من حرز، يعنى أن يكون السارق قد سرق المال من حرز أو حزانة مقفولة، ويقوم السارق بكسر هذا القفل ويسرق ما فيه وحينئذٍ يترتب عليه حدّ السرقة، ونعلم أنّ الوالى مسلط على بيت المال وليس المال فيه مقفل وفى حرز.

وفى مقام الجواب عنه هذا السؤال يمكن القول، أوّلًا: أنّ مثل هذه السرقة مقترنة مع إنكار الحرمة، وبعبارة أخرى أنّ هذا المختلس كان يرى حلية مثل العمل وهذا بدوره نوع من إنكار الضرورى من الدين.

وثانياً: إنّ الإمام عليه السلام قال:

«وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ[۱۶۲]، وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ ۱۶۳]

الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا».

وبديهى أنّ مراد الإمام عليه السلام لا يعنى أبداً أن يقوم الإمام الحسن والحسين عليهما السلام بغصب أموال بيت المال، بل المراد بيان المبالغة فى هذا المطلب وأنّه لا أحد مصون عن العقاب فى حال تخلفه عن الحقّ والعدالة.

وببیان آخر أنّه یستفاد من القضیّة الشرطیّة التی تبتدیء بکلمة «لو» وأمثالها لا یعنی احتمال وقوع الشرط، لأنّ مثل هذه التعبیرات ربّما تقال لتأکید المطلب حتی فی الأمور المستحیلة، کما ورد فی الآیة الشریفة: «قُلْ إِنْ کانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۸

الْعابِدینَ»[۱۶۴] وهذا التعبیر یدلّ علی تأکید النفی لمقولة الجهلاء من أهل الکتاب الذین ینسبون الولد للّه تعالی.

ویبیّن الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من کتابه من موقع التأکید علی أنّ المسائل العاطفیّة لا ینبغی أبداً أن تتدخل فی الأحکام الإلهیّة ولا ینبغی أن یکون التعامل وفقاً للروابط علی حساب الضوابط، کما ورد فی القرآن الکریم فی مسألة إجراء الحد الشرعی: «وَلا تَأْخُذْکُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فی دینِ اللَّهِ»[۱۶۵]، وفی مورد إجراء الحقوق یقول تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذینَ آمَنُوا کُونُوا قَوَّامینَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلی أَنْفُسِکُمْ أَوِ الْوالِدَیْنِ وَالْأَقْرَبینَ إِنْ یَکُنْ غَنِیًّا أَوْ فَقیراً فَاللَّهُ أَوْلی بِهِما»[۱۶۶].

ثمّ یدخل الإمام علیه السلام من طریق آخر لإیقاظ هذا الوالی العاصی من غفلته ویتحدّث معه بلهجة الواثق وبلغة مؤثرة ویقول:

«وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ مَا یَسُرُّنِی أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِی، أَتْرُکُهُ مِیرَاثاً لِمَنْ بَعْدِی».

وهذه إشارة إلی أنّ الأموال الکثیرة حتی لو کانت حالًا وقد اکتسبها الإنسان بطرق مشروعة لا توصل الإنسان إلی مرفأ السعادة والراحة، فکیف بها إذا کان قد استولی علیها بطریق حرام، لأنّه لا سبیل له فی إنفاقها سوی أن یترکها میراثاً لمن بعده، فیکون وزره ووباله علیه ولذته ونعیمه للآخرین، فهل من العقل أن یقدم الإنسان علی مثل هذا العمل؟! فکیف الحال لو کان قد جمع هذا المال من طرق حرام وغیر مشروعة فیما یترتب علی ذلک من مصائب ووبال علی صاحبه.

وفی هذا السیاق ورد فی کتاب الکافی عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه کان یدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ وَمَنْ أَحَبَّ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ الْعَفَافَ وَالْکَفَافَ وَارْزُقْ مَنْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ الْمَالَ وَالْوَلَدَ»[۱۶۷].

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۹۹

وفی ختام هذه الرسالة یشیر الإمام علیه السلام إلی نهایة الحیاة والحوادث التی سیواجهها الإنسان بعد مماته لغرض إیقاظ وجدان هذا الوالی وتحریک عناصر الخیر فی نفسه ویبیّن له الخطر الکامن فی هذا الطریق الذی سلکه، یقول:

«فَضَحِ ۱۶۸]

رُوَیْداً، فَکَأَنَّکَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَی ۱۶۹]، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَی ۱۷۰]، وَعُرِضَتْ عَلَیْکَ أَعْمَالُکَ

بِالْمَحَلِّ الَّذِی یُنَادِی الظَّالِمُ فِیهِ بِالْحَسْرَةِ، وَیَتَمَنَّی الْمُضَیِّعُ فِیهِ الرَّجْعَةَ (وَلاتَ حِینَ مَناصٍ)[۱۷۱]».

وهنا نری أنّ الإمام علیه السلام أمیرالمؤمنین هو ذلک المعلم الیقظ والقائد الفذ یسعی لتنبیه مخاطبه بهذه العبارات الشدیدة، ویلفت نظره إلی ما سیواجهه فی ساعات الموت ومن ثمّة الدفن تحت التراب والحضور فی ساحة المحشر للحساب فی محکمة العدل الإلهی وما سیعیشه من حالات الندم الشدید وتمنیه العودة للدنیا ولکن بعد فوات الأوان کما تشیر إلی ذلک الآیة الشریفة: «وَّلَاتَ حِینَ مَنَاصٍ»[۱۷۲].

تأمّل

من هو ابن عباس؟

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۰۰

لا شک أنّ ابن عباس معروفاً فی الامّة الإسلامیّة ولدی المذاهب المختلفة من الشیعة وأهل السنّة، معروفاً فی العلم والمعرفة والفضل

حتى أنّه لقّب ألقاب مثل «حبر الامّـة» و «ترجمان القرآن» وقـد أورد المؤرخون فى سيرته أنّه كان قد حضـر عند رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وهو فى ريعـان شـبابه وقـد سـمع من النّبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله الكثير من الأحاديث الهامـة والمـذكورة فى الكتب المعتبرة، وكان ابن عباس مشـهوراً بتفسير القرآن ومن أصـحاب الرأى والنظر وكان التلميذ المخلص للإمام على عليه السلام والمحب له.

ومن هـذه الجهة عندما يصل العلماء وشـرّاح نهج البلاغة إلى هذه الرسالة يترددون فى كون المخاطب لها هو ابن عباس، فهذه الرسالة تتضـمّن أشدّ أنواع التوبيخ والذم من الإمام على عليه السلام لمخاطبه وأنّه يتهمه بالخيانة فى بيت المال والاستيلاء على مبالغ كبيرة من هذا المال ونقله من البصرة إلى الحجاز.

وبخاصّـة إذا أخـذنا بنظر الحسـبان الجواب الحاد والجرىء الذى كتبه ابن عباس فى جوابه عن هذه الرسالة وقد ورد فى كتب التاريخ، فإنّ المسألة ستتعقد أكثر.

ومن هذه الجهة انقسم المؤرخون الذين أوردوا هذه الرسالة فى كتبهم إلى ثلاث طوائف:

الطائفـة الاـولى تقول: إنّ ابن عبـاس وإن كان يتمتع بمقام جليل ويعتبر من أصـحاب النّبى الأكرم صـلى الله عليه و آله المرموقين وقد أدرك النّبى الأكرم صـلى الله عليه و آله فى شـبابه وصـباه، إلّا أنّ ذلك لا يعنى أنّه معصوم من الخطأ وأنّه من البعيـد صـدور مثل هذا الزيغ فى حقّه، وطبقاً للمثل المشهور: «الجواد قد يكبو» فإنّ غير المعصوم ربّما يزل مثل هذه الزلّة مهما كان يملك من مقام ووجاهة.

وطائفة أخرى يعتقدون أنّ المخاطب لهذه الرسالة هو أخو ابن عباس، أى عبيداللّه بن عباس أو شخص آخر، ويستشهدون لذلك بعدّة شواهد وقرائن تاريخيّة تؤكّد أنّ ابن عباس لم يقم بهذا العمل أبداً.

وهناك طائفـة ثالثة لم تسـتطع أن تتخذ لها موقفاً فى هذه المسألة مثل ابن أبى الحديد، الذى مرّ عليها مرور الكرام وتركها فى إبهامها ولم يكشف اللثام عن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۱

غموضها، حيث قال: «قد أشكل علىَّ أمر هذا الكتاب، فإنّ أنا كذّبت النقل وقلتُ:

هذا الكلام موضوع على أميرالمؤمنين عليه السلام، خالفت الرواة، فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر فى أكثر كتب السيرة: إنّ صـرفته إلى عبـداللّه بن عباس صـدنى عنه ما أعلمه من ملازمته إطاعة أميرالمؤمنين عليه السـلام فى حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى مَن أصرفه من أهل أميرالمؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبنى عمّه، فأنا فى هذا الموضع من المتوقفين»[۱۷۳].

ولكن الطائفة الاولى لم تقبل بهذا الكلام وذهبوا إلى أنّ المخاطب لهذه الرسالة للإمام عليه السلام هو ابن عباس مع حفظ جلالة قدره ومقامه.

ومن جملـة هؤلاء «ابن ميثم» يقول فى شـرحه لنهـج البلاغة: «وإعلم أنّ هذين القولين لا مسـتند لهما، أمّا الأوّل: فهو مجرّد اسـتبعاد أن يفعـل ابن عبـاس مـا نسب إليه، ومعلوم أنّ ابن عباس لم يكن معصوماً وعلى عليه السـلام لم يكن يراقب فى الحقّ أحـداً ولو كان أعزّ أولاـده كمـا تمثّل بالحسن والحسـين عليهما السـلام فى ذلك، فكيف بابن عمّه، بل يجب أن تكون الغلظـة فى الأقرباء فى هـذا الأمر أشدّ.

ثمّ إنّ غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته إيّاه، لأنّه عليه السلام كان إذا فعل أحد من أصحابه ما يستحق به المؤاخذة أخذه به سواء كـان عزيزاً أو ذليلًا قريبـاً منه أو بعيـداً، فـإذا اسـتوفى حقّ اللّه منه أو تـاب إليه ممّا فعل عاد فى حقّه إلى ما كان عليه كما قال: «القوى عنـدى ذليل حتى آخـذ الحقّ منه والـذليل عنـدى عزيز حتى آخـذ الحقّ له»، فلا يلزم إذن غلظته على ابن عباس ومقابلته إيّاه بما يكره مفارقة له وشقاقه على ما بينهما من المحبّة الوكيدة والقرابة.

وأمّا الثانی: فإنّ عبیداللّه کان عاملًا له علیه السلام فی الیمن ولم ینقل عنه مثل ذلک»[۱۷۴].

أمّا من ذهب إلی القول الثانی فإنّه یری أنّ عظمة مقام ابن عباس لا ینسجم أبداً

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۰۲

مع مضمون هذه الرسالة لأنّه «حبر الامّة» وبحر عمیق من العلم والفضل وکان من أتباع وأنصار الإمام علی علیه السلام ومتفانیاً فی خدمته والدفاع عنه فی أیّام المحنة التی لم یکن للإمام علیه السلام من أنصار إلّابعدد أصابع الید، وحتی فی معرکة صفین عندما طرحت مسألة التحکیم نری أنّ الإمام علیه السلام اختاره لأمر التحکیم فی مقابل رجل داهیة وشیطان وهو عمرو بن العاص (رغم أنّ جماعة من الجهلة والسفهاء اعترضوا علی هذا الاقتراح ورشحوا إلی ذلک المنصب رجل سفیه مثلهم وهو أبوموسی الأشعری وأصروا علی الإمام علیه السلام فی قبوله) أجل فإنّ دلالة قدر ابن عباس ومقام الشامخ لا تتناسب ولا تنسجم مع إرتکابه لمثل هذه الأعمال.

ولکن هؤلاء لم یبیّنوا علی وجه التحدید من هو المخاطب لهذه الرسالة، أضف إلی ذلک فهناک قرائن وشواهد أخری تنفی أن یکون المخاطب لهذه الرسالة هو ابن عباس، ومن ذلک أنّهم ذکروا:

۱. جاء فی الأمالی للسید المرتضی أنّ عمرو بن عبید جاء إلی سلیمان العباسی فسأله سلیمان: هل سمعت بشعر الإمام علی علیه السلام قال فی ابن عباس: إنّه یفتنا فی کلّ أمر ولکنّه یأخذ أموالنا فی لیلة واحدة؟

فأجابه عمرو: لا یمکن أن یقول الإمام علی علیه السلام مثل هذا الکلام عن ابن عباس وأنّ ابن عباس لم یترک الإمام علی علیه السلام أبداً وکان حاضراً معه وإلی جواره إلی ساعة استشهاده، بل کان حاضراً أیضاً فی واقعة صلح الإمام الحسن علیه السلام.

۲. وأضاف عمرو بن عبید: کیف یعقل أن تجتمع کلّ تلک الأموال الکثیرة فی بیت مال البصرة مع أنّ الإمام علی علیه السلام کان بحاجة ماسة إلی المال وکان یوزع ما یتجمع فی بیت المال علی المحتاجین والفقراء فی کلّ اسبوع حتی یفرغ کلّه ویأمر بکنس بیت المال کلّ یوم سبت، فمع هذه الحالة کیف یمکن لابن عباس أن یجمع کلّ هذه الأموال فی بیت مال البصرة؟ فمع الأخذ بنظر الاعتبار حاجة الناس إلی المال فإنّ ابن عباس کان قد نقل هذا المال إلی الکوفة.

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۰۳

۳. یروی الطبری فی تاریخه فی حوادث سنة أربعین عن أبی عبیدة أنّ ابن عباس کان والیاً علی البصرة إلی زمان استشهاد الإمام علی علیه السلام ثمّ جاء إلی الکوفة واشترک فی مراسم صلح الإمام الحسن علیه السلام مع معاویة ثمّ عاد إلی الکوفة وجمع متعلقاته وأخذ معه قلیلًا مبلغاً زهیداً من بیت المال وقال: أخذه هذا المبلغ من بیت المال بوصفه حقّاً لی وکراتب أخذه من بیت المال (ثمّ توجه إلی الحجاز).

۴. یروی المرحوم المحقّق التستری فی شرحه لنهج البلاغة أنّ ابن عباس کان فی البصرة عند استشهاد الإمام علی علیه السلام جاء إلی الکوفة من فوره عندما سمع الخبر والتحق بالإمام الحسن علیه السلام، ولما قام الإمام الحسن بالقاء خطبة فی صبیحة الیوم الذی استشهد فیه أبوه، قام ابن عباس بأخذ البیعة من أهل الکوفة للإمام الحسن علیه السلام واستجاب الناس له ۱۷۵].

۵. علی فرض أنّ هذه القصّة تتعلق بابن عباس، ولکن ورد فی بعض الروایات أوّلًا، أنّ الأموال المختلسة کانت قلیلة، وثانیاً: أنّ الإمام علیه السلام عندما أرسل له هذه الرسالة قام ابن عباس بإعادة المال فوراً وإعتذر من الإمام علی ما صدر منه وقبِل الإمام إعتذاره، کما یظهر یروی المرحوم التستری عن الیعقوبی أنّ ابن عباس تصرف بمقدار من بیت المال، فکتب أمیرالمؤمنین علیه السلام برده فردّه، ثمّ ینقل مثل هذا المعنی عن سبط ابن الحوزی الذی یقوله فی نهایته: ثمّ ندم واعتذر إلی علی علیه السلام وقَبل الإمام علیه السلام عذره ۱۷۶].

***

النتیجة: مع وجود اختلاف فی الروایات فی شأن هذه القصّة وأحیاناً تکون الروایات متناقضة، فکیف یمکن التصدیق بأنّ رجلًا مهماً

وشخصيّة مرموقة كابن عباس وهو حبر الامّة والعالم والفقيه والمعروف يرتكب مثل هذا العمل بهذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۴

الضخامة التى ينسبها إليه المخالفون.

ألا يحتمل أنّ عمّال بنى اميّة وأزلام معاوية الذين وضعوا الأحاديث الكثيرة فى مقابل حفنة من المال لتأييد حكومة بنى اميّة أو لذم مخالفيهم، حتى أنّهم نسبوا إلى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أحاديث موضوعة على لسان ابن عباس وبخاصّة ما ورد فى الروايات أنّ معاوية كان يلعن بعد الصلاة كلّ من: الإمام على والحسن والحسين عليهم السلام وابن عباس ومالك الأشتر وقيس بن عبادة (رحمهم اللَّه تعالى)[۱۷۷].

يقول مؤلف كتاب معجم رجال الحديث بعد نقله لهذه الأقوال: ومن مجموع ما قيل عن ابن عباس يستفاد أنّه كان رجلًا جليل القدر ومدافعاً عن أميرالمؤمنين والإمام الحسن والحسين عليهم السلام كما ذكر العلّامة الحلى وابن داود فى كتبهما الرجاليّة، وينقل المحدّث القمى عن الشهيد الثانى بعد ذكر بعض الأحاديث الواردة فى ذم ابن عباس قوله: إنّ جميع هذه الأحاديث ضعيفة.

وذكر المرحوم صاحب المعالم فى كتابه «تحقيق طاووسى»- بعد ذكره لمحبّة وإخلاص ابن عباس لأميرالمؤمنين عليه السلام ونصرته له ودفاعه عنه، الذى لا يقبل الشك أو الترديد فيه: ليس من المستبعد أن يقوم بعض الأشخاص بحسد ابن عباس وينسبوا له هذه الأقاويل الباطلة.

ومن هنا فإنّ أغلب علماء الرجال من الشيعة وأهل السنّة يذهبون إلى صحة واعتبار الأحاديث التى يرويها ابن عباس ولا يعتنون بمثل هذه الشبهات عنه، وعلى ضوء ذلك لابدّ من القول إنّ المخاطب لهذه الرسالة شخص آخر غير ابن عباس، رغم أننا لا نكاد نعرفه بشكل دقيق، أمّا التعبير الوارد فى هذه الرسالة عن المخاطب ابن عمّه فحاله حال ما يقال فى الكلام للمخاطب بأنّه أخ وأمثال ذلك فهو كناية عن شدّة العلاقة والرفقة، ومن هذه الجهة لم يورد السيّد الرضى اسم ابن عباس، مع أنّ فى الكثير من الموارد الأخرى يذكر المخاطبين لكتب الإمام عليه السلام، واكتفى فى هذا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۵

المورد بعبارة: إلى بعض عمّاله.

ونختم الكلام هنا بحديث ينقله المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار فى تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام وجاء فى هذه الرواية عن رجل من أهل الطائف قال: أتينا ابن عبّاس رحمة اللَّه عليهما نعوده فى مرضه الذى مات فيه، قال: فاغمى عليه فى البيت، فاخرج إلى صحن الدار، قال، فأفاق فقال: إنّ خليلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: إنّى سأهجر هجرتين، وإنّى سأخرج من هجرتى، فهاجرت هجرة مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهجرة مع على عليه السلام، وإنّى سأعمى فعميت، وإنّى سأغرق فأصابنى حكّة فطرحنى أهلى فى البحر فغفلوا عنّى فغرقت، ثمّ استخرجونى بعد، وأمرنى أن أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج هم أهل النهروان، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى فى دينهم، فقالوا: لا قدر، ومن المرجئة الذين ضاهو اليهود فى دنيهم فقالوا: اللَّه أعلم، قال: ثمّ قال:

«اللّهُمَّ إِنّى أَحيى عَلى مَا حَىّ عَلَيهِ عَلِىُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ عليه السلام، وَأَموتُ عَلىْ مَا مَاتَ عَلَيهِ عَلِىُّ بنُ أبِى طَالب عليه السلام»

قال: ثمّ مات ۱۷۸].

والجدير بالذكر أنّ قبر ابن عباس موجود فى الطائف وإلى جانبه مسجد فخم اطلق عليه اسمه.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۷

الرسالة ۴۲

اشارة

إلى عُمَرِ بْنِ أبی‌سَلَمَةِ المَخْزُومی وَكانَ عامِلُه عَلَى الْبَحْرَيْنِ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ نُعْمانَ بْنِ عَجْلانِ الزُّرَقی مَكانَه ۱۷۹]

نظرة عامّة للرسالة

يخطاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فی هذه الرسالة عامله على البحرين عمر بن أبی سلمة (ابن ام سلمة زوجة النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله)، وفيها يثنی الإمام عليه السلام على خدماته وحسن سيرته ويدعوه للمشاركة فی قاتل المناوئين فی صفين، وقد عيّن الإمام بدله النعمان بن عجلان وهو من زعماء قبيلة بنی عجلان.

ومن أجل أنّ لا يتكدر خاطر ابن أبی سلمة أو يستاء من هذا التبديل، فقد كتب له الإمام عليه السلام فی هذه الرسالة عبارات الشكر والمديح وخاطبه بلغة مفعمة بالمحبّة من قبيل:

«وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِی، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۸

ونستوحی من كلمات الإمام عليه السلام فی هذه الرسالة النمط الأفضل فی كيفيّة التعامل مع هذه المسائل وعزل بعض المسؤولين ونصب آخرين مكانهم.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۰۹

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِیَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِی، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الشرح والتفسير: أحسنت! لقد أدّيت الأمانة

اشارة

ينطلق الإمام عليه السلام فی مستهل هذه الرسالة بقوله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ، الزُّرَقِیَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ».

ولكن بما أنّ عمر بن أبی سلمة رجلًا طيباً ومخلصاً ومديراً ومدبّراً وربّما يتأثر سلبياً بهذا التغيير فی المنصب يخاطبه الإمام عليه السلام فی ثمان جمل قصيرة وعميقة المعنى ويؤكّد له أنّ مثل هذا التبديل فی الوظيفة لا يعنی إطلاقاً صدور خطأ من جانبه وبذلك يرفع ما قد يخالجه من قلق فی هذا الشأن.

يقول الإمام عليه السلام:

«بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيبٍ ۱۸۰] عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ۱۸۱]، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ ۱۸۲]».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۰

ونرى أنّ الإمام عليه السلام فى هذه التعبيرات يؤكّد له بشكل كامل أنّ هذا التغيير فى المسؤوليّة ليس بسبب تقصيره فى أدائه لوظيفته بل لأنّه يريد إلقاء مسؤوليّة أهم على عاتقه.

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لمضمون هذه المسؤوليّة الجديدة ويقول:

«فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِى، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ[۱۸۳] بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

إنّ سيرة عمر بن أبى سلمة وسوابقه الجليلة ووفاءه للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى جميع حالات بيان ذلك فى شرح حاله، وكلّها شاهد على هذا المعنى.

وجملة

«أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِى ...»

لا تعنى الاستشهاد فى سبيل اللّه مع الإمام عليه السلام، بل بمعنى حضوره مع الإمام فى ميادين القتال والجهاد.

وجملة

«مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ ...»

، تبيّن أنّ عمر بن أبى سلمة رجلًا شجاعاً ومدبّراً وحازماً ووفياً للإمام عليه السلام، وعبارة:

«جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ»

تشير إلى أنّ عمر بن أبى سلمة يتمتع بمقام كبير ومكانة جليلة إلى درجة أنّ الإمام عليه السلام يستعين به لإقامة عمود الدين والتصدى لقوى الظلم والانحراف.

تأمّل

التعرّف على عمر بن أبى سلمه المخزومى والنعمان بن عجلان؟

كما ورد فى نص الرسالة أنّ عمر بن أبى سلمة كان والياً على البحرين من قِبل أميرالمؤمنين عليه السلام قبل النعمان بن عجلان الذى جعله الإمام والياً على البحرين بعده، ومن اللازم التعرف على هذين الرجلين بشىء من الاختصار.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۱

أمّا عمر بن أبى سلمة فأُمّه أمُّ سلمة زوجة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله المعروفة، وقد ولدت من زوجها السابق هذا الابن، وأبوه أبوسلمة، وقد ولد هذا الابن فى السنة الثانية من الهجرة إلى الحبشة، لأنّ أباه كان من المهاجرين إلى الحبشة وقد توفى بعد عمر طويل نسبياً فى عام ۸۳ ه للهجرة فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان، وقد روى بعض الأحاديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله [۱۸۴].

وقد كان عمر بن أبى سلمة مع الإمام على عليه السلام فى معركة جمل وكانت امّه تحته على نصرة الإمام على، وقد كتبت للإمام رسالة ودفعتها إلى ابنها يوصلها إلى الإمام عليه السلام: وجاء فى مضمونها لو أنّ الجهاد كتب على النساء لجئت لُاقاتل معك الأعداء، ولكننى أرسلت إبنى هذا بدلًا منّى.

ثمّ إنّ أميرالمؤمنين على عليه السلام عيّنه والياً على البحرين وبلاد فارس فى أيّام خلافته، ويكفيه فخراً أنّه قد تربى فى أحضان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسار فى خط الولاية وفى نصرة الإمام على عليه السلام ۱۸۵].

وجاء فى بعض الروايات أنّ عمر بن أبى سلمة كان من الأشخاص الذين نقلوا الحديث الشريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله

فيما يتصل بإمامة الاثنى عشر[۱۸۶].

أمّا النعمان بن عجلان فكان من صحابة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن كبار الأنصار وكان شاعراً وخطيباً بارعاً، ومن جملة ما أنشده فى يوم السقيفة بعد أن أثنى على مواقف الأنصار فى مواطن مختلفة ونصرتهم للإسلام والنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ذكر فى قصيدته بيتين من الشعر فى الدفاع عن الإمام على ونصرته:

وَكَانَ هَوانا فِى عَلِىٍّ وَإِنَّهُلأَهلٌ لَها مِنْ حَيث تَدْرِى وَلا تَدْرِى

وَصَىُّ النَّبِىِّ المُصْطَفى وَابنُ عَمِّهِوَقَاتِلُ فُرسَانَ الضَّلالةِ وَالكُفْرِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۲

وبسبب هذه السوابق الجليلة عيّنه الإمام على عليه السلام على حكومة البحرين بعد عمر بن أبى سلمة ووضع بيده بيت المال، ولكن للأسف أنّ الأموال الكثيرة تدفع بالإنسان نحو منزلقات الخطيئة والمفسدة، قام هذا الوالى باعطاء مبلغ كبير من بيت المال لكلّ فرد من أفراد قومه وقبيلته يأتيه إلى البحرين فلما وصل خبر ذلك إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، كتب له كتاباً توبيخياً وطلب منه أن يرفع إليه حساب بيت المال، ولكن بما أنّ النعمان لم يتمكن من حساب الأموال بشكل صحيح ودقيق، فقد أخذ ما تبقى من بيت المال وهرب إلى الشام والتحق بمعاوية[۱۸۷].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۳

الرسالة ۴۳

اشارة

إلى مَصْقَلَةِ بْنِ هُبَيْرَةِ الشَّيْبانى وَهُوَ عامِلُهُ

عَلى أَرْدِشيرخُرّةَ[۱۸۸]

نظرة عامّة للرسالة

هذه الرسالة تشبه ما ورد فى الكتاب ۴۱، وخلاصتها أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كتب إلى والٍ آخر يدعى مصقلة بن هبيرة الشيبانى رسالة توبيخية وشديدة اللهجة، لأنّ الخبر وصل إلى الإمام عن أنّ مصقلة يتلاعب فى بيت المال ويهب منه إلى أفراد قبيلته بدون حساب وكتاب، فالإمام عليه السلام يلومه بشدّة على هذا العمل، وينصحه أن لا يبيع آخرته بدنياه، ولا دينه بالدينار، ولكن الإمام لا يتهمه بشكل قطعى فى هذه الرسالة، بل يقول: إذا كان ما بلغنى عنك صحيحاً فأنت قد إرتكبت خطأ كبيراً واسخطت إلهك.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۵

بَلَغَنِى عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فَىْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِى حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَىَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِى مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِى قِسْمَةِ هَذَا الْفَىْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِى عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

الشرح والتفسير: جميع المسلمين سواسية فى بيت المال

اشارة

يستفاد من عنوان هذه الرسالة وكذلك ما ورد فى الخطبة ۴۴ من هذا الكتاب، أنّ مصقلة بن هبيرة الشيبانى كان أحد عمّال الإمام عليه السلام وكان والياً على قسم مهم بلاد فارس يسمى «اردشير خرة» ويشمل عدّة مدن وقرى، وكما يقول ابن أبى‌الحديد كان مصقلة من أحفاد نزار بن معد بن عدنان ۱۸۹].

وكانت لمصقلة بن هبيرة قصّة فيما يتصل بأسرى بنى ناجية وقد وردت تفاصيلها فى الخطبة ۴۴ إذ أنّ بنى ناجية كانوا من النصارى الذين أسلموا بعد الفتح وبقيت جماعة منهم على نصرانيتهم أو أنّهم ارتدوا على الإسلام، وبعد هزيمة أصحاب الجمل فى البصرة بايع الناس فى تلك المنطقة لأميرالمؤمنين عليه السلام سوى بنى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۶

ناجية الذين جهّزوا جيشاً لمقاتلة الإمام، فأرسل لهم أميرالمؤمنين، معقل بن قيس وهزمهم وأسر جماعة منهم، وعندما حملوا الأسرى إلى الكوفة وصلوا فى طريقهم إلى منطقة «اردشير خرة» وكان فيها مصقلة والياً عليها من قِبل الإمام على عليه السلام، فاشتراهم مصقلة من معقل وكان عددهم خمسمائة نفر ودفع فى مقابل ذلك غرامة تساوى خمسمائة ألف درهم وأطلق سراحهم ثمّ دفع هذا المبلغ من أموال بيت المال على أساس أنّه قرض يقترضه من بيت المال ويسدده بعد ذلك ولكنّ مصقلة أخذ يسوف فى تسديد الدين، ثمّ إنّه جاء بعد مدّة إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى الكوفة ودفع له مبلغاً من المال وهو يتوقع أن يعفو الإمام عن الباقى ولكن الإمام لم يقبل بذلك، لأنّه ربّما تكون موافقته وتنازله عن الحقّ المذكور بدعة بحيث يتداع إلى الأذهان ما كان يفعله عثمان بصرفه فى بيت المال، وبما أنّ مصقلة كان يخشى من عدالة الإمام ومطالبته ببقية المال رجح الهرب إلى الشام والالتحاق بمعاوية.

ومهما يكن من أمر فإنّ الرسالة مورد البحث تشير أيضاً أنّ مصقلة كان من أتباع مدرسة عثمان بن عفان وكان يوزع أموال بيت المال على أقربائه وأرحامه قبل حادثة أسرى بنى ناجية، وعندما وصل خبره إلى الإمام عليه السلام كتب له الإمام الرسالة مورد البحث.

وتشير هذه الرسالة إلى ثلاثة نقاط فى غاية الأهميّة الاولى أنّه يقول:

«بَلَغَنِى عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ».

وهذه العبارة التى ذكرها الإمام عليه السلام بشكل مقتضب تشير إلى أنّ الإمام كان قد سمع خبراً عن مصقلة لم يجزم بصحته وأنّه اتّخذ جانب الاحتياط لئلا يتهم شخصاً بريئاً.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن بشكل واضح ومفصّل الخبر المذكور ويقول:

«أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِى حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ، وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ ۱۹۰]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۷

مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ».

ومعلوم أنّ مصقلة إذا كان قد إرتكب مثل هذا العمل فإنّه يكون قد اقترف عملًا شنيعاً، لأنّه أنفق المال الذى يعتبر حصيلة دماء المجاهدين والشهداء من أجل تقوية مكانته الاجتماعيّة فى قومه.

ويتابع الإمام عليه السلام خطاب لمصقلة فى القسم الثانى من هذه الرسالة ويقول:

«فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[۱۹۱]، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَىَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَ

عِنْدِى مِيزَاناً».

وهكذا نرى أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارات يتخذ مرّة أخرى جانب الاحتياط فى الحكم على المتهم فربّما وقع بعض الخطأ والاشتباه فى نقل المخبرين وبالتالى ستتعرض سمعة رجل مؤمن إلى الاهتزاز والهتك، ويقول الإمام: إنّه إذا كان هذا الخبر صحيحاً فستسقط من عينى ويخف ميزانك عندى.

ونلاحظ أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المورد لا يهدده بعقوبة قاسية ولكنّه يخاطبه بآلية التوبيخ المعنوى التى تعدّ أقسى وأشد من العقوبة الظاهريّة.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه لمصقلة ويتحدّث معه بلغة النصيحة الصريحة والعميقة المغزى ويقول:

«فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ ۱۹۲] دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا».

وبديهى أنّ أى إنسان عاقل ومؤمن لا ينبغى أن يرجح حقّ أقربائه على حقّ اللَّه تعالى، ويهتم لمصالحهم على حساب طاعة اللَّه، فلا ينبغى لأىإنسان عاقل أن يستبدل رأس مال دينه الذى يقوده إلى الجنّة ويعتبر سبب نجاته فى الآخرة، بمتاع

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۸

الدنيا والزائل والرخيص، وعبارة: «

الْأَخْسَرِينَ

» إشارة إلى أنّ الإنسان يبيع أثمن ما لديه من بضاعة ومتاع بأزهد وأرخص ثمن.

وبما أنّ مصقلة ربّما كان يظن أنّ عطاءه لأقربائه من بيت المال يدخل تحت عنوان صلة الرحم وأنّه بعمله هذا يتحرك فى خط الفضيلة والإحسان، نرى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن ذلك بعبارة:

«الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا»

، ولعلّه إشارة إلى مورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا* الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۱۹۳].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فى ختام هذه الرسالة إلى نقطة مهمّة من تعاليم الإسلام وأحكامه فيما يتصل بحقوق المسلمين فى بيت المال ويقول:

«أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِى قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِى عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ».

وجملة «

يَرِدُونَ عِنْدِى عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ»

نظر إلى أنّ كلمة «ورود» و «صدور» ترتبط فى الأصل بورود العطشى إلى شريعة المال ثمّ حملهم الماء ثمّ عودتهم إلى مكانهم، فالإمام عليه السلام يشير هنا إلى هذه النقطة، وهى أنّ بيت المال كالنهر كبير الذى أجراه اللَّه تعالى للمسلمين وهم فيه سواء، وكل شخص يرد هذا النهر من هذا الطريق يروى ظمأه وينتفع منه ثمّ يخرج منه.

وعبارة «

عِنْدِى

» لا- تعنى أنّه ينبغى حمل جميع أموال بيت المال إلى الإمام عليه السلام أنّ الواجب على المسلمين أن يتوجهوا من المناطق القريبة والبعيدة إلى مركز الحكومة وإلى الإمام لدفع ما عليهم من حقوق الشرعية ثمّ العودة إلى مناطقهم، المراد أنّ هذا العمل يجب أن يكون طبق البرنامج الذى احدده لك وتحت إشراف، لا أن يقوم عمّالى ووكلائى بتقسيم بيت المال وفق ما يرونه وبوحى ميولهم ورغباتهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۱۹

وعلى أيّة حال فهذه الجملة تشير إلى أنّ بيت المال يجب أن يقسّم بين المسلمين بصورة متساوية كما كان الحال فى عصر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولا يكون مثلما كان فى عهد الخليفة الثانى الذى كان يرجح العرب على العجم، الأشراف والصحابة على

الآخرين، أو مثل عصر عثمان الذى كان يقسّم بيت المال بين أقربائه وأرحامه من بنى اميّة بتمييز سافر بين المسلمين والإشكال الذى وقع فيه مصقلة هو أنّه كان متأثراً بثقافة عصر عثمان حيث كان يرى امتيازاً خاصّاً على سائر المسلمين.

وممّا يجدر ذكره أنّ أموال بيت المال فى هذا المورد لا تختص بالزكاة وأمثالها التى ترتبط بالأصناف الثمانية من المستحقين كما ورد فى الفقه، بل يقصد بها أموال الخراج على الأراضى المفتوحة فى ذلك اليوم، حيث كان الولاة يضعون الضرائب والخراج على جميع الأراضى المذكورة بنسبة عادلة وكان جميع المسلمين فى ذلك سواء، لأنّ هذه الأراضى قد فتحت عنوة بأيد المجاهدين ولا فرق فى هذا الأمر بين الغنى والفقير والعرب والعجم، خلافاً لأموال الزكاة التى تختص بالفقراء والمساكين وباقى الطوائف المستحقين لها، وبما أنّ غالبية الأموال التى تجتمع فى بيت المال من أموال الخراج، ولذلك يطلق عليها عبارة أموال بيت المال.

ومعلوم أنّ المناطق والأراضى فى البلاد الإسلاميّة تختلف فى ميزان الخراج والضرائب المترتبة عليها، ففى بعض لمناطق حيث تكون الأراضى زراعيّة وبستاتين كثيرة المحصول، فالخراج عليها يكون كثيراً، وفى بعض المناطق أقلّ من ذلك حيث يصرف خراج مثل هذه المناطق على أهلها ولا يستحق نقلها مركز الخلافة.

ومن هذه الجهة يقول الإمام عليه السلام: على فرض أنّك وزعت خراج تلك المنطقة على جميع الناس، فمع ذلك كان عملك هذا مجانباً للصواب، لأنّ هذا الخراج يتعلق بجميع المسلمين، سواءً من كان فى منطقتك أم فى منطقتنا، فجميع المسلمين ينبغى أن ينتفعوا ويستفيدوا من هذا المال بصورة عادلة ومتساوية.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۰

تأمّل

جواب مصقلة للإمام عليه السلام

ورد فى بعض الروايات أنّ مصقلة بعد أن استلم رسالة الإمام عليه السلام إليه كتب له رسالة جوابية يبرىء فيها نفسه، يقول فى رسالته للإمام:

«أمّا بعد، فقد بلغنى كتاب أميرالمؤمنين فليسأل إن كان حقّاً فليعمل على عزلى بعد نكالى، فكلّ مملوك لى حرّ، وعلىَّ أيّام ربيعة ومضر، إن كنت رزئت من عملى ديناراً، ولا درهماً، ولا غيرها، منذ وُليته إلى أن ورد علىَّ كتاب أميرالمؤمنين، ولتعلمنّ أنّ العزل أهون علىَّ من التهمة، فلما قرأ- الإمام عليه السلام- كتابه قال: ما أظنّ أباالفضل إلّاصادقاً»[۱۹۴]، (يعنى أنّ المخبرين قد أخطأوا فى إخبارهم).

ولكن يستفاد من بعض الروايات أنّ معاوية بعد استشهاد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام اختار مصقلة أن يكون والياً على طبرستان (مازندران فى هذا العصر) ولكن مصقلة قتل قبل أن يصل إلى تلك المنطقة ولم يعد من سفره هذا أبداً، بحيث صار ذلك مضرب مثل بين الناس، فعندما لا يريد المرء القيام بعمل معين يقول: انتظر حتى يعود مصقلة من طبرستان ۱۹۵].

وقد كتابنا بحوث مفصلة عن مصقلة ذيل الخطبة ۴۴.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۱

الرسالة ۴۴

اشارة

إلى زَيادِ ابْنِ أَبيهِ وَقَدْ بَلَغَهُ أنَّ مُعاوِيَةَ كَتَبَ إلَيْهِ
يُريدُ خَديعَتَهُ بِاسْتِلْحاقِهِ ۱۹۶]

نظرة عامّة للرسالة

إنّ قصّة هذه الرسالة تبدأ من وصول خبر إلى الإمام على عليه السلام أنّ معاوية أرسل إلى زياد بن أبيه رسالة يدعى فيها أنّه أخوه الحقيقى، وعلى هذا الأساس ألحق معاوية زياد بن أبيه الولد غير المشروع بأبى سفيان، وأراد بهذه الطريقة أن يخدع زياد ويتمكن من جذبه إليه لتحقيق أهدافه وغاياته.

الإمام على عليه السلام فى هذه الرسالة يحذّر زياد بن أبيه الذى كان فى ذلك الزمان والياً على بلاد فارس من قِبل الإمام، بأنّ هذه الخطة هى خطة شيطانيّة مدروسة من قِبل معاوية فلا ينبغى أن تقع فى حباله وتنخدع برسالته، فكل ابن يرتبط بعلاقة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۲

البنوة بأبيه وامّة فى البيت الذى ولد فيه، وحتى النسبة غير المشروعة التى تقوم على أساس ادّعاء شخص مثل أبى سفيان بأنّ زياد من نطفته لا تثبت حقيقة، وعندما وصلت الرسالة إلى زياد قبل كلام الإمام وهدأت نفسه، رغم أنّ زياد بعد استشهاد الإمام التحق بمعاوية بسبب هذه الخديعة مع إضافة بعض التهديد لزياد.

ولكن المستفاد من كتب التاريخ أنّ ام زياد كانت جارية لطبيب معروف عند العرب يدعى «حارث بن كلدة» والتى تزوجت من عبد يدعى «عبيد» وحسب الظاهر كان زياد نتيجة ذلك الزواج، ولذلك يقال له: زياد بن عبيد، ولكن بما أنّ والده كان عبداً وغلاماً غير معروف فرجح بعضهم أن يقال عن زياد «زياد بن أبيه» والظاهر أنّ زياد نفسه لم يكن يأبى هذا الاسم، ولكنّه بعد إلحقه معاوية بأبى سفيان ادّعى أنّه أخوه كان يقال له: زياد بن أبى سفيان، والحقيقة أنّ كلّ الإنسان يستولى عليه العجب والحيرة من هذه الوقاحة بأنّ شخصاً يدعى لنفسه خلافة رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومع ذلك يصرح بأنّه أخ لابن الزنا، والأمر الآخر المثير للعجب أنّ المحيط الاجتماعى فى ذلك الوقت إلى درجة من التلوث والتشوه بحيث قبل زياد بن أبيه هذا الادّعاء.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۳

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ: يَأْتِى الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ. وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِى سُفْيَانَ فِى زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لَايَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِى نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ.

قال الرضى، قوله عليه السلام: «الواغِل» هُوَ الَّذى يَهْجُمُ عَلَى الشُّرْبِ لِيَشْرِبَ مَعَهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَلا يَزالُ مُدَفِّعاً مُحاجِزاً. و «النَّوْطُ الْمُذَبْذَبِ»: هُوَ ما يُناطُ بِرَحْلِ الرَّاكِبِ مِنْ قُعْبٍ أَوْ قَدَحٍ أَوْ ما أَشْبَهَ ذلِكَ، فَهُوَ أَبَداً يَتَقَلْقَلُ إذا حَثَّ ظَهْرَهُ وَاسْتَعْجَلَ سَيرُهُ.

الشرح والتفسير: إحذر من أغوائهم!

اشارة

طبقاً لما ورد فى كتاب تمام نهج البلاغة، أنّ الإمام عليه السلام فى مستهل هذه الرسالة يخاطب زياد بن أبيه ويشوقه على الصبر

والاستقامة فى مقابل الوساوس الشيطانيّة التى تنبعث هنا وهناك، ثمّ يقول:

«وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُ ۱۹۷] لُبَّكَ ۱۹۸]،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۴

وَيَسْتَفِلُ ۱۹۹] غَرْبَكَ ۲۰۰]، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ».

ويستفاد من هذه العبارات وعبارات أخرى وردت فى الرسائل السابقة، أنّ جواسيس الإمام عليه السلام كانوا ينتشرون فى جميع البلاد الإسلاميّة، حتى أنّهم كانوا يصلون إليه الرسائل الخاصّة التى تصل إلى ولاته من قِبل الأعداء، ليستطيع الإمام التصدى للخطر فى الوقت المناسب، ونرى أنّ الإمام عليه السلام فى مطلع هذه الرسالة يحذّر زياد بن أبيه من شيطنة معاوية وأن يتخذ جانب الحيطة والحذر من مكره ودسائسه.

ثمّ يضيف فى توضيح ذلك:

«يَأْتِى الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ ۲۰۱] غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ ۲۰۲] غِرَّتَهُ ۲۰۳]».

وهذا الكلام للإمام عليه السلام مقتبس من الآية الشريفة ۱۷ من سورة الأعراف حيث تتحدّث عن قول الشيطان: «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ».

والمقصود أنّ الشيطان يستخدم كلّ وسيلة لخداع الناس وإغوائهم، فأحياناً يستخدم آلية التطميع أو أخرى التهديد وثالثة الشهوات والأهواء والنوازع النفسانيّة، ورابعة عن طريق الآمال والتمنيات والمناصب والمقامات الموهومة والعناوين البراقة، والغاية من كلّ ذلك تنحصر بأمر واحد، ألا وهو إغواء الإنسان وسوقه فى متاهات الضلالة والهلكة.

وقد استخدم شيطانِ الشام هذا الاسلوب أيضاً وسعى إلى خداع الناس كلّ بحسب طريقته الخاصّة لجذبهم إليه والاستفادة منه فى مسار تحقيق مطالبه وشهواته.

وينقل عن أحد العرفاء أنّه قال: ما من صباح إلّاقعد لى الشيطان على أربعة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۵

مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى، أمّا بين يدى فيقول لا تخف فإنّ اللّه غفور رحيم، فأقرأ: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى [۲۰۴] وأمّا خلفى فيخوّفنى الضيقة على مخلفى فأقرأ: «وَما مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها»[۲۰۵]، وأمّا عن قبل يمينى فيأتينى من جهة الثناء، فأقرأ: «وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[۲۰۶]، وأمّا من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ»[۲۰۷]،[۲۰۸].

ووقد ورد فى الروايات فيما يتصل بهذه الجهات الأربع للشيطان ما خلاصته: «ما روى عن أبى جعفر عليه السلام قال: « «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ»

، معناه، اهَوّنُ عَلَيهِم أمْرَ الآخِرَة،

«وَمِنْ خَلْفِهِمْ»

، آمُرهُم بِجَمعِ الأَموالِ، وَالبُخلَ بِها عَنِ الحُقُوقِ لِتَبقى لِوَرثَتِهِم،

«وَعَنْ أَيْمانِهِمْ»

أفسُدُ عَلَيهِم أمَر دِينِهِم بِتَزيينِ الضَّلالَةِ، وَتَحسِينِ الشُّبهَةِ،

«وَعَنْ شَمائِلِهِمْ»

بِتَحبِيبَ اللَّذاتِ إِلَيهِم، وَتَغلِيبِ الشَّهواتِ عَلى قُلُوبِهِم ...»[۲۰۹].

أجل، فإنّ وساوس شياطين الجن والإنس تهجم على الإنسان من كلّ باب لإغواءه وإضلاله.

وهنا ربّما يطرح هـذا السؤال وهو: لماذا لم تذكر النصوص جهة الفوق والتحت فى مسألة إتيان الشيطان؟ ذهب بعضـهم إلى أنّ ذلك بسبب أنّ جهـة العلو هى جهـة الرحم، لأنّ الرحمـة الإلهيّة تنزل دائماً من هـذه الجهـة على الإنسان، وأمّا جهـة التحت سـبب الخوف والوحشة، فلو أنّ شخصاً خرج من باطن الأرض ودعا الإنسان إلى عمل معين وذلك من شأنه إخافة هذا الإنسان والاستيحاش منه.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۶

ويحتمل أنّ الشياطين يأتون إلى الناس بشكل طبيعى، ونعلم أنّه لا أحـد يأتى إلى شـخص آخر من جهـة الفوق والتحت، بل يأتيه من إحدى جوانبه الأربعة.

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص۱۲۶

ّ إنّ الإمام عليه السـلام تعرض فى سياق كلامه لادعاء معاوية فى الحاق زياد بن أبيه به (بوصفه أخاه) واستدل على بطلان هذا الادّعاء بدليل منطقى وقال:

«وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِى سُفْيَانَ فِى زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ[۲۱۰] مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ[۲۱۱] مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لَايَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ».

وقول الإمام عليه السـلام «فلتة» من قِبل أبى سـفيان إشارة إلى ما ذكره ابن أبى الحديد فى شـرحه نقلًا عن كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر قـال: إنّ عمر بعث زيـاد فى إصـلاح فسـاد واقع فى اليمن، ولما رجع من جهته خطب عنـد عمر خطبـة لم يُسـمع مثلها، وأبوسـفيان حاضـر، وعلى عليه السـلام وعمرو بن العـاص، فقـال عمرو بن العـاص: للّهأبو هـذا الغلام، لو كان قرشـياً لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيـان: إنّه لقرشـى، وإنى لأعرف الـذى وضـعه فى رحم امّه، فقـال على عليه السـلام: ومن هو؟ قـال: أنا. فقال: مهلًا يا أباسـفيان (أى اسكت)! وجاء فى رواية أخرى أنّه عليه السلام قال: اسكت يا أباسفيان فإذا سمعك عمر فإنّه سيسارع فى عقابك.

وجاء فى روايـة ثالثة أنّ عمرو بن العاص قال له: إذا كنت تعلم أنّ زياد ابنك، فهلا تسـتلحقه، قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علىَّ إهابى ۲۱۲].

ومن المعلوم أنّ أبـا سـفيان لا يسـتطيع إثبـات أنّ نطفـة زيـاد من عنـده بسـبب إرتكـابه لعمـل منكر مع ام زيـاد، بل اعتمـد على الظّن والتخمين، ولكنّه تحدّث بلسان بكل صلافة ووقاحة عن ذلك فى حضور الإمام على عليه السلام وآخرين، ولهذا السبب

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۷

يذكّر الإمام على فى رسالته مورد البحث زياد بن أبيه بأنّ مثل هذه الادّعاءات الشيطانيّة لا تعتبر معياراً لإثبات النسب فى الإسلام، ومن هـذه الجهـة لا يمكنك أن ترث أبا سـفيان أبـداً، لأنّ ابن الزنا لا يرث من أبيه وامّه شـيئاً (وأنت بـدورك لم تـدعِ ميراثاً لنفسك منه) وعلى ضوء ذلك لاينبغى أن تسلم نفسك لوساوس معاوية الشيطانيّة.

وفى ختام الرسالة يقول الإمام عليه السلام:

«وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ ۲۱۳]، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ».

وبعبارة أخرى إنّ معاويـة إذا أراد أن يـدعى إخوتك له من هذا الطريق ووافقته على ذلك، فسوف لن تكون ابناً لأبى سـفيان ولا أخاً لمعاويـة بل تكون وسـمة عار لك أيضاً بأنّك ابن زنا، حتى أنّك لا تنال ميراثاً من تلك العائلة الغريبة عنك ولا تحسب ابن مشـروعاً لها، رغم أنّ إخوة معاوية الذى إرتكب الكثير من أعمالًا قبيحة والشنيعة لا تعدّ افتخاراً لك.

والجدير بالذكر أنّ هذه الرسالة وطبقاً لما أورده المرحوم السيّد الرضى فى ذيلها كانت مؤثرة فى قلب زياد إلى درجة أنّه قال:

«فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِى نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ».

ثمّ إنّ معاوية أبقى زياد بن أبيه فى موقعه والياً على بعض بلاد فارس، ثمّ نقله والياً على العراق ووضع تحت تصرفه منطقة مهمّة من العراق، وكانت هذه الوصمة باقية فى زياد ابن أبيه بسبب حبّه لجاه والمقام بحيث إنّ هذا الهاجس قاده آخر المطاف إلى وادى الشر والشيطنة.

ويحتمل أيضاً فى تفسير هذه العبارة من كلام زياد بن أبيه أنّ مقصود زياد هو أنّ أبا سفيان شهد بهذا الأمر قطعاً بأننى من نطفته، وهذا المعنى بقى فى نفسه إلى زمان الحاق معاوية لزياد به.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۸

يتحدّث السيّد الرضى فى هذا المورد عن تفسير بعض اللغات الغامضة:

«قال الرضى، قوله عليه السلام: «الواغِل» هُوَ الَّذى يَهْجُمُ عَلَى الشُّرْبِ لِيَشْرِبَ مَعَهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَلا يَزالُ مُدَفِّعاً مُحاجِزاً. و «النَّوْطُ الْمُذَبْذَبِ»: هُوَ ما يُناطُ بِرَحْلِ الرَّاكِبِ مِنْ قُعْبٍ أَوْ قَدَحٍ أَوْ ما أَشْبَهَ ذلِكَ، فَهُوَ أَبَداً يَتَقَلْقَلُ إذا حَثَّ ظَهْرَهُ وَاسْتَعْجَلَ سَيرُهُ».

تأمّل

قصّة نسب زياد المعقدة

فى هذا المورد كلام كثير، إلى درجة أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة كتب فى هذا الموضوع عشرات الصفحات، ونشير فى هذا المورد إلى عدّة مسائل:

۱. هل أنّ زياد ابن زنا؟

ما يستفاد من الرسالة أعلاه هو أنّ الإمام عليه السلام نفى ادّعاء أبى سفيان وكذلك معاوية بأنّ زياد الابن غير المشروع لأبى سفيان، وقال إنّ هذا ادّعاء شيطانى، وفى ظاهر الشرع بأنّ كلّ ولد يلحق بأبيه وامّه اللذين تربطهما رابطة الزواج ويولد الولد فى ذلك البيت.

مضافاً إلى أننا نعلم أنّ الإمام عليه السلام نصب زياد والياً من قِبله على فارس، وهذا المنصب يستلزم بمفهومه إجازته لإمامة الجمعة والجماعة، فكيف يمكن أن يختار الإمام عليه السلام شخصاً لهذا المقام وهو ابن زنا، فى حين أننا نعلم أنّ مشروط إمامة الجمعة والجماعة طهارة المولد.

ومن جهة أخرى، فقد ورد فى التواريخ فيما يتصل بواقعة كربلاء وعاشوراء أنّ الإمام سيّد الشهداء عليه السلام قال:

«أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ تَرَكَنِى بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ ... هَيْهَاتَ مِنِّى الذِّلَّةُ»[۲۱۴].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۲۹

أمّا ما هو المقصود بكلمة «الدعىّ» فى نظر اللغة، بذهب بعض إلى أنّ المراد هو ابن الزنا، ولكن عندما نراجع كتب اللغة نجد أنّ لهذه الكلمة مفهوماً عاماً وتعنى من يدعى البنوة، وكذلك تطلق على الشخص المتهم بنسبه، وجاء فى لسان العرب:

الدعى يعنى من يدعى له البنوة، وكذلك الابن الذى ينسب لغير أبيه.

يقول القرآن الكريم: «وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُم»[۲۱۵] وعلى هذا الأساس فربّما أراد الإمام عليه السلام أنّ القول بأنّ زياد قد ولد فى اسرة حقيرة لا شأن لها كما يولد العبيد، وقد نسب إلى غير أبيه لغرض كسب المكانة والموقع فى المجتمع.

ويحتمل أيضاً أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بيّن الحكم الظاهرى للمسألة، وهو «الْوَلَدُ لِلْفِرَاش» ولكن الإمام الحسين عليه السلام ذكر حقيقة الأمر وأنّ زياد ابن غير مشروع.

وأمّا لابن زياد المسألة أوضح وأجلى فى أنّه ابن غير مشروع وأنّ امّه مرجانة المشهورة بالفجور، ومن هذه الجهة وطبقاً لما ورد فى تواريخ كربلاء، خاطبت الحوراء زينب عليها السلام ابن زياد عندما رام توبيخها وذمّها بقولها له: «يابن مرجانة».

ويحتمل أيضاً فى المقام من «الدعى بن الدعى» يزيد وأبيه معاوية وأنّه إشارة إلى نسبهما المتلوث.

۲. والد زياد ووالدته

المعروف أنّ والـد زياد كان عبـداً يدعى عبيد وقد تزوج من جارية «حارث بن كلدة» من أطباء العرب المعروفين واسـمها سـميّة، وقد ولد زياد فى بيتها، رغم أنّ أبا سـفيان ومن بعده معاوية سـعيا إلى تبنى زياد واعتباره ابناً لأبى سـفيان، وأمّا ما يقال من أنّ سـميّة كانت من ذوات الأعلام (أى النسوة المعروفات بالفحشاء والزنا) فهو

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۰

بعيد، لأنّ جارية طبيب معروف كحارث بن كلدة لا يمكن أن تكون من ذوات الأعلام كما هو المعروف.

ولكن ورد فى كتب التاريـخ أنّ أباسـفيان توجه فى سـفر إلى الطائف وطلب من شـخص يدعى أبومريم، وهو من الأشـخاص السـيىء الصـيت امرأة فاحشة ليمارس معها الجنس، فقدم له أبو مريم سـميّة امّ زياد، وقالت له: دع زوج عبيد يعود من الصحراء وينام فى البيت وسوف أتى إليك، ثمّ إنّها جاءت إلى أبى سـفيان ومارست الجنس معه، ولعل أبا سـفيان عنـدما قال أنّه زياد ابنى كان ناظر إلى هـذه الواقعة.

۳. قصّة استلحاق معاوية لزياد

إنّ قصّة الحاق معاوية لزياد بآل أبى سفيان واتخاذه أخاً له تعدّ من عجائب تاريخ الإسلام، يقول الشيخ المصرى المعروف محمّد عبده فى شرحه لنهج البلاغة:

إنّ قصّة زياد بن أبيه قصّة غريبة تدعو الإنسان إلى التأمل، لأنّ معاوية نسـبه إلى لأبى سـفيان ليكون أخاًه مدعياً أنّ أبا سفيان عاشر امّه سميّة وهى زوجة رجل آخر، فأنجبت زياداً منها.

ثمّ يضـيف: وأغرب ما فى القصّة أنّ ادّعاء هذه الاخوة (غير المشـروعة) وقعت فى مجلس علنى ورسـمى وبتحقيق الادّعاء على رؤوس الأشـهاد فلم يخجل منه زياد، موازناً بين مغانم هذه الإخوة وبين إزدراء الناس له، ففضل إخوة الخليفة على سـلامة العرض، وهكذا فى سبيل السـلطة لم يكن الرجل ذوالنخوة يخجل من أن يثلم عرضه إذا كان فى هذه منفعة (ولو بشـكل غير مشـروع على سـلامة وصـحة نسـبه، أجل، فمثل هـذه الأمور مهدت الطريق السـلطة والمقام هذا الرجل المتكبر، فلم يخجل من تعرض شـرفه ونسـبه إلى الاهتزاز فى مقابل المنافع التى يجنبها من ذلك)[۲۱۶].

ونضيف نحن، أنّ الأعجب من ذلك أنّ المحيط الإسلامى الذى أوجده النّبى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۱

الأكرم صلى الله عليه و آله ولم يمض عليه أكثر من نصف قرن تعرض للتلوث والتشويه بسبب تصرفات بنى اميّة إلى درجة أنّ الخليفة يتجرأ بتثبيت مثل هذا المنكر فى الملأ العام، فالويل للمسلمين إذا سقطوا فى أسر مثل هذه الحكومات الجاهلة والملوثة.

وعلى أيـة حال فالقصّـة كما يلى: روى المـدائنى فى كتاب فتوح الإسـلام: إنّ معاوية لما أراد اسـتلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصـعد المنبر، وأصـعد زياد معه وأجلسه بين يديه على المرقاة التى تحت مرقاته، وحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنى قد عرفت نسـبنا أهل البيت فى زياد، فمن كان عنده شـهادة فليقم بها، فقام ناس فشهدوا أنّه ابن أبى سفيان، وأنّهم سمعوا ما أقرّ به قبل موته، وقام أبو مريم السلولى، وكان خماراً فى الجاهليّة، فقال: أشهد ياأميرالمؤمنين أنّ أباسفيان قدم علينا بالطائف، فأتانى فاشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً فلما أكل قال: يا أبا مريم، أصب لى بغياً، فخرجت فأتيت بسـميّة، قلت لها: إنّ أبا سفيان ممن عرفت شرفه وجوده، وقـد أمرنى أن أصـيب له بغياً، فهل لك؟ فقالت: نعم، يجيىء الآن عبيد بغنمه وكان راعياً فإذا تعشّـى، ووضع رأسه أتيته، فرجعت إلى أبى سـفيان فـأعلمته، فلم نلبث أن جـاءت تجرّ ذيلهـا فـدخلت معه، فلم تزل عنـده حتى أصـبحت، فقلت له لما انصـرفت: كيف رأيت صاحبتك، قال خير صاحبة ولولا ذَفَر فى أبطيها، فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم لا تشـتم امّهات الرجال فتشتم امّك، فلما انقضى كلام معاويـة ومناشـدته، قام زياد، وأنصت الناس فحمـد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: يا أيّها الناس إنّ معاويـة والشـهود قد قالوا ما سـمعتم،

ولست أدری حقّ هذا من باطله وهو والشهود أعلم بما قالوا، إنّما عبید أب مبرور ووالٍ مشکور، ثمّ نزل (الظاهر أنّ المراده من الوالی هو المعاویة)[۲۱۷].

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۳۲

۴. نظرة لسیرة زیاد بن أبیه

کما تمّت الإشارة إلیه آنفاً فقد کان زیاد فی الأصل یدعی زیاد بن عبید، وکان أبوه عبداً وراعیاً وکانت امّه جاریة أبی حارث بن کلدة الطبیب العربی المعروف، وأحیاناً یقال له: زیاد بن أبیه، وأخری زیاد بن امّه، لأنّ أباه عبد ولیس له مکانة اجتماعیّة فی الناس، وبعد أن ألحقه معاویة بنفسه صار یقال له زیاد بن أبی سفیان وکان منذ صباه ذکیاً وخطیباً مفوهاً وبلیغاً، ولد فی الطائفة فی عام فتح مکّة، وقیل إنّه ولد فی عام الهجرة وقال آخرون أنّه ولد یوم بدر، ولکنّه لم یشاهد النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله، وکان مع أمیرالمؤمنین علیه السلام فی جمیع حروبه، وبقی مع الإمام الحسن علیه السلام إلی زمان صلحه مع معاویة، وبعد ذلک خدعه معاویة وطلب منه المجیء إلیه وتوفی زیاد فی الکوفة فی شهر رمضان عام ۵۳ فی سن ۵۶ (وذهب بعضهم إلی أنّ عمره أکثر من ذلک أو أقل).

أمّا سیرة حیاته فتتشکل من مرحلتین متفاوتین تماماً، المرحلة الاولی کان یتحرک فی خط الحقّ، وکان رجلًا موثوقاً ومدیراً مدبراً، ولهذا السبب عیّنه الإمام علی علیه السلام والیاً له علی فارس، وقد أدار المنطقة بشکل جید وکا یجمع الخراج بأفضل صورة ویرسله إلی أمیرالمؤمنین علیه السلام فبلغ ذلک إلی معاویة واشتد علیه هذا الأمر، فکتب له رسالة وذکر له فی مضمونها: أمّا بعد فإنّه غرّتک قلاع تأوی إلیها لیلًا، کما تأوی الطیر إلی وکرها، وأیّما اللّه لولا انتظار بک واللّه أعلم به لکان لک منّی ما قاله العبد الصالح: «فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّاقِبَلَ لَهُمْ بِها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ»[۲۱۸] وکتب فی أسفل الکتاب شعر من جملته:

تَنسی أَبَاکَ وَقَد شَالتْ نُعُومَتُهُإذا یَخطب النّاسَ وَالوَالِی لَهُم عُمَرُ

فلمّا ورد الکتاب علی زیاد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آکلة الأکباد

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۳۳

ورأس النفاق، یهددنی وبینی وبینه ابن عم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وزوج سیّدة نساء العالمین وأبی السبطین، وصاحب الولایة والمنزلة والإخاء فی مئة ألف من المهاجرین والأنصار والتابعین لهم باحسان، أما واللّه لو تخط هؤلاء أجمعین إلیَّ لوجدنی أحمر مخشن ضراباً بالسیف.

ثمّ کتب زیاد رسالة إلی أمیرالمؤمنین علی علیه السلام وبعث بکتاب معاویة معها: فکتب إلیه الإمام علی علیه السلام یقول: «أمّا بعد، فإنّی قد ولیتک وأنا أراک لذلک أهلًا، فإنّه قد کانت من أبی سفیان فلتة فی أیّام عمر من أمانی التیه وکذب النفس، لم تستوجب بها میراثاً ولم یستحق بها نسباً، وأنّ معاویة کالشیطان الرجیم یأتی المرء من بین یدیه من خلفه وعن یمینه وعن شماله، فاحذره ثمّ احذره ثمّ احذره والسلام».

أمّا المرحلة الثانیة من حیاته اختلفت تماماً عن المرحلة السابقة، وبتعبیر معاصر أنّه انقلب ۱۸۰ درجة علی ما کان سابقاً، وهذه المرحلة تبتدیء منذ أن خدعه معاویة بواسطة المغیرة بن شعبة، وقد استغل معاویة نقطة الضعف فی زیاد هو حبّه للجاه والمقام، فدعاه إلیه بعد قضیة صلح الإمام الحسن علیه السلام وادّعا إخوته (أنّه ابن غیر مشروع لأبی سفیان) وولاه حکومة فارس، ثمّ وسع دائرة نفوذه وألحق بولایته الولایة علی الکوفة والعراق، فما کان من زیاد من أجل تثبیت حکومته والتصدی للثورات الشعبیة ضد معاویة وأزلامه، إلّاأن بدأ بقمع الأصوات المناوئة لحکومة بنی امیّة، وبخاصة الشیعة الموالین لأهل البیت علیهم السلام فکان یستخدم فیهم القتل والقمع والشدّة بأقصی صورها، وقد إرتکب معهم جرائم لا تعدّ ولا تحصی بحیث إنّه شوّه تاریخ الإسلام بأفعاله، ومن ذلک أنّه قبض علی «حجر بن عدی» کان رجلًا شجاعاً ومؤمناً ومن شیعة الإمام علی علیه السلام المخلصین ومشهوراً بالصلاح والنقاء ومن صحابة النّبی

المعروفين، ومعه جماعة من أصحابه وأرسلهم إلى الشام، وقد أمر معاوية بقتل هذا الرجل الصالح فى منطقة «مرج عذراء» وذلك أضاف صفحة سوداء أخرى إلى صفحات حياته السوداء، وقد وصل به الأمردرجة أنّ الحسن البصرى الذى لم تكن له علاقة جيداً مع الإمام على عليه السلام قال فى حقه: إنّ معاوية قد إرتكب ثلاثة أمور، كلّ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۴

واحدة منها تكفى لهلاكه، الأول، أنّه سلط السفهاء والجهلاء على المسلمين ووضع بيدهم مقاليد الحكم والسلطة، والثانى الحاقه لزياد بنفسه خلافاً لقول النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» والثالث: قتله لحجر بن عدى، فالويل له من حجر وأصحاب حجر[۲۱۹].

ونحن نقول أيضاً: نعوذ باللّه من سوء العاقبة وتورط الإنسان فى فخاخ الشياطين من الجن والإنس أن يفارق الحياة فى حال الكفر والضلالة والجريمة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۵

الرسالة ۴۵

اشارة

إلى عُثْمانِ بْنِ حُنَيْفٍ الأنْصارى- وَكانَ عامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أنَّهُ دُعى إلى وَليمَةِ قَوْمٍ مِنْ أهْلِها، فَمَضى إلَيْها- قَوْلُهُ ۲۲۰]

نظرة عامّة للرسالة

تعتبر هذه الرسالة من الرسائل المهمّة جدّاً فى نهج البلاغة والتى تتضمّن دروساً ومعطيات كثيرة للسالكين فى طريق الحقّ والإيمان وبخاصّة أولياء الأمور والمسؤولين فى البلدان الإسلاميّة وتتضمّن جهات عدّة:

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۶

۱. بداية يخاطب الإمام عليه السلام واليه على البصرة عثمان بن حنيف ويخبره بخبر مشاركته فى ضيافة أحد أشراف البصرة، وفى تلك الضيافة التى لم يشترك فيها سوى الأثرياء والمتوّلين، جلبت إلى المائدة شتى أصناف الطعام والمأكولات المتنوعة، والإمام هنا يوبّخه على مشاركته فى مثل هذه المائدة.

۲. وفى القسم الثانى من الرسالة يذكر الإمام عليه السلام أنّ كلّ إنسان ينبغى أن يقتدى فى حياته بإمامه وقائده، ثمّ يبيّن له سيرة حياته وسلوكه بوصفه إماماً للمسلمين وكيف أنّه اكتفى من الدنيا بردائين قديمين وبقرصين من الخبز ولم يدخّر لنفسه ثروة ومالًا من زخارف الدنيا، ولكنّه يؤكّد له بأننى لا أتوقع أن تعيش كما أنا أعيش فى واقع الحياة، ولكن أتوقع منك البساطة والزهد فى الحياة وأن لا تنسى حالات التقوى والنزاهة.

۳. وفى قسم آخر من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى قصّة فدك ويقول: الشىء الوحيد الذى كان فى أيدينا من مال الدنيا هو «فدك» وقد استولى عليها الحساد وأعداء أهل بيت النّبى صلى الله عليه و آله، ورغم أننى لا احتاج لفدك ولغير فدك، فنهاية حياتنا جميعاً الموت، وسيكون بيتنا هو القبر الضيق والمظلم.

۴. وفى مقطع آخر من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة وهى أنّ بساطتى فى المعيشة ليست بسبب أننى لا أتمكن

من التوصل إلى الدنيا وتحصيل المواهب والنعم المادية فيها، بل بسبب ما أتولاه من وظيفة خطيرة ومسؤوليّة كبيرة فى عهدتى، والتى تتمثّل فى منصب الإمامة وزعامة المسلمين، وهذا المقام يستوجب أن اشارك الناس الضعفاء فى صعوبات الحياة ومشاكلها، فلا أبيت شبعاناً فى حين يوجد من ينام جائعاً فى أطراف البلد الإسلامى.

۵. وفى مقطع آخرى يجيب الإمام عليه السلام عن هذا السؤال، وهو أنّه ربّما يقول البعض: إذا كان على بن أبى طالب يأكل من هذا الطعام البسيط فهذا من شأنه أن يكون الإمام ضعيفاً فى قوّته البدنيّة بحيث لا يستطيع مقارعة الشجعان فى ميادين

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۷

القتال، ولكن حالى كالشجرة البرية التى تواجه صعوبة ومشقّة فى الماء والغذاء ولكنّها قويّة وصلبة أمام التحديات.

۶. وفى آخر مقطع من هذه الرسالة (والتى حذف السيّد الرضى بعضاً من مقاطعها وفقراتها) يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا بلغة المعرض عنها ويعلن بصوت عالٍ أنّه برىء من زخارفها وجواذبها، وبعد أن يثنى الإمام على الأشخاص الذين يتحركون من موقع المسؤوليّة والالتزام بالتكاليف والقيم الإنسانيّة أمام اللّه تعالى ويحيوا الليل بالعبادة، يخاطب مرّة أخرى عثمان بن حنيف ويوصيه بتقوى اللّه ويدعوه إلى سلوك مسلك الزهد والبساطة فى الحياة يضمن له النجاة فى الآخرة من النار.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۳۹

القسم الأوّل

اشارة

أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

الشرح والتفسير: دعوة الوالى إلى مأدبة فاخرة!

اشارة

فى المقطع الأوّل من هذه الرسالة يخاطب الإمام عليه السلام عثمان بن حنيف الأنصارى، الذى يعدّ من أصحاب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله الأجلاء وقد اختاره أميرالمؤمنين ليكون والياً على البصرة ويتحدّث معه بلغة التوبيخ ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ [۲۲۱] الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ!».

«فتيـة» جمع «فتى» فى الأصل تعنى الشاب اليافع، وأحياناً تطلق على المسن الذى يملك النشاط والبهجة فى حياته، وفى هذه العبارة تعنى رجل من الأشراف.

«مادبة» من مادة «أدب» وتعنى الدعوة الرسمية المعتبرة التى تراعى فيها الآداب.

و «جفان» جمع «جفنة» (على وزن وزنة) وتعنى الآنية الكبيرة المخصصة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۰

للطعام، وهذا التعبير يشير إلى أنّ المجلس المذكور كان مجلساً ضخماً وقد دعيت إليه جماعة من الأشراف وجيىء إلى المائدة بأنواع الأطعمة اللذيذة.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام:

«وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ ۲۲۲] مَجْفُوٌّ[۲۲۳]،

وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ».

هنا نرى أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد أنّ العيب الكبير فى هذه المأدبة أنّها منحصرة بالأغنياء فقط، فلو أنّ تلك الأطعمة المتنوعة واللذيذة كانت تشمل الجياع والمحرومين ليأكلوا منها فليست فى ذلك مشكلة كبيرة، ومن هذه الجهة فإنّ هذه المائدة كانت مليئة بشتى أنواع الأطعمة اللذيذة والمأكولات المتنوعة، ومن جهة أخرى أنّ الأثرياء فقط هم المدعون لهذه المائدة دون المحرومين، ولو أضفنا إلى ذلك دعوة عثمان بن حنيف إلى هذه المائدة فسيتضاعف الإشكال.

ونستوحى من سياق هذه الرسالة أنّ الإمام عليه السلام يطرح إشكالًا رابعاً فى دعوة واليه إليها ويتمثّل فى وجود أموال مشتبه فى هذه المأدبة، لأنّ الإمام عليه السلام يضيف إلى ذلك قوله:

«فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ ۲۲۴] مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ ۲۲۵]،

وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ».

والنقطة الملفتة للنظر، أنّ الإمام عليه السلام كان يهتم بمراقبة عمّاله وولاته بشكل دقيق وينظر إلى حركاتهم وسلوكياتهم، لئلا ينحرف الوالى أدنى انحراف وأن لا توجد فيه أيّة نقطة ضعف حتى المشاركة فى ضيافة غير مناسبة له، بحيث إنّ الإمام عليه السلام يرسل له رسالة مطولة وزاخرة بالنصائح المختلفة ويحذّره من مغبة مثل هذه السلوكيات الخاطئة، وربّما لانجد فى‌العالم أجمع مثل هذا التوجيه الدقيق والضبط فى إدارة الأمور.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۱

ومن بين كتب الإمام عليه السلام ورسائله إلى عمّاله ربّما نجد الكثير من مثل هذه الرسالة، وكلّها تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان فى غاية التدبير ومنتهى الدقّة فى أمر إدارة الحكومة.

والملاحظة الأخرى أنّ الإمام عليه السلام يرى فى هذه الرسالة أنّ الولاة والمسؤولين فى الحكومة الإسلاميّة ينبغى أن يقفوا إلى جانب الناس وجمهور المستضعفين والمحرومين وأن لا يعتنوا أبداً بالطبقة المترفة الذين تزداد توقعاتهم وتقل معونتهم، والتجارب تؤكد على أنّ المحرومين المستضعفين هم أوّل المدافعين عن الدين والبلاد الإسلاميّة فى مواقع الخطر والظروف الصعبة.

تأمّل

من هو عثمان بن حنيف؟

جاء فى كتاب «الأعلام للزركلى»: «عثمان بن حنيف بن وهب الأنصارى الأوسى، أبوعمرو! من أصحاب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله شهد احداً، وما بعدها، وبسبب ورعه ونزاهته ولاه الخليفة الثانى على السواد مسؤولًا على الأراضى الخراجيّة فى العراق، ثمّ ولاه على البصرة، ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعلى) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على على، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به على عائشة فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعلى وحضر معه الواقعة ومعركة الجمل، ثمّ سكن الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية»[۲۲۶]، وقال البعض الآخر: توفى فى زمن خلافة معاوية فى المدينة.

واللافت أنّ ابن عبدالبر ذكر فى كتابه «الاستيعاب» أنّه عندما فتح المسلمون العراق، تشاور الخليفة الثانى مع أصحابه فيمن يرسله إلى العراق ليكون والياً عليه، فاتفق الجميع على اختيار عثمان بن حنيف وقالوا: إنّه يستطيع إدارة ما هو أكبر من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۲

ذلك، لأنّه يملك من البصيرة والعقل والمعرفة والتجربة الكثير[۲۲۷].

وجاء فى كتاب «مستدركات علم رجال الحديث» أنّ عثمان بن حنيف وأخاه سهل بن حنيف كانا من جملة اثنى عشر نفر الذين اعترضوا على أبى بكر وانتقدوا أعماله، ثمّ يضيف: إنّ عثمان وأخاه سهل كانا من شرطة الخميس فى عهد الإمام على عليه السلام وهم الذين ضمن الإمام على لهم الجنّة[۲۲۸].

وجاء فى اسد الغابة: أنّ عثمان بن حنيف قال: إنّ رجلًا ضرير البصر أتى النّبى صلى الله عليه و آله، فقال: ادع اللّه أن يعافينى، فقال صلى الله عليه و آله: إن شئت دعوة وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: ادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء:

«اللّهُمّ إنى أسئَلُكَ وَأتَوَجّهُ إلَيكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ نَبِىِّ الرَّحمَةِ يا مُحَمَّد إنَّى تَوَجَّهتُ بِكَ إلى رَبِّى فِى حاجَتِى هَذهِ لِتَقضِىَ لِى اللّهُمّ فَشفَعهِ فِىَّ»[۲۲۹].

ونختم هذا المقطع بكلام للإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (طبقاً لما ورد فى رجال المامقانى): «وعدّه مولانا الإمام الرضا عليه السلام من الباقين على منهج نبيّهم صلى الله عليه و آله من غير تغيير ولا تبديل»[۲۳۰].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۳

القسم الثانى

اشارة

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِى بِهِ وَيَسْتَضِىءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَاتَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِى بِوَرَع وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَ اللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِى ثَوْبِى طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، وَلَهِىَ فِى عَيْنِى أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ.

الشرح والتفسير: لم أدّخر من الدنيا شيئاً لنفسى

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه لعثمان بن حنيف وأمثاله فى هذا المقطع من الرسالة ويشير إلى عدّة نقاط مهمّة لإيقاظ عناصر الخير والإيمان فى وجدان عامله، يقول بداية:

«أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِى بِهِ وَيَسْتَضِىءُ بِنُورِ عِلْمِهِ».

وهذه إشارة إلى أنّ الإنسان فى مسيرة حياته المعقدة وسلوكه المادى والمعنوى لايستطيع أنيتحرك لوحده ومن دون إرشادوإقتداء بقدوة صالحة، فالإنسان إمّا أنيكون فى ذاته يملك جميع الملاكات واللياقات اللازمة ليكون إماماً للناس أو أن يقتدى بمن تتوفر فيه هذه الملكات والقابليات اللائقة، وإلّا فإنّه سيسير فى متاهات الضلالة والحيرة.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ۲۳۱]، وَمِنْ طُعْمِهِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۴

بِقُرْصَيْهِ ۲۳۲]».

المشهور أنّ هذين الثوبين كانا من الكرباس والقرصين من خبز الشعير، وهما يشكلان طعام الإمام عليه السلام اليومى، وقرص واحد لوجبة الظهر والآخر للعشاء، وهذا فى الحقيقة اقتداء برسول اللّه صلى الله عليه و آله الذى يقتدى به الإمام على عليه السلام، كما فى ورد فى الحديث الشريف:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّه مَا اتَّخَذَ قَمِيصَين وَلَا إِزَارَيْن وَلَا زَوْجَيْنِ مِنَ النِّعَالِ»[۲۳۳].

خلافاً لأهل الدنيا والمترفين من الناس، الذين يملكون أحياناً عشرات الأنواع من الألبسة والأحذية، بل إنّ بعضهم لا يلبسون لباساً فاخراً لأكثر من مرّة أو بعض المرات ثمّ يتركوه جانباً، وأحياناً نراهم ينقلون من صناديق والحقائب المليئة بالملابس من مكان لآخر عند انتقالهم من منازلهم، وأمّا موائدهم الملونة فحدّث عنها ولا حرج.

وبما أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم أنّ من النادر أن يستطيع أى إنسان أن يعيش مثل هذه الحياة الصعبة ويرضى بشظف العيش وخاصّة فيما لو كان من كبار المسؤولين وأصحاب المناصب الذين يملكون الإمكانات الكثيرة فإنّه يتعرض لهذه النقطة بالذات ويقول:

«أَلَا وَإِنَّكُمْ لَاتَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِى بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ».

وهذه إشارة إلى أنّه لا يتوجب عليكم أن تعيشوا مثل هذه الحياة الصعبة وحالات الزهد الشديد، ولكن لا ينبغى أن تغفلوا عن أربع نقاط، وبذلك تعينوننى فى أمر الحكومة وإدارة هذه البلاد الإسلاميّة الواسعة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۵

الاولى: التوصية بالورع، وتعنى فى الحقيقة حالة التقوى فى حدودها العالية، ثمّ التوصية ب «الاجتهاد» يعنى بذل الجهد والسعى فى طريق حفظ العدل وحماية المحرومين، والثالثة: «العفة» بمعنى حفظ النفس فى مقابل الشهوات والنوازع المختلفة، والرابعة: «السداد» يعنى انتخاب الطريق الصحيح والمستقيم فى اجتناب فى الطرق المختلفة التى تقود الإنسان إلى المتاهة والضلالة.

ومعلوم أنّ المسؤولين فى البلاد الإسلاميّة لو التزموا بهذه الأمور الأربعة وتحركوا فى سلوكهم الفردى والاجتماعى بمستويات الطبقة الوسطى من الناس لا أكثر، فإنّ كلّ شىء سيكون فى محله وستنحل الكثير من العقد المستعصية فى أمر الحكومة ويعيش عامّة الناس حالات الرضا عن هؤلاء المسؤولين.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة لتكون عبرة لجميع الولاة والعمّال فى حكومته، ويقول:

«فَوَاللَّهِ مَاكَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً[۲۳۴]، وَلَاادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً[۲۳۵]، وَلَا أَعْدَدْتُ

لِبَالِى ثَوْبِى طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ».

وهذه إشارة إلى أنّنى لست كبعض أهل الدنيا الذين يدّخرون من زخارف الدنيا ومتاعها ويتظاهرون بالزهد والتقوى فإنّ ظاهرى وباطنى واحد، فأنا لا أملك من المال والثروة لاظاهراً ولاباطناً، ولست من المرائين والمتظاهرين بالزهد وترك الدنيا.

والملفت أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة يحدد الإمكانات المادية للدنيا فى أربعة أشياء: أحدها، الذهب والفضة حيث يجمع الناس الدينار والدرهم ويدّخرونها ويفرحون لكمية ما يدّخرون، والآخر، الأموال المتنوعة التى تعدّ رأس المال لهم من قبيل الخيول والإبل ووسائل المعيشة والدور والفرش والأثاث وما إلى ذلك، الثالث: الملابس الفاخرة والمتنوعة، والرابع: الأراضى الزراعية والبيوت

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۶

والقصور، يقول الإمام عليه السلام: إننى لم أتوجه فى حياتى إلى أىّ من هذه الأمور الأربعة (فى حين أنّ بإمكانى ذلك).

والعبارة الأخيرة فى هـذه الرسالة تعكس غاية التواضع والزهد لدى الإمام عليه السـلام، بأن يلفت نظر مخاطبه أو مخاطبيه لهذه المسألة المهمّـة، وهى أن لا يتلوثوا بالحياة المترفة لطبقـة الأشـراف بل يعيشون حالة المواساة للمحرومين والمعوزين وينخرطون فى معيشـتهم وحياتهم مع هذه الطبقة المحرومة من المجتمع.

«أَتَانٍ دَبِرَةٍ»

، تطلق على الـدواب التى جرح ظهرهـا من كثرة الأحمـال والعمـل الشـاق، ولهـذا السـبب لاـ تأكـل كما ينبغى وتفتقـد شـهيتها للطعام (والجـدير بالـذكر أنّ بعض نسـخ نهـج البلاغـة لم ترد فيها هـذه الجملـة والجملـة التى بعدها ولم يذكرها الشـرّاح فى شـروحهم لنهج البلاغة).

وفى ختام هـذا المقطع من الرسالـة يتحـدّث الإمام عليه السـلام عن عـدم اهتمامه بالـدنيا وأنّها فى نظره ليست ذات قيمة إطلاقاً ويقول بمضمون عميق:

«وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ[۲۳۶] مَقِرَةٍ[۲۳۷]».

وتوضـيح ذلك أنّ لشـجرة البلوط أنواع وأقسام، إحداها أنّها تثمر ثمرة مُرّة ومضافاً إلى مرورتها فإنّها قاسـية وصـلبة، وبسـبب قساوتها يستخدمها الدباغون فى دباغة الجلود.

وبديهى أن تناول مثل هذه الثمرة المرّة والقاسـية غير مسـتساغ أبداً ومن يضـعها فى فمه يضطر للفظها فوراً، وهذا التشبيه يعدّ من أقوى وأبلغ تشبيهات نهـج البلاغـة عن حال الـدنيا، حيث إنّ الإمام عليه السـلام جسـد باطن وحقيقة الدنيا فى قالب هذا المثال، وتأتى لاحقاً مثل هذه العبارات فى نهج البلاغة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۷

القسم الثالث

اشارة

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ. وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ؛ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ. وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ. وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ- وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ- أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍوَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!.

الشرح والتفسير: كيف أكون أميرالمؤمنين ولا اشاركهم فى مكاره الدهر؟

اشارة

ومع الالتفات إلى ما تقدم بيانه من قول الإمام آنفاً:

«وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً»

يستعرض الإمام فى هذا المقطع مسألة «فدك» المؤلمة بوصفها استثناء لما ذكره قبل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۸

قليل، وكذلك لغرض التأكيد على عدم اعتنائه للدنيا من جهة، ومن جهة أخرى إشارة إلى أشكال الظلم والجور التى تعرض لها الإمام من قِبل مناوئيه:

«بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ ۲۳۸] عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ ۲۳۹] عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ».

ونعلم أنّ «فدك» تقع على مقربة من قلاع خيبر، حيث جاء أهالى المنطقة بعد فتح خيبر وصالحوا النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله على نصف قرية فدك بدون أن قتال، فأعطى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بساتين فدك فى حياته إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وبما أنّ محصول فدك ربّما يساعد أميرالمؤمنين عليه السلام فى أمر الخلافة، قام المنافسون بعد رحلة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بأخذها بسرعة من يد فاطمة الزهراء عليها السلام وطردوا عمّالها على تلك البساتين ولم يعيدوها لها أبداً، وهو ما سيأتى شرحه فى ختام هذه الرسالة إن شاء اللّه.

والمراد من جملة جمله

«كَانَتْ فِي أَيْدِينَا ...»

هى مدّة أربع سنوات منذ فتح خيبر إلى رحلة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

وجملة

«فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ...»

إشارة إلى الغاصبين لمقام الحكومة والخلافة حيث دخلوا بفدك وتمسكوا بها خوفاً من وقوعها بيد بنى هاشم، ممّا يعرّض حكومتهم للاهتزاز والضعف.

وجملة

«وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ ...»

إشارة إلى بنى هاشم فعندما رأوا مناوئيهم مصرين على غصب فدك لم يستمروا بمطالبتهم لفدك وتركوها لهم، وبذلك أظهروا عدم اهتمام واعتنائهم بهذا الأمر.

وجملة

«نِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ»

، جملة عميقة المعنى وإشارة إلى الحوادث المؤلمة التى وقعت بعد تداعيات فدك، فهنا يفوّض الإمام عليه السلام أمر الحكم فى هذه المسألة إلى اللّه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۴۹

يوم القيامة، واللافت أنّه لم ينقل عن الإمام عليه السلام أنّه استعاد فدك فى أيّام حكومته وخلافته حيث كان بإمكانه ذلك.

ومن أجل أن لا يتصور أحد أنّ الإمام عليه السلام يرغب فى تملك فدك فى نفسه، يتابع الإمام القول:

«وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ. وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا[۲۴۰] فِي غَدٍ جَدَثٌ ۲۴۱] تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا».

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام فى هذا الحديث بتوضيح أكثر ويتحدّث عن القبر ونهاية حياة الإنسان ويقول:

«وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا[۲۴۲]

الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ[۲۴۳]، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ».

وهذه إشارة إلى أنّ القبر عادة يكون حفرة صغيرة لا تتسع لأكثر من جسد الإنسان، بل أحياناً يتمّ إدخال الميت إلى هذه الحفرة بصعوبة بالغة، وعلى فرض أنّ الحافر للقبر عمل على توسيع حفرة القبر بنفسه أو بطلب من الورثة، فمع ذلك لا ينفع الميت شيئاً، لأنّه لابدّ من ملء ثغرات الحفرة بالحجر والطين وتغطية جميع نوافذه وثغراته بشكل كامل، فالإنسان الذى يعيش مثل هذا المصير كيف يرتبط قلبه بمال الدنيا وبساتينها وزينتها وقصورها؟

وما ورد فى الروايات أنّ المرء إذا شعر بالحزن والغم فعليه بزيارة أهل القبور للتخفيف عن غمّه وحزنه، فربّما يكون ناظراً إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الغم عادة ما يكون بسبب المال والمقام والدنيوى، وعندما يصل الإنسان إلى آخر منزل فى حياته ويرى مصيره فى نهاية هذه الحياة وأنّه سيودع يوماً جميع ما يملكه من أموال ومقام وجاه، ويكتفى بعدّة قطع من الكفن يأخذها معه إلى القبر فذلك من شأنه أن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۰

يزيح من قلبه هذا الغم والغصة.

وينقل المرحوم المحقّق التسترى قصّة فى هذا المجال عن المرحوم السيّد نعمة اللّه الجزائرى، وربّما كان لهذه القصّة جانب التمثيل يقول: «أنّ رجلين تنازعا فى دار فانطق اللّه لبنة من جدار تلك الدار، فقالت: إنّى كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة، فلمّا صرت تراباً أخذنى خزّاف بعد ألف سنة فصيّرنى خزفة فبقيت ألف سنة، ثمّ أخذنى فصيّرنى لبنة، وأنا فى هذا الجدار منذ كذا وكذا، فَلِمَ تتنازعان فى هذه الدار؟»[۲۴۴].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن درساً نافعاً لكلّ سالك إلى اللّه تعالى ويتحرك فى طريق الصلاح والنجاة يوم المعاد ويقول:

«وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ ۲۴۵]».

الرياضة فى حقيقتها تطويع النفس وتدجينها وأحياناً تستخدم هذه الكلمة فى مورد الحيوانات الجموحة، وأخرى فى مورد النفس المعاندة وغير السلسلة القيادة، واليوم تستعمل هذه الكلمة بمعنى الرياضة البدنيّة، واللافت أنّ الإمام عليه السلام مع مقامه السامى والعظيم فى أمر تصفية النفس وتنقية الروح والسلوك فى مدارج الكمال المعنوى والسير إلى اللّه تعالى والوصول إلى مقام لا يرى فيه سوى اللّه تعالى ومع ذلك يقول:

«هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا ...»

، ويشير فى ذلك إلى نقطتين: الاولى: أنّ الإنسان مهما سعى لرياضة نفسه والحركة فى عمليّة بناء الذات، فإنّه لا ينبغى أن يطمئن إلى هذه الحيّة الرقطاء النائمة وعليه أن يعيش الحذر الدائم من خطرها ويقظتها.

والاخرى: أنّ الإمام عليه السلام عندما يتحدّث بمثل هذا الكلام مع كونه قد حاز تلك المقامات والمراتب الجليلة فى الكمال المعنوى، فينبغى على الآخرين أن يحسبوا حسابهم ولا يغفلوا من أخطار النفس الشريرة والأمارة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۱

ومن اللازم الإشارة إلى هذه النقطة أيضاً، وهى أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد أنّ الغاية من رياضة النفس بآلية التقوى هى تحصيل الأمن يوم القيامة ويوم الخوف الأكبر والنجاة من المنزلقات التى تقود الإنسان إلى وادى جهنّم، وهذا يعنى أنّ تحصيل حالة الأمن هذه لا تتيسر إلّامن خلال رياضة النفس وتطويعها على أمور الخير والطاعة والعبودية، وقد ورد فى الروايات الإسلاميّة أنّ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، أى أنّه أشدّ وأعظم من جهاد الأعداء فى ساحات القتال والحرب.

وهذا الكلام فى الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم حيث يقول: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»[۲۴۶].

وعبارة «مزلق» يمكن أن تكون إشارة إلى جسر الصراط، لأنّ المستفاد من الآيات والروايات الشريفة أنّ الصراط عبارة عن جسر ممتد على نار جهنّم أنّ عبوره بسلام صعب جدّاً حيث ينزلق منه المنحرفون وأهل الضلالة ويسقطون فى جهنّم.

يقول القرآن الكريم: «وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيًّا* ثُمَّ نُنَجِّى الَّذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِمينَ فيها جِثِيًّا»[۲۴۷].

وبما أنّ رياضة النفس على نحوين: فتارة، يروض الإنسان نفسه لعدم وجود أدوات تحصيل الحياة الدنيويّة وافتقاده لوسائل المعيشة المرفهة، وأحياناً أخرى يروض الإنسان نفسه بدفاع من الإيمان والإرادة والعزم على تهذيب النفس فى عين قدرته على نيل جميع المواهب المادية والدنيويّة، ولذلك يتابع الإمام عليه السلام قوله فى هذا الشأن لئلا يتصور أحد أنّ الإمام يروض نفسه على الشاكلة الاولى يقول:

«وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ۲۴۸]، وَنَسَائِجِ ۲۴۹] هَذَا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۲

الْقَزِّ[۲۵۰]. وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِى هَوَاىَ، وَيَقُودَنِى جَشَعِى ۲۵۱] إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ- وَلَعَلَ

بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَاطَمَعَ لَهُ فِى الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ-».

وكما أشرنا آنفاً، فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع يشير إلى الوظيفة الثقيلة للولاة والمسؤولين فى البلاد الإسلاميّة وأنّهم لا ينبغى أن يطمعوا فى الأطعمة اللذيذة والملابس الفاخرة ويتحركوا على مستوى التكالب على حطام الدنيا فى حين أنّهم يحتملون أو يعلمون بوجود أشخاص جياع وعرات فى شتى أصقاع البلاد الإسلاميّة.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الأبعاد العاطفيّة، وهذا فى الحقيقة يمثّل بُعداً ثالثاً لهذه الموضوع، ويقول:

«أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً[۲۵۲] وَحَوْلِى بُطُونٌ غَرْثَى ۲۵۳]، وَأَكْبَادٌ حَرَّى ۲۵۴]، أَوْ أَكُونَ

كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[۲۵۵]

وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُ ۲۵۶] إِلَى الْقِدِّ![۲۵۷]»

جملة

«وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ!»

فسّرها غالبية شرّاح نهج البلاغة كما أوردناها آنفاً، وقالوا: إنّ الناس فى سنوات القحط والمجاعة يصل بهم لأمر من الجوع أحياناً أن يأكلوا الجلود غير المدبوغة للحيوانات، وهذه الجملة إشارة إلى هذا المعنى، وذهب بعضهم إلى أنّ المراد من

«تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ!»

إشارة إلى المثل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۳

المعروف حيث يقال: إنّ الشخص الفلانى التصق جلد بطنه بظهره من الجوع، («القد» يعنى الجلد، و «تحن» الميل والانحناء)، وذهب آخرون إلى أنّ كلمة «القد» يعنى القطع من اللحم التى يضعها العرب سابقاً أمام الشمس لتجف ويدّخرونها إلى أيّام القحط والحاجة، ويبدوا أنّ التفسير الأوّل أنسب.

وعلى أيّة حال، فربّما تكون جميع هذه المعانى والتفاسير واقعية أو تكون للمبالغة.

يقول الشاعر:

نَظَرتُ إِلى الدُّنيا بِعَينٍ مَرِيضَةٍوَفكرةُ مَغرورٍ وَتَدبِيرُ جاهِلٍ

فَقُلتُ هِی الدُّنیا الَّتی لَیسَ مِثلُهاوَنافَستُ مِنها فِی غِرورٍ بَاطِلٍ
وَضیّعتُ أَحقاباً أمامِی طَویلَةٌبَلذَّاتِ أَیّامٍ قِصارِ قَلائِلٍ ۲۵۸]

ثمّ یتابع الإمام علیه السلام کلامه عن ترویضه لنفسه وزهده ویبیّن ذلک بتوضیح أکثر ویقول:
«أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِی بِأَنْ یُقَالَ: هَذَا أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ، وَلَا أُشَارِکُهُمْ فِی مَکَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَکُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِی جُشُوبَةِ[۲۵۹] الْعَیْشِ!».
هنا یذکر الإمام علیه السلام للمعیشة البسیطة ثلاث حِکم ویشیر إلیها بشکل إجمالی:
الاولی: أنّ المؤمن ینبغی أن یضع یوم القیامة والحساب والکتاب والحشر نصب عینه وبالتالی یعیش الزهد فی هذه الحیاة.
والأخری أنّ مسؤولیّة قیادة الامّة واستلام مقالید الأمور وخاصّة فی حالات العسر والشدّة التی یعیشها الناس من الناحیة المادیة، توجب علی الإمام علیه السلام أن یختار التقشف فی الحیاة لمواساة الناس وذلک لغرض تقویة الجانب المعنوی والروحی لهؤلاء المحرومین الذین یقولون: إذا کان لباسنا مثلًا من کرباس یشبه لباس مولانا وإمامنا، وإذا کان طعامنا بسیط جدّاً ویتکون من ماء وخبز الشعیر فإنّ هذا الطعام یشبه طعام مولانا وإمامنا، فذلک یتسبب فی تسکین خاطرهم ویدفعهم إلی الاطمئنان بأنّ قائدهم وإمامهم یعیش همومهم ویفکر فی حلّ مشکلاتهم.
نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۵۴
الثالثة: مع غض النظر عن المسائل المتعلقة بیوم القیامة والمسؤولیّة الإلهیّة الملقاة علی الأئمّة والزعماء فی الامّة الإسلامیّة فإنّ المسائل العاطفیّة والقیم الأخلاقیّة لا- تبیح للإنسان أن یجلس علی مائدة زاخرة بألوان الطعام والشراب فی حین أنّ جیرانه یعیشون الجوع والحرمان وأحیاناً یبیتون ولیس عندهم خبز للعشاء.
وهنا ربّما یثار هذا السؤال، لماذا لا نری مثل هذا المنهج للإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام لدی بعض الأئمّة الآخرین فی العصور اللاحقة، وما هو السر فی هذا الاختلاف؟
وسیأتی بعد قلیل جواب هذا السؤال إن شاء اللَّه تعالی.

تأمّل

قصّة فدک المحزنة

«فدک» اسم لقریة تقع شرق خیبر تقریباً وتفصلها عن خیبر أقل من ثمانیة فراسخ، ومع المدینة أکثر من عشرین فرسخاً، وکانت فدک فی زمن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله عامرة وتتضمّن عیوناً زاخرة بالمیاه وبساتین النخل ومزارع وقلعة، وتعدّ فدک أحد المنازل التی ینزل فیها المسافرون القادمون من الشام إلی المدینة، وهذا الأمر أدی إلی إزدهارها من الناحیة الاقتصادیّة.
یقول الطبری فی‌تاریخه: خرج علی بن أبی طالب علیه السلام فی مائة رجل إلی فدک إلی حی من بنی سعد بن بکر، وذلک أنّه بلغ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّ لهم جمعاً یریدون أن یمدّوا یهود خیبر فسارهم إلی اللیل وکمن النهار وأصاب عیناً، فأقرّ لهم أنّه یبعث إلیهم خیبر یعرض علیهم نصرهم علی أن یجعلوا ثمر خیبر.
فلمّا سمع بهم أهل فدک قد صنعوا ما صنعوا- شعروا بتقصیرهم فی هذه الواقعة وخافوا من عاقبة أمرهم- بعثوا إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یسألونه أن یسیرهم بحقن دمائهم لهم ویبذلوا الأموال، ففعل وکان بینهم وبین رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی ذلک مُحیّصة بن سعود
نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۵۵

أخو بنى حارثة، فلمّا نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول اللّه أن يعاملهم بالأموال على النصف، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله على النصف وأننا إذا شئنا أن نخرجكم اخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله لأنّهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب ۲۶۰].

وجاء فى شواهد التنزيل للحسكانى عن ابن عباس أنّه قال: عندما نزلت الآية «وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ»[۲۶۱] أعطى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فدكاً لفاطمة عليها السلام ۲۶۲].

وينقل الشوكانى فى تفسيره ما يقارب هذا المعنى ۲۶۳].

وبعد هذه الحادثة صارت فدك بيد عمّال الزهراء عليها السلام، ومن هذا المنطلق ومن جهة أنّ فدكاً هبّة من النّبى لفاطمة، كانت فاطمة عليها السلام قد استلمت فدكاً، ومن هنا يقول الإمام عليه السلام:

«بَلَى كَانَتْ فِى أَيْدِينَا فَدَكٌ»

، وهو شاهد على ما أسلفنا، كما أنّ جملة «إنّ أبابكر انتزع من فاطمة فدكاً» المذكورة فى «تاريخ المدينة المنورة[۲۶۴]» شاهد آخر على هذا المدعى.

والعجيب أنّ الخليفة الأوّل بعد رحلة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله استولى على فدك بدون أيّة مقدمات وأخرجها من يد فاطمة عليها السلام، وقد اعترض عليه أميرالمؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام بشدّة على هذا العمل، ولكن أبابكر أجاب: مَن يشهد لكما أنّ فدك لفاطمة؟

فأجاب الإمام على عليه السلام: ياأبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم اللّه فى المسلمين؟

قال: لا، قال عليه السلام: فإن كان فى يد المسلمين شىء يملكونه، ثمّ ادّعيت أنا فيه، من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۶

تسأل البيّنة، قال: إيّاك كنت أسأل البيّنة، قال: فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما فى يدها وقد ملكته فى حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادعوها شهوداً كما سألتنى فى ما ادّعيت عليهم، فسكت أبوبكر[۲۶۵].

وكان عمر بن الخطاب حاضراً فى المجلس ورأى سكوت أبى بكر وأنّ سكوته ربّما ينتهى بضررهما، فقال:

«يَا عَلِيُّ دَعْنَا مِنْ كَلَامِكَ، فَإِنَّا لَانَقْوَى عَلَى حُجَّتِكَ، فَإِنْ أَتَيْتَ بِشُهُودٍ عُدُولٍ، وَإِلَّا فَهُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَاحَقَّ لَكَ وَلَا لِفَاطِمَةَ فِيهِ»[۲۶۶].

وهذه الحادثة التاريخيّة فيها الكثير من التعقيدات والتفاصيل وجميع الشواهد تشير إلى أنّ الخليفة فى ذلك الوقت كان قد عزم على الاستيلاء على هذا المنبع الاقتصادى وغضبها من أهل البيت عليهم السلام لئلا يكون سبباً لتقوية موقفهم واقتدارهم، وقد ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لَمَّا وُلِّيَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ قَالَ لَهُ عُمَرُ إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ هَذِهِ الدُّنْيَا لَايُرِيدُونَ غَيْرَهَا، فَامْنَعْ عَنْ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْخُمُسَ، وَالْفَيْءَ، وَفَدَكاً، فَإِنَّ شِيعَتَهُ إِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ تَرَكُوا عَلِيّاً وَأَقْبَلُوا إِلَيْكَ»[۲۶۷].

وعلى أيّة حال فإنّ مركز الخلافة فى ذلك الوقت أخذ فدكاً من فاطمة الزهراء عليها السلام لمجرّد عدم الدليل على مالكية الزهراء لفدك، ولو كان هناك دليل فينحصر فى ميراثها من النّبى صلى الله عليه و آله فى حين أنّ النّبى قال:

«نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُوَرِّثُ وَمَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»

وهكذا تمّ انتزاع فدك من فاطمة عليها السلام.

فى حين أنّ هذا الحديث وبهذه الصورة موضوع بلا شك والصحيح هو ما ورد فى أحاديث أهل السنّة وأهل البيت عليهم السلام:

«أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ اخَذَ بِحَظٍّ»[۲۶۸]

وهو كناية عن أنّ الأموال التى تركها الأنبياء لذويهم لا تعتبر ذات قيمة بالنسبة لميراثهم العلمى.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۷

ومهما يكن من أمر فإنّ المخالفين ومن أجل الحيلولة دون حصول أهل البيت عليهم السلام على الإمكانات الماليّة، صادروا فدكاً، تارة بذريعة حديث موضوع، وأخرى أنّ فاطمة عليها السلام لا تملك البيّنه الكافية لإثبات ملكيتها على فدك، هذا فى حين أنّهم لم يمنعوا نساء النّبى صلى الله عليه و آله من نصيبهنّ من الميراث ممّا تركه النّبى، وقد ورد فى حديث معروف فى صحيح البخارى وغيره: «إنّ فاطمة ابنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن تقسم لها ميراثها ما ترك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيما أفاء اللَّه عليه، فقال أبوبكر: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت»[۲۶۹]، رغم أنّهم كانوا قد سمعوا من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قوله:

«فَاطَمُةُ بِضَعَةٌ مِنّى فَمَنْ أَغضَبَها أَغضَبَنِى»[۲۷۰].

وفى حديث آخر عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ وَيَرضَى لِرِضاكِ»[۲۷۱].

وأمّا مصير فدك فى زمان حكومة الإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام فكما ورد فى نص هذه الرسالة مورد البحث أنّ الإمام على عليه السلام فى أيّام خلافته قد أغمض عينه عن فدك ولم يتحرك بصدد استعادتها من غاصبها، وبديهى أنّ هذا العمل لم يكن عن رضا قلبى بل بسبب زهد الإمام عليه السلام فى الدنيا وإعراضه عمّا كان الأعداء يصرون عليه من امتلاكهم لفدك، وجملة

«نِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ»

الواردة فى نصر الرسالة تدل بوضوح على هذا المعنى.

وقد جاء فى التواريخ أنّ عثمان بن عفان فى زمن خلافته أعطى فدكاً لمروان بن الحكم، وذهب بعضهم إلى أنّها بقيت بيد أبناء مروان إلى زمان عمر بن عبدالعزيز الأموى الذى كان ينهج منهجاً ملائماً نسبياً مع أهل بيت النبوّة عليهم السلام، وقد أمر واليه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۸

على المدينة «عمر بن حزم» أن يعيد فدكاً لأبناء فاطمة عليها السلام فكتب إليه والى المدينة فى جوابه، إنّ أبناء فاطمة كثر وقد تزوجوا مع طوائف كثيرة فأيّاً منهم اعطى فدكاً؟

فغضب عمر بن عبدالعزير وكتب إليه كتاباً شديداً بهذه المضمون: عندما أمرك بأمر، مثلًا أن تذبح شاة، فتقول فى جوابى، هل هذه الشاة قرناء أم غير قرناء، وإن أمرتك أن تذبح بقرة فستسأل منّى ما لونها؟ (أى أنّك تتذرع بحجج بنى اسرائيل) وعندما يصل إليك كتابى هذا فادفع فدكاً لأولاد فاطمة من على ۲۷۲].

ولكن لم تمض مدّة حتى جاء يزيد بن عبدالملك الأموى للخلافة وغصب فدكاً مرّة أخرى، وعندما انقرض بنو اميّة استولى بنو العباس على سدّة الحكم، أمر الخليفة العباسى أبوالعباس السفاح، إعادة فدك إلى عبداللَّه بن الحسن بن على بوصفه وكيلًا عن بنى فاطمة، ولكنّ أباجعفر المنصور الذى جاء بعده أخذ فدكاً من بنى الحسن، وقام المهدى العباسى باعادتها إليهم، ولكن موسى الهادى الخليفة العباسى قام بغصبها مرّة أخرى، واستمر الأمر على هذا المنوال إلى زمن هارون الرشيد[۲۷۳].

يقول الحائرى القزوينى صاحب كتاب «فدك»: إنّ المأمون العباسى واستناداً لرواية أبى سعيد الخدرى بأنّ النّبى قد وهب فدكاً لفاطمة عليها السلام، أمر باعادة فدك لأبناء فاطمة ولكن المتوكل العباسى الذى جاء بعده وبسبب ما يحمله من حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام عاد وأخذ فدكاً منهم ۲۷۴].

وعلى ضوء ذلك تبدلت مسألة فدك إلى قضية سياسية وكل من جاء على سدّة الحكم كان يتخذ موقفاً منها وفق خلفياته

السياسيّة[۲۷۵].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

القسم الرابع

اشارة

فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا؛ أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ». أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً وَأَبْطَأُ خُمُوداً.

وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

الشرح والتفسير: لست كالبهيمة المربوطة!

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى أربع نقاط مهمّة، الاولى: أنّه يشير إلى هدفه من الزهد الشديد والتقشف الشامل ويقول:

«فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ[۲۷۶]، هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا[۲۷۷]، تَكْتَرِشُ ۲۷۸]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا».

والحقّ أنّ بعض الناس فى هذا العالم يعيشون كما تعيش الدواب والحيوانات، فجماعة تعيش الترف والثراء ولا تشعر بحياة الفضيلة فأقصى همهم فى الحياة هو الطعام الكثير واللذيذ، وبعضهم من الطبقة الفقيرة ولكنّهم يتحركون فى طلب الدنيا ويبحثون عن الملذات الرخيصة فهم كالحيوانات المرسلة فى المرتع تبحث عن العلف، ومن المعلوم أنّ كلا هاتين الطائفتين مذمومتين رغم أنّ أحدهما أشنع من الأخرى والعجب أنّ كلا هاتين الطائفتين من الحيوانات لا تعلم بمصيرها وأنّها سوف ترسل غداً إلى المذبح ويستفاد من لحومها أو يستفاد من ظهورها للحمل والركوب، أو تصطاد من قِبل الحيوانات المفترسة.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى النقطة الثانية:

«أَوْ أُتْرَكَ سُدًى ۲۷۹] أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ

الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ ۲۸۰] طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ![۲۸۱]».

فى هذا المقطع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عمّا يتصل بالغرض من خلق الإنسان وينفى عنه خمسة أمور: الأوّل: أن يكون حال الإنسان حال سائر الحيوانات السائبة أو المعلوفة التى همها علفها.

والآخر: أن لا يكون هناك أى غرض من خلقه ويترك لحاله.

والثالث: أن يكون الغرض من خلقه اللعب واللهو.

والرابع: أن يكون سبباً لإضلال الآخرين وإغوائهم.

والخامس: أن يتحرك الإنسان نفسه فى وداى الحيرة والضلالة، وعندما تنتفى جميع هذه الأمور الخمسة، نستنتج أنّ الإنسان خلق لغاية سامية وهدف مهم وليس

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۱

ذلك سوى القرب من اللّه تعالى وتحصل الكمال الإنسانى والفضائل النفسانيّة، ومن المعلوم أنّ خلق هذا العالم وكل ما فيه من النعم والمواهب الإلهيّة لو لم تكن له غاية سوى ذلك فإنّ هذا الخلق سيكون عبثياً ومخالفاً للحكمة، ولكن اللّه حكيم ولا تنسجم هذه الأغراض الباطلة والأمور التافهة مع حكمته سبحانه.

إنّ كلام الإمام عليه السلام هذا مقتبس فى الحقيقة من آيات القرآن الكريم، وذلك فى قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى* أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى [۲۸۲].

وبديهى أنّ اللّه تعالى الذى خلق الخلق على مراحل عدّة وبكل هذه العجائب التى سخرها للإنسان فى مظاهر الطبيعة كانت له غاية سامية وهدف كبير.

ويقول تعالى فى مورد آخر: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنالاتُرْجَعُونَ»[۲۸۳].

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام النقطة الثالثة فيما يتصل بكلامه السابق وكأنّه فى مقابل الجواب عن إشكال مقدّر، حيث يقول:

«وَكَأَنِّى بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِى‌طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ[۲۸۴] الشُّجْعَانِ».

هذا المعنى الحاكم على الذهنية العامّة والذى يقرر وجود رابطة بين القوّة الجسمانيّة والأغذية الدسمة واللذيذة، يبعث على تصور أنّ الإنسان إذا اكتفى فى طعامه بخبز الشعير وأمثاله فإنّه سيكون ضعيفاً ولا يقوى على شىء ولا يستطيع الصمود طويلًا فى ميادين القتال والحرب.

هنا يتحرك الإمام عليه السلام من موقع الجواب عن هذا الإشكال ويضرب لذلك مثالين جميلين ويقول:

«أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ ۲۸۵] الْخَضِرَةَ أَرَقُّ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۲

جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ[۲۸۶] أَقْوَى وَقُوداً[۲۸۷] وَأَبْطَأُ خُمُوداً[۲۸۸]».

فالأشجار «التى تقوم على ساق» والنباتات «من قبيل الحشائش والأزهار» لو كانت فى الصحارى والبرارى الجافة فإنّها ستزداد قوّة وصموداً، فى حين أنّ الأشجار والنباتات التى تنمو على شواطىء الأنهار وتستقى من الماء بشكل دائم فإنّما ستكون ضعيفة ولا تقوى على الصمود، ومن هذه الجهة فالأشخاص الذين يعيشون الترف والنعم الوفيرة فإنّهم سيعيشون حالات الضعف وعدم القدرة على الصمود بوجه التحديات الصعبة، أمّا الأشخاص الذين يكبرون فى خضم المشكلات والأزمات فإنّهم يملكون من القوّة والاستقامة الشىء الكثير.

ومن هذه الجهة نرى أنّ الجيوش المعاصرة تفرض تمارين شاقّة على أفرادها وجنودها لرفع مقدرتهم القتاليّة ومستوى صمودهم فى الأجواء الصعبة، وإحدى الحِكم من صيام شهر رمضان المبارك أنّ روح الإنسان وجسمه يزدادن قوّة وقدرة على تحمل مشاكل الحياة وصعوباتها.

وطبعاً هذا لا يعنى أنّ الإنسان لا يتناول الطعام والغذاء بشكل كافٍ ويعيش معيشة المرتاضين الذين يكتفون من طعامهم بحبّة واحدة، بل المراد أنّ الإنسان لا ينبغى أن يعيش معيشة الترف ويهتم باللذيذ المتنوع من الأطعمة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام وتأييداً لكلامه السابق:

«وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ».

فقد كان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله يعيش عيش الزهد والبساطة، ولكنه مع ذلك كان فى غاية الشجاعة ولم يكن من هو أقرب

إلى العدو من النّبى فى ساحات الوغى، وفى معركة أحد التى فرّ فيها الآخرون صمد النّبى صلى الله عليه و آله، وأنا بدورى كنت تلميذاً لهذه المدرسة الإلهيّة وتابعاً لهذا النّبى العظيم صلى الله عليه و آله وذراعه اليمنى.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۳

كما ورد هذا المعنى فى الكلمات القصار فى نهج البلاغة حيث يقول عليه السلام:

«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»[۲۸۹].

والشاهد الناطق على هذا الكلام ما ورد فى آية المباهلة حيث جعلت من الإمام على عليه السلام نفس النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وكذلك الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله طبقاً لما نقله «الكنجى الشافعى»: أنّ أحد الصحابة سأل من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: فأيّهم (من الأصحاب) أحبّ إليك؟ فقال: على بن أبى طالب، فقال: لِمَ؟ فقال:

«لِأَنَّه خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ»

، وينقل فى هذا الكتاب عن المعجم عن الطبرانى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى وَخَلَقنى وَعَلِيّاً مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ»[۲۹۰].

أمّا قصّة إبلاغ سورة براءة عندما أرسل النّبى أبابكر لإبلاغها للمشركين فى مكّة فى موسم الحج، ثمّ استدعى النّبى أبابكر وأخذها منه وأعطاها للإمام على عليه السلام، فإنّها معروفة فى كتب التاريخ، فعندما عاد أبو بكر إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: بأبى أنت وامّى: هل نزل فىَّ شىء؟ (فما سبب أخذك سورة براءة منّى) فقال النّبى صلى الله عليه و آله: لا:

«وَلَكِن لَايُبَلِّغْ عَنِّى غَيرِى أَوْ رَجُلٌ مِنِّى»[۲۹۱].

وقد ورد هذا الحديث الشريف فى مسند أحمد بن حنبل بصورة أبلغ وأوضح فقد قال النّبى صلى الله عليه و آله لأبى بكر: إنّ جبرائيل جاءنى وقال:

«لَن يُؤَدِّىَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ»[۲۹۲].

عبارة

«كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ ...»

) إشارة إلى أنّ نور إيمانى وقوّتى وقدرتى كلّها مستمدة ومقتبسة من نور إيمان النّبى وقوّته وقدرته، والتعبير ب

«وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ»

إشارة إلى أنّ العضد كلّما كان قوياً ومحكماً فإنّ الذراع أيضاً ستكون قوية بدورها.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۴

ثمّ يتابع الإمام عليه السلام كلامه من موقع التأكيد على شجاعته:

«وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِى لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا».

ولم يسمع بمثل هذا الكلام من أى شخص قبل ذلك، ومعلوم أنّ الإمام على عليه السلام لا يتحدّث بذلك من موقع المبالغة بل إنّ ما يقوله هو عين الواقع، وقد أثبت هذه الحقيقة فى ميادين الجهاد والقتال ضد قوى الشرك والباطل، فمن معركة بدر إلى احد والخندق والغزوات الأخرى كان على بن أبى طالب عليه السلام هو الشخص الذى لم يدر ظهره للأعداء ولم يتردد أو يرتعب من كثرة الأعداء وتظافرهم عليه، إلى درجة أنّه لقّب بكونه

«كرّار غير فرّار»

. وقد ورد عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هذا التعبير فى قصّة فتح خيبر بعد أن توجه الآخرون لفتح قلاع خيبر ولم يفلحوا فى ذلك، فقال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَرَّارٌ غَيْرُ فَرَّارٍ لَايَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»[۲۹۳].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام وفى النقطة الرابعة والأخيرة من هذا المقطع من الرسالة يقول:

«وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ ۲۹۴]، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ[۲۹۵] مِنْ بَيْنِ حَبِ

الْحَصِيدِ[۲۹۶]».

وجملة

«أُطَهِّرَ الْأَرْضَ»

إشارة جلية إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ وجود أمثال معاوية على سطح الأرض من شأنه تلويثها، وما لم يتمّ إزالة هذا التلوث عن الإرض والحياة فإنّها لا تتطهر.

والتعبير ب

«الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ»

إشارة إلى أنّ أفكار معاوية مقلوبة، فهو يرى

الحق فى نظره باطل والباطل فى نظره حقّ.

وعبارة

«الْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ»

إشارة إلى أنّ معاوية ليس فقط أفكاره مقلوبة بل إنّ سلوكياته وظاهره البشرى يعيش الانتكاسة فى سلوكياته وأعماله.

وأمّا عبارة

«حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ»

فهى إشارة إلى أنّ الزراع عندما يحصدون زرعهم، فغالباً ما يختلط المحصول من الحبوب الجيدة مع بعض الأتربة والأحجار صغيرة، حيث يقوم الزراع بإخراج هذه الشوائب من بين الحبوب لينتفع بها الإنسان، وأنا بدورى ينبغى أن اطهر المسلمين وفضاء المجتمع الإسلامى من هذه الشخصيّات التافهة والزائدة لتخليص الإسلام والمسلمين منهم.

وربّما يطرح البعض هذا السؤال: هل أنّ هذا الكلام للإمام عليه السلام ينسجم ويتناسب مع اقتدائه بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى بعث رحمة للعالمين؟

وفى مقام الجواب نقول: نعم، فإنّ الرحمة تكون لازمة فى مواقعها والشدّة أو الغضب فى موقعه، فمن الخطأ استخدام الرحمة إذا كان المورد يستدعى الشدّة والحزم، ومن الخطأ أيضاً التعامل بآليات العنف والشدّة إذا كان الموقع يستدعى الرحمة والشفقة، وسيرة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً شاهدة على هذا المعنى، ففى معركة أُحد كان النّبى صلى الله عليه و آله يدعو لهؤلاء المخالفين ويقول:

«اللّهم إهدِ قَومِى فَإنّهُم لايَعلَمُونَ»

، ولكنّه فى قصّة نقض يهود بنى قريضة لعهودهم ومواثيقهم استخدم اسلوب الشدّة والعنف.

وفى الحقيقة أنّ الإمام على عليه السلام قد تعلم هذه الحقيقة الواضحة من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ»[۲۹۷]، ويقول فى مكان آخر: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ»[۲۹۸].

القسم الخامس

اشارة

وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ آخِرُهُ:
إِلَيْكِ عَنِّى يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِى مَدَاحِضِكِ. أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ، فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! وَاللَّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ فِى عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِىِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِى الْمَهَاوِى، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى الْتَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَاوِرْدَ وَلَا صَدَرَ! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَايُبَالِى إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ.
اعْزُبِى عَنِّى! فَوَ اللَّهِ لَاأَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِى، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِى.

الشرح والتفسير: أيّتها الدنيا ابتعدى عنّى!

اشارة

القسم الأخير من هذه الرسالة (حيث قسمناها إلى ثلاثة أقسام) هو ما يستهله السيّد الرضى رحمه الله بالقول:
«وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ آخِرُهُ».
فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة، ومن أجل أن لا يسقط مخاطبه عثمان بن حنيف وجميع مخاطبيه على إمتداد التاريخ البشرى، فى مصائد النوازع النفسانيّة والمقامات الدنيويّة أو يتورط فى اتّباع الملذات الرخيصة، يقول له الإمام عليه السلام بتعبير
نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۸
فى غاية الروعة والبلاغة والجمال الأدبى:
«إِلَيْكِ عَنِّى ۲۹۹] يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ ۳۰۰]
قَدِ انْسَلَلْتُ ۳۰۱] مِنْ مَخَالِبِكِ ۳۰۲]، وَأَفْلَتُّ ۳۰۳] مِنْ حَبَائِلِكِ ۳۰۴]، وَ اجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِى مَدَاحِضِكِ ۳۰۵]».
ونرى أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارات القصيرة يشبّه الدنيا بأربعة أشياء، الأوّل: أنّ الدنيا تشبه الناقة التى ربّما تكون جذابة وحلوبة، ولكنّ صاحبها عندما يريد تركها لترعى فى المرتع فإنّه يضع لجامها على ظهرها أو رقبتها، فترى هذه الناقة نفسها أنّها صارت حرّة من صاحبها فتبتعد عنه وتنشغل بالرعى فى المرتع.
وفى التشبيه الثانى، يشبّه الإمام عليه السلام الدنيا بالسبُع الذى يروم صيد الفريسة بمخالبه القوية والخطيرة ويمزقها، ويقول الإمام عليه السلام: وأنا قد أفلتّ نفسى من مخالب هذا الحيوان المفترس فلا يصل إلىَّ بعد ذلك.
وفى التشبيه الثالث، يشبّه الإمام عليه السلام الدنيا بالصياد الذى نشر حبائله وشراكه لصيد الحيوانات أو الطيور، فيقول الإمام: لقد عرفت جيداً هذه المصائد والشراك وتخلصت منها فلا أقع فيها أبداً.
وفى التشبيه الرابع، يشبّه الإمام عليه السلام الدنيا بالمنزلق الخطير والوادى السحيق الذى يحتوى على مزالق كثيرة، منها: الشهوات، المال والمقام، الزوجة والأبناء، والعناوين البراقة والماديات المغرية، فيقول الإمام عليه السلام: لقد ابتعدت عن هذه المزالق جميعاً، ومن هذه الجهة فإننى لا أسقط فى حبالها ولا فى مخالبها ولا فى منزلقاتها.
ثمّ يتابع الإمام عليه السلام خطابه للدنيا ويقول:

«أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۶۹

بِمَدَاعِبِكِ ۳۰۶]! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ ۳۰۷] الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ ۳۰۸] اللُّحُودِ[۳۰۹]!».

وهذا الكلام مقتبس من العديد من الآيات القرآنيّة التى تتحدّث عن الأقوام السابقة، الذين كانوا يملكون القدرة والجاه والثروة والإمكانات المادية الوفيرة، ولكنّهم جميعاً تورطوا فى العذاب الإلهى بسبب عصيانهم وتمردهم على الحقّ والرسالة، وباتوا مدفونين تحت التراب بحيث لا يسمع لهم أدنى صوت ولا يملكون أدنى حركة، ونقرأ فى الآية ۹۶ من سورة مريم: «وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً».

ونقرأ فى الآية ۱۲۸ من سورة طه: «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهَى .

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الأجبالُ تَحرُسهُمغُلبُ الرّجالِ فَما أغنتهُمُ القُلَلُ

واستُنزِلُوا بَعدَ عِزٍّ عَنْ مَعاقِلِهِمفاودعُوا حُفراً يا بِئسَ ما نَزلُوا

ناداهُمُ ضارخٌ مِنْ بَعدِما قُبرواأين الأسرةُ والتيجانُ والحُللُ

أين الوجُوهِ الّتى كانتْ مُنَعمَةًمِن دُونها تُضربُ الأستارُ والْكلل

فأفصحَ القبرُ عَنهم حينَ ساءلَهمتَلكَ الوجُوه عَليها الدودُ يقتتلُ

قَد طالَ ما أكلُوا دهراً وما شَرِبُواواصبحُوا بَعدَ طولِ الأكلِ قَد اكلُوا

وَطالَما عَمروا دوراً لتحصنَّهُمففارقَوا الدّورَ والأهلِينَ وانتقلِوا

وَطَالَما كَنزوا الأموالَ وادخروافَخلّفوها على الأعداءِ وارتحلُوا

أضحتْ منازِلُهم قفراً معطلةًوساكِنُوها إلى الأجداثِ قَد رَحلُوا[۳۱۰]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۰

وينقل المرحوم العلّامة التسترى قصّة تتضمّن دروساً وعبرة عن الأمالى للشيخ الصدوق وخلاصتها: «انطلق ذو القرنين يسير فى البلاد حتى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى، فوقف عليه بجنوده، فقال له: أخبرنى أيّها الشيخ لأىّشىء تقلّب هذه الجماجم، قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغنى من الفقير فما عرفت، وإنّى لأقلبها منذ عشرينسنة، فانطلق ذوالقرنين وتركه، وقال: ما عنيت بهذا أحداً غيرى»[۳۱۱].

ثمّ يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا بعبارات حكيمة ومثيرة ويقول:

«وَاللَّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسّيّاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ فِى عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِىِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِى الْمَهَاوِى ۳۱۲]، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ

لَا وِرْدَ[۳۱۳] وَلَا صَدَرَ[۳۱۴]».

وبديهى أنّ الدنيا، بمعنى المواهب المادية والظواهر الطبيعية لا- تملك قلباً ولا- فكراً ولا- إرادة واختياراً، بل مجرّد وسائل وآليات يستخدمها الإنسان لنيل السعادة فى حركة الحياة، أو يغرق فى مستنقع الشقاء والعناء فيما لو سار فى خط الرذيلة وقصر اهتمامه ونظره بها، أضف إلى ذلك أنّ الدنيا بهذا المعنى ليست شيئاً يمكن إجراء الحدّ الإلهى عليها، ولكن الغاية التى يتوخاها الإمام عليه السلام من هذا الكلام هى الكناية اللطيفة والتشبيه الظريف لإيقاظ عقول المغرورين بها وتنبيه الغافلين عن الحقائق الغيبية ليتحركوا على مستوى تصحيح مسيرتهم والعودة إلى عقولهم وفطرتهم والاعتبار من تاريخ الامم السابقة وإصلاح مستقبلهم بالاقتباس من دروس

التاريخ.

وهذا الكلام فى الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم الذى يذكر هذا المعنى بشكل آخر، فالآيات القرآنيّة تخاطب جميع أفراد البشر وتدعوهم لدراسة تاريخ الأقوام

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۱

السالفة الذين تورطوا فى دوامة البلايا والعذاب بسبب غفلتهم وغرورهم وكان مصيرهم الهلاك وقد دفنوا هم وثرواتهم تحت الأنقاظ، فنقرأ فى الآيات القرآنيّة قوله تعالى: «لَقَدْ كانَ فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبابِ»[۳۱۵].

ويقول تعالى فى مورد آخر: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كانُوا فيها فاكِهِينَ* كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ* فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ»[۳۱۶].

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه بطرح تشبيهات أخرى لحال الأشخاص الذين خدعوا بالدنيا والأشخاص الذين تخلصوا من شراكها وأفلتوا من حبالها، ويقول:

«هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ ۳۱۷] زَلِقَ ۳۱۸]، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ ۳۱۹] غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ[۳۲۰] عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَايُبَالِى إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ ۳۲۱]، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ».

فى هذا المقطع الكلام النورانى للإمام عليه السلام يشبّه المواهب المادية فى الدنيا بثلاثة أمور، بداية يتحدّث عن المزالق التى تواجه الإنسان فى كلّ زمان واحتمال سقوطه فى هذه المزالق، وهى المقامات الدنيويّة والثروات المادية والشهوات النفسانيّة، فلو أنّ الإنسان غفل قليلًا عن هذه الأمور فإنّه سيتلوث بالحرام ويقع أسيراً فى شراك الأهواء والنوازع النفسانيّة.

والآخر، أنّ الإمام عليه السلام يشبّه الدنيا بالبحر المواج الذى يصعب جدّاً عبوره بسلام، والكثير من الأحايين تكون أمواج الأهواء والشهوات إلى درجة من الشدّة والتلاطم بحيث إنّها تبتلع الإنسان وتغرقه فى دوامتها.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۲

والتشبيه الثالث يشبّه الإمام عليه السلام زخارف الدنيا وبريقها الخداع بالمصائد والفخاخ، بحيث إنّ الإنسان إذا استطاع اجتناب هذا البريق الخداع فإنّه سيوفق لنيل السعادة ومرتبة القرب الإلهى، وخلاصه منها بذاته يشكل له أكبر افتخار وانتصار فى حركة الحياة مهما واجه فى ذلك من صعوبات وتحديات.

ثمّ يشبّه الإمام عليه السلام الدنيا باليوم الذى يوشك على الانتهاء وأنّ الشمس توشك على الغروب لسرعة انتهائها وزوالها، كما يقول الشاعر:

حُكْمُ المنِيَّةِ فِى البَرِيَّةِ جارِىما هذِه الدُّنيا بِدارِ قَرارِ

بَينا يَرى الإنسانُ فِيها مُخبراًحتَّى يُرى خَبَراً مِنَ الأَخبارِ

طُبِعَتْ عَلى كَدرٍ وَأَنتَ تُرِيدُهاصَفواً مِنَ الأقدارِ والأكدارِ

وَمُكلّفُ الأيّامَ ضِدَّ طِباعِهامَتَطلّبٌ فِى الماءِ جَذوةَ نارِ

وَإذا رَجَوتَ المُستَحيلَ فإنّماتَبنِى الرّجاءَ عَلى شَفيرِ هاوٍ

فَالعيشُ نَومٌ وَالمنِيَّةُ يَقظَةٌوَالمرءُ بَينهما خيالٌ سارِ

فَاقضوا مَآرِبَكُم عِجالًا إنّماأَعمارُكُم سَفراً مِنَ الأَسفارِ

ونقرأ فى حديث رواه المرحوم الكلينى فى كتاب «الكافى» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«اصْبِرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَصَبَّرُوا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّمَا الدُّنْيَا سَاعَةٌ فَمَا مَضَى فَلَيْسَ تَجِدُ لَهُ سُرُوراً وَلَا حُزْناً وَمَا لَمْ يَأْتِ فَلَيْسَ تَعْرِفُهُ

فَاصْبِرْ عَلَى تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِى أَنْتَ فِيهَا فَكَأَنَّكَ قَدِ اغْتَبَطْتَ»[۳۲۲].

وفى ختام هذا المقطع من الرسالة يخاطب الإمام عليه السلام الدنيا ويقول:

«اعْزُبِى ۳۲۳]

عَنِّى! فَوَاللَّهِ لَاأَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِى، وَلَا أَسْلَسُ ۳۲۴] لَكِ فَتَقُودِينِى».

ولحدّ الآن لم يرد فى الكتب والمدونات والخطب أنّ شخصاً خاطب الدنيا بمثل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۳

هذا الخطاب واستدعاها إلى محاكمتها بهذه القوّة والحزم وبالتالى أثبت إدانتها وزيفها وتخلص من شراكها ومصائدها.

أجل، فالشخص الوحيد الذى بإمكانه أن يحاكم الدنيا بهذه الطريقة ويخاطبها بهذا الخطاب الشديد القاطع هو الذى استطاع إنقاذ نفسه من براثنها، وضرب على صدرها بيد الإعراض والطرد مع انفتاح جميع الطرق أمامه لتحصيل المآرب الدنيويّة، ولكنّه لم يستسلم لها ولجواذبها بأية صورة.

وهذا لكلام يتضمّن جواباً حاسماً على من يقول إنّ الدنيا قد أجبرتنا على التصرف على سلوك طريق الشر والرذيلة، فالإمام عليه السلام يقول: مادام الإنسان ملتزماً بمقتضيات الإيمان والقيم ولم يستسلم للدنيا من موقع الإذعان والخضوع فإنّها لا تستطيع إذلاله وإجباره على إرتكاب الخطيئة، فصحيح أنّ الدنيا بكلّ ما فيها من الجواذب والزخارف تستهوى الإنسان وتدعوه لمواقعتها، ولكنّها لا تجبر أحداً أبداً على اتباعها والتسليم لمطالبها، كما يتحدّث القرآن الكريم عن الشيطان ويقول:

«وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُونى وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ»[۳۲۵].

تأمّل

طلاق الدنيا

ما يبيّنه الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة فى صدد محاكمته للدنيا وأنّها لو كانت شخصاً مريئاً وقالباً حسياً لأجرى حدود اللَّه تعالى عليها بسبب خداعها وإغوائها للكثير من الناس، يدعونا لتذكر حديث شريف آخر للإمام على عليه السلام يشير فيها إلى أنّه فى عالم المكاشفة رأى الدنيا وقال: «إنّى كنت بفدك فى بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة عليها السلام قال: فإذا أنا بامرأة قد قحمت علىَّ بجمالها فشبهتها ببثينة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۴

بنت عامر الجحمى وكانت من أجمل نساء قريش، فقالت: ياابن أبى طالب هل لك أن تتزوّج بى فاغنيك عن هذه المسحاة، وأدلّك على خزائن الأرض، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك؟ فقلت لها: من أنتِ حتى أخطبك من أهلك؟

فقالت: أنا الدنيا، قال فقلت لها، فارجعى وأطلبى زوجاً غيرى وأقبلت على مسحاتى وأنشأت:

«لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَا دَنِيَّةٌوَمَا هِيَ إِنْ غَرَّتْ قُرُوناً بِنَائِلِ

أَتَتْنَا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بُثَيْنَةَوَزِينَتُهَا فِى مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ

فَقُلْتُ لَهَا غُرِّى سِوَايَ فَإِنَّنِيعَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ

وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا فَإِنَّ مُحَمَّداًأَحَلَّ صَرِيعاً بَيْنَ تِلْكَ الْجَنَادِلِ

وَهَبْهَا أَتَتْنِی بِالْکُنُوزِ وَدُرِّهَاوَأَمْوَالِ قَارُونَ وَمُلْکِ الْقَبَائِلِ
أَ لَیْسَ جَمِیعاً لِلْفَنَاءِ مَصِیرُهَاوَیَطْلُبُ مِنْ خُزَّانِهَا بِالطَّوَائِلِ
فَغُرِّی سِوَایَ إِنَّنِی غَیْرُ رَاغِبٍبِمَا فِیکِ مِنْ مُلْکٍ وَعِزٍّ وَنَائِلِ
فَقَدْ قَنِعَتْ نَفْسِی بِمَا قَدْ رُزِقْتُهُفَشَأْنَکِ یَا دُنْیَا وَأَهْلَ الْغَوَائِلِ
فَإِنِّی أَخَافُ اللَّهَ یَوْمَ لِقَائِهِوَأَخْشَی عَذَاباً دَائِماً غَیْرَ زَائِلٍ ۳۲۶]

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۷۵

القسم السادس

اشارة

وَایْمُ اللَّهِ- یَمِیناً أَسْتَثْنِی فِیهَا بِمَشِیئَةِ اللَّهِ- لَأَرُوضَنَّ نَفْسِی رِیَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَی الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَیْهِ مَطْعُوماً وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِی کَعَیْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِینُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْیِهَا فَتَبْرُکَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِیضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَیَأْکُلُ عَلِیٌّ مِنْ زَادِهِ فَیَهْجَعَ! قَرَّتْ إِذاً عَیْنُهُ إِذَا اقْتَدَی بَعْدَ السِّنِینَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِیمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِیَّةِ!

الشرح والتفسیر: هل الغرض الأکل والنوم فقط؟

اشارة

یواصل الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من رسالته المبارکة، کلامه فیما تقدّم عن عدم اهتمامه بالدنیا وزخارفها ویقول:
«وَایْمُ اللَّهِ ۳۲۷]- یَمِیناً أَسْتَثْنِی فِیهَا بِمَشِیئَةِ اللَّهِ- لَأَرُوضَنَّ نَفْسِی رِیَاضَةً[۳۲۸] تَهِشُ ۳۲۹] مَعَهَا إِلَی الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَیْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً[۳۳۰]، وَلَأَدَعَنَ
نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۷۶
مُقْلَتِی ۳۳۱] کَعَیْنِ مَاءٍ، نَضَبَ ۳۳۲] مَعِینُهَا[۳۳۳]، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا».

فی المرحلة الاولی یقسم الإمام علیه السلام لیبیّن جدیّة هذا الأمر وللتأکید علی أهمیّته وفی المرحلة الثانیة، یقول إن شاء مراعاة للأدب مع اللَّه تعالی کما أمر القرآن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله بهذا الأمر، تقول الآیة الشریفة: «وَلا تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فاعِلٌ ذلِکَ غَداً* إِلّا أَنْ یَشاءَ اللَّه»[۳۳۴].

وفی المرحلة الثالثة: یتحدّث الإمام علیه السلام عن عزمه الراسخ علی ترویض نفسه ریاضة شدیدة وقاسیة، وهذا یحکی عن قوّة إرادة الإمام وسلطته العجیبة علی نفسه، فما أشق الریاضة التی یفرضها الإنسان علی نفسه بحیث تتحمل الجوع الشدید، وبالتالی تفرح فرحاً شدید إذا قدّم لها یوماً قرصاً من الخبز وقلیلًا من الملح.

وفی المرحلة الرابعة: یخبرنا الإمام علیه السلام عمّا یعیشه من عشق للَّه‌تعالی وخوف عمیق من الذات المقدّسة بحیث إنّه یتواصل فی البکاء إلی أن لا تنضب عینه من الدموع
«وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِی کَعَیْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِینُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا»
، ومعلوم أنّ مثل هذه الحالة لا تتوفر عند أی شخص إلّاالنوادر، والإمام علیه السلام نفسه یشیر إلی هذه الحقیقة فی مقطع آخر من هذه الرسالة، بأنّکم لا تستطیعون أن تفرضوا علی أنفسکم مثل هذه الریاضات الشاقة ولکن أعینونی بالورع والتقوی والصلاح فی حرکة

الحياة.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال: لماذا كلّ هذا البكاء الذى أشار إليه الإمام عليه السلام فى كلامه؟ قطعاً إنّ هذا البكاء هو بكاء الشوق من جهة، وبكاء الخوف من جهة أخرى، الشوق إلى العالم الأعلى والملكوت والقرب من اللّه تعالى والعشق لصفات الكمال والجمال الإلهى، والخوف من حرمان هذه لنعم والمواهب الإلهيّة.

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص ۱۷۷

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۷

إنّ رجال اللّه يعيشون دوماً بين حالات الخوف والرجاء، وبالتالى يدفعهم ذلك إلى البكاء شوقاً وخوفاً، فكيف بالإمام على عليه السلام وهو إمام العارفين ومقتدى السالكين فى طريق الحقّ والمعنويّة؟

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستعرض فى العبارات التالية جملة من التشبيهات الأخرى ويقول:

«أ تَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ[۳۳۵] مِنْ رِعْيِهَا[۳۳۶] فَتَبْرُكَ ۳۳۷]؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ[۳۳۸] مِنْ عُشْبِهَا[۳۳۹]

فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ ۳۴۰]! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ

الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ[۳۴۱]، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ[۳۴۲]!».

وبالرغم من أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارات يتحدّث عنه نفسه، ولكن كلامه فى الواقع درس لأبناء الدنيا الذين لا همّ لهم فى الحياة سوى التمتع بالملذات الرخيصة، فهم يشبهون الأغنام والدواب التى لا تهتم إلّاللأكل والعلف والنوم والراحة، فما أقبح بالإنسان أن يهبط من أوج عظمة الإنسانيّة ويدرج نفسه مع الحيوانات وينزل بمستواه إلى مصاف الدواب السائمة فى المراتع، وكما يقول الشاعر:

أتَعمى عَنِ الدُّنيا وَأنتَ بَصيرُوَتَجهلُ ما فِيها وَأنتَ خَبيرُ

وتُصبِحُ تبنِيها كَأَنَّكَ خَالِدُوَأنتَ غَداً عَمّا بَنيتَ تَسيرُ

وَترفَعُ فِى الدُّنيا بناءَ مُفاخِروَمَثواكَ بيتٌ فِى القُبُورِ صَغيرُ

وَدُونَكَ فاصنَعْ كُلَّما أنتَ صانِعٌفإنَّ بُيُوتَ الميتِينَ قُبُورُ[۳۴۳]

تأمّل

الرياضة المشروعة وغير المشروعة

إنّ مسألة رياضة النفس ومنذ القديم تقسّم إلى قسمين: رياضة البدن، ورياضة النفس، أمّا رياضة البدن فتتمثّل فى أنواع الألعاب الرياضية التى تمتد فى التاريخ البشرى ولها سابقة تاريخيّة طويلة، وحتى المسابقات العالمية الحالية مقتبسة من عصر اليونان القديم ومناطق اخرى من العالم، وأمّا رياضة النفس والتى تتحقق عن طريق ترك المشتهيات النفسانيّة وتؤدّى إلى تقوية روح الإنسان وإرادته وتمتد كذلك فى التاريخ، فهى المعروفة عن المرتاضين الهنود، وحقيقة هذه الرياضية هى أنّ الإنسان بتركه وإعراضه عن رغباته النفسانيّة وعدم استسلامه لجواذب الشهوة بإمكانه أن يحصل على قوّة عظيمة بحيث أحياناً يستطيع انجاز أعمال خارقة للعادة.

وطبعاً الرياضيات النفسانيّة بدورها تنشعب فى هدفها والغرض منها إلى: أهداف مادية، وأخرى معنويّة، أمّا الأهداف المادية فتتمثّل بالقدرة على الإتيان بأعمال خارقة للعادة والتوصل من خلالها إلى بعض المنافع الدنيويّة وتحصيل الجاه والمقام، وأمّا الهدف المعنوى

فهو القرب من اللّه تعالى وتطهير الروح من الرذائل الأخلاقيّة وتحكيم إرادة الإنسان على شهواته وضبط رغباته وترك ما تدعوه إليه نفسه من الرذائل والمنكرات.

وما ورد من كلام الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة ناظر إلى القسم الثانى من الرياضيّة المعنويّة فى قوله:

«إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ»

، وقوله:

«لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ».

وقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فى ذيل الخطبة ۲۲۰ (الخطبة ۲۱۴ فى شرح ابن أبى الحديد) بحثاً مفصلًا فى موضوع رياضة النفس وأقسامها وتحدّث فى تأثير الجوع فى صفاء النفس ونقائها، ثمّ نقل كلمات الفلاسفة والحكماء فى المكاشفات التى تحصل للإنسان من رياضة النفس، وضمن كلامه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۷۹

بالاستشهاد بأبيات من أشعار الشعراء فى هذه المجال.

ونقرأ فى الأحاديث الشريفة عن أميرالمؤمنين على عليه السلام الإشارة إلى هذه المسألة ومن ذلك ما ورد فى «غرر الحكم» عن الإمام على عليه السلام:

«مَنْ استَدامَ رِياضَةَ نَفْسِهِ إنْتَفَعَ»[۳۴۴].

وفى حديث آخر فى هذا الكتاب قوله:

«الشَّرِيعَةُ رِياضَةُ النَّفْسِ»[۳۴۵].

وجاء فى حديث آخر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى خبر عن وصايا الخضر النّبى لموسى عليهما السلام أنّه قال:

«رِضْ نَفْسَكَ عَلى الصَّبرِ تَخْلَص مِنَ الإثمِ»[۳۴۶].

ونقرأ فى حديث آخر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله

: «جَوّعُوا بُطُونَكُم وَأظمِئُوا أكبادَكُم وَأعْرُوا أجْسَادَكُم وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُم عَسَاكُم أنْ تُجاوزُوا المَلأ الأعلى [۳۴۷].

ولكن أحياناً يسلك بعض الناس فى رياضة النفس طريق الإفراط والانحراف، فيقومون برياضات شاقة جدّاً وأحياناً خطيرة وغير مشروعة، وقد ذكر الغزالى فى «إحياء العلوم» نماذج منها ويوجد الكثير منها مذكور فى الكتب الصوفية.

ومن ذلك أنّ «الشبلى» كان له سرداب ينزل إليه ومعه مجموعة من العصى وكلّما غفل قلبه عن الذكر يضرب نفسه بهذه العصى حتى تتكسر، وأحياناً عندما تنكسر جميع العصى يربط يديه ورجليه بالجدار ويعلقها بالمسامير[۳۴۸].

وذكروا فى حالات «الشيخ أبو سعيد» الصوفى المعروف، أنّه لما كان شاباً كان ينهض من فراشه بهدوء بعد ما ينام أهل بيته ويتوجه إلى المسجد، وكانت هناك بئر فى زاوية المسجد، فيشد عصاً بحبل من وسطها ويشدّ قدمه بالطرف الآخر من الحبل، ثمّ يضع العصا على حافة البئر وينزل إلى البئر ويبقى إلى الصباح معلقاً من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۸۰

قدمه فى البئر ويقرأ القرآن ۳۴۹].

وحكى عن حالات «أبى بكر الشبلى»: كان فى بداية أمره مشغولًا بالرياضة فى سنوات مديدة وكان يضع الملح فى عينه لئلا ينام ۳۵۰]، وهناك الكثير من هذا القبيل من الأعمال لدى المتصوفة.

ومثل هذه الرياضات الخطيرة تعتبر من النقاط السلبية والسلوكيات غير المشروعة فى نظر الإسلام ويجب الاجتناب عنها تماماً، ويشاهد فى حالات المرتاضين الهنود وبعض الصوفية مثل هذه الرياضات غير المشروعة التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام، ولكن أفضل رياضة

تتمثّل فی اجتناب أی شکل من الأشکال المعاصی والذنوب ومن ثمّة ترک بعض المشتهیات النفسانیّة من المباحات، وقد ورد هذا المعنی فی سیرة النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأئمّة الهدی علیهم السلام وأصحابهم، فکانوا أحیاناً یلبسون الخشن من الثیاب ویقنعون بالأطعمة البسیطة جدّاً، وینهضون للصلاة والعبادة فی ساعات اللیل، ومثل هذه الریاضیات تزید من نورانیّتهم وتعمق من معنویتهم.

وقد ورد فی الخطبة ۲۰۹ فی نهج البلاغة (الجزء الثامن من هذا الکتاب) قصّة إفراط وتفریط أخوین هما (علاء بن زیاد وعاصم بن زیاد) حیث کان أحدهما یعیش حیاة مرفهة وناعمة والآخر قد ترک العمل والکسب تماماً وانشغل بالعبادة فی زاویة البیت، وقد نهاهما الإمام علیه السلام عن کلا هذین المسلکین، ولمزید من التوضیح انظر الجزء الثامن، من هذا الکتاب ذیل الخطبة ۲۰۹.

وخلاصة الکلام أنّ مسألة الریاضة الشرعیة وردت فی نهج البلاغة وکذلک وردت فی الکثیر من الروایات الشریفة عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأهل البیت علیهم السلام، ولا شک فی ترتب الآثار الإیجابیّة من هذه الریاضة المشروعة علی روح الإنسان فیما یتصل بزیادة نورانیّته معنویّته، ولکن ذلک لا یعنی أنّ مثل هذه الریاضیات محبذة

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۸۱

للجمیع، ومن هذه الجهة ورد فی العدید من الآیات الکریمة والأحادیث الشریفة الاذن فی تناول الطیبات والانتفاع من النعم الحلال وشکر اللّه تعالی علی ما وهبه للإنسان من هذه النعم والملذات: «یا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّی بِما تَعْمَلُونَ عَلیمٌ»[۳۵۱].

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۸۳

القسم السابع

اشارة

طُوبَی لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَی رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَکَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِی اللَّیْلِ غُمْضَهَا، حَتَّی إِذَا غَلَبَ الْکَرَی عَلَیْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ کَفَّهَا، فِی مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُیُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِکْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، «أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». فَاتَّقِ اللَّهَ یَا ابْنَ حُنَیْفٍ، وَلْتَکْفُفْ أَقْرَاصُکَ، لِیَکُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُکَ.

الشرح والتفسیر: أیّها الوالی! إحذر المشارکة فی مثل هذه الضیافة!

اشارة

فی المقطع السابع والأخیر من هذه الرسالة یتحدّث الإمام علیه السلام فی توصیف بلیغ عن حیاة الإنسان الکامل، وبتعبیر آخر: أفراد حزب اللّه، ویذکر لهم ثلاثة أعمال وأربع صفات، یقول:

«طُوبَی ۳۵۲] لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَی رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَکَتْ ۳۵۳] بِجَنْبِهَا

بُؤْسَهَا[۳۵۴] وَهَجَرَتْ فِی اللَّیْلِ غُمْضَهَا[۳۵۵]، حَتَّی إِذَا غَلَبَ الْکَرَی ۳۵۶] عَلَیْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۱۸۴

وَتَوَسَّدَتْ ۳۵۷] کَفَّهَا».

وهذه إشارة إلی أنّ الأشخاص المحبوبین عند اللّه تعالی هم الذین یتحرکون فی سلوکهم الیومی من موقع أداء الفرائض الدینیّة

والتكاليف الفردية والاجتماعيّة، وفى ساعات الليل يخلون مع ربّهم ويطرقون باب رحمته ويبتهلون إليه بالدعاء والمناجاة، وعندما يغلبهم النوم يقنعون باستراحة مختصرة، لا على الفرش الوفيرة والغالية والوسادات الناعمة بل يضطجعون على الأرض ويضعون يدهم تحت رؤوسهم كوسادة.

وهذه إشارة إلى أنّ العابد ليس هو الشخص الذى يقضى ليله ونهاره بالعبادة وهو قابع فى زاوية البيت، بل العابد هو الشخص الذى يؤدّى فرائضه الفردية والاجتماعيّة فى النهار، ويتجه فى الليل إلى اللّه تعالى ويقوم بفروض الصلاة والعبادة، وقد ورد فى حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام وأنّه قال:

«مَنْ عَمِلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ»[۳۵۸].

وبهذا المضمون وبشكل أشمل ورد فى الحديث الشريفة عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ وَمَنْ وَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ وَمَنْ قَنِعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ»[۳۵۹].

وجملة

«افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا»

إشارة إلى غاية القناعة لدى هؤلاء بحيث إنّهم لا يطمعون فى فرش مريحة ونوم هنىء، أضف إلى ذلك أنّ مثل هذه الفرش ربّما تعيق الإنسان عن النهوض فى أوقات السحر للعبادة والابتهال للّه‌تعالى.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه فى وصف حالات هؤلاء الأخيار ويقول: إنّ هؤلاء

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۸۵

الذين اتصفوا بهذه الصفات الأربع يعيشون خوف المعاد:

«فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ[۳۶۰] عُيُونَهُمْ

خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ ۳۶۱] عَنْ مَضَاجِعِهِمْ ۳۶۲] جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ ۳۶۳] بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ،

وَتَقَشَّعَتْ ۳۶۴] بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ».

فمثل هذا الخوف من الحساب والقيامة أسهر عيونهم ومنع أبدانهم من الإخلاد إلى النوم وجعل شفافههم تتمتم بذكر ربّهم وأنّهم لكثرة استغفارهم تقشعت وتساقطت ذنوبهم:

«وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ»

، وهذه العبارات فى الحقيقة مقتبسة من القرآن الكريم كما ورد فى صفات المؤمنين الحقيقيين قوله تعالى: «تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ»[۳۶۵].

وفى مورد آخر يقول تعالى: «كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»[۳۶۶].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه مستفيداً من الآية الشريفة من القرآن الكريم فى وصف هؤلاء المتقين بصفة «حزب اللّه»: «أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[۳۶۷].

وأخيراً يختم الإمام عليه السلام رسالته المنيرة والمثمرة بهذه الجمل يخاطب بها عثمان بن حنيف وجميع السائرين فى خط الفضيلة والطالبين للسعادة ويقول:

«فَاتَّقِ اللَّهَ يَاابْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفُفْ ۳۶۸] أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۸۶

لأنّ التلوث بمثل هذه الضيافات الثقيلة والموائد المجللة، التى لا طريق للجائعين إليها، والتى يدعى إليها الأشراف والأثرياء فقط وهم

غالباً من الملوثين بالأموال الحرام، ويبعدك عن ذكر اللّه والمعاد والالتفات إلى المحرومين وتزيد من ثقل ذنوبك وتسبب لك المشاكل يوم القيامة.

وجاء فى تاريخ «مروج الذهب»: ذكر الفضل بن الربيع (وزير المهدى): دخل شريك (بن عبداللّه) القاضى على المهدى (العباسى) يوماً، فقال له: لابدّ أن تجيبنى إلى خصلة من ثلاث خصال، قال: وما هى ياأميرالمؤمنين؟ قال: إمّا أن تلى القضاء، أو تحدّث ولدى وتعلّمهم، أو تأكل عندى أكلة، ففكر ثمّ قال: الأكلة أخفهنّ على نفسى، فاحتبسه وقدّم إلى الطبّاخ أن يطبخ له ألواناً من المخ المعقود بالسكر والطبرزذ والعسل، فلمّا فرغ من غذائه قال له القيم على المطبخ، ياأميرالمؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً، قال الفضل بن الربيع: فحدّثهم شريك بعد ذلك، وعلّم أولادهم، وولى القضاء لهم، وقد كتب بارزاقه إلى الجهبند فضايقه فى النقص، فقال له الجهبند: إنّك لم تبع بزّاً، قال له شريك: بلى واللّه لقد بعت أكبر من البز، لقد بعت دينى ۳۶۹].

أجل، ربّما تكون للقمة من طعام حرام هذه الآثار السلبية العجيبة فى الإنسان، فلو أنّ شريك تعامل مع هذه المسألة بآليات العقل واكتفى بتعليم أبناء الخليفة فربّما استطاع تعليمهم معارف الإسلام وحقيقة الرسالة الإلهيّة ليدفع ظلمهم وجورهم فى المستقبل.

تأمّلان

۱. الزهد والانتفاع من المواهب الإلهيّة

بعد المطالعة الدقيقة لهذه الرسالة ربّما يثار هذا السؤال: هل أنّ الإسلام يحرم

التلذذ بالأطعمة والمأكولات اللذيذة والحضور فى هذه الموائد الفخمة، أو أنّ هذا العمل حلال فى نفسه؟ وهل هناك تقاطع بين الزهد الإسلامى والاستفادة من النعم الإلهيّة الدنيويّة؟ الكلام فى هذا المجال متشعب ومفصّل، ولكن يمكن تقديم عصارة لمثل هذا الموضوع فنقول:

وردت روايات كثيرة فى تشويق المسلم للزهد فى الدنيا منها:

«الزَّهادَةُ فِي الدُّنيَا لَيسَتْ بِتَحرِيمِ الحَلالِ وَلا إِزالَةِ المَالِ وَلَكنّ الزَّهادَةَ فِي الدُّنيَا أنْ لا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِيكَ أَوثَقُ مِمَّا فِي يَدِ اللَّهِ»[۳۷۰].

وجاء فى حديث آخر عن أميرالمؤمنين على عليه السلام يقول:

«الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ»[۳۷۱].

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَايُحَاسِبُ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنَ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ وَثَوْبٌ يَلْبَسُهُ وَزَوْجَةٌ صَالِحَةٌ تُعَاوِنُهُ وَتُحْصِنُ فَرْجَهُ»[۳۷۲].

ويتبيّن من هذه الرواية الشريفة أنّ الانتفاع من هذه المواهب لا يتنافى مع الزهد أبداً، وكذلك ما ورد من الآيات الروايات فى هذا الباب ممّا يستدعى استعراضها وبيانها لتأليف كتاب مستقل عنها.

ولكن فى مقابل هذه النصوص هناك روايات أخرى تدعو الإنسان إلى ترك لذات الدنيا وتمدح ترك التلذذ والتنعم بالمواهب الإلهيّة الكثيرة، منها:

ما ورد فى حديث معروف عن الإمام على عليه السلام قاله ليلة استشهاده بعد أن تناول فطوره المكوّن من خبز وملح وترك ما سواهما، قال مخاطباً إبنته:

«يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَلْبَسُهُ إِلَّا طَالَ وُقُوفُهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[۳۷۳].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۸۸

وجاء فى حديث آخر فى كتاب «كنز العمال» عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«فِي حَلالِها حِسابٌ وَفِي حَرامِها عِقَابٌ، فَدَعِ الحَلالَ لِطُولِ الحِسَابِ وَدَعِ الحَرامَ لِطُولِ العَذابِ»[۳۷۴].

ويبدو أنّ الجمع بين هذه الآيات والروايات ممكن بإحدى هذه الطرق التالية:

۱. إنّ الاستفادة من المواهب الإلهيّة حكم لعامّة الناس، والتوجه نحو الزهد والترغيب فيه هو حكم للخواص.

۲. إنّ روايات الزهد تهدف إلى التخفيف من استغلال الآيات والروايات من الطائفة الاولى، وتمنع الإنسان من الإفراط فى تناول الأطعمة والإكثار من الملذات الحلال، لئلا يغرق الإنسان فى هذه الملذات فتعيقه بالتالى عن سلوك طريق الهداية والمعنويّة.

۳. إنّ أولياء الدين يمثّلون الاسوة والقدوة للناس فى سيرتهم وحياتهم، فينبغى أن يعيشوا معيشة ضعفاء الامّة ولمواساة المحرومين والتخفيف عن صعوبة معيشتهم.

۴. إنّ سلوك طريق الزهد يمنح جميع الأفراد حتى غير الأولياء مزيداً من الهدوء الروحى والصفاء النفسى، لأنّ الغرق فى النعمة والرفاهية تثقل الروح وبخاصة فيما لو كان الآخرون يعيشون فى شغف العيش، فهذه الحالة متنافية مع القيم ومذمومة من جهة عاطفية.

۵. نظراً لما يترتب على الحلال من حساب يوم القيامة، فقد رجحت جماعة من المؤمنين الحياة البسيطة على المعيشة المرفهة لئلا يطول وقوفهم يوم القيامة للحساب.

وبالنسبة لحقيقة الزهد والجمع بين هذه التعاليم الإسلاميّة من جهة، والانتفاع من المواهب الإلهيّة الواردة فى الآيات والروايات الشريفة المذكورة آنفاً من جهة أخرى راجع ما ورد فى ذيل الخطبة ۸۱ فى الجزء الثالث من هذا الكتاب وكذلك يمكنك مراجعة كتاب دائرة المعارف للفقه المقارن، الجزء الثانى (بحث الزهد والتنمية الاقتصاديّة).

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۸۹

۶. مضافاً إلى ما تقدّم فإنّ التحرك فى خط الزهد والإعراض عن الدنيا وملذاتها يعتبر أحد العوامل الرئيسية فى تربية الروح وتزكية النفس كما ورد شرحه فى بحث رياضة النفس من هذه الرسالة.

۲. من هم حزب اللّه؟

ما ذكر الإمام عليه السلام فى نهاية هذه الرسالة عن حزب اللّه، مقتبس من آيات القرآن الكريم:

وقد وردت هذه العبارة فى آيتين من القرآن الكريم، الاولى فى آية ۵۶ من سورة المائدة، يقول تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[۳۷۵] فَإِنَّ حِزْبَاللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ».

ونرى فى هذه الآية الشريفة أنّ قبول الولاية الإلهيّة والأولياء الإلهيين تعدّ من صفات حزب اللّه.

وجاء فى الآية ۲۲ من سورة المجادلة: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

فى الآية الاولى ورد وصف أفراد حزب اللّه، كما أشرنا إلى آنفاً بوصف قبولهم لولاية اللّه ورسوله والأولياء الإلهيين، وفى الآية الثانية ورد وصفهم بأنّهم «يبغضون فى اللّه»، أو يعادون أعداء الحقّ، ويستفاد من مجموع هاتين الآيتين أنّ مسألة «الحبّ فى اللّه» و «البغض فى اللّه» على أساس أنّهما من أركان من يتصف بكونه من حزب اللّه، وما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة بأنّ حزب اللّه هم القائمون فى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۰

الأسحار والعابدون والزاهدون فى الحقيقة متقبس من القرآن وكون هذه الصفات من قبيل اللازم والملزوم.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۱

الرسالة ۴۶

اشارة

إلى بَعْضِ عُمالِهِ ۳۷۶]

نظرة عامّة للرسالة

تمثّل هذه الرسالة فى الواقع دستوراً عملياً لأحد عمّال الإمام على عليه السلام وولاته فى حكومته، وتتضمّن جمل قصيرة وزاخرة بالمعانى العميقة حيث يدعو الإمام مخاطبه بأداء وظيفته والقيام بمسؤوليّته، وتتكوّن هذه الرسالة من ثلاثة مقاطع:

فى المقطع الأوّل يشيّد الإمام عليه السلام بشخصيّة هذا الوالى ويشيد بمكانته المرموقة ليثير فى نفسه الاستعداد لقبول هذه المسؤوليّة المهمّة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۲

وفى المقطع الثانى يوصيه الإمام عليه السلام بالتواضع فى مقابل الرعيّة والتعامل معهم باسلوب اللطف والملائمة وسعة الصدر.

وفى المقطع الثالث يشير الإمام عليه السلام لزوم رعاية العدالة والمساواة بين الناس حتى فى الإشارة والنظرة والتحية لئلا يطمع أصحاب الثروة والقوّة فى عمليّة التميز، ويأس الضعفاء من إجراء العدالة.

وذكروا أنّ من جملة الأشخاص المخاطبين لهذه الرسالة هو مالك الأشتر رحمه الله وقد أوردها الشيخ المفيد فى الأمالى، صفحة ۷۹، والمؤرخ المعروف الطبرى فى تاريخه الجزء الرابع، صفحة ۷۱ فى حوادث سنة ۳۸.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۳

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِى عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِى اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِى حَيْفِكَ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: عامل الناس بالرفق!

أشرنا آنفاً فى ذكر سند هذه الرسالة أنّ المخاطب لها حسب الظاهر مالك الأشتر، والعبارات الواردة فيها والثناء والتجليل فى هذه

الرسالة يتناسب مع شخصيّة مرموقة مثل مالك الأشتر، رغم أنّ الكثير من شرّاح نهج البلاغة لم يذكروا المخاطب فيها واكتفوا بالإجمال.

يستعرض الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل من هذه الرسالة لهذا الوالى عدّة صفات حسنة ويثنى عليه ثناءاً جميلًا ممّا يعمق فيه الاعتماد على النفس ويكرس فيه القدرة والإرادة على حلّ المشكلات ومواجهة التحديات يقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ[۳۷۷] بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ ۳۷۸] بِهِ نَخْوَةَ[۳۷۹] الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۴

لَهَاةَ[۳۸۰] الثَّغْرِ[۳۸۱] الْمَخُوفِ».

وهذه التعبيرات تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام اختار لتولى الأمور جماعة من الشجعان وأصحاب المعرفة والدراية والتدبير ليساعدوه فى هذه الأمور الثلاثة، أى إقامة أركان الدين، وقمع المتمردين والفاسدين، وحفظ الثغور والمواقع الخطيرة على حدود البلاد الإسلاميّة، وكان مخاطب هذه الرسالة، أى مالك الأشتر، أحد هؤلاء الولاة والامراء الموثوقين لدى الإمام.

وكأنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول: إذا أوكلتك لهذا الأمر وفوّضت إليك مسؤوليّة تدبير مصر وإقامة الأحكام الدينيّة فيها ولمنع تعديات قوى الظلام والانحراف وحفظ الثغور فى مقابل التهديد الخطير الذى يتمثّل بجيش الشام وأتباع معاوية فإنّ ذلك بسبب لياقتك وجدارتك فى هذه الأمور، والحقيقة أنّ مالك الأشتر كان كذلك كما بيّنه الإمام عليه السلام فى هذه الجمل الموجزة والعميقة المغزى.

إنّ الحوادث التى وقعت لمالك الأشتر وذكرها المؤرخون فى كتبهم شاهد حى على هذه الحقيقة.

ومن ذلك عندما أراد الإمام على عليه السلام قتال المتمردين فى واقعة الجمل، أرسل عمّار بن ياسر إلى الكوفة لتحشيد الناس للالتحاق والانضمام إلى جيش الإمام على عليه السلام يقول الراوى: «واللَّه إنّى لفى المسجد يومئذٍ وعمّار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول (ويعبىء الناس للمشاركة فى جيش الإمام ولكن أبا موسى الأشعرى كان واقفاً على المنبر ويثبط الناس) إذ خرج علينا غلمان لأبى موسى وقالوا: يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر وضربنا وأخرجنا، فنزل أبوموسى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۵

فدخل القصر، فصاح به الأشتر اخرج من قصرنا لا امّ لك أخرج اللَّه نفسك، فواللَّه أنّك لمن المنافقين قديماً، قال: أجّلنى هذه العشية. قال: هى لك ولا تبيتنّ فى القصر الليلة، ودخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى، فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر، وقال: إنّى قد أخرجته فكّف الناس عنه»[۳۸۲].

وكذلك ورد فى كتب التاريخ: عندما وصل الإمام على عليه السلام فى مسيره إلى صفين، إلى أرض الرقة، فكان لابدّ لهم من عبور النهر، ولكن الناس لم ينصبوا الجسر للإمام عليه السلام وجيشه، (وكأنّهم كانوا يرتبطون بعلاقة خاصّة بمعاوية) فعزم الإمام أن يعبر النهر من جسر منبج ۳۸۳] (هو بعيد عن هذا المكان) فقال الأشتر لأهالى تلك المنطقة: اقسم باللَّه إذا لم يعبر أميرالمؤمنين هذا الجسر ولم تحضروا له جسراً ليمر عليه فاعاقبكم بسيفى هذا وأقتل رجالكم واخرب دياركم وآخذ أموالكم، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الأشتر فهو يفى بقسمه قوموا واحضروا الجسر، فلما أحضروا الجسر وهيئوه عبر جيش الإمام أجمعه عليه، وكان الأشتر آخر نفر عبر عليه.

على أية حال فالإمام عليه السلام بعد هذه العبارات الهادفة والدقيقة يطرح على مالك الأشتر دساتير وتوصيات مهمّة فى مجال التعامل مع الناس، بداية يقول:

«فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ».

وهذه إشارة إلى أنّ الأصل والأساس فى كسب النجاح والتوفيق فى إدارة البلاد وتدبير أموره هو الإستعانة بالذات المقدّسة وطلب

المعونة والتسديد منه.

وفى التوصية الثانية يقول:

«وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ ۳۸۴] مِنَ اللِّينِ».

وهو إشارة إلى أنّ أمر الحكومة وتدبير الولاية وإجراء البرامج الاجتماعيّة لا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۶

تتحقق من خلال الاعتماد على آليات الشدّة والعنف فقط، بل ينبغى على الوالى أن يخلط الين بالشدّة، لأنّ اسلوب الشدّة والقهر يتسبب فى نفور الناس وعداوتهم وربّما لا يصل إلى نتيجة، ولو استخدم الوالى آليات اللطف والملائمة والليونة دوماً فإنّ الكثير من الأفراد لا يأخذون عمله على محمل الجد وربّما يؤدّى ذلك إلى تكاسلهم وتواكلهم وبالتالى فشل المشروع، وهذا هو ما ورد فى منهج الأنبياء الإلهيين من كون كلّ نبى (مبشراً ونذيراً) والقرآن الكريم يؤكّد من جهة أنّ اللَّه تعالى فى موضوع العفو الرحمة أرحم الرحمين وفى موضوع الجزاء والنقمة أشدّ المعاقبين.

والتوصية الثالثة تبيّن ما هو الأصل بين الرفق والشدّة وما هى مواردهما، يقول الإمام عليه السلام:

«وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَاتُغْنِى عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ».

وعلى هذا الأساس فالأصل فى المناسبات بين الوالى والرعيّة، بل يأتى هذا الأصل فى جميع أشكال الإدارة، هو الرفق والمداراة، ولكن إذا كان البعض يستغلون هذا اللين والرفق ويسيئون الاستفادة من مداراة المدير والوالى لهم، فهنا لابدّ من استخدام الشدّة.

وقد ورد فى الحديث الشريف المعتبر أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلَى شَىْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزِعَ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[۳۸۵].

إِنّ المَكارِمَ أخلاقٌ مُطَّهِرةٌفَالدِّينُ أَوّلُها والعِقلُ ثانيها

والعلمُ ثَالثُها والحِلمُ رابِعُهاوالجُودُ خَامِسُها والعُرفُ سَادِسُها

وَالبِرُّ سَابِعُها والصّبرُ ثَامِنُهاوالشُّكرُ تَاسِعُها واللّينُ عَاشِرها[۳۸۶]

***

يُخاطِبُنى السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبحٍوَأَكرَهُ أن أَكُونَ لَهُ مُجِيباً

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۷

يَزيدُ سَفاهةً وَأَزيدُ حِلماًكَعُودٍ زَادهُ الإحراقُ طِيباً[۳۸۷]

وحالياً نشاهد أنّ أفضل الطرق لمواجهة المفاسد الاجتماعيّة والتصدى لأشكال الجنوح والانحراف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر استخدام آليات المحبّة والخطاب المنطقى المقترن بالأدب والمداراة، فإنّ غالبية الناس يتحركون بالاتجاه الصحيح بهذا الأسلوب، ولكن هناك قلّة من الناس لا ينفع معها سوى الشدّة ولا ينتهون عن سلوكياتهم الخاطئة إلّابآليات القهر والقوّة.

فى التوصية الرابعة والخامسة والسادسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ».

وهذه التوصيات فى الحقيقة مقتبسة من الآيات القرآنيّة الشريفة، فالقرآن يخاطب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويقول: «وَاخْفِضْ

جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنينَ»[۳۸۸].

ويقول فى آية أخرى: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم»[۳۸۹].

وفى التوصية السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام:

« وَآسِ ۳۹۰] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَايَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ۳۹۱]، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَالسَّلَامُ».

وهذه التوصية تشمل المدراء والولاة فى المجتمع الإسلامى، وكذلك تشمل القضاة أيضاً حيث ورد فى كتاب القضاء أنّ هذه الأمور من وظائف القضاة، ولعل ذلك ينحصر بتعاليم الإسلام، بأن ينظر القاضى أو الوالى بنظرة واحدة للجميع، فلو قام احتراماً لواحد من المتخاصمين أو المراجعين يجب عليه القيام للجميع، وإذا سلّم على بعضهم ينبغى أن يسلّم على الجميع بصورة واحدة، بل لا ينبغى له أن ينظر

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۸

إلى بعضهم بجميع بصره وينظر إلى الآخر بطرف عينه، فمثل هذه التوصية تعنى أن يحسب الآخرين حسابهم ويعلموا أنّ هذا المكان هو مكان يراعى فيه موازين العدل والانصاف ولا ينبغى أن يتوقع أحدهم التميز فى الأمور المهمّة.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۱۹۹

الرسالة ۴۷

اشارة

لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ ۳۹۲]

نظرة عامّة للرسالة

هذه الوصيّة فى الواقع تعتبر أحد الوصايا الشاملة والمهمّة للإمام على عليه السلام عندما كان فى سرير الشهادة، ومخاطب هذه الوصيّة ولداه الحسن والحسين عليهما السلام، بل جميع الشيعة وأتباع آل البيت عليهم السلام وتتضمّن عدّة فصول مهمّة:

الفصل الأوّل، يوصى الإمام عليه السلام إبنيه بتقوى اللّه وعدم اهتمام بزخارف الدنيا، والدفاع المظلومين وحماية حقوقهم فى مقابل الظالمين.

وفى الفصل الثانى، يصرّح الإمام عليه السلام بأنّ مخاطبه هو جميع أبنائه وأهله وكل من تصل إليه هذه الوصيّة إلى يوم القيامة، ومرّة أخرى يؤكّد الإمام فى وصيّته على التقوى ونظم الامور والإصلاح بين الناس.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۰

وفى الفصل الثالث، يشير الإمام عليه السلام إلى عدّة مسائل مهمّة، منها الدعوة لكفالة الأيتام وحفظ حقوق الجيران، والعمل بالقرآن والاهتمام بإقامة الصلاة والحج والجهاد بالنفس والمال واللسان وتوثيق العلاقة بين الأفراد واجتناب الكراهية والفرقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وفى الفصل الأخير يخاطب عليه السلام أبناء عبدالمطلب مؤكّداً لهم أنّهم بعد استشهاده ينبغى أن يمتنعوا من سفك دماء المسلمين بذريعة مقتله والانتقام له، ويحمل المسؤوليّة فقط على قاتله الذى يجب القصاص فى حقّه، ثمّ يوصيهم باجتناب المثلة بعد القصاص من القاتل ولزوم دفنه.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۱

القسم الأوّل

اشارة

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

الشرح والتفسير: كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً!

هذه هى الوصيّة الثانية للإمام على عليه السلام فى فراش الوفاة (وقد سبق ذكر وصيّة أخرى للإمام فى الكتاب رقم ۲۳).

وكما أشرنا آنفاً، أنّ الإمام عليه السلام تحدّث بهذا الكلام فى فراش الوفاة وكتب هذه الوصيّة، ونعلم أنّ الإنسان فى مثل هذه الحالة يهتم ببيان الأمور المهمّة لديه بعبارات موجزة، ولم تكن وصيّة الإمام هذه تتعرض لكيفية تقسيم أمواله وثرواته، لأنّه لم يترك مالًا وثروة لورثته، وإن كان يملك مبلغاً من المال فقد جعله وقفاً للمسلمين، وتتركز هذه الوصيّة حول القيم الأخلاقيّة والمثل الإنسانيّة والتكاليف الدينيّة فى واقع الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وبالرغم من أنّ المخاطب فى هذا المقطع من الوصيّة، الحسن والحسين عليهما السلام، ولكن بقرينة المقطع الثانى من الوصية فإنّ الآخرين أيضاً مخاطبون بهذا الخطاب المهم.

وعلى أيّة حال فإلإمام عليه السلام فى المقطع الأوّل لهذه الوصيّة يوصى ولديه بسبعة أمور مهمّة:

الأوّل يقول عليه السلام:

«أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۲

أجل، كما قلنا مراراً أنّ التقوى تعنى الاحساس بالمسؤوليّة الباطنيّة فى مقابل الأوامر الإلهيّة، فهى تمثّل عصارة تعاليم جميع الأنبياء والأولياء وبدونها لا يستطيع أى شخص الخلاص من الوساوس الشيطانيّة والأهواء النفسانيّة، فمفتاح الجنّة هو التقوى، والمركب الذى يركبه السائل فى مراتب السلوك المعنوى والقرب الإلهى هو الورع.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى الوصيّة الثانية والثالثة يقول:

«وَأَلَّا تَبْغِيَا[۳۹۳] الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا،

وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ ۳۹۴] عَنْكُمَا».

ومعلوم أنّ الدنيا ذات أبعاد وأقسام مختلفة: قسم منها ضرورى لحياة الإنسان وبقائه، والقسم الآخر يتمثّل فى وسائل الترفيه بالشكل المعقول، ولكن القسم الذى يتضمّن أكثر من ذلك والإنسان يتجه نحوه بدافع الأهواء والتفاخر وأمثال ذلك، وبديهى أنّ الإمام عليه السلام لا ينهى عن القسم الأوّل والثانى، بل هو ناظر إلى القسم الثالث، كما ورد هذه المعنى فى القرآن الكريم: «وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا

مَتاعُ الْغُرُورِ»[۳۹۵] وقطعاً إذا تحرك الإنسان بهذا الاتجاه من طلب الدنيا فإنّ ذلك يبعده عن اللّه والآخرة ويدفعه للتلوث بأنواع الذنوب والمعاصى.

وعندما يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا»

، فالعلّة فى ذلك جلية لأنّ التأسف على شيء فقده الإنسان فى الماضى لا يعيده إليه، هذا أوّلًا، وثانياً، إنّ هذه الحالة السلبية فى النفس من شأنها إعاقة الفعاليات الإيجابيّة وعدم تركيز الاهتمام لحفظ ما يملكه الإنسان حالياً.

وهذا الكلام فى الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم ويقول: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ»[۳۹۶].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۳

ونقرأ فى حديث عميق المعنى، أنّ رجلًا كان يصلّى مع النّبى صلى الله عليه و آله، فلمّا انصرف قال النّبى صلى الله عليه و آله:

«هَذا رَجُلٌ مِنْ أَهلِ الجِنّةِ»

، قال عبداللّه بن عمرو، فأتيته فقلت:

ياعمّاه الضيافة، قال: نعم، فإذا له خيمة وشاة ونخل، فلمّا أمسى خرج من خيمته فاحتلب العنز واجتنى لى رطباً ثمّ وضعه، فأكلت معه فبات نائماً وبت قائماً، وأصبح مفطراً وأصبحت صائماً، ففعل ذلك ثلاث ليال، فقلت له: رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال فيك: إنّك من أهل الجنّة، فأخبرنى ما عملك؟ قال: فائت الذى أخبرك حتى يخبرك بعملى، فأتيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال: ائته فمره أن يخبرك، فقلت: إنّ رسول اللّه يأمرك أن تخبرنى، قال: أمّا الآن فنعم، قال: لو كانت الدنيا لى فأخذت منّى لم أحزن عليها، ولو اعطيتها لم أفرح بها، ولا أبيت وفى قلبى غل على أحد، قال عبداللّه: لكنّى واللّه أقوم الليل وأصوم النهار، ولو وهبت لى شاة فرحت بها، ولو ذهبت لحزنت عليها، واللّه لقد فضلك اللّه علينا فضلًا بيّناً[۳۹۷].

أجل، هكذا هى طبيعة الدنيا، فيوم لك ويوم عليك، فلا إقبالها يوحى بالاطمئنان لها ولا إدبارها يثير التأسف عليها.

ونقرأ فى حديث آخر عن ابن عباس أنّه قال: لم أنتفع بعد كلام رسول اللّه صلى الله عليه و آله بانتفاعى بكتاب كتبه على بن أبى طالب عليه السلام فإنّه كتب إلىَّ:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ وَيَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تَكُن بِهِ فَرِحاً وَمَا فَاتَكَ مِنْها فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ حُزْناً وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالسَّلَامُ»[۳۹۸].

وفى التوصية الرابعة والخامسة يقول عليه السلام:

«وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ».

أمّا نصرة الحقّ والالتزام الواعى بقول الحقّ وفقد ورد فى آيات متعددة من القرآن الكريم ومن ذلك ما ورد فى سورة «العصر» الأمر بالتواصى بين المؤمنين

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۴

بالحق: «وَتَواصَوا بِالحَقّ».

والجدير بالذكر أنّ الحقّ له معنى واسع جدّاً ويشمل كلّ حقيقة عقائدية وأخلاقيّة وحكمية والتعاليم والأحكام الإلهيّة وحقوق الناس فيما بينهم، والحقّ المتقابل بين الحاكم والرعيّة، أو بين السلطة والشعب، وحقّ الإنسان على نفسه وما إلى ذلك.

وأمّا للعمل والأجر والثواب الإلهى فهذا يعنى إخلاص النيّة وأن لا ينظر الإنسان إلى ما فى أيدى الناس بعين الطمع، وأن يحصر فكره ونظره بالثواب الإلهى ويؤدّى كلّ عمل بنيّة خالصة للّه تعالى.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة والسابعة إلى مسألة فى غاية الأهميّة، ويقول:

«وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً».

وهذه التوصية فى الحقيقة تأكيد على لزوم نصرة الحقّ والدفاع عنه كما ورد فى العبارات السابقة، وما حقّ أعظم من أن يعين الإنسان المظلوم فى مقابل الظالم، ليصل المظلوم إلى حقّه ويجتنب الظالم ظلمه، واللافت للنظر أنّ الظالم والمظلوم فى هاتين الجملتين مطلقان فلا يختصان بالمسلمين، ومن هذه الجهة فإنّ كلّ مظلوم فى العالم يجب على المسلمين الدفاع عنه ونصرته، ويجب عليهم التصدى لكلّ ظالم وجائر فى هذا العالم، ولو أنّ منظمات حقوق الإنسان اهتمت بتطبيق هذين الأمرين فقط، فإنّ الدنيا ستتحول إلى جنّة، ولكننا نرى أنّ هؤلاء الذين يدّعون الدفاع عن حقوق الإنسان يقفون مع الظالم عندما تتعرض منافعهم غير المشروعة للخطر، ويقفون ضد المظلوم، رغم أنّهم يرفعون لواء حماية المظلومين والتصدى للظالمين فى الظاهر.

ونقرأ فى حديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ أَصْبَحَ لَايَهُمُّ بِظُلْمِ أَحَدٍ غَفَرَ اللَّهُ مَا اجْتَرَمَ»[۳۹۹].

وفى الحقيقة أنّ أكثر الذنوب تعدّ نوعاً من أنواع الظلم والشخص الذى يجتنب

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۵

الظلم بجميع أشكاله هو الذى يتخلص من الذنوب كافّة.

ونقرأ فى حديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«وَمَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانَ مَعِى فِى الْجَنَّةِ مُصَاحِبا»[۴۰۰].

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى «غررالحكم» يقول:

«أَحْسَنُ العَدْلِ نُصْرَةُ المَظْلُومِ»[۴۰۱].

وكذلك نقرأ عن الإمام زين العابدين عليه السلام فى دعاء ۳۸ من الصحيفة السجاديّة (بوصفه قدوة لعامّة الناس):

«اللَّهُمَّ إِنِّى أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِى فَلَمْ أَنْصُرْه».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

القسم الثانى

اشارة

أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِى وَأَهْلِى وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِى ۴۰۲]، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ

أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ ۴۰۳] بَيْنِكُمْ، فَإِنِّى سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه و آله يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ

الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

الشرح والتفسير: أفضل الأعمال صلاح ذات البين!

فى هذا المقطع من الوصيّة يوسع الإمام عليه السلام دائرة مخاطبيه لتمتد إلى أبعد من ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وهم أهله وجميع أرحامه ومن تصل إلى أيديهم هذه الوصيّة إلى يوم القيامة ليقعوا جميعاً فى دائرة هذا الخطاب الإيمانى، فيقول:

«أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِى وَأَهْلِى وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِى، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّى سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه و آله يَقُولُ: (صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ)».

وهكذا نرى أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد فى هذا المقطع من الوصيّة على أمور ثلاثة:

الأوّل: التأكيد مرّة على الالتزام والواعى بمقتضيات التقوى والورع، فطريق النجاة لا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۸

يتيسر للإنسان إلّامن خلال التقوى، التى تعتبر زاد الإنسان ومتاعه فى سفره إلى الآخرة وكذلك تعتبر معيار شخصيّة الإنسان وكرامته أمام اللَّه تعالى بمقتضى قوله:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...»[۴۰۴].

والأمر الثانى: يوصى الإمام عليه السلام ولديه بنظم أمورهم فى حركة الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وهذا يشمل النظم فى الأبعاد الأمنيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة وفى العبادة، وكذلك ما يرتبط بالاسرة والتعليم والتربية للأبناء ونعلم أنّ بقاء عالم الوجود مرتبط بشكل وثيق بما فيه من نظام محكم فى ظلّ التدبير الإلهى، فلولا وجود النظم فى الأفلاك والمجرات السماوية لما بقى عالم الكون والطبيعة ولسارع إلى الانحلال والاندثار، ولو أنّ بدن الإنسان وما فيه من أجهزة وأعضاء تتحرك فى إطار من النظم الدقيق لسارعت الأمراض إليه وإرتبك عمل هذه الأجهزة المختلفة ولمات الإنسان فى وقت قصير، وكل مجتمع يفتقد النظم اللازم فإنّه يتعرض للفناء والانقراض، وكل إنسان يسلك فى خط العشوائيّة والعبثيّة بعيداً عن النظام فى حركة الحياة فلا يصل إلى نتيجة مهما كان يملك من قابليات وإمكانات كثيرة.

وعلى سبيل المثال يوجد فى دم الإنسان أكثر من عشرين نوعاً من العناصر المعدنيّة وشبه المعدنيّة ترتبط فيما بينها برابطة خاصّة ولكل واحد منها مهمّة خاصّة يؤدّيها فى البدن، فلو أنّ هذه التركيبات والعناصر تغيّرت قليلًا من الناحية الكميّة والكيفيّة فستظهر علائم الأمراض على الإنسان، ولهذا السبب فإنّ جميع الأطباء ومن أجل تشخيص جذور المرض الأصليّة يعملون على تحليل دم المريض فى المختبر ليروا فى أى قسم يوجد الخلل والنقص.

وفى المسائل الفلكيّة نرى أحياناً أنّ المنجمين وعلماء الفلك يتنبؤن بشكل دقيق بالخسوف وأنّه سيقع فى الساعة الفلانيّة والدقيقة الفلانيّة فى المكان الفلانى من الكرة الأرضية وذلك قبل عدّة أشهر من وقوع الخسوف أو الكسوف، ويجتمع فى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۰۹

تلك المنطقة جماعات كثيرة فى لحظة وقوع الكسوف لرصد الشمس فى ذلك الوقت، فلولا وجود نظم دقيق حاكم على عالم الوجود لما أمكن لعلماء الفلك أن يتنبأوا بمثل هذه الأمور، بل إنّهم يتنبؤون بالظواهر الكونيّة قبل آلاف السنين من وقوعها.

والآن لو أنّ الإنسان أراد فى علاقاته الاجتماعيّة أن يسلك طريقاً اللانظم واللامبالاة فسيكون قطعة غير متجانسة مع عالم الوجود، ومثل هذا الشيء الاستثنائى وغير المنسجم من مظاهر الطبيعة محكوم بالفناء والزوال.

أمّا صلاح ذات البين والحديث الذى نقله الإمام عليه السلام عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بأن إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصوم، فالعلّة فى ذلك جلية، لأنّه لولا مسألة إصلاح ذات البين والعمل على رفع الكدورات وإزالة العداوات وتبديل حالات الكراهية إلى حالات المحبّة والمودّة بين أفراد المجتمع الواحد، لسادت حالات التشتت والفرقة والتزلزل بينهم، وهذا بدوره يقود المجتمع كما يقول القرآن إلى الفشل والتناحر.

ولهذا السبب كان إصلاح ذات البين من أفضل العبادات بل ورد فى الروايات الشريفة أنّ المصلح بمنزلة المجاهد فى سبيل اللَّه:

«جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله اجْرَ المُصْلح بَيْنَ النَّاسِ كَاجْرِ المُجاهِدِ عِنْدَ النّاسِ»[۴۰۵].

ولا شك ولا ريب فى أنّ الجهاد يوجب عزّة الإسلام، والشخص الذى يتحرك فى واقعه الاجتماعى من أجل إيجاد حالات التفاهم والتواصل بين الناس ويسوق المجتمع الإسلامى نحو التوحد والاتحاد فإنّ عمله هذا يتسبب فى عزّة الإسلام والمسلمين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«صَدَقَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتَقَارُبُ بَيْنِهِمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»[۴۰۶].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً معروفاً، عندما قال مخاطباً المفضّل (وهو أحد أصحاب الإمام):

«إِذَا رَأَيْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ شِيعَتِنَا مُنَازَعَةً فَافْتَدِهَا مِنْ مَالِي»،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۰

أى أصلح بينهما وارفع النزاع ولو كان بدفع مبلغ من المال لهما، ولذلك نقر أ فى الرواية عن أبى حنيفة سابق الحاج قال: مرّ بنا المفضّل وأنا وختنى ۴۰۷] نتشاجر فى ميراث، فوقف علينا ساعة ثمّ قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده حتّى إذا استوفى كلّ واحد منّا من صاحبه، قال: أمّا إنّها ليست من مالى، ولكن أبوعبداللَّه عليه السلام أمرنى إذا تنازع رجلان من أصحابنا فى شىء أن أصلح بينهما وأفتديها من ماله، فهذا من مال أبى عبداللَّه عليه السلام ۴۰۸].

ونختم هذا البحث بحديث آخر من جملة الأحاديث الكثيرة الواردة فى هذا المجال، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلٍ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ إِصْلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسادَ ذاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحالِقَةُ»[۴۰۹].

وبعد أن ينقل العلّامة المجلسى الحديث النبوى الشريف الوارد فى كلام الإمام عليه السلام مورد البحث، ينقل عن أمالى الشيخ الطوسى بعد ذكره لهذه الرواية:

«المراد صلاة التطوّع والصوم»[۴۱۰] وكأنّ توضيح الشيخ الطوسى فى هذا الكلام يعتمد على رواية معتبرة عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصوم»[۴۱۱].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۱

القسم الثالث

اشارة

اللَّهَ اللَّهَ فِى الْأَيْتَام، فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِى جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ. مَا زَالَ يُوصِى بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الْقُرْآنِ، لَايَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِى بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَاتُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

الشرح والتفسير: وصايا هامّة على فراش الشهادة!

اشارة

يقدّم الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيّة عشر توصيات مهمّة فيما يتصل بالمسائل الاجتماعيّة والعباديّة والأخلاقيّة، وفى ستة موارد منها يستهلها الإمام عليه السلام بكلمة «اللَّه اللَّه» وذلك للدلالة على غاية الاهتمام والتأكيد، وبداية يشرع الإمام من الأيتام ويقول:

«اللَّهَ اللَّهَ فِى الْأَيْتَام، فَلَا تُغِبُّوا[۴۱۲] أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ».

وفيما يتصل بالاهتمام فى أمر اليتامى فقد ورد فى القرآن الكريم والروايات

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۲

الشريفة تأكيدات كثيرة بهذا المضمون، ممّا يعكس الروح الإنسانيّة وحالات التكافل الاجتماعى وحماية الضعفاء فى التعاليم والأحكام الإسلاميّة.

فنقرأ فى الآيـة ۹ من سـورة النسـاء قـوله تعـالى: «وَلْيَخْشَ الَّذينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خـافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا».

ويقول فى الآية بعدها: «إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً».

وورد فى حديث معروف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ مَسَحَ عَلى رَأْسِ يَتيمٍ كانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرّ عَلى يَدِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[۴۱۳].

أجل، فإنّ روح اليتامى عطشى للمحبّة، فتأثير المحبّة والمداراة لهؤلاء الأطفال اليتامى لا يفوقه أى إكرام واحترام لهم.

وفى حديث مشهور آخر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إنّ الْيَتيمَ إذا بَكى اهْتَزَّ لِبُكائِهِ عَرْشُ الرَّحْمنِ»[۴۱۴].

وجاء فى ذيل هذا الحديث أنّ اللّه تعالى يخاطب ملائكته ويقول:

«إنّ اليتيمَ إذا بَكى اهتزّ لِبُكائِهِ عَرشُ الرّحمنِ، فَيَقُولُ اللّهُ لِملائكتِه: يا مَلائكتِى! مَنْ أبكى هذا اليتيمَ الّذى غُيّب أبُوه فِى التّراب؟ فَتَقُولُ المَلائكةُ، أنتْ أعلمُ، فَيَقُولُ اللّهُ تعالى:

يامَلائكتِى! فإنّى اشهِدُكُم أنّ لِمَن أسكَتَه وَأرضاهُ أنْ أرضيهِ يَومَ القِيامةِ».

وجـاء فى كتـاب الكـافى، جىء إلى أميرالمـؤمنين عليه السـلام عسـل وتين من هَمـدان وحُلـوان ۴۱۵] فـأمر العرفـاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها وهو يقسمها قدحاً قدحاً، فقيل له: ياأميرالمؤمنين ما لهم يلعقونها، فقال الإمام عليه السلام:

«إِنَّ الْإِمَامَ أَبُو الْيَتَامَى وَإِنَّمَا أَلْعَقْتُهُمْ هَذَا بِرِعَايَةِ الْآبَاءِ»[۴۱۶].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۳

والملفت أنّ أباالطفيـل (الصـحابى المعروف ومن الأتبـاع المخلصـين للإمـام على عليه السـلام) يقـول: «رأيت عليّاً عليه السـلام يـدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: لوددت أنى كنت يتيماً»[۴۱۷].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى وصيّته الثانية يؤكّد على ضرورة الاهتمام بحقّ الجيران ويقول:

«اللَّهَ اللَّهَ فِى جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ. مَا زَالَ يُوصِى بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ ۴۱۸]».

وجملة

«فَإِنَّها وصِيَّةِ نَبِيِّكُمْ»

، إمّا من باب حذف المضاف، وهى فى الأصل:

«فإنّها محل وصّيةِ نبيّكم»

، أو من باب التأكيد بأنّهم عين وصيّته، من قبيل أن يقال:

زيد عدل، أو نقول مثلًا: الشخص الفلانى عين العدالة.

والتعبير ب «ظنّ» فى جملة در جمله

«حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ»

، بـأن يكونوا شـركاء فى الميراث إمّـا على مستوى التأكيـد ومن خلال ما سـمعوه من تكرار توصـية النّبى بالجيران، أو يراد بها المعنى الحقيقى، وأنّهم حسبوا واقعاً أنّ مقام الجيران إلى درجة يمكن أن يلحقوا بالأرحام والأقرباء ويكونون شركاء فى الميراث.

وعلى أيّـة حـال فالجار فى الإسـلام يتمتع باحترام خاص خلافاً لما نراه فى عالم اليوم والحياة الماديـة فى المجتمعات المعاصـرة، فربّما

عاش رجلان عشرين سنة جيراناً ولكن أحدهما لا يعرف الآخر بتاتاً.

إنّ فلسفة احترام الجار فى الإسلام جلية وواضحة، لأنّ الإسلام دين اجتماعى بامتياز، فتعاليمه ناظرة إلى تجمع الاسرة، تجمع الأقرباء والأرحام، تجمع الجيران، تجمع أهالى المدينة، تجمع المواطنين فى البلد الواحد، فكل واحد من أفراد هذه التجمعات له مكانة خاصّة فى الإسلام، فلو أنّ الجيران كانوا يهتمون واقعاً ببعضهم

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۴

البعض ويتشاركون الأفراح والأحزان فيما بينهم فإنّ الحياة ستكون حلوة وهنيئة وسيمنح هذا التواصل والتكاتف أفراد الجيران القوّة والروحية بحيث تمكنهم من التغلب بسهولة على المشاكل والتحديات الصعبة التى يفرضها الواقع، فاليوم يواجه هذا الجار مشكلة معينة فينهض سائر الجيران لمساندته وتقديم المعونة إليه لحل هذه المشكلة، وغداً تكون نوبة الجار الآخر ويتداعى له الجيران بالمعونة وهكذا.

ونقرأ فى حديث عميق المغزى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«هَلْ تَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ مَا تَدْرُونَ مِنْ حَقِّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلًا أَلَا لَايُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَنْ لَايَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ فَإِذَا اسْتَقْرَضَهُ أَنْ يُقْرِضَهُ وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأَهُ وَإِذَا أَصَابَهُ شَرٌّ عَزَّاهُ لَا يَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ فِى الْبِنَاءِ يَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِذَا اشْتَرَى فَاكِهَةً فَلْيُهْدِ لَهُ فَإِنْ لَمْ يُهْدِ لَهُ فَلْيُدْخِلْهَا سِرّاً وَلَا يُعْطِى صِبْيَانَهُ مِنْهَا شَيْئاً يُغَايِظُونَ صِبْيَانَهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ»[۴۱۹].

ونقرأ فى الآية ۳۶ من سورة النساء أنّ القرآن الكريم بعد التأكيد على الإحسان‌الوالدين والأقرباء واليتامى والمساكين، يؤكّد على الإحسان للجيران القربين والبعيدين، يقول: «وَالْجارِ ذِى الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ».

واللافت ما ورد فى حديث شريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام أنّ حدّ الجار يتمثّل فى أربعين منزلًا من الجهات الأربع ۴۲۰].

وممّا يجدر ذكره أنّ هذا الحديث الشريف لا يعنى أن نحسب أربعين داراً من كلّ جهة فى خط مستقيم بحيث يكون المجموع ۱۶۰ منزلًا، وأن لا تحسب المنازل الواقعة بين هذه الخطوط المستقيمة حتى لو كانت على مقربة من دار الشخص، بل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۵

المراد أنّ دائرة الجيران تمتد لشعاع أربعين منزلًا من كلّ جهة، ونعلم أنّ مساحة الدائرة تساوى ضرب نصف القطر فى عدد ۱۴/ ۳، ويتبيّن فى حساب بسيط أنّ المجموع يبلغ قرابة خمسة آلاف بيتاً، فجميع هذه البيوت والدور، وفق ما ورد فى الحديث الشريف، تعتبر من الجيران، أى أنّها مدينة مكونة من عشرين ألف نفر.

ونختم هذا الكلام بذكر قصّة تاريخيّة، ينقل ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة أنّ رجلًا يدعى أبوالجهم باع داره وكان فى جواره سعيد بن العاص بمائة ألف درهم، فلمّا أحضرها المشترى قال (أبوالجهم) له: هذا ثمن الدار، فأعطنى ثمن الجوار، فقال المشترى: أى جوار قال: جوار سعيد بن العاص، قال: وهل اشترى أحد جواراً قط، قال: ردّ علىَّ دارى، وخذ مالك، لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عنّى وإن رآنى رحّب بى، وإن غبت عنه حفظنى، وإن شهدت عنده قرّبنى، وإن سألته قضى حاجتى، وإن لم أسأله بدأنى، وإن نابتنى نائبة فرج عنّى، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه مائة ألف درهم، وقال: هذا ثمن دارك، ودارك لك ۴۲۱].

ونقرأ فى التوصية الثالثة أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد على العمل بالقرآن والالتزام بتعاليمه وأحكامه ويقول:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الْقُرْآنِ، لَايَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ».

وهذا الكلام إشارة إلى أنّكم لا ينبغى أن تقنعوا بتلاوة القرآن وتجويده وتغفلوا عن مضامينه وتعاليمه، فى حين أنّ الأجانب يتحركون فى حياتهم من موقع العمل بمضامين القرآن وتعاليم الإسلام، مثلًا، عندما يعرضون بضاعتهم فى السوق يراعون الصدق والأمانة فى

معاملاـتهم ولكنّكم لستم كذلك، أو أنّهم يلتزمون بعهودهم ومواثيقهم وأنتم تنقضون العهود ولاـ تلتزمون بالمواثيق فيما بينكم، وأولئك يسعون بجديّة لتحصيل وكسب العلوم المختلفة وإيجاد حالة النظم والانضباط فى علاقاتهم ولكنّكم لا تهتمون لذلك فتبقون فى ركب التخلف والتبعية، كما نشاهد هذا الحال- وللأسف- فى بعض المجتمعات البشرية والإسلاميّة وأنّهم يعملون على وضع

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۶

شارة وعلامة الشركات الأجنبيّة على منتوجاتهم ومصنوعاتهم ويبيعونها فى السوق، وهذا يعنى أنّ الناس تعتمد وتثق بالبضاعة الأجنبيّة ولكنهم لاـ يعتمدون على منتوجاتهم، والأجانب يسعون دائماً فى خط التطور العلمى ويبذلون الجهود الكبيرة فى سبيل التقدم والإزدهار، فى حين أنّ الكثير من الشعوب الإسلاميّة يعيشون الغفلة وحالة الاسترخاء والتكاسل وكأنّهم نيام، وهذا الأمر مؤلم جدّاً ومؤسف.

وقد ورد فى الحديث الشريف أنّ زياد بن لبيد جاء إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال له النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أمراً ثمّ أضاف شيئاً وقال:

«ذَلِكَ عِندَ أوان ذِهابِ العُلمِ»

، فقلنا:

وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا وأبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال:

«ثَكَلَتْكَ امّكَ يا زِياد! إنْ كُنتُ لأراكَ أفضلُ رَجل بِالمَدينةِ، أوَلَيسَ هَذِهِ اليَهودُ والنّصارى يَقرَأُونَ التَّوراةَ والإنجيلَ وَلا يَعمَلُونَ بِشىءٍ مِمّا فِيها»[۴۲۲]

. يعنى اخشوا يوماً تكونوا مثلهم.

وقد وردت تعبيرات فى غاية الأهميّة فيما يتصل بأهميّة القرآن الكريم فى النصوص القرآنيّة والروايات الإسلاميّة، فنقرأ فى خطب نهج البلاغة كلاماً مطولًا وعميقاً فى هذا الشأن وقد سبق أن ذكرناه فى البحوث السابقة، ولكنّا نكتفى هنا بذكر مقطع من الخطبة ۱۸۲ التى أوردناها فى الجزء السابع من هذا الكتاب، وأنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يتأسف ويتأوه على فراق إخوته وأحبّته ويذكرهم بهذه العبارات:

«أوِّهِ عَلَى إخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ»[۴۲۳].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه فى هذه الوصية ويتحدّث فى التوصية الرابعة عن الصلاة ويبيّن أهميتها ويقول:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ».

وقد ورد هذا التعبير بعمود الدين بشكل واسع فى روايات المعصومين عليهم السلام ومن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۷

ذلك ما ورد عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إنَّ عَمُودَ الدِّينِ الصَّلَاةُ وَهِىَ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ صَحَّتْ نُظِرَ فِى عَمَلِهِ وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ لَمْ يُنْظَرْ فِى بَقِيَّةِ عَمَلِهِ»[۴۲۴].

ويبيّن الإمام الباقر عليه السلام هذا المعنى بشكل واسع ويقول:

«الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ مَثَلُهَا كَمَثَلِ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ إِذَا ثَبَتَ الْعَمُودُ ثَبَتَتِ الْأَوْتَادُ وَالْأَطْنَابُ وَإِذَا مَالَ الْعَمُودُ وَانْكَسَرَ لَمْ يَثْبُتْ وَتِدٌ وَلَا طُنُبٌ»[۴۲۵].

والدليل على ذلك أنّ الصلاة تربط الإنسان بالبارى تعالى وتقوى فيه العلاقة بينه وبين ربّه وتحيى فيه روح التقوى والإيمان، ومن هنا فإنّها تردع الإنسان من اقتراف الفحشاء والمنكرات وتمنحه القدرة والقوّة على الإتيان بسائر الطاعات والعبادات الأخرى ومن هذه

الجهة تبقى خيمة الدين منصوبة فى حياة الإنسان المعنويّة، وأمّا ترك الصلاة فإنّه يقود الإنسان إلى نسيان اللّه، والغفلة عنه ومن يغفل عن اللّه تعالى فإنّه يتلوث بكل عمل قبيح.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام فى التوصية الخامسة أهميّة الحج إلى بيت اللّه، ويقول:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَاتُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا».

وذكر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ جملة

«لَمْ تُنَاظَرُوا»

إشارة إلى ابتعادكم عن نظر اللطف الإلهى بسبب عدم اهتمامكم ببيته، أو ابتعادكم عن نظرة تعظيم الناس لكم، بسبب تفرّق المسلمين وضعفهم فيما لو تركوا البيت الحرام، ولكنّ الظاهر أنّ المراد من التناظر فى هذه العبارة هو الإمهال، وذلك إشارة إلى أنّ المهلة الإلهيّة ستنقضى وسيحل عليكم العذاب ۴۲۶].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۸

ونقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِماً مَا قَامَتِ الْكَعْبَةُ»[۴۲۷].

والروايات الشريفة التى تتحدّث عن أهميّة الحج وزيارة بيت الحرام إلى درجة من الكثرة والاستفاضة أنّها خارجة عن إطار هذا المختصر، فنكتفى هنا بذكر جملة واحدة من هذه الروايات كخاتمة لهذا البحث:

يقول أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: قلت لأبى عبداللّه: إنّ رجلًا استشارنى فى الحج وكان ضعيف الحال (من الجهة الماليّة أو البدنيّة) فأشرت إليه أن لا تحج، فقال عليه السلام:

«مَا أَخْلَقَكَ ۴۲۸] أَنْ تَمْرَضَ سَنَةً»

، قَالَ: فَمَرِضْتُ سَنَةً[۴۲۹].

حكى عن رجل السياسة فى بريطانيا ويدعى (غلادستون) أنّه قال: مادام المسلمين يقرأون القرآن ويطوفون بالكعبة ويذكروا اسم محمّد كلّ صباح ومساء على المآذن، فإنّ النصرانيّة فى خطر محدق، فعليكم أن تحرقوا القرآن وتهدموا الكعبة وتمحو اسم محمّد من الآذان.

وفى التوصية السادسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

والمراد من الجهاد بالأنفس، الحضور فى ميادين القتال والتصدى لأعداء الإسلام والمسلمين للحفاظ على الإسلام والبلدان الإسلاميّة فى مقابل تحديات الأعداء وعدوانهم، وأمّا الجهاد بالأموال فيتمثّل بالمساعدات الماديّة والماليّة لتعبئة الجيوش الإسلاميّة فى الأزمنة القديمة ومدّها بالمؤن والعتاد اللازم، وفى هذا العصر يشمل الجهاد بالأموال جميع أشكال المساعدات فيما يتصل بالأمور الثقافيّة والاجتماعيّة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۱۹

والاقتصاديّة لتقوية دعائم الإسلام فى واقع المجتمعات الإسلاميّة، وأمّا الجهاد باللسان فيتمثّل بالدفاع المنطقى والخطاب العقلانى والتبليغ المستمر لنشر تعاليم الإسلام وأحكامه، واليوم يستفاد فى هذا السبيل من جميع وسائل الارتباط الجمعى فى العالم والأجهزة الحديثة فى هذا الشأن.

ويعتبر الجهاد قانوناً عاماً فى عالم الطبيعة، لأنّ جميع الموجودات الحيّة، سواءً من النباتات أو الحيوانات والأحياء الأخرى تتحرك فى مواجهتها للموانع والمعيقات بآلية الجهاد لتستمر فى حياتها وتزيح المعيقات من أمامها.

وفى طبيعة الخلقة فى هذا العالم، فإنّ كلّ موجود يستبطن فى ذاته آفة ونقصاً، ولو لم يناضل ويكافح من أجل التغلب على تلك الآفة فإنّه سرعان من يصيبه العطب ولا يمكنه الاستمرار فى حركة التكامل وإدامة الحياة.

إنّ جذور الأشجار، ولغرض الحصول على الماء والغذاء، تتجه دائماً إلى أعماق الأرض، وعند وصولها إلى مانع كالحجر فإنّها تحاول النفوذ فيه وتحطيمه أو الالتفاف عليه والاستمرار فى حركتها، وأحياناً نرى أنّ الجذور الرقيقة للنباتات تنفذ إلى الموانع الصلبة وحتى الفولاذية وتثقبها.

ولا نبتعد كثيراً فإنّ أبداننا تعيش حالة الجهاد فى الليل والنهار، لأنّ الميكروبات تنفذ إلى البدن من أربع طرق: الماء، الهواء، والغذاء، والجلد (فى حال وجود جرح أو خدش)، فلولا وجود القوى الدفاعية للبدن المتمثّلة فى خلايا الدم البيضاء وتصديها لهذه المكروبات فربّما يصاب الإنسان فى يوم واحد بأنواع الأمراض والأسقام، ولكنّ هذا الجهاد الصامت والعميق هو الذى يحفظ لنا سلامتنا وصحتنا.

والمجتمعات التى لا تتحرك فى خط الجهاد والتصدى للأعداء فإنّها ستواجه فى مدّة قصيرة الهلاك والفناء، أو تنحدر نحو الضعف والذلة والمهانة.

ونقرأ فى حديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ذُلّاً وَفَقْراً فِى مَعِيشَتِهِ وَمَحْقاً فِى دِينِهِ»

ثمّ قال:

«إِنَّ اللَّهَ أَعَزَّ أُمَّتِى بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمَرَاكِزِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۰

رِمَاحِهَا»[۴۳۰].

ونقرأ فى حديث آخر عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«وَاللَّهِ مَا صَلَحَتْ دُنْيَا وَلَا دِينٌ إِلَّا بِهِ (بالجهاد)»[۴۳۱].

وبالنسبة لأهميّة الجهاد فقد تحدّثنا فى البحوث السابقة عن هذا الموضوع، ومن ذلك ما ورد فى ذيل الخطبة ۲۷ من الجزء الثانى من هذا الكتاب.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام توصياته لبنيه وشيعته ويأمرهم بأربعة أمور مهمّة، ويقول فى البيان الأوّل والثانى:

«وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ».

ثمّ يطرح البيان الثالث والرابع ويقول:

«وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ».

«تواصل» من مادة «وصل»، ويشمل كلّ أشكال الإرتباط المعنوى والمادى والعقلانى والعاطفى، أمّا «تباذل» فهو من مادة «بذل» وهو من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأنّ إحدى طرق تمتين العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، البذل والمعونات المادية للمحتاجين والإنفاق على الآخرين بما يحقق لأفراد المجتمع التكاتف وتوثيق العلاقة فيما بينهم.

«تدابر» من مادة «دَبر» (على وزن عبد) يعنى الإعراض عن الآخر إظهاراً للكراهية والعداوة، لأنّ المعرض عن الآخر يعطيه ظهره، و «تقاطع» يراد به كلّ أشكال قطع العلاقة مع الآخرين، وهاتان المفردتان تقعان على الضد من المفردتين الأوليتين وهما من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأنّ التدابر يعنى الإنفصال الكامل، والتقاطع يشمل كلّ نوع من قطع الرابطة.

إنّ مسألة توثيق علائق المودّة والمحبّة بين الأفراد تارة تكون باللسان وأخرى عن طريق اللقاءات والزيارات المتبادلة، وهى مسألة فى غاية الأهميّة فى التعاليم الإسلاميّة، كما أنّ الكراهية والتنافر وقطع العلاقات مذموم فى نظر الإسلام، وقد

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۱

وردت أحاديث كثيرة فى ذم الهجران والتنافر فى المنابع الروائية المعتبرة، وأحياناً يشعر القارىء لها بقشعريرة لشدّة مضامينها.

وقد أورد المرحوم الكلينى فى كتاب «الكافى» حديثاً شريفاً عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَيُّمَا مُسْلِمَيْنِ تَهَاجَرَا فَمَكَثَا ثَلَاثاً لَا يَصْطَلِحَانِ إِلَّا كَانَا خَارِجَيْنِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا وَلَايَةٌ فَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى كَلَامِ أَخِيهِ كَانَ السَّابِقَ إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْحِسَابِ»[۴۳۲].

ونقرأ فى هذا الكتاب أيضاً رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لَا يَزَالُ إِبْلِيسُ فَرِحاً مَا اهْتَجَرَ الْمُسْلِمَانِ فَإِذَا الْتَقَيَا اصْطَكَّتْ رُكْبَتَاهُ وَتَخَلَّعَتْ أَوْصَالُهُ وَنَادَى يَا وَيْلَهُ مَا لَقِيَ مِنَ الثُّبُورُ»[۴۳۳].

بل يمتد الأمر إلى أبعد من ذلك، فالشخص الذى يرى نفسه مظلوماً وأنّ الطرف الآخر ظالم له يجب عليه أيضاً السعى لتطوير الرابطة معه والسعى للتصالح وإزالة غبار وافرازات الظلم، كما نقرأ هذا فى حديث آخر فى كتاب «الكافى» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لَا يَفْتَرِقُ رَجُلَانِ عَلَى الْهِجْرَانِ إِلَّا اسْتَوْجَبَ أَحَدُهُمَا الْبَرَاءَةَ وَاللَّعْنَةَ وَرُبَّمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ كِلَاهُمَا فَقَالَ لَهُ مُعَتِّبٌ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ هَذَا الظَّالِمُ فَمَا بَالُ الْمَظْلُومِ قَالَ لِأَنَّهُ لَايَدْعُو أَخَاهُ إِلَى صِلَتِه»[۴۳۴].

وهذه إشارة إلى لزوم التحرك على مستوى حلّ المشكلة بصورة سلميّة ومنطقيّة فيما بينهما.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية التاسعة والعاشرة فى كلامه يقول:

«لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۲

هنا ربّما يطرح هذا السؤال نفسه: هل هناك رابطة معنويّة وغيبيّة بين حكومة الأشرار وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أم توجد رابطة ظاهريّة وملموسة بينهما؟

الظاهر أنّه من الممكن إثبات العلاقة بينهما بصورة منطقيّة، لأنّ أحد المصاديق المهمّة للأمر المعروف والنهى عن المنكر تتمثّل فى التصدى لقوى السلطة والحكومة فيما لو إرتكبوا مخالفات شرعية ودستورية، فيجب على عامّة الناس تذكيرهم بواجباتهم ومطالبتهم للحكّام العمل وفق مقتضيات العدل والشرع، فلو أنّ الناس تركوا هذين الأمرين ووجد الحكّام أنفسهم أحراراً فى ما يتصرفون وفيما يسلكون دون أى اعتراض من أحد عليهم، فذلك من شأنه أن يزيدهم جرأة وجسارة على التوغل فى خط الانحراف والظلم، وبالتالى يتسلط الأشرار على المجتمع الإسلامى.

ولكن لماذا لا يستجاب الدعاء لرفع شرّ حكّام الجور والشرّ؟ فذلك لما ورد فى الروايات الإسلاميّة أنّ المصيبة والبلاء إذا كان بسوء اختيار الإنسان نفسه وتقصيره، فالدعاء لرفعه لا يكون مستجاباً ويقال له: هذه نتيجة أعمالك، لماذا تصرفت مثل هذا التصرف وارتكبت العمل الفلانى الذى تسبب لك بهذه العاقبة السيئة؟

والملفت للنظر ما ورد عن الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام أنّ الأخيار أيضاً فى مثل هذه الظروف إذا دعوا لا يستجاب لهم:

«فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[۴۳۵].

تأمل

أهمّية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وردت بحوث كثيرة وموسعة فى النصوص القرآنيّة والروايات الشريفة بالنسبة لأهميّة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونكتفى هنا

بذكر روايتين فى هذا الشأن:

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۳

الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَاجُ الصُّلَحَاءِ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ وَتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ وَتَحِلُّ الْمَكَاسِبُ وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ وَيُنْتَصَفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ»[۴۳۶].

وجاء فى ذيل هذا الحديث أنّ اللَّه عزّ وجلّ أوحى إلى شعيب النّبى عليه السلام أنّى معذّب من قومك مائة ألف نفر، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال شعيب عليه السلام: ياربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه:

«دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِى وَلَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِى»[۴۳۷].

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ خُلْقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ فَمَنْ نَصَرَهُمَا أَعَزَّهُ اللَّهُ وَمَنْ خَذَلَهُمَا خَذَلَهُ اللَّهُ»[۴۳۸].

والتعبير ب «خلقان» فى الواقع نوع من التشبيه، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد منه الخلق (بضم الخاء) ويعنى الخصلة فى ذات الإنسان، ولكنّ هذا الاحتمال بعيد ظاهراً بقرينة ما ورد فى ذيل الحديث.

وعلى أيّة حال فإنّ مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الأمور التى أكّدت عليها التعاليم السماوية وعمل بهذه الوظيفة الأنبياء والأولياء الإلهيين وقد أمروا جميع الناس بأداء هذه الوظيفة الشرعية.

وفى ختام هذا المقطع من هذه الوصيّة، لأبدّ من الإعتراف بصراحة أنّ هذه التوصيات العشر المذكورة أعلاه لو تجسدت فى حياة المسلمين على مستوى التطبيق والممارسة فإنّها تضمن لهم العزّة والقدرة والرفعة فى الدنيا، والسعادة الأبديّة فى الآخرة ولا يتوقع من شخصيّة نموذجيّة كأميرالمؤمنين عليه السلام فى وصيّته وهو على فراش الشهادة غير هذه التوصيات التى تتضمن سعادة الدنيا والآخرة للمسلمين.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۵

القسم الرابع

اشارة

ثُمَّ قَالَ:

يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَاأُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: «قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». أَلَا لَاتَقْتُلُنَّ بِى إِلَّا قَاتِلِى. انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

الشرح والتفسير: توصية الإمام عليه السلام المؤكدة حول قاتله!

فى هذا المقطع الأخير من هذه الوصيّة يتوجّه الإمام عليه السلام بكلامه نحو أقربائه وأرحامه من أبناء عبدالمطلب ويوصيهم بثلاثة أمور مهمّة فيما يتصل بقاتله، وهذا يعكس عظمة الإمام عليه السلام وسعة صدره تجاه أعدائه ومناوئيه.

بداية يقول:

«ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَاأُلْفِيَنَّكُمْ ۴۳۹] تَخُوضُونَ ۴۴۰] دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: «قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». أَلَا لَاتَقْتُلُنَّ بِى إِلَّا قَاتِلِى».

ومثل هذه المسألة تحدث كثيراً على إمتداد التاريخ، عندما يقتل زعيم كبير أو ملك من الملوك فإنّ جماعة من أتباعه يسلكون سبيل التعصب والانتقام ويقومون بمجزرة كبيرة، وجماعة أخرى تغتنم الفرصة لتسوية حسابتهم الشخصيّة من

نفحات الولايه، ج ١٠، ص: ٢٢۶

مخالفيهم فيكثروا فيهم القتل وسفك الدماء بهذه الذريعة، كما ورد فى التاريخ الإسلامى عندما قام أتباع الخليفة الثانى بعد مقتله على يد أبى لؤلؤة بالانتقام له من ذويه وأقربائه وقتلوا عدداً منهم، وكذلك عندما قتل مصعب بن الزبير أخا عبيداللّه بن زياد، فنذر عبيداللّه أن يقتل مائة نفر من قريش، فقتل منهم ثمانين نفر، ثمّ أخبروه بأنّ مصعب قد قتل ثمّ بعث برأسه إلى عبدالملك، فهدأت نفسه حينذاك ۴۴۱]، ولكن الإمام عليه السلام برؤيته الحكيمة وافقه الواسع وقف أمام هذا العمل، ولذلك لم تحدث بعد استشهاده تسوية حسابات شخصيّة باسمه ولم يتعرض المجتمع فى ذلك الوقت لمثل هذه الحوادث الدامية والفوضى المدمرة.

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه مع أقربائه ويصدر الأمر الثانى لهم ويقول:

«انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ».

والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام يوصى بإقامة العدل بالنسبة لقاتله حتى فى كيفية القصاص، لئلا يتحرك شيعته بدافع التأثر الشديد على مقتله ويعاملون قاتله بالقتل الفجيع والمثلة ولا يكتفوا بالقصاص العادل.

وقد سبق وأن قرأنا فى الكتاب رقم ٢٣ أنّ الإمام عليه السلام يقول:

«إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِى وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِى قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ».

ونستوحى من هذه العبارات أنّ الإمام عليه السلام كان راغباً فى العفو عن قاتله ولكن الظروف والمستجدات فى ذلك المحيط الاجتماعى لا تسمح قطعاً بالعفو عن القاتل، ولذلك يوصى الإمام عليه السلام هنا بالحدّ الأدنى من القصاص.

والجدير بالذكر ما ورد فى «تاريخ الطبرى» وكذلك فى «الكامل» لابن الأثير، أنّ قاتل الإمام على عليه السلام، عبد الرحمن بن ملجم قال قبل استشهاد الإمام عليه السلام: شحذته- سيفى هذا- أربعين صباحاً وسألت اللّه أن يقتل به شرّ خلقه، فقال الإمام عليه السلام له:

نفحات الولايه، ج ١٠، ص: ٢٢٧

«أَنْتَ أَشقَى خَلقِ اللَّهِ وَقَدْ قَتَلْتَ نَفسَكَ بِسَيفِكَ»[۴۴۲].

ثمّ يوصى الإمام عليه السلام بوصيّته الثالثة والأخيرة ويقول:

«وَلَا تُمَثِّلُوا[۴۴۳] بِالرَّجُلِ، فَإِنِّى

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»[۴۴۴]».

إنّ المثلة بوصفها حالة إنتقامية وغير إنسانيّة كانت متداولة فى عصر الجاهليّة، ولذلك قام العرب المشركون فى معركة احد بقتل حمزة سيّد الشهداء وعمّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث لم يكتف العدو بقتله بل شّق صدره بوحشيّة وقساوة فظيعة وأُخرج كبده أو قلبه وقطع اذنه وأنفه، وعندما شاهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله شهادة عمّه حمزة بن عبدالمطلب، تألم لذلك كثيراً وقال:

«اللّهمّ لَكَ الحَمدُ وَإِليكَ المُستَعانُ عَلى ما أرى ثمّ

قال:

«لَئِن ظَفرتُ لأَمُثلِنّ وَلأَمَثلَنّ وَلأَمَثِلَنّ»

وعلى رواية أخرى أنّه قال:

«لأَمَثِلَنّ بِسَبعِينَ مِنهُم»

فنزلت الآية: «وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»[۴۴۵]، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أصبرُ أصبرُ»[۴۴۶]

(يعنى ولا أنتقم).

ونعلم جيداً أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد فتح مكّة كان يملك القدرة الكاملة على الانتقام من أعدائه والمجرمين بأشدّ أنواع الانتقام ولكنّه آثر العفو والصفح عنهم، أضف إلى ذلك ما ورد فى حديث عن أحد الصحابة أنّه قال:

«مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله خُطْبَةً أَبَداً إِلَّا أَمَرَنَا فِيهَا بِالصَّدَقَةِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُثْلَةِ»[۴۴۷].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۲۹

الرسالة ۴۸

اشارة

إلى مُعاوِيَةَ[۴۴۸]

نظرة عامّة للرسالة

بداية لابدّ من الإشارة فى شأن صدور هذه الرسالة كما ذكر ذلك صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة وأنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى أحد أيّام معركة صفين حيث اشتد فيه القتال، وضع عمامة رسول اللّه صلى الله عليه و آله على رأسه وقال: أيّها الناس من أراد أن يتعامل مع اللّه فى هذا اليوم فليستعد، فقام معه عشرة آلاف نفر أو أكثر فاستعدوا للقتال مع الإمام، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام قرأ أبياتاً من الشعر الحماسى وهجم على جيش الشام، وكذلك حمل مَن معه حملة رجل واحد وشقّوا صفوف جيش الشام، فعندما رأى معاوية هذا الحال ركب جواده واستعد للفرار، ولكن عمرو بن العاص أوصاه بأن يرفع المصاحف على الرماح ويدعو جيش الإمام عليه السلام بالخضوع لحكم القرآن،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۰

وهذا الأمر أدى إلى وقوع الاختلاف فى صفوف جيش العراق، وفى ذلك الوقت كتب معاوية كتاباً للإمام على عليه السلام وخلاصته: لقد طالت بنا الحرب وكل واحد منّا يراى الحقّ بجانبه، وقد قتل جماعة كثيرة من الناس وإنّى أخاف أن يكون المستقبل أسوء من ذلك وسنكون غداً مسؤولين أمام اللّه عن هذا الأمر، فإنّا أدعوك لما فيه صلاح الامّة وحفظ دمائها ودفع الفتنة والعداوة، وذلك أن نختار رجلين ممن نرضاهما لأمر التحكيم أحدهما من أنصارى والآخر من أنصارك ليحكموا طبقاً لحكم اللّه فاتق اللّه وارض بحكم القرآن والسلام.

فكتب إليه الإمام عليه السلام فى مقام الجواب هذه الرسالة، التى تشتمل على نصائح لمعاوية وتحذيره من عاقبة أعماله التى ستقوده للندم والخسران، وهذه هى عاقبة كلّ مَن سار فى خط الشيطان وأذعن لدعوته وسلّم زمام أموره بيده.

وفى القسم الآخر من هذه الرسالة، يعلن الإمام عليه السلام قبوله بمسألة حكمية القرآن، لا من أجل دعوة معاوية، بل بسبب عظمة القرآن وحرمته.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۱

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص ۲۳۱

الشرح والتفسير: نصيحة جامعة لمعاوية

يشير الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة الموجزة والعميقة المعنى إلى عدّة نقاط مهمّة ذكّر بها معاوية بأنّه إذا استمع لنصيحة الإمام عليه السلام من كلّ قلبه وتحرك على مستوى العمل لتطبيقها فإنّه لم يكن ليحدث كلّ هذا الفساد فى العالم الإسلامى وسوف لا يتسنى لشجرة بنى اميّة المشؤومة فى النمو والرشد فى البلاد الإسلاميّة المقدّسة.

بداية يتحدّث الإمام عليه السلام فى نصيحته بشكل عام ويقول:

«وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ[۴۴۹]

يُوتِغَانِ ۴۵۰] الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ».

أجل، لا شيء أشنع وأسوء من الظلم والكلام الباطل، لأنّه يخدع الإنسان ويوقعه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۲

فى وداى الهلكة والمتاهة بحيث لا طريق له للعودة للإيمان والصلاح وبالتالى سيخسر دينه ودنياه، وسيفتضح لدى عامّة الناس ويعرفونه بالفساد والإفساد.

وفى النقطة الثانية يقول الإمام عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ».

يعتقد الكثير من شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه الجملة إشارة إلى مطالبة معاوية بدم عثمان، لأنّ الأشخاص الذين رجحوا السكوت وتركوا نصرة عثمان فهم شركاء فى قتله، ولكنّهم ومن أجل التشويش على العوام وتحميقهم والتوصل إلى مآربهم الدنيئة رفعوا لواء الثأر لدم عثمان وطلبوا من الإمام عليه السلام أن يسلّمهم قتلة عثمان ليقتصوا منهم، ولكن الإمام عليه السلام يقول: إنّك بهذا العمل لن تصل إلى مقصودك وأنت وأعوانك شركاء فى قتل عثمان ولا يمكنكم المطالبة بدمه والقصاص من قتلته.

ويحتمل أيضاً فى معنى هذه العبارة أنّ المراد من جملة

«مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ»

، هو حكومة الشام التى يطالب بها معاوية من الإمام عليه السلام، فالإمام عليه السلام يقول: إننى لا أسمح لك أبداً بتولى حكومة الشام، والشاهد على هذا الاحتمال ما ورد سابقاً فى الرسالة رقم ۱۷.

وهناك احتمال آخر أيضاً طرحه بعض الشرّاح فى هذا المورد، وهو أنّ الإمام عليه السلام يقول: أنت لن تصل إلى مرادك من الدنيا وأنّ حكومتك مع ما فيها من الحوادث والمشكلات ستمر بسرعة وتقودك إلى الهلكة، والشاهد على هذا المعنى ما أورد بعض المؤرخين فى نقلهم لهذه الرسالة من جملة قبل هذه الجملة حيث يقول الإمام عليه السلام فيها:

«فَاحْذَرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَافَرَحَ فِي شَيْءٍ وَصَلْتَ إِلَيْهِ مِنْهَا وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُه ...»[۴۵۱].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فى النقطة الثالثة من رسالته محذّراً معاوية لينتبه من غفلته ويقول:

«وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا[۴۵۲] عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۳

ويرى أغلب شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه الجملة إشارة إلى طلحة والزبير وأنصارهما الذين أشعلوا نار حرب الجمل للتوصل إلى مقام الخلافة وسدة الحكم، فهؤلاء تعاهدوا فيما بينهم بأنّهم لا يتركوا هذا الأمر حتى يحصلوا على حكومة البصرة وإن استطاعوا أكثر من ذلك فإنّهم يوسعون سلطانهم على المناطق الأخرى ولكنّهم بأجمعهم أخفقوا فى تحقيق مبتغاهم وقد قتل زعماؤهم وانهزم الباقون، أمّا عائشة التى كانت من قادة هذه الفتنة والحرب، فقد عفى عنها الإمام عليه السلام وعادت إلى المدينة فى حالة الخجل والندم، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة «

فَأَكْذَبَهُمْ»

، تعنى أنّ اللَّه تعالى فضحهم وأكذب احدوثتهم وأبرز خديعتهم.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى النقطة الرابعة يحذّر معاوية ويذكّره بقيام الساعة وأنّه سيرى عاقبة أمره وأعماله فى ذلك اليوم، يقول:

«فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ[۴۵۳] فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ[۴۵۴] عَاقِبَةَ

عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ ۴۵۵] الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ ۴۵۶] فَلَمْ يُجَاذِبْهُ».

أجل، فى ذلك اليوم يفرح الصالحون ويغتبط المؤمنون، ولكنّهم فى الوقت نفسه يتأسفون على ما فاتهم من أيّام وساعات لم يعملوا فيها عملًا صالحاً ولم يزدادوا من الصالحات والخيرات، أمّا الأشرار فإنّهم سيعيشون الندم الشديد بسبب إرتكابهم للسيئات ولما يرونه أمام أعينهم من عذاب أليم على ما إجترحوه فى الدنيا.

ويطلق القرآن الكريم على يوم القيامة بأنّه «يوم الحسرة» ويقول: «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۴

الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فى غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ»[۴۵۷].

ويقول فى الإية ۵۴ من سورة يونس: «وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ».

وقد ورد فى بعض نسخ نهج البلاغة كلمة «يغتبط» بصورة مبنى للمجهول وتعنى أنّ الصالحين سيقعون مورد غبطة الآخرين، وهذا التعبير أنسب مع مفهوم الغبطة.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه بعد النصائح المثيرة ويبيّن الهدف الأصلى من هذه الرسالة ويقول:

«وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ».

ومعلوم أنّ معاوية لم يكن من أهل القرآن، والشواهد التاريخيّة تدلّ على أنّه لم يكن يؤمن بالقرآن إيماناً سليماً، بل كان يتخذ القرآن وسيلة للخلاص من الهزيمة القطعية والتوصل إلى أهدافه وغاياته المشؤومة.

جاء فى كتاب «صفين»: عندما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح، قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«عِبادَ اللَّهِ إِنّى أَحَقُّ مَنْ أجابَ إلى كِتابِ اللَّهِ وَلكنَّ مُعاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعاصِ وَابْنَ أبى مُعيطٍ وَحَبيبَ بْنَ مُسْلِمَةٍ وَابْنَ أَبى سَرْحٍ لَيْسُوا بِأَصْحابِ دِينٍ وَلا قُرآنٍ إِنّى أَعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ صَحِبْتَهُمْ أَطْفالًا وَصَحِبْتُهُمْ رِجالًا فَكانُوا شَرَّ أَطْفالٍ وَشَرَّ رِجالٍ»[۴۵۸].

ويتبيّن من هذه العبارة أنّ الإمام عليه السلام لم يكن راضياً بمثل هذا التحكيم الكاذب للقرآن الكريم، ولكنّ جماعة من أنصاره وأتباعه الجهلة فرضوا على الإمام عليه السلام هذه القضية، وعندما شاهدوا العاقبة السيئة لهذا التحكيم ندموا على ذلك، والعجيب أنّهم اعترضوا على الإمام لقبوله أمر التحكيم!

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۵

الرسالة ۴۹

اشارة

إلى مُعاوِيَةَ أيْضاً[۴۵۹]

نظرة عامّة للرسالة

كما ورد فى بحث سند هذه الرسالة فالمخاطب لها- كما يعتقد الكثير من المؤرخين والشارحين- هو عمرو بن العاص، وقد صرّح بهذا المعنى الدينورى فى كتابه «الأخبار الطوال»، ونصر بن مزاحم فى كتاب «صفين»، أضف إلى ذلك أنّ قسماً من هذه الرسالة قد حذفها السيّد الرضى عند انتقائه لبعض المواضيع منها ولكنّه يذكر بأنّ الإمام عليه السلام فى ذلك المقطع المحذوف حذّر عمرو بن العاص بصراحة من اتّباعه لمعاوية.

وعلى أيّة حال، فالمخاطب لهذه الرسالة أيّاً كان، يتحدّث الإمام عليه السلام معه بكلامه البليغ ومواعظه المثيرة أن لا ينخدع بالدنيا، فالدنيا لا ترضى أصحابها أبداً فيما يطمعون للوصول إليه ويزداد حرصهم للتوصل إلى مبتغاهم، وضمناً يوصيه الإمام بالاعتبار من تاريخ الأقوام السابقة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۷

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ! وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: الحرص على الدنيا لا يوصلك إلى شيء!

فى هذه الرسالة وبعد أن يحمد الإمام عليه السلام البارى تعالى ويثنى عليه يلفت نظر المخاطب «سواءً كان معاوية أو عمرو بن العاص» إلى أمور مهمّة.

بداية يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا».

لأنّ عمل الدنيا وسلوكها إلى درجة من التعقيد والتنوع والمثير للتشويش بحيث إنّ الإنسان إذا اتّجه نحوها فإنّها ستشغله فى جميع عمره ووقته حتى يغفل عن الاهتمام بسلامته وراحته والقيام بوظائفه تجاه زوجته وأبناءه وأصدقائه وأرحامه، وأكثر من ذلك تشغله عن أداء الفرائض الإلهيّة والتكاليف الشرعية، حتى يصل الأمر بأصحابها فيما لو كانوا من أهل الصلاة أن يؤدّوا صلاتهم فى آخر وقتها ويفكرون فى أثناء الصلاة فى أمورهم الدنيويّة، ويستعجلون باتمامها بعيداً عن حالات التوجه القلبى إلى اللّه تعالى فى صلاتهم، وأحياناً يخرجون من بيوتهم فى الصباح الباكر فى طلب الدنيا وأبناؤهم يغطون فى نوم عميق، وعندما يعودون فى الليل يرون أطفالهم نيام كذلك، وهذه طبيعة أصحاب الدنيا وحياتهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۳۸

وفى المقطع الثانى يتعرض الإمام عليه السلام لمسألة خطيرة وهى حالة الحرص لدى أصحاب الدنيا ويقول:

«وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً[۴۶۰] بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا».

وقد ورد فى بعض الروايات تشبيه الدنيا بماء البحر المالح، الذى كلّما شرب منه العطشان إزداد عطشاً، وهذا ما ورد فى حديث عن

الإمام الكاظم عليه السلام يقول:

«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ ازْدَادَ عَطَشاً حَتَّى يَقْتُلَهُ»[۴۶۱].

ويتحدّث القرآن الكريم عن هذه الحالة ضمن قصّة بليغة تتلخص فى أخوين متخاصمين جاءا إلى النّبى داود عليه السلام فقال أحدهما «إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنيها وَعَزَّنى فِي الْخِطابِ»[۴۶۲].

فحكم داود عليه السلام بينهما وقال: «قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ ...»[۴۶۳].

هذه القصّة تشير إلى أنّ أصحاب الدنيا يعيشون الحرص والولع إلى درجة إلى أنّهم لايرضون للآخرين أنيتملكوا أدنى شىء حتى لوكانوا إخوتهم. وكما يقول‌الشاعر:

زيادَةُ المرءِ فى دُنياهُ نُقصانُوَربحهُ غير محض الخيرِ خُسرانُ

وَكُلُّ وجدانِ خطٍّ لانبات لهَفإنّ مَعناهُ فى التّحقيقِ فُقدانُ

ياعامراً لِخرابِ الدّهرِ مُجتهداًباللَّهِ هلْ لِخرابِ العُمرِ عمرانُ

ياخادمَ الجِسمِ كَمْ تَسعى لِخدمتِهِفأنتَ بِالنّفسِ لا بِالجسمِ إنسانُ

وُذو القناعةِ راضٍ فى معيشتِهِوَصاحبَ الحرصِ إن أثرى فغضبانُ

هما رضيعا لبانٍ حكمةٍ وتُقىوَساكنا وطنٍ مالٍ وطغيانُ

نفحات الولايۀ، ج ۱۰، ص: ۲۳۹

وجاء فى الحديث القدسى المعروف:

«لَوْ كانَ لِابْنِ آدَمَ وادِيانِ مِنْ ذَهَبٍ لَابْتَغى إلَيْهِما ثالِثاً وَلا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنَ آدَمَ إلَّاالتُّرابُ»[۴۶۴].

وقال الشاعر:

وَيحَكِ يا نَفسُ دعىمَا عِشتِ ذلّ الطّمعِ

وَارضى بِما جرى بِهِحُكمُ القَضاءِ واقتَنعى

إيّاكِ والميلَ إلىشَيطانكِ المُبتَدِعِ

واقتَصدى واقتَصرى كى تَرتَوى وَتَشبَعى

أينَ السّلاطِينُ الاولىمِنْ حميَرٍ وتّبعِ

شَادُوا الحُصُونَ فَوقَ كُلّ شَاهِقٍ مُرتفعِ

لَم يَبقَ مِنْ دِيارِهِمغيرَ رِسُومٍ خُشّعِ

كَفا بذاكَ واعظاًوزاجراً لِمَن يعى

حَسبُكَ يا نَفسُ اقبلىنُصحى وِلا تُضيّعى ۴۶۵]

وحالة الحرص فى الحقيقة نوع من الجنون، لأنّ الكثير ممَن يعيشون هذه الحالة يملكون كلّ ما يمنحهم الرفاهية والراحة فى الحياة بحيث إنّهم يستطيعون بما يملكونه من العيش إلى آخر حياتهم بشكل جيد ومريح، ولكنّ جنود الحرص لا يدعهم يعيشون فى راحة وتدعوهم باستمرار إلى بذل مزيد من الجهد والتعب لتحصيل المزيد والمزيد بحيث إنّهم لو اعطوا جميع ما فى الدنيا لتمنّوا أن يكون لهم ما فى السموات أيضاً.

ولذلك نقرأ فى دعاء بعض الأئمّة المعصومين عليهم السلام:

«أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَايَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَايُسْمَع»[۴۶۶]

وفى الحقيقة فالحرص يعتبر المنبع

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۰

الأصل لجميع المشكلات والمصاعب وما يترتب عليها من نتائج أليمة وعواقب سيئة.

ونختم هذا البحث بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

«مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بَاباً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحِرْصِ مِثْلَهُ»[۴۶۷].

وفى المقطع الأخير يقول الإمام عليه السلام:

«وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ![۴۶۸]».

أجل، فإنّه لا تمضى مدّة حتى يجد الإنسان نفسه وهو يودع ما تعب فى تحصيله من الأموال النفيسة والمملوكات والأشياء الجميلة ويتركها جميعاً ويكتفى بحصّته من هذه الثروات وهى الكفن حيث يذهب معه إلى قبره.

ويتحدّث القرآن الكريم عن قصور الفراعنة وما تركوه من بساتين ومزارع وعيون وقرى مزدهرة، ويقول: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كانُوا فيها فاكِهِينَ* كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ»[۴۶۹].

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى هذه الرسالة ويشير إلى النقطة الرابعة:

«وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ».

إنّ الاعتبار من مصير السابقين يعدّ من المسائل المهمّة التى ورد التأكيد عليها فى القرآن الكريم وأحاديث نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله وأئمّة الدين عليهم السلام.

يقول القرآن الكريم: «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[۴۷۰].

وأساساً فإنّ قسماً مهمّاً من الآيات القرآنيّة التى تتحدّث عن تاريخ الأقوام السابقة ناظر إلى هذه المسألة، لأنّه لا درس ولا عبرة أبلغ من دورس التاريخ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۱

والحوادث الواقعة فى طيات التاريخ البشرى، ولكن الكثير من الناس، كما يقول القرآن الكريم يمرّون على هذه الآيات والآثار دون التدبر فيها وكسب العبرة منها، فيمرّون على آثار القدماء وأطلال الأقوام الغابرة لغرض النزهة والترويح عن النفس فقط، واليوم نرى أنّ صناعة السياحة تتسع وتزدهر وفى الغالب ينظر السيّاح إلى الآثار التاريخيّة بوصفها آثار فنية وتعكس حضارة أولئك القوم ومقدراتهم الفنية وإمكاناتهم العمرانيّة ويفتخرون بذلك دون أن يطالعوا مستقبلهم وما سيكون مصيرهم من خلال هذه الآثار والأطلال.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۳

الرسالة ۵۰

اشارة

إلى أَمَرائِهِ عَلَى الْجَيْشِ ۴۷۱]

نظرة عامّة للرسالة

تتشكل هذه الرسالة أساساً من ثلاثة مقاطع:

المقطع الأوّل: يتحدّث الإمام عليه السلام عن حقّ اللّه تعالى على أولياء الأمور ومن بيدهم مقاليد الولاية والسلطة، فلا ينبغى أن تكون هذه القدرة والسلطة عاملًا لغفلتهم عن حاجات الناس وإبعادهم عنهم، بل ينبغى استثمار هذه القدرة للانفتاح على الناس والاقتراب منهم والسعى فى قضاء حوائجهم.

وفى المقطع الثانى: يخاطب الإمام عليه السلام قادة جيشه ويقول: إنّى أحسبكم بطانتى وإخوانى ولا أكتمكم سرّاً، (سوى الأسرار العسكرية والحربية) وأستشيركم فى المسائل التى ليس فيها حكم إلهى مسلّم واؤُدى حقّكم كاملًا، وفى مقابل ذلك يجب

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۴

عليكم أن تتحركوا فى خط الطاعة لأوامرى التى تصبّ فى خدمة الامّة الإسلاميّة ولا تتوانوا عن خدمة المسلمين ولا تمتنعوا عن أى تضحية وإيثار.

وفى المقطع الثالث: يتحدّث الإمام عليه السلام عن الأشخاص الذين سلكوا طريق المخالفة والعناد وتمردوا على طاعة إمامهم، ويهددهم بالعقوبة القاسية.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۵

القسم الأوّل

اشارة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِى أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ.

الشرح والتفسير: لا يبعدنّكم المقام عن الناس!

يتحدّث الإمام عليه السلام فى المقطع الأوّل من هذه الرسالة إلى زعماء جيشه بوصفهم «أصحاب المسالح» أى المحافظين للثغور ويقول:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ».

«المسالح» جمع «مسلحة» وتعنى الحد والثغر، والحدود عادة هى المناطق التى تقع فى أطراف البلاد، وربّما تتعرض لهجوم من قِبل العدو، ولهذا السبب فإنّ الحكومات تضع قسماً مهماً من قواتها المسلحة فى هذه المناطق لتأمن من هجوم الأعداء المباغت على هذا البلد، وهذا التعبير يشير إلى أنّ الاهتمام بالثغور وتحصين الحدود يعتبر من أهم وظائف القوات المسلحة والجيش فى الإسلام.

ثمّ يشرع الإمام عليه السلام من نفسه ويبيّن حقوق الوالى بشكل عام، وفى المقطع الآخر يشير إلى موارد خاصّة بالتحديد كشرح وبيان

لهذا المجمل ويذكرها واحداً بعد الآخر.

وعلى أيّة حال فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة يشير إلى نقطتين مهمتين:

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۶

الأولى: قوله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ ۴۷۲] خُصَّ بِهِ».

وهذه إشارة إلى أنّ الوالى أو القائد يجب أن يكون إلى درجة من قوّة الشخصيّة وبناء الذات لا يغيّره المنصب ولا يضيع نفسه فى حال وصوله إلى القدرة ويحمله على العجب والغرور والأنانيّة، وبالتالى يعيش حالات الاستبداد والتفرعن كما هو الحال فى غالبية زعماء الدنيا وقادتها الماديين، فإنّهم قبل وصولهم إلى مسند القدرة والسلطة يتحدّثون للناس بكلمات لطيفة ويعيشون حالة البساطة والشعبية، ولكنّهم عندما يصلون إلى مسند السلطة ينسون كلّ شىء وتبدأ حالات الاستبداد تتضخم لديهم، ولكنّ أولياءاللّه والأشخاص الذين يسيرون فى خطهم مصونون من هذا الخطر.

فى المقطع الثانى يضيف الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ».

وتشير هذه العبارة إلى أنّ الإنسان الجالس فى مسند الرئاسة والقدرة ليس فقط لا ينبغى له الاستبداد والابتعاد عن الناس بل بعكس ذلك يجب عليه كلّما إزدادت نعمة اللّه عليه أن يقترب من الناس أكثر فأكثر، ويتواصل معهم من مواقع المحبّة والشفقة وهم الذين يصفهم الإمام عليه السلام بأنّهم «إخوانه» لأنّ شكر هذه النعمة لا يتيسر إلّا من هذا الطريق.

وعلى هذا الأساس فالإمام عليه السلام يقرّ لمخاطبيه فى البداية بحقّهم فى مطالبة الإمام بأداء حقوقهم، ثمّ يبيّن الإمام فى المقطع اللاحق من هذه الرسالة حقّه عليهم.

وقد ورد فى كتاب «غررالحكم» عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ حَوائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَاغْتَنِمُوها وَلا تَمَلُّوها فَتَتَحَوَّلَ نَقِماً»[۴۷۳].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۷

القسم الثانى

اشارة

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِى أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِى حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِىَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِى حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِى فِى الْحَقِّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، وَلِى عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ؛ وَأَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِى صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِى عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِى فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

وَالسَّلَامُ.

الشرح والتفسير: حقوق الإمام وحقوق القادة

فى هذا المقطع من الرسالة يفصل الإمام عليه السلام ما أجمله وبيّنه بشكل عام ومغلق فى المقطع السابق.

بداية يشير إلى حقوق الرعيّة عليه ويؤكّد على خمسة حقوق، وأوّل هذه الحقوق يقول عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِی أَلَّا أَحْتَجِزَ[۴۷۴] دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِی حَرْبٍ».

ومعلوم أنّ إخفاء الأسرار عن الأصحاب والأعوان يعدّ نوع من عدم الثقة والاعتماد عليهم، وفی الكثير من الموارد يتسبب فی إساءة الظن أو خلق رؤی

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۸

وتفاسير مختلفة لحادثة معينة، ولكن إذا كان الإمام عليه السلام أو القائد يتواصل مع أعوانه بشكل مستمر على مستوى إخبارهم بالحوادث الواقعة، فإنّ ذلك من شأنه توطيد عناصر الثقة وتقوية التعاطف فيما بينهم، فيتراجع سوء الظن والتشويش الذهنی إلى الحد الأدنى، وطبعاً هناك موارد لابدّ للإمام والوالی من كتمان السر، وذلك فی القضايا العسكرية وأمثالها، لأنّ العدو إذا علم بتفاصيل الخطط العسكرية للطرف المقابل فسيتدبر أموره ويستعد بشكل كامل للمقاومة وسيكون بإمكانه أن يحبط الخطة قبل الموعد المقرر، ومن هذه الجهة نری أنّ القادة العسكرين على إمتداد التاريخ يخفون برنامجهم القتالی إلى آخر لحظة ليتمكنوا من توجيه الضربات القاصمة إلى العدو بالاستفادة من عنصر المباغتة.

وفی تاريخ حروب النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله وغزواته نری هذا الأصل بوضوح، وعلى حدّ قول المؤرخ المعروف الطبری: وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قلّ ما يخرج فی غزوة إلّا كنى وأخبر أنّه يريد غير الذی يسعى له ...[۴۷۵]. يعنی ما كان يخبر أصحابه وأنصار بمقصده وغايته النهائية.

وأحياناً كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا أراد سفراً إلى الحرب روّی بغيره، كما روی أنّه لمّا نوی غزوة بدر كتب للسرية كتاباً فی المدينة، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة إلى صوب مكّة يومين أو ثلاثة ثمّ ينظروا فی الكتاب ويعملوا بما فيه ...[۴۷۶]، ومعلوم أنّ النّبی لو كان يبيّن له فی بداية الأمر مراده ومقصوده فإنّ هذا الخبر بدوره سينتشر ويشيع فی كافّة أرجاء المدينة ويسارع الجواسيس فی إيصال هذا الخبر إلى العدو فيستعدون للقاء المسلمين وربّما تنقلب موازين المعركة ويتغير مصير الحرب.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فی الحقّ الثانی للناس على الوالی ويقول:

«وَلَا أَطْوِیَ ۴۷۷]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۴۹

دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِی حُكْمٍ».

وهذا هو أصل المشورة الوارد فی القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة بشكل واسع وهو ما يؤكّد عليه الخبراء وأصحاب الشأن السياسی فی عالمنا المعاصر وإن كانوا يمارسون شيئاً آخر على مستوى العمل، فالمشورة مع الأصحاب والأنصار والأتباع يمنحهم قوّة فی الشخصيّة واحساساً فی المسؤوليّة وتحكيماً للروابط العاطفيّة، أضف إلى ذلك أنّ المشورة تسبب (فی غير المعصومين) إلى التقليل من الأخطاء إلى الحدّ الأدنى.

أمّا فی مسألة القضاء وعند صدور الحكم، فيجب على القاضی أن يصدر حكمه بحزم وقوّة، وفی حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ يَقُولُ لِمَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَلِمَنْ عَنْ يَسَارِهِ مَا تَرَى مَا تَقُولُ فَعَلَى ذَلِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَلَّا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَتُجْلِسُهُمْ مَكَانَهُ»[۴۷۸].

مضافاً إلى ذلك إذا كان القاضی يفشی ما فی ذهنه من الحكم الشرعی فربّما تتحرك عناصر مختلفة لتغيير رأيه أو توهينه وممارسة بعض الضغوطات عليه لإجباره على تغيير الحكم.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الحقّ الثالث والرابع ويقول:

«وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ».

والفرق بين هذين الحقّين يتبيّن من خلال مثال بسيط، فلو تقرر أن يؤذن لشخص بالسكن فى دار لمدّة شهر واحد ومعين، فلا ينبغى تأخير إسكانه عن هذا الشهر، والآخر، أنّه لا ينبغى تقليص المدّة قبل انتهاء الشهر، ونتيجة كلا الأمرين أن تؤدّى الحقوق كاملة دون زيادة أو نقيصة.

وفى الحقّ الخامس والأخير يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِى فِى الْحَقِّ سَوَاءً».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۰

وطبعاً فمراد الإمام عليه السلام أنّ الوالى أو القائد يتعامل مع جميع الأفراد بشكل مساوٍ دون الأخذ بنظر الاعتبار مواقعهم الاجتماعيّة وامتيازاتهم المادية، وعلى ضوء ذلك فإنّ هذا الكلام لا يعنى أنّه فى حال اختلاف الظروف والمقامات فإنّ الأفراد يقفون على حدٍّ سواء أمام القائد، من قبيل أن يكون شخص أحد قواد الجيش، والآخر رجل عادى، وثالث والياً على منطقة، وآخر حارساً لبناية المحافظة، وآخر يتولى حراسة بناية حكوميّة، أو يكون أحدهم طبيباً والآخر مضمداً، أو يشتغل أحدهم بالأعمال الثقيلة ولأيّام متوالية ويتولى الآخر أعمالًا سهلة وفى مدّة قصيرة، فمن البديهى أنّ حقوقهم الماليّة لا تكون سواسية، ولكن إذا كان رجلان يعملان عملًا واحداً فيجب أن تكون اجرتهم واحدة، رغم أنّ أحدهم من عائلة عريقة ومعروفة، والآخر رجلًا عادياً من عائلة غير معروفة.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام هذه الحقوق الخمسة للناس على القائد أو الإمام، تعرض لبيان حقوقه للناس وأشار إلى أربعة حقوق.

الأوّل يقول:

«فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، وَلِى عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ».

فعندما اؤدى هذه التكاليف الحقوقيّة التى علىَّ تجاهكم فإنّ نعمة اللّه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»[۴۷۹]، ستكون كاملة عليكم، ولى حقّ الطاعة عليكم، ويجب عليكم إطاعة أوامرى التى تضمن لكم سعادة الدنيا والآخرة، وتحفظ مصالحكم الفرديّة والاجتماعيّة.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام الحقّ الثانى ويقول:

«وَأَلَّا تَنْكُصُوا[۴۸۰] عَنْ دَعْوَةٍ».

إنّ هذا الأمر الثانى بالنسبة للأمر الأوّل من قبيل ذكر العام بعد الخاص، لأنّ المخاطب فى هذه الرسالة هم قادة الجيش، الذين ينبغى عليهم إطاعة أوامر الإمام وخاصّة فيما يتعلق بالدعوة إلى الجهاد.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۱

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الحقّ الثالث ويقول:

«وَلَا تُفَرِّطُوا فِى صَلَاحٍ».

الكثير من الأشخاص الذين يتحركون بحسب الظاهر فى مسير الطاعة وتلبية دعوة الإمام والقائد، فإنّهم بسبب التكاسل والتواكل لا يحققون النتيجة المطلوبة، بل الإمام عليه السلام يعتبر هذا الأمر كحقّ مستقل من حقوق الوالى على الرعيّة ليعلم الجميع أن إطاعة الأمر شىء، واعتباره أمراً جديّاً شىء آخر.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ هذه الجملة إشارة إلى مسألة الجهاد حيث أكّد الإمام عليه السلام على أنّ وظيفة قادة الجيش الاستفادة من كلّ فرصة لدفع الأعداء وترك حالة التكاسل والتقصير فى هذا الشأن.

وأخيراً يبيّن الإمام عليه السلام الحقّ الرابع والأخير ويقول:

«وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ [۴۸۱]

إِلَى الْحَقِّ».

وهذه إشارة إلى أنّ التضحية فى مقام الدفاع عن البلد الإسلامى تعتبر وظيفة لازمة وتكليف واجب، أى التضحية ا لى درجة بذل النفس فى سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ويعتبر هذا الأمر أحد الحقوق للوالى أو الإمام على قادة الجيش والمسؤولين الأمنيين فرداً فرداً.

تاريخ الإسلام زاخر بمظاهر الإيثار والتضحية وخوض الغمرات للوصول إلى الحقّ، وكمثال على ذلك:

ما ورد فى «تاريخ الطبرى» فى حوادث سنة ۳۷: أنّ عمّار بن ياسر خرج إلى الناس فقال: اللّهم إنّك تعلم أنّى لو أعلم أن رضاك فى أن أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلته، اللّهم إنّك تعلم أنّى لو أعلم أن رضاك أن أضع ظُبّة سيفى فى صدرى ثمّ أنحنى عليها حتى تخرج من ظهرى لفعلت، وإنّى لا أعلم اليوم عملًا هو أرضى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۲

لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أنّ عملًا من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته ۴۸۲].

وجاء فى «سيرة ابن هشام» أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم أن يمنعوا عيرهم- واتجهوا نحو «بدر»- فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش (وكان يروم من ذلك اختبار مدى استعداد أنصاره وأصحابه للقتال) ... ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول اللَّه، امض لما أراك اللَّه، فنحن معك واللَّه لا نقول لك كما قالت بنواسرائيل لموسى: «إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»[۴۸۳]. ولكن إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خيراً ودعا له به، ثمّ قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أشيروا علىَّ أيّها الناس، وإنّما يريد الأنصار، وذلك أنّهم عدد الناس، وأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يارسول اللَّه إنّا برآء من ذمامك حتى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمّتنا، نمنعك ممّا نمنع أبناءنا ونساءنا، فكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلّا ممن دهمه بالمدينة من عدوّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم، فلما قال ذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قال له سعد بن معاذ: واللَّه كأنّك تريدنا يارسول اللَّه، قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومَواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يارسول اللَّه لما أردتَ فنحن معك، فوالذى بعثك بالحقّ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخُضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، فإنا لصُبّر فى الحرب، صُدُق فى اللقاء، لعل اللَّه يُريك منّا ما تقرّ عينُك، فسِر بنا على بركة اللَّه، فَسُر رسول اللَّه بقول سعد ونشَّطه ذلك ...[۴۸۴].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۳

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى المقطع الثالث من كلامه يخاطب المتخلفين بلغة التهديد ليقرن البشارة مع الإنذار ويقول:

«فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِى عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِمَّنِ اعْوَجَ ۴۸۵] مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِى فِيهَا رُخْصَةً».

وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المورد يقرر عقوبتين للمتخلفين، عقوبة معنويّة وعقوبة ظاهرية، أمّا العقوبة المعنويّة فسقوط قدرهم ومقامهم عند الإمام عليه السلام إلى درجة الحضيض، وأمّا العقوبة الظاهريّة فهى التعزير البدنى الذى يقرره الإمام بحقهم، ومعلوم أنّ البشارة والإنذار لو لم يقترنا فى أمر الإدارة والمسؤوليّة وخاصّة فى إدارة الحرب والدفاع، فإنّها ستفقد مصداقيتها وفائدتها فى ضبط الأمور.

وفى الختام يشير الإمام عليه السلام إشارة مختصرة ودقيقة فيما يتصل بما ذكر آنفاً ويقول:

«فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

وَالسَّلَامُ».

وجملة

«فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ»

إشارة إلى الحقوق الخمسة التى بيّنها الإمام عليه السلام فى مستهل كلامه أنّه يعطيهم الحقّ بأن يطالبوا هذه الحقوق من قادتهم وامرائهم، وجملة

«أَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ..»

، إشارة إلى الحقوق الأربعة التى طالب بها الإمام عليه السلام منهم، وهى الحقوق التى تصب فى صالحهم ومن أجل إصلاح أمورهم.

ونرى أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المورد يستخدم كلمة «امراء» بصيغة الجمع، ويشير بذلك إلى نفسه والقادة أو الأئمّة الذين سيأتون بعده بالحق، ويستلمون زمان الأمور بالحقّ، لا أنّ المراد قادة الجيش، لأنّهم هم المخاطبين بهذا الكلام.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۵

الرسالة ۵۱

اشارة

إلى عُمّالِهِ عَلَى الْخِراجِ ۴۸۶]

نظرة عامّة للرسالة

يشير الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة إلى عدّة نقاط مهمّة: ففى المقطع الأوّل يتحدّث الإمام عن الثواب المترتب على أتعاب وجهود الجامعين للخراج وما يتحملوه فى هذا السبيل من مشقّة، ويتحدّث الإمام عليه السلام عن ذلك بوصفه ذخيرة يوم المعاد.

وفى المقطع الثانى من هذه الرسالة يوصى الإمام عليه السلام بشكل أكيد برعاية العدل والمحبّة للناس عند أخذ الخراج منهم وينهى عن أى شكل من الأشكال الإجحاف والتعدى والإضرار بهم، حتى بالنسبة لغير المسلمين الذين لا يعينون العدو على المسلمين يوصى الإمام أيضاً بهذه الوصية فى حقّهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۶

وفى المقطع الأخير يدعوهم إلى تقديم فروض الشكر على النعم الإلهيّة ولزوم نصرة الدين الإلهى بجميع ما لديهم من قوّة وقدرة.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۷

القسم الأوّل

اشارة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِى ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَاعُذْرَ فِى تَرْكِ طَلَبِهِ.

الشرح والتفسير: حذارِ من ظلم الناس!

اشارة

المراد بأصحاب الخراج هم المأمورون على جمع خراج الأراضى المفتوحة عنوة، وتوضيح ذلك: عندما ينتصر المسلمون على الأعداء فإنّ أراضيهم ستكون من الناحية العمليّة ملكاً للمسلمين، ولكن المسلمين فى الغالب يدعون هذه الأراضى بأيد أصحابها الأصليين، وفى مقابل ذلك عليهم أن يدفعوا مبلغاً من المال أو مقداراً معيناً من محاصيل تلك الأراضى بوصفها ضريبة أو اجرة تؤخذ منهم ولا يكون هذا المبلغ ثقيلًا وكثيراً عادة، وهذه المسألة بدأت منذ عصر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بفتح خيبر، ثمّ استمرت فى الفتوحات الإسلاميّة الأخرى ويشكل الخراج الجزء الأهم من بيت المال فى ذلك الوقت، وهو مبلغ له شأن ويتعلق بجميع المسلمين، وطبعاً هناك عمّال ومسؤولون آخرون يتولون جمع الزكاة من المسلمين لتصرف على حاجات جيش الإسلام والقضاة والفقراء والمحتاجين.

والإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة يؤكّد على عدّة أمور:

الأوّل: يحذّر الإمام عليه السلام أصحاب الخراج بأن لا يغفلوا عن العالم الآخر وما

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۸

سيسيرون إليه بعد الموت، فالغفلة عن هذا الأمر ستفقد الإنسان الاستعداد له، يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا».

ونقرأ فى الروايات الشريفة أنّ أعقل الناس هو الشخص الذى يفكر بما بعد الموت:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَكْيَسَكُمْ أَكْثَرُكُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ»[۴۸۷]

، وهذا يعنى أنّ الإنسان ما لم يفكر فى سفر الآخرة فإنّه لا يهيىء لنفسه وسائل هذا السفر الخطير وسيخرج من الدنيا خالى اليدين.

وفى الإمر الثانى يخاطب الإمام عمّاله على الخراج ويقول:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ».

هل أنّ مقصود الإمام عليه السلام من هذه العبارة سعى هؤلاء فى جمع الخراج فقط، أم يشمل جميع التكاليف الواجبة على الإنسان؟ يحتمل كلا الأمرين، ومع الالتفات إلى أنّ الجملة السابقة عامّة وتشمل جميع الأعمال فإنّ الاحتمال الثانى أنسب حسب الظاهر، وهذا فى الواقع إشارة إلى مضمون الآيات الشريفة: «وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»[۴۸۸]، و «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»[۴۸۹].

أجل، فإنّ اللّه تعالى جواد وكريم وفى مقابل أعمالنا الصغيرة يعطينا الثواب العظيم.

وفى الأمر الثالث يشير الإمام عليه السلام إلى موضوع يتعلق بترك الظلم، ويقول:

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ».

وهذه إشارة إلى أنّ للظلم والجور عقوبة شديدة قطعاً، وفى تركه ثواب جزيل أيضاً، وعلى هذا الأساس ينبغى على الإنسان ترك مثل هذه السلوكيات الظالمة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۵۹

ليس فقط بسبب خوفه من عقوبتها، بل من أجل تحصيل الثواب على تركها أيضاً.

ونقرأ فى الكلمات القصار للإمام عليه السلام فى نهج البلاغة ما يشبه هذا المعنى والمضمون بتعبير أوسع وأبلغ حيث يقول:

«لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ»[۴۹۰].

تأمّل

ماذا يعنى الخراج؟

كلمة «خراج» و «خرج» مأخوذة فى الأصل من «خروج»، وتعنى ما يتحصل من مال شخص أو من أرضه الزراعية، وذهب بعضهم إلى أنّ كلمة «الخراج» تعنى مال الإجارة للأراضى، يقول الراغب فى كتاب «المفردات»: الخراج يطلق غالباً على الضرائب التى توضع على الأراضى الزراعية والبساتين، وعلى أيّة حال فإنّ هذه الكلمة فى اصطلاح الفقهاء تعنى الضرائب الموضوعة على الأراضى الخراجيّة، أى الأراضى التى اخذت من الكفّار بالحرب والقتال، وأحياناً تطلق على ما يتحصل من الأراضى المزروعة التى تعتبر قسماً من الأنفال، والقسم الأوّل يتعلق بجميع المسلمين، والقسم الثانى يختص بالحاكم الإسلامى.

وجاء فى بعض كتب أهل السنّة أنّ الخراج فى اصطلاح الفقهاء له معنيان عام وخاص، فالخراج- بالمعنى العام- هو الأموال التى تتولى الدولة أمر جبايتها وصرفها فى مصاريفها، وأمّا الخراج- بالمعنى الخاص- فهو الوظيفة أو (الضريبة) التى يفرضها الإمام على الأرض الخراجيّة النامية[۴۹۱]، وأحياناً تطلق هذه الكلمة على الجزية من غير المسلمين أيضاً.

وبالنسبة لمصرف الخراج فقد ذهب فقهاء الشيعة إلى أنّ الخراج يجب صرفه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۰

لمصالح المسلمين العامّة، من قبيل بناء الجسور وحفظ الأمن والطرق ومساعدة الفقراء والمساكين ومركبات الجنود والمقاتلين والقضاة وقادة الجيش وسائر ما تحتاج الحكومة فى إدارتها والعمل بمسؤولياتها[۴۹۲].

وطبعاً يحدث كثيراً أنّ قسماً مهماً من الخراج يقسم بين المسلمين الحاضرين بشكل مساوى فى الحكومات العادلة (مثل حكومة أميرالمؤمنين الإمام على عليه السلام) وبصورة غير مساوية (مثل خكومة الخلفاء).

أمّا دليل التساوى فى القسمة، فهو أنّ الأراضى الخراجيّة التى يجمع منها الخراج، ملك لعامّة المسلمين وجميعهم يشتركون فى ملكيتها بشكل متساوٍ، والمراد من التساوى، عدم الفرق بين الأفراد بحسب مكانتهم الاجتماعيّة، بأنّ فلاناً شيخ قبيلة والآخر شخصيّة معروفة، وثالث عامل بسيط وما إلى ذلك، بل يتمّ التقسيم حسب المسؤوليّات الملقاة على عاتق الأشخاص، من قبيل القضاء وقيادة الجيش وولاية المدن والمناطق وأمثال ذلك، فهذا ممّا يدعو للتفاوت قطعاً فى أمر القسمة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۱

القسم الثانى

اشارة

فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ وَلَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَايَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ. وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ

قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

الشرح والتفسير: رعاية إنصاف فى أخذ الخراج

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة بعض جزئيات المسائل والأوامر والنواهى الخاصّة بالعاملين على جمع الخراج بعد أن ذكر سلسلة من الكليات فى كلامه السابق.

بداية يقول الإمام عليه السلام:

«فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ».

والمراد من

«فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُم

كما ورد الروايات الشريفة، أن يرضا

الإنسان للآخرين ما يرضاه لنفسه ويحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ويكره لهم ما يكره لها، وبعبارة أخرى كما أنّه يحبّ أن يأخذ حقّه منهم فيجب عليه أن يعطيهم حقوقهم عليه أيضاً.

ونقرأ فى رواية جاء رجل أعرابى النّبى صلى الله عليه و آله وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي عَمَلًا أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ»

، فقال:

«مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ»

، قال ذلك وأضاف:

«خَلِّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»

(أى أنّك حصلت على جميع ما تريد فى هاتين الجملتين)[۴۹۳].

ويشير الإمام عليه السلام فى كلامه هذا إلى ثلاثة مناصب لعمّال الخراج ويترتب عليها ثلاث مسؤوليّات مهمّة تقع على عاتقهم:

الأوّل: أنّهم

«خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ»

يعنى الحافظون على أموال المسلمين لإنفاقها فى مصاريفها، والآخر: أنّهم

«وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ»

وهذا يعنى أنّ مسؤوليّتهم أخذ حقوق الناس من الأشخاص الذين وجب الحقّ عليهم فى ذمّتهم بشكل كامل، والثالث: أنّهم

«سُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ»

إذ ينبغى لهم أن يتخلّقوا بأخلاق أئمّتهم ويسلكوا مع الناس مسلك أئمّتهم فى التواصل الإنسانى والتعامل الأخلاقى مع الناس، ومن هذا المنطلق فأخذ المال وكذلك حفظها والالتزام بالأخلاق الحسنة مع الناس تعتبر من مسؤوليّات العاملين على الخراج.

ثمّ ينهى الإمام عليه السلام هؤلاء العاملين عن ستة أمور، الأمر الأوّل، يقول عليه السلام:

«وَلَا تُحْشِمُوا[۴۹۴] أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ».

وهذا يعنى أنّ الواجب عليكم أن تتعاملوا مع الناس بحيث لا يخجلون من

عرض حاجتهم عليكم، مثلًا إذا كانت بعض الشياه محببة لديهم، أو أنّ بعض المحاصيل الزراعية مورد اهتمامهم، فعليكم أن تسلكوا معهم بحيث يمكنهم إظهار مقاصدهم أمامكم وعليكم بأخذ الخراج والزكاة من مورد آخر.

أمّا النهى الثانى فيقول عليه السلام:

«وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ».

وهذه إشارة إلى أنّهم لو كانت لديهم مطالب مشروعة فى كيفية تقسيم الأموال وتقسيم الخراج، فينبغى مراعاتها والاستجابة لهم.

وفى النهى الثالث، يمنعهم الإمام عليه السلام من أخذ وسائل الحياة الضرورية (وهى مستثنيات الدين) ويقول:

«وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَلَا عَبْداً».

ويعتبر هذا الحكم من الأحكام الإنسانيّة والأخلاقيّة فى التعاليم الإسلاميّة، وذلك أنّ الإسلام لا يسمح حتى للمدينين أن يتخلوا عن ضروريات الحياة والمعيشة لهم لأداء الدَّين، بل لو كان له مال آخر لزم تسديد الدَّين من ذلك المال، وإن لم يكن لديه مال آخر وجب إمهاله إلى زمان السعة والقدرة على أداء الدين.

ويقول الإمام عليه السلام فى النهى الرابع:

«وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ».

وبعبارة أخرى أنّ أى نوع من أنواع العنف والإكراه ممنوع فى مجال أخذ حقّ بيت المال، والتجربة تشير إلى أنّ أساليب العنف فى أداء الديون تأتى بنتيجة عكسية، وبعكس ذلك فاسلوب المحبّة واللين يزيد من أموال بيت المال.

والتعبير ب «درهم» يمكن أن يكون إشارة إلى الأموال الصغيرة، يعنى فى المال الصغير وفى جزئيات الأمور لا ينبغى التعامل مع الناس بمنطق الخشونة والقوّة، وذهب بعض الشرّاح إلى احتمال أن يكون المراد من «درهم» فى هذه الجملة، جنس المال، يعنى لا يحقّ لكم أن تضيقوا على الناس من أجل أخذ الأموال منهم.

ويقول الإمام عليه السلام فى النهى الخامس:

«وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلَا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۴

مُعَاهَدٍ[۴۹۵]، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَايَنْبَغِي

لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ».

وهذه الجملة إشارة إلى المنافقين والانتهازيين الذين يملكون السلاح والمركب ويجعلونها فى خدمة أعداء الإسلام، ففى مثل هذه الموارد يحقّ لهؤلاء العاملين أخذ هذه الوسائل منهم دون دفع ثمنها وقيمتها إليهم، لأنّ دفع ثمنها يمنحهم أيضاً القوّة والقدرة لتنفيذ مخططاهم وبرامجهم المعادية، وفى الحقيقة إنّ مثل هذا العمل هو نوع من المصادرة المشروعة للأموال، الذى أذن فيه الإمام عليه السلام بالنسبة لبعض الأشخاص المستثنون عن القاعدة، ولكن أموال سائر المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمّة محفوظة ويجب احترام مالكيتهم لها.

صحيح أنّ هذا الموضوع لا يرتبط بمسألة الخراج، ولكن فى الواقع وظيفة أخرى ربّما يواجهها العاملون بالخراج وبالتالى ينبغى عليهم العمل بها.

وثمة بحث فى الفقه الإسلامى فى باب المكاسب المحرمة حول حرمة إعانة الظالمين، وكذلك يوجد بحث فى عدم جواز بيع الأسلحة لأعداء الإسلام، حيث ورد النهى عن هذا الأمر واستدل عليه بالأدلة العامّة والخاصّة، ومفهوم هذه الآيات والروايات أنّه لو رأينا سلاحاً أو مركباً بيد أحد الأشخاص ونعلم أنّه سيعطيه فى المستقبل القريب لأعداء الإسلام ويستخدمونه ضد المسلمين، فيجب منعه من ذلك، وهذا هو الأمر الذى أصدره الإمام عليه السلام فى هذه التوصية، وبعبارة أخرى أنّ هذا العمل نوع من النهى عن المنكر

بشكله العملى.

وأخيراً يقول الإمام عليه السلام فى النهى السادس:

«وَلَا تَدَّخِرُوا[۴۹۶] أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۵

الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً»[۴۹۷].

وفى هذه العبارة الواردة بصورة النهى يصدر الإمام عليه السلام أربعة أوامر: النصيحة لبعضهم البعض، وحسن الخلق والسلوك مع جند الإسلام، والسعى فى طريق مدّ يد العون للرعية، والعمل على مستوى تقوية دعائم الدين الإسلامى، ومع الالتفات إلى أنّ المخاطب فى هذه الجملة هم عمّال الخراج، يتبيّن أنّ الواجب عليهم فى مسير أداء مسؤوليّتهم، الاهتمام بالتكاليف الأخرى الواجبة عليهم أيضاً.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الجملة:

«وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً»

أنّ الأنفس هنا تعنى ذات الشخص، وذهب آخرون إلى أنّها تعنى نفوس الآخرين، والظاهر أنّ المعنى الثانى أنسب.

ومعلوم أنّ عمّال الخراج لو عملوا بهذه الوظائف الأربع، أى أنّهم تحركوا فى علاقتهم فيما بينهم من موقع التواصى والتناصح وكذلك تعاملوا مع الرعيّة وجنود الإسلام بآلية اللطف وحسن الخلق، وعزموا فى نيّاتهم على تقوية الدين الإسلامى وتوطيد الرسالة الإلهيّة، فإنّ المجتمع الإسلامى سيشهد إزدهاراً كبيراً وتطوراً مهمّاً.

وفى ختام هذه الرسالة يبيّن الإمام عليه السلام آخر توصية لعمّاله على الخراج ويقول:

«وَأَبْلُوا[۴۹۸] فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ ۴۹۹] عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

وهذه إشارة إلى أنّ الاعتماد على اللَّه ضرورى لتحقيق النجاح وكسب الموفقيّة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۶

فى تجسيد هذه التوصيات على أرض الواقع ولزوم الاستعانة باللَّه تعالى فى سلوك خط الإيمان والعمل الصالح والالتزام الواعى بهذه القيم الأخلاقيّة والمثل الإنسانيّة.

وعبارة

«فَإِنَّ اللَّهَ»

(والفاء للتفريع) إشارة إلى أنّ إتيان هذه الأمور وترجمتها على مستوى التطبيق يمثّل نوعاً من شكر اللَّه تعالى على نعمه، ونحن مدينون فى هذا الحال لألطاف البارى تعالى الذى وفقنا لإنجاز هذه التكاليف والوظائف.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۷

الرسالة ۵۲

اشارة

إلى أمَراءِ الْبِلاد فى مَعْنَى الصَّلاةِ[۵۰۰]

نظرة عامّة للرسالة

كما هو بيّن من عنوان الرسالة، فإنّ المخاطب لها امراء البلاد، لأنّهم من جهة يتولّون الأمور الديتيّة للناس، وكذلك أمورهم الدنيويّة، مضافاً إلى إمامة الجمعة والجماعة أيضاً، ومحتوى هذه الرسالة يبيّن فى الحقيقة أمرين: أحدهما، أوقات الصلوات الخمس بشكل دقيق ومتى يأتى المسلم بكل واحدة منها، والآخر أنّ إمام الجماعة يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار أضعف المأمومين ويصلّى طبقاً لهذا المعيار.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۶۹

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

الشرح والتفسير: آداب الصلاة وأوقاتها!

اشارة

تقدّم آنفاً أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة يخاطب امراء البلاد، وهؤلاء الامراء هم أئمّة الجمعة والجماعة أيضاً، ويبيّن لهم أوقات الصلوات اليوميّة.

بداية يشرع الإمام عليه السلام من صلاة الظهر ويقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ[۵۰۱] الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ ۵۰۲] الْعَنْزِ[۵۰۳]».

كلمة «حتّى» إشارة إلى نهاية وقت فضيلة الظهر، كما هو ظاهر التعبير بهذه الكلمة، ومفهومها أنّ الإمام عليه السلام بيّن فى هذه العبارة نهاية وقت فضيلة الظهر فقط،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷۰

وقد ورد فى بعض الروايات أنّه بمقدار ذراع، ومقدار الذراع لا يختلف كثيراً عن مربض العنز عندما تتمدد الشاة على الأرض، فيقترب مقدار المربض من مقدار الذراع، ولو كانت كلمة «حتّى» تعنى «حين»[۵۰۴] ويقصد بها تعيين المدّة والزمان، فالظاهر أنّ المعنى يكون بداية وقت الفضيلة، ومفهومها أنّ وقت صلاة الظهر من أوّل الزوال إلى أن يكون ظلّ الشاخص (أى الظل الذى يظهر من لحظة زوال الشمس عند الظهر) بمقدار ذراع، فيمكن تأخير صلاة الظهر إلى ذلك الوقت، إمّا لغرض إتيان صلاة النافلة أو لغرض اجتماع الناس لصلاة الجماعة.

وطبعاً فإنّ ابتداء وقت صلاة الظهر لا يكون قبل هذه الأمور وهو ما ذكره القرآن الكريم بصراحة وقال: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ»[۵۰۵].

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام آخر وقت فضيلة صلاة العصر ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ».

وهناك خلاف كبير فى وقت صلاة العصر بين فقهاء أهل السنّة والوارد فى كتبهم الفقهية، ولكن المعروف بين علماء الشيعة أنّ وقت صلاة الظهر من ابتداء زوال الشمس من دائرة نصف النهار، (وطبعاً بعد مضى مقدار من الوقت اللازم للإتيان بنافلة الظهر)، وانتهاء وقتها إلى زمان يكون ظل الشاخص (الظلّ الذى يظهر بعد زوال) بمقدار الشاخص نفسه، ثمّ يبدأ وقت فضيلة صلاة العصر ويمتد إلى

زمان يكون فيه ظلّ الشاخص ضعفى الشاخص (وطبعاً طول وقصر الشاخص فى هذه المسألة لا يتفاوت).

وما ذكره الإمام عليه السلام فى الجملة أعلاه يشير إلى نهاية وقت فضيلة صلاة العصر، ولا يختلف هذا المقدار مع ما هو معروف بين فقهائنا.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷۱

فى المرحلة الثالثة أشار الإمام عليه السلام إلى وقت صلاة المغرب وقال:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى .

وبما أنّ وقت إفطار الصائم وحركة الحجاج من عرفات معلوم فى نظر عامّة الناس حيث تبدأ الحركة مع غروب الشمس، فالإمام عليه السلام يجعل هذا الأمر مقياساً للوقت.

وتأخير صلاة المغرب والإفطار إلى زمان زوال الحمرة المشرقية من وسط السماء يمثّل فى الواقع نوعاً من الاحتياط، والوقت هو غروب الشمس (وذلك طبعاً فى نظرنا ونظر جماعة من فقهاء أهل البيت عليهم السلام).

وهنا يكتفى الإمام عليه السلام فى الواقع بما هو معروف ومشهور بين عامّة المسلمين فى الوقت الذى يفطر فيه الصائم ويتحرك الحجاج من عرفات.

وفى المرحلة الرابعة يشير الإمام عليه السلام إلى وقت صلاة العشاء ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ».

ولابدّ من معرفة المراد من الشفق، وهل هو الحمرة المغربية (أى الشعاع الأحمر الذى يظهر من جهة المغرب بعد اختفاء قرص الشمس)، أو البياض الشفاف الذى يظهر بعد اختفاء ذلك الشعاع الأحمر ويبقى لمدّة من الوقت؟ كلا الاحتمالين واردان فى تفسير كلام الإمام عليه السلام، لأنّ الشفق يطلق على كلا هذين الأمرين، ولكن المشهور بين علماء الشيعة هو المعنى الأوّل، وفى هذا العصر فأهل السنّة يجعلون المعنى الثانى ملاكاً للعمل غالباً، رغم أنّ الفقهاء الأربعة مختلفون فيما بينهم فى هذه المسألة.

وفى المرحلة الأخيرة والخامسة يشير الإمام عليه السلام إلى بداية وقت صلاة الصبح ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ».

ومعلوم أنّ المستفاد من آيات القرآن الكريم والمشهور بين الفقهاء هو أنّ ابتداء صلاة الصبح من زمان طلوع الصبح الصادق، أى البياض الواسع الذى يظهر إلى جانب الافق، ويتفق العلماء فى هذه المسألة، ولكن بما أنّ النهوض من داخل المدن والتوجه إلى خارجها أو الصعود على سطوح المنازل والنظر إلى الخارج لمعرفة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷۲

طلوع الفجر الصادق لا يعدّ أمراً ميسوراً، فقد بيّن الإمام عليه السلام معياراً أيسر من ذلك، وهو أن تخف حدّ الظلام قليلًا ويخالط الجو بعض إشراقات الفجر بحيث يرى الشخص صاحبه الواقف إلى جانبه ويعرفه، أضف إلى ذلك فإنّ حضور الناس لصلاة الجماعة يتطلب مقداراً أكثر من الوقت، ولذلك يتطابق هذا المعنى مع ما ذكره الإمام عليه السلام.

وفى الختام يصدر الإمام عليه السلام لهم هذا الأمر فى كيفية صلاة الجماعة ويقول:

«وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ».

إنّ أهميّة هذا الموضوع إلى درجة أنّ أميرالمؤمنين على عليه السلام يروى حديثاً عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويقول: آخر ما فارقت عليه حبيب قلبى صلى الله عليه و آله أن قال:

«يا عَلِيُّ إِذا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ أَضْعَفِ مَنْ خَلْفَكَ»[۵۰۶].

وعندما أرسلنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله (لنشر الإسلام) إلى اليمن، سألته: كيف اصلّى بالناس فقال:

«صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيما»[۵۰۷].

وقد ورد هذا المعنى فى عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر حيث أوصاه الإمام بهذه الوصيّة.

«فتّان» من مادة «فتنه» وفى الأصل تعنى وضع الذهب فى النار ليخلص من الشوائب، وبهذه المناسبة استخدمت هذه الكلمة فى معانٍ مختلف، منها الابتلاء والامتحان، الخداع، البلاء والعذاب، والأذى والألم، والكلمة فى عبارة الإمام عليه السلام تتناسب مع المعنى الأخير، ولا يبعد أن يكون المراد هو الخداع أيضاً، ويمكن الجمع بين هذين المعنيين أيضاً.

وطبعاً فإنّ هذا الكلام لا يعنى أن تصلّى صلاتك بشكل سريع بحيث تضرّ بأركان الصلاة وواجباتها، أو لا يتمكن الضعفاء بسبب هذه السرعة أن يلتحقوا بك فى ركوعهم وسجودهم وقيامهم وقعودهم، وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷۳

منها ما ورد فى عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر حيث أمره بهذه التوصية:

«فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلَا مُضَيِّعاً»

. أجل، لابدّ من رعاية الاعتدال والتوازن فى جميع الأمور.

وينبغى الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ التوصية بالرغم من كونها واردة فى خصوص الصلاة، ولكن يمكن سراية هذا المفهوم إلى سائر العبادات بل إلى جميع البرامج الاجتماعيّة، فيجب أن تكون البرامج الإسلاميّة فى الأبعاد العباديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة، من حيث التطبيق بحيث لا تثقل على كاهل الناس ولا تتسبب فى خروجهم عن الدين، ولا أن تؤدى السرعة والعجلة فيها إلى تفريغها من محتواها ومضمونها.

وكذلك من الجدير بخطباء أئمّة الجمعة المحترمين، وكذلك المسؤولين عن مجالس الدعاء والابتهال ومجالس العزاء مراعاة هذا الأصل، فلا يسرعوا فى خطبهم وأدعيتهم ومراسيم العزاء بحيث تسلب روحها ومضمونها، ولا يؤتى بها بشكل متأخر ومطول بحيث تؤدى إلى تعب الحاضرين ومللهم.

تأمّل

أداء الصلوات الخمس فى ثلاثة أوقات

نعلم أنّ الصلوات اليومية فى عصر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكذلك فى عصر الأئمّة المعصومين عليهم السلام كان تقام بشكل منفصل وفى الأوقات الخمسة وفى وقت الفضيلة، واليوم لو صلّينا الصلوات اليومية فى خمسة أوقات لكان أفضل، ولكن مع ذلك فإنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله جمع بين صلاتى الظهر والعصر، وكذلك بين المغرب والعشاء فى أسفاره بدون أن يكون هناك عذر خاص (من قبيل الحر الشديد والبرد الشديد والمطر)، مضافاً إلى ذلك فقد اتفق مراراً فى حياة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه صلى الله عليه و آله جمع بين الصلاتين بدون أى عذر وقال: احبّ الرخصة على امّتى حتى أنّهم إذا رغبوا فى الجمع بين الصلاتين أمكنهم ذلك.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۷۴

ولكن مع الأسف فإنّ جمع غفير من علماء أهل السنّة أصرّوا على الفصل بين الصلوات الخمس والإتيان بها بشكل منفصل، وهذه المسألة أدت إلى حدوث مشاكل كثيرة وخاصّة فى وقت العصر، لأنّ حياة الناس قد تغيّرت فى العصر الحاضر، فالكثير من العمّال الذين يعملون فى المعامل والمصانع، وكذلك الموظفين الذين يشتغلون فى الإدارات الرسمية والشركات وبخاصّة طلاب الجامعات وحضورهم فى قاعات الدرس صار بشكل لا يستطيع المسلم الإتيان بالصلوات اليومية فى الأوقات الخمسة بسهولة، وهذا الأمر تسبب

فی ترک الکثیر منهم للصلاة.

ونعلم قطعاً أنّ الإسلام دین الرحمة وبمتقضی النبوی المعروف:

«بُعِثْتُ بالشَّریعَةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ»

فإنّه قد فتح طریقاً للحل أمام هؤلاء الأشخاص حتی لا یتورطوا فی ترک الصلاة من جهة، ولا یبتلوا بالصعوبة والمشقّة البالغة.

والعجیب أنّ فی مصادر أهل السنّة المعروفة: ک «صحیح مسلم، صحیح البخاری، سنن الترمذی، موطأ مالک، مسند أحمد، سنن النسائی، مصنّف عبدالرزاق» وکتب أخری وهی کلّها من المصادر والمنابع المعروفة والمشهور لدیهم، هناک ثلاثون روایة فی باب الجمع بین صلاة الظهر والعصر أو صلاة المغرب والعشاء بدون السفر والمطر وخوف الضرر، ولکنّ هؤلاء الإخوة قد تغافلوا عنها جمیعاً وشددوا أمر الصلاة علی الناس وبخاصّة الشباب منهم.

وهذه الروایات واردة من طریق خمسة رواة معروفین:

۱. ابن عباس.

۲. جابر بن عبداللّه الأنصاری.

۳. أبو أیوب الأنصاری.

۴. عبداللّه بن عمر.

۵. أبو هریرة.

وسنشیر فیما یلی إلی جملة منها:

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۲۷۵

۱. نقل سعید بن جبیر عن ابن عباس أنّه قال:

«صَلّی رَسُولُ اللّهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمیعاً بِالْمَدینَةِ فِی غَیْرِ خَوْفٍ وَلا سَفَرٍ»

یقول أبو زبیر: سألت سعید بن جبیر، لِمَ فعل ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟ فقال سعید: سألت (یعنی هذا السؤال) ابن عباس کما سألتنی فقال:

«أرَادَ أنْ لا یُحرِجَ أحَداً مِنْ امَتِهِ»[۵۰۸].

۲. یقول جابر بن زید: قال ابن عباس:

«صَلّی النَّبِیُّ سَبعاً جَمِیعاً وَثَمانَیاً جَمِیعاً»[۵۰۹]

، وهی إشارة إلی أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله جمع فی صلاته بین الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

۳. جاء فی «مصنّف» عبد الرزاق أنّ عبد اللّه بن عمر قال:

«جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ مُقیماً غَیرَ مُسافِرٍ بَیْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ فَقالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ: لِمَ تَرَی النبیُ فِعْلَ ذلِکَ؟ قالَ: لأنْ لا یَحرِجَ أُمَّتَهُ إنْ جَمَعَ رَجُلٌ»[۵۱۰].

۴. ویروی عبداللّه بن مسعود:

«جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ بَینَ الأولی وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشاءِ فَقیلَ لَهُ صلی الله علیه و آله فَقالَ: صَنَعْتُهُ لِأنْ لا تَکُونَ أمَّتی فِی حَرَجٍ»[۵۱۱].

۵. وروی أبو هریرة أیضاً:

«جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ بَیْنَ الصَّلاتَیْنِ فِی الْمَدینَةِ مِنْ غَیْرِ خَوْفٍ»[۵۱۲].

وکما قلنا آنفاً أنّ الروایات الواردة فی هذا الباب أکثر من هذا المقدار، وخلاصة ما ورد فیها أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله قد جمع فی بعض المواضع بین صلاة الظهر والعصر أو بین صلاة المغرب والعشاء فی حین لم تکن هناک مشکلة خاصّة کالمطر أو السفر

أو الخوف من العدو، ولم يكن الهدف من ذلك سوى التوسعة على الامّة ورفع العسر والحرج، فهل يصح مع هذا الحال أن يستشكل البعض فى مسألة الجمع ويقول بأنّ

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۲۷۶

الجمع متعلق بموارد الاضطرار؟ لماذا نغض النظر عن رؤية الحقائق الشرعية ونرجح أفهامنا ومسبوقاتنا الفكرية على قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الصريح فى هذا الأمر وبالتالى نثقل هذه العبادة على كاهل الامّة؟ وعندما يأذن اللَّه ورسوله بالرخصة فى شىء فلماذا لا يأذن المتعصبون فى هذه الامّة؟ لماذا لا يريدون من الشباب المسلمين أن يؤدّوا صلواتهم اليوميّة وهى أهم وظيفة الإسلاميّة فى كلّ الأحوال فى جميع الأماكن فى داخل البلاد الإسلاميّة وخارجها فى الجامعات والإدارات والمعامل والأسواق؟

نحن نعتقد أنّ الإسلام يمتد لكلّ زمان ومكان إلى نهاية الدنيا، ومعلوم أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يرى بنظره الواسع حال جميع مسلمين فى العالم وفى جميع الأعصار والحقب الزمنية، وأنّهم إذا كانوا مقيدين بالصلوات فى خمسة أوقات فإنّ ذلك من شأنه أن يشقّ على امّته ويدعو جماعة منهم لترك الصلاة، ولذلك صدر الإمر الإلهى إليه أن يخفف عن امّته ويوسع دائرة الرخصة فى هذا الشأن.

والجدير بالذكر أنّ الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً»[۵۱۳] يقول بصراحة:

واعلم أنّه يتفرع على هذين القولين بحث يكون المذكور فى الآية ثلاثة أوقات:

وقت الزوال، ووقت أوّل المغرب، ووقت الفجر، وهذا يقتضى أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون أوّل المغرب وقتاً للمغرب والعشاء، فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً.

وقد بيّن أنّه دلّ الدليل على أنّ الجمع فى الحضر من غير عذر لا يجوز، توجب أن يكون الجمع جائزاً بعذر السفر وعذر المطر وغيره ۵۱۴]، وهذا ما يقال من الاجتهاد

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۲۷۷

فى مقابل النص.

وكما قلنا فى بداية هذا البحث أنّ رعاية وقت الفضيلة والإتيان بكل صلاة فى هذه الأوقات الخمسة مسنون وأولى، رغم أنّ الجمع بين الصلاتين يعتبر رخصة، ومن هذه الجهة فالإمام عليه السلام بيّن أوقات الصلاة الخمس بشكل منفصل.

***

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۲۷۹

الرسالة ۵۳

اشارة

كَتَبَهُ لِلْأَشْتَرِ النَّخَعى لَمَّا وَلّاهُ عَلى مِصْرَ وَأعمالِها

حينَ اضْطَرَبَ أمْرُ أميرِها مُحَمَّدُ بنُ أبى‌بَكْرٍ وَهُوَ

أطْوَلُ عَهْدٍ كَتَبَهُ وأجْمَعُهُ لِلْمَحاسِنِ ۵۱۵]

نظرة عامّة للرسالة

(المهمّة جدّاً لمالك الأشتر)

خمسون نكتة مهمّة فى عهد واحد

من أجل إدراك أهميّة هذا العهد الشريف، وقبل أن نتوغل فى دراسة محتوياته ومضامينه، ينبغى الالتفات إلى عدّة أمور:[۵۱۶]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۰

إنّ هـذه الرسالة المطولة والعميقة المضامين تعدّ من أهم ما ورد من كتب ورسائل فى نهج البلاغة وناظرة لجميع أبعاد وجهات الإدارة والتـدبير لأـمور الحكومـة وتحتوى على أصول ثابتـة وقواعـد متماسـكة لاـ يطرأ عليهـا القِدَم ولاـ تبلى أبـداً وترسم فى مضامينها كافّة تفاصيل الحياة السياسيّة والإدارية فى الحكومة الإسلاميّة.

۱. ممّا يجـدر ذكره أنّ ابن أبى الحديد فى ذيل الخطبة القصيرة رقم ۶۸ (وقد ورد شـرح هذه الخطبة سابقاً وفى شرح بن أبى الحديد الخطبـة تحت رقم ۶۷) ينقـل عن إبراهيم الثقفى صـاحب كتاب «الغارات» رسالـة مفصـلة وطويلـة نسبياً أنّ الإمام على عليه السـلام قد كتب إلى محمّد بن أبى بكر برنامجاً أخلاقياً لتهذيب النفوس وتطهير القلوب وتقوية عنصـر التقوى فى الإنسان، وفى ذيل هذه الرسالة ينقـل هـذا المؤرخ (صـاحب كتاب الغارات) كان محمّـد بن أبى بكر ينظر فيه ويتأدّب بآدابه- كان يحمل معه هـذه الرسالـة فى مصـر ويطالعهـا بين الحين والآـخر ويتمسك بآدابها ويلتزم بما ورد فيها من التعاليم- فلما ظهر عليه عمرو بن العاص، أخـذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويتعجب منه.

ثمّ قال: إنّ الوليد بن عقبة (أخا عثمان من امّه وهو الذى نزلت فى حقّه آية «إن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۱

جـاءكم فـاسق ..» حيث أطلـق عليه القرآن وصف الفـاسق) وكـان حاضـراً عنـد معاويـة وقـد رأى اعجـابه به، فقـال لمعاويـة: مر بهـذه الأحاديث أن تحرق. فقال معاويـة: مه، لا رأى لك! فقال الوليـد: أفمن الرأى أن يعلم الناس إنّ أحاديث أبى تراب عندك تتعلم منها! فقال معاويـة: ويحك أتأمرنى أن أحرِق علماً مثل هذا! واللّه ما سـمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم. فقال الوليد: إن كنت تعجب من عمله وقضـائه فعلاـم تقاتله؟ فقال: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا لأخـذنا عنه. ثمّ سـكت هينهـة، ثمّ نظر إلى جلسائه وقال: إنّا لا نقول: إنّ هذه من كتب على بن أبى طالب، ولكن نقول:

هذه من كتب أبى بكر الصديق كانت عند ابنه محمّد، فنحن نظر فيها، ونأخذ منها.

قال: فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى امـيّة حتى ولى عمر بن عبـدالعزيز، فهو الـذى أظهر أنّها من أحاديث على بن أبى طالب عليه السلام.

والجـدير بالـذكر أنّ ابن أبى الحديد بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب «الغارات» يقول: «الأليق أن يكون الذى كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه، ويفتى به ويقضـى بقضايـاه وأحكـامه هو عهـد الإمـام على عليه السـلام إلى الأـشتر، فإنّه نسـيج وحـده، ومنه تعلّم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسـياسة (والحال أن كتاب الإمام عليه السلام لمحمّد بن أبى بكر يتضمّن مجموعة من المسائل الأخلاقية) وهـذا العهـد صـار إلى معاويـة لمـا سمّ الأـشتر ومـات قبـل وصوله إلى مصـر، فكـان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق مثله (يعنى الكتـاب العهدى) أن يقتنى فى خزائن الملوك»[۵۱۷].

وعلى ضوء ذلك فإنّ ابن أبى الحديـد يعتقـد بأنّ هـذه الرسالـة التاريخيّة الفريدة، التى كان معاوية يسـتفيد منها ولم يظهر ذلك لأحد

وبعده انكشف الستار عنها بواسطة عمر بن عبدالعزيز، هى ما نحن بصدده من عهد أميرالمؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر.

ونحن بدورنا نؤيد نظر ابن أبى الحديد بصورة كاملة، لأنّ القرائن والشواهد المختلفة تشهد على هذا المعنى.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۲

۲. يقول الكاتب المسيحى المعروف «جورج جرداق» فى كتابه «الإمام على صوت العدالة الإنسانيّة»: «إلّا أنّه من الصعب على المرء أن يجد الإنسان اختلافاً بين هذا العهد العلوية والوثيقة الدوليّة لحقوق الإنسان، فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان إلّاوتجد له مثيلًا فى دستور ابن أبى طالب، وهذا إلى إطار من الحنان الإنسانى العميق يحيط به الإمام دستوره فى المجتمع، ولا يحيط الامم المتحدة وثيقتها بمثله»[۵۱۸].

وينبغى الالتفات إلى أنّ لائحة حقوق الإنسان العالمية قد تمّ تدوينها بعد ألف وثلاثمائة عام من تدوين عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر، أضف إلى ذلك أنّ اللائحة العالمية قام بتدوينها جماعة من المفسّرين من شتى بلدان العالم ومع ذلك فإنّها تحتوى على بعض النقائص ونقاط الضعف والقصور، وأهمّها أنّها فارغة من المسائل المعنويّة والقيم الإنسانيّة السامية.

۳. ومن أجل الإحاطة بأهميّة هذه الرسالة والعهد مورد البحث ينبغى الإشارة إلى مكان مسؤوليّة مالك الأشتر، أى أرض مصر.

يتفق المؤرخون تقريباً أنّ منطلق الحضارات البشريّة تمتد بجذورها إلى منطقة الشرق، ومنها أرض مصر التى وجدت فيها الحضارة قبل غيرها من البلدان بآلاف السنين، فقد وطد المصريون دعائم التمدن البشرى إلى درجة أنّ «ويل دورانت» يسمى هذه المنطقة بأنّها مهد الحضارة البشرية، ومن هذه الجهة نرى أنّ الأنبياء الإلهيين الذين أرسوا دعائم التمدن المادى والمعنوى فى الامم البشرية جميعهم قد بعثوا من هذه المنطقة، ثمّ إمتدت دعوتهم إلى نقاط أخرى من العالم.

ويقول المؤرخ المذكور فى الجزء الأوّل من تاريخه المعروف ب «قصّة الحضارة» بعد أن خصص عشرات الصفحات حول الحضارة المصرية القديمة: إنّ الآثار المهمة الباقية منذ ذلك الوقت ولمدّة آلاف السنين وبرغم المتغيرات فى هذه العصور

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۳

والحقب الزمنية لا زالت باقية، وهذه علامة أخرى عن عظمة هذه الحضارة القديمة.

لقد كانت مصر تمثّل إحدى المراكز العلمية والحضارية المهمّة فى العالم، وخاصّة مدينة الاسكندرية التى تعد- وفقاً للمدارك والاسناد التاريخيّة- أحد أهم هذه المراكز العلميّة، ولم يقتبس أهالى مصر علوم اليونان فحسب، بل أضافوا إليها علوماً كثيرة أخرى، ففى الحقيقة أنّ مصر لم تكن بمثابة محافظة أو منطقة من الحكومة الإسلاميّة، بل دولة كبيرة وواسعة يقطن فيها شعب متمدن.

وقد دخلت مصر فى عام ۱۹ للهجرة فى زمان الخليفة الثانى تحت لواء الإسلام بواسطة الجيش الإسلامى الذى أرسله الخليفة الثانى لفتحها، ومنذ ذلك الزمان والمصريون يعيشون فى ظلّ الإسلام وقد تقبلوا، كالايرانيين، هذا الدين الجديد الذى يملك ثقافة قوية وتظهر على تعاليمه معالم الحقائيّة، ولكن للأسف فإنّ بعض الحكّام الظلمة أمسكوا بمقاليد السلطة فى مصر من قِبل الخلفاء ومنهم: عبداللّه بن أبى سرح ۵۱۹] الذى تولى ولاية مصر فى زمان عثمان وتسبب ظلمه وجوره على أهالى مصر فى انتفاضتهم على الوضع السائد، وكما نعلم أنّ هذه الانتفاضة إمتدت إلى المدينة، وقد زادت أخطاء الخليفة الثالث فى الطين بلة، وعملت على تعميق الخلل والشعور بالاستياء لدى عامّة الناس، ومن ذلك ما أصدره عثمان من عزل عبداللّه وكتب فيها كتاباً وسلّمه إلى الثوار ليعودوا إلى مصر، ولكنّه أرسل رسالة أخرى إلى عبداللّه بن أبى سرح يأمره فيها بقتل هؤلاء الثوار فى حال عودتهم إلى مصر، وقد وقعت هذه الرسالة بيدهم فى وسط الطريق، فعادوا من فورهم ووقعت حادثة قتل عثمان.

أمّا الإمام على عليه السلام فإنّه من أجل جبران الأخطاء المذكورة، أرسل فى بداية الأمر محمّد بن أبى بكر لحكومة مصر، ولما ثبت عملياً أنّه لا يستطيع تحمل هذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۴

المسؤوليّة الثقيلة، أمر الإمام عليه السلام شخصاً آخر يملك القدرة والحكنة والحزم فى الأمور، وهو مالك الأشتر، لهذه المهمّة وأرسل معه هذه الرسالة والعهد مورد البحث لترتيب وإدارة أوضاع هذا البلد الكبير وأرسله إلى مصر، ولكن للأسف فإنّ جريمة معاوية منعت من تحقق هذا البرنامج الإنسانى العظيم على أرض الواقع وأن يتنفس أهالى مصر السعداء ممّا لاقوه من الولاة السابقين.

***

مهما يكن من أمر فهذا الكتاب الذى كتبه الإمام عليه السلام لمالك الأشتر يتشكل فى نظرة إجماليّة من عدّة أقسام ومقاطع، وربّما أمكن تقسيمه من زاوية معينة إلى خمسين قسماً.

۱. القسم الأوّل، يلخص الإمام عليه السلام الهدف الأساس من إرساله مالك الأشتر إلى مصر فى أربعة أمور: الاهتمام الكامل بجمع الخراج، والتصدى لأعداء مصر، وإصلاح أهلها، وإعمار هذا البلد.

۲. التأكيد على لزوم رعاية التقوى قبل كلّ شىء، وبيان أهميّتها ودورها فى حياة الإنسان.

۳. مجاهدة النفس وتهذيبها.

۴. الفات نظر مالك الأشتر إلى منطقة عمله ومحل مسؤوليّته.

۵. النصيحة له بالتحرك فى خط العمل الصالح واجتناب البخل.

۶. السعى وبذل لجهد لكسب رضا الرعيّة وعامّة الناس.

۷. النهى عن التمرد على الأوامر الإلهيّة.

۸. بيان طريقة مواجهة حالات الكبر والغرور الناشئة من تولى المقام والمنصب.

۹. رعاية العدل والإنصاف فى كلّ الأحوال، واجتناب كلّ شكل من أشكال الظلم والجور التى تسبب فى تغيير النعم والمواهب الإلهيّة وتبديلها.

۱۰. ينبغى أن يكون أحبّ الأشياء إليه جلب رضا عامّة الناس لا الخواص منهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۵

۱۱. الحذر من وساوس الانتهازيين والنمامين والسعى فى إسدال الستار على عيوب الناس.

۱۲. لزوم المشورة فى الأعمال والنشاطات فيما يتصل بتدبير الأمور، والحذر من مشورة الأشخاص البخلاء والجبناء وأهل الدنيا.

۱۳. عزل المتولين السابقين والمسؤولين الظالمين وتوثيق الرابطة مع أصحاب الورع والصدق والإيمان.

۱۴. تشويق المحسنين والصالحين وتوبيخ المسيئين وعقابهم.

۱۵. كسب حسن ظنّ الناس من خلال الإحسان إليهم، والتخفيف من ثقل الضرائب عليهم.

۱۶. احترام الآداب والتقاليد الحسنة للقدماء.

۱۷. استمرار مجالسة العلماء وأهل الخبرة والتشاور معهم.

۱۸. تقسيم الرعيّة إلى طوائف متعددة وخدمة كلّ طبقة منهم وفق حاجاتهم ومواقعهم الذاتيّة والاجتماعيّة.

۱۹. التأكيد بشدّة على رعاية الطبقة المحرومة والمعدمة.

۲۰. بيان خصائص القادة العسكريين والمسؤولين فى الجيش الإسلامى.

۲۱. الاهتمام الخاص بسوابق الأشخاص والعوائل الصالحة وذات السمعة الحسنة.

۲۲. خصوصيات القادة الكبار.

۲۳. التأكيد على أصل العدالة، الذى يتواصل مع روحية القادة والزعماء وهو قرة عين لهم.

۲۴. الثناء على الأعمال الحسنة للصالحين والمحسنين لتقوية عناصر الخير فى المجتمع الإسلامى ولتشويق الجميع على عمل الخير

والإحسان.

۲۵. قياس قيمة عمل كلّ شخص بدون الالتفات إلى مكانته الاجتماعيّة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۶

۲۶. الرجوع إلى الكتاب والسنّة فى حل المشكلات واستنباط الأحكام.

۲۷. ذكر شروط القضاة والصفات اللازمة التى يجب توفرها فيهم.

۲۸. الإشراف على الأحكام القضائيّة التى يصدرها القضاة فى حقّ المحكومين وتأمين نفقاتهم ومعيشتهم فى الحياة بشكل كامل لمنع التورط فى عمليّة الرشوة.

۲۹. بيان المعيار فى انتخاب الولاة والقادة فى البلاد ودفع حقوقهم الماليّة بشكل كاف ووضع العيون (الجواسيس) لضبط أعمالهم.

۳۰. وضع خطة لعمليّة الخراج والضرائب والاهتمام بعمران المنطقة وإحيائها قبل الاهتمام بجمع الخراج.

۳۱. بيان الخصوصيات المتعلقة بالمدراء والمسؤولين عن الاسناد والوثائق وموظفيهم وتقسيم العمل بينهم بشكل دقيق.

۳۲. الاهتمام التام بوضع التجّار وأصحاب الصناعات والأشخاص الذين يتحركون فى خدمة الناس على مستوى نقل أو إنتاج ما يحتاجونه، والإشراف الدقيق على المعاملات والأسعار والتصدى لظاهرة الاحتكار.

۳۳. التأكيد أكثر على الاهتمام بالطبقة المحرومة والضعيفة ولزوم التواصل معهم والاطلاع على وضعهم.

۳۴. لزوم الاهتمام بوضع الأيتام والعجزة.

۳۵. تعيين وقت خاص للقاء العامّة من الناس والإذن لهم بمقابلة المسؤولين بشكل مباشر.

۳۶. تعيين وقت خاصّ آخر للموظفين والمسؤولين من أجل حلّ مشكلاتهم الخاصّة.

۳۷. تنظيم برنامج دقيق للأعمال اليومية المختلفة.

۳۸. الاهتمام بإقامة الفرائض الدينيّة وخاصّة صلاة الجماعة وكيفية إقامتها وتعيين وقت خاص للارتباط مع البارى تعالى.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۷

۳۹. عدم الابتعاد عن الناس والاحتجاب عنهم مدّة طويلة.

۴۰. كيفية التعامل مع الأصحاب الخاصين والمطلعين على أسرار الدولة.

۴۱. الرعاية الدقيقة لحقوق جميع الأفراد، سواءً كانوا من منطقة قريبة أو بعيدة.

۴۲. تقديم عذر موجّه وتبرير معقول فى مقابل ما يعيشه الناس من شحة فى الموارد وظهور المشكلات ممّا يودّى إلى سوء الظن بالولاة.

۴۳. قبول دعوة الأعداء للصلح وفى ذات الوقت رعاية حالة الحذر فى مقابلهم مع إحترام العهود والمواثيق التى تعقد معهم.

۴۴. الاجتناب بشدّة عن سفك دماء البرياء.

۴۵. اجتناب كلّ أشكال العجب والأنانيّة والغرور.

۴۶. الحذر من إظهار المن على الرعيّة.

۴۷. اجتناب التسرع والعجلة فى الأعمال.

۴۸. اجتناب الرشوة وأخذ حقّ الخاص فى المشتركات.

۴۹. الاهتمام بمطالعة سيرة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأنبياء الإلهيين فى جميع الأمور المتعلقة بالحكومة.

۵۰. وأخيراً الدعاء لنفسه ولمالك الأشتر وطلب الرحمة والتوفيق له من اللّه تعالى.

ويمكن من زاوية معنية وضع جميع هذه الأمور فى عشرة محاور:

۱. بيان أهميّة المسؤوليّة الملقاة على عاتق مالك الأشتر.

۲. التنبيهات الأخلاقيّة العامّة فى مجال الحكومة وتدبير الأمور.

۳. تقسيم الرعيّة وشرائح المجتمع المختلفة إلى عدّة فئات وطوائف، من القوى العسكرية إلى عمّال جباية الضرائب والموظفين لدى الحكومة والقضاة والتجّار وأصحاب الصنائع وتعيين الوظائف والخصوصيات المتعلقة بكل فئة منهم.

۴. الاهتمام الكبير فيما يتصل بالطبقات المحرومة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۸

۵. لزوم تعيين وقت لمواجهة ولقاء عامّة الناس، أى الانفتاح على العامّة وفتح الباب لهم ولارباب الحاجات.

۶. اختيار مشاورين أقوياء ومن أهل الخبرة.

۷. التصدى لكلّ أشكال الرشوة والامتيازات الذاتية.

۸. الاهتمام بأمر الصلح مع العدو وفى ذات الوقت أخذ جانب الحذر منه واجتناب كلّ أشكال سفك الدماء بدون دليل.

۹. الاهتمام بأمر إقامة الفرائض الدينيّة لعموم الناس.

۱۰. الدعاء لتحقيق النجاح والتوفيق فى أداء المسؤوليات واستمداد من اللَّه تعالى فى هذا الشأن.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۸۹

القسم الأوّل

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِى عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِى كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِى لَايَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

الشرح والتفسير: التوصية الاولى التقوى وجهاد النفس

اشارة

ينطلق الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل من هذه الرسالة بذكر اسم اللَّه الرحمن الرحيم والاستمداد منه، ويقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِى عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ. جِبَايَةَ[۵۲۰] خَرَاجِهَا،

وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا».

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص۲۸۹

تدىء الإمام عليه السلام فى مستهل هذه الرسالة بالاعتراف بالعبوديّة للَّه‌تعالى، ثمّ كونه أميرالمؤمنين، ليتبيّن أنّ قيادة المؤمنين

ودعامتهم إنّما تتجسد فى أرض الواقع فى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۰

ظلّ العبوديـة للّه‌تعالى لا فى ظلّ الحالات والـدوافع الذاتيّـة والشخصـيّة، ثمّ يبيّن الإمام عليه السـلام الأهـداف الأربعـة لهـذه المسؤوليّة والمهمّة التى ندب إليها مالك الأشتر:

الهـدف الأوّل: يشـير الإمـام عليه السـلام إلى الأمور الماليّـة والاقتصاديّـة وهو مـا ورد التعبير عنه بـالخراج، فصـحيح أنّ الخراج يعنى الضرائب الموضوعة على الأراضى المفتوحة عنوة بيد المسلمين، ولكنّها فى هذا المورد تمتد لدائرة واسعة وتشمل جميع الأمور الماليّة المتعلقة بالحكومة الإسلاميّة، أعم من الخراج والزكاة والجزية والخمس وأمثال ذلك.

الهدف الثانى: يتحدّث الإمام عن مسألة القوّة العسـكرية والدفاعية وقوى الأمن فى البلد الإسـلامى ويؤكّد على حفظ اسـتعدادهم لدفع هجمـات الأعـداء، لأنّه مـا لم يتمّ ترتيب أمور هؤلاء فإنّ الأمن لا يتحقق فى فضاء المجتمع ولا يعيش الناس راحـة البال فى معيشـتهم وأعمالهم.

الهـدف الثالث: يشـير الإمام عليه السـلام إلى إصـلاح الأمور الاجتماعيّـة والثقافيّـة، ومنها إيجاد الباعث على أعمال الخير وإزالـة منابع الفساد الأخلاقى وتثبيت الأمن فى مجال الكسب والعمل وتأمين حقوق الأفراد ونظم ما يتصل بالأمور القضائيّـة، رغم أنّ البعض تصور أنّ الجملة:

«اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا»

تختص بإصـلاح الأمور الماديـة للناس، ولكن من البعيـد يكون نظر الإمام عليه السـلام مقتصـراً على هذا المورد، بل ناظر إلى إصـلاح جميع الأمور الماديّة والمعنويّة.

وبعض العبارات الواردة فى كلام الإمام عليه السـلام فى هذه الرسالة تشـير إلى أنّ الإمام ناظر فى هذا المورد بشكل عام وواسع بحيث يشمل جميع المسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة من قبيل قوله:

«ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ».

الهدف الرابع: يتحدّث الإمام عليه السـلام عن إعمار البلاد ويشمل ذلك إصلاح جميع ما يتعلق بأمور الزراعة والصناعة والتجارة، رغم أنّ الوارد فى هذه الرسالة يختص بمسألة الصناعة والتجارة والكسب والعمل، ولم يرد كلام عن الزراعة، ولكن مع

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۱

الأخذ بنظر الحسـبان أنّ مصـر بلد زارعى وأنّ أهالى مصـر يولون اهتماماً كبيراً بمسألة الزراعة، فكأنّ الإمام عليه السـلام لم يجد حاجة لذكرها واقتصـر على الإشارة إلى المشاكل الصناعية والتجارية، ولكن عندما يتحدّث عن أخذ الخراج يأمر مالك الأشتر بأن يقوم، فى ذات الوقت الذى يأخذ الخراج، بمراقبة عمليّة الأعمار واستصـلاح الأراضـى واجتناب التشدد مع الزرّاع بما يتسـبب فى قلّة المحاصـيل الزراعية.

ثمّ إنّ الإمام عليه السـلام يواصل اسـتعراضه لهـذه الأصول الأخلاقيّـة الأربعـة مخاطباً مالك الأشتر، والتى تشـكل فى الحقيقـة الأركان الأصليّة المعنويّة للحكومة.

بداية يقول:

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ».

إنّ خطب الإمام عليه السـلام ورسائله وكلماته القصار فى نهج البلاغة زاخرة بأمر التوصية بالتقوى، التى تمثل رأس مال سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة، فالتقوى تعنى الاحساس بالمسؤوليّة الباطنيّة واجتناب كلّ أشـكال الإثم والذنب والتعدى والإجحاف، وبعبارة أخرى أنّ التقوى تمثّل حالة معنويّة كابحة، تتولى حفظ مسيرة الإنسان فى طريق الحقّ وتضمن عدم انحرافه عن الصراط المستقيم، ومعلوم أنّ

مسؤوليّة الإنسان كلّما إزدادت وثقلت فإنّها تستدعى حالة أعمق وأقوى من التقوى.

وفى التوصية الثانية يقول الإمام عليه السلام:

«وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِى كِتَابِهِ:

مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِى لَايَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَايَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا».

«الفرائض» و «السنن» تعنى عادة الواجبات والمستحبات، وقيل: إنّ «الفرائض» هى الواجبات الواردة فى كتاب اللَّه، و «السنن» هى الأحكام والواجبات الورادة فى السنّة الشريفة وكلام النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وفى هذه الصورة تكون جملة:

«مَا أَمَرَ بِهِ فِى كِتَابِهِ ..»

شاملة للأمر بإطاعة النّبى فى بيان الأحكام الإلهيّة أيضاً، فيحتمل فى معنى هاتين المفردتين أنّ «الفرائض» إشارة إلى الواجبات المهمّة، و «السنن» إشارة إلى الواجبات التى تأتى بالدرجة الثانية بعدها.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۲

ويتبيّن من عبارة

«وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا ..»

أنّ طريق سعادة الدنيا والآخرة منحصر فى هذا المسلك وأنّ الطرق الأخرى تقود الإنسان فى خط الضلالة والمتاهة، وطبعاً فهذا لا يعنى نفى الإدراكات العقليّة والحاق الهداية الباطنيّة بها، لأنّ من جملة الأمور التى ورد التأكيد عليها فى كتاب اللَّه اتّباع العقل، وهو ما ورد فى عشرات الآيات الكريمة.

وفى التوصية الثالثة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ».

التعبير بنصرة اللَّه تعالى بالقلب واليد واللسان، كما ذكر بعض الشرّاح، إشارة إلى ما يتصل بالقلب من الاعتقادات، واليد إشارة إلى جهاد الأعداء، واللسان إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولكن البعض يعتقد أنّ القلب لا يشير فقط إلى العقائد، بل إلى حالات النفور الباطنى من القبائح والرذائل والعشق لأعمال الخير أيضاً، وكذلك بالنسبة لليد فليست إشارة لجهاد الأعداء فقط، بل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مورد الحاجة لمقدمات عمليّة والتى تدخل عادة فى وظائف الحكومة الإسلاميّة، وأمّا اللسان فيشمل جميع أشكال التعليم والتربية الصحيحة مضافاً إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

. عبارة

«قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ..»

إشارة إلى ما ورد فى الآيات القرآنيّة الشريفة الناظرة إلى هذا المعنى، ومن ذلك ما ورد فى الآية ۷ من سورة محمّد: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُم».

وفى التوصية الرابعة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا[۵۲۱] عِنْدَ الْجَمَحَاتِ ۵۲۲]، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ».

والحقيقة أنّ هذه التوصيات والدساتير الأخلاقيّة الأربع تمثّل برنامجاً كاملًا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۳

لضمان سعادة جميع الناس، فلو أنّ روح التقوى وحالة الورع تعمقت وتجذرت فى النفس، وتحرك الإنسان بعدها فى خط إطاعة الأوامر الإلهيّة واتّباع التعاليم الواردة فى الكتاب والسنّة وتصدى لمواجهة المفاسد الاجتماعيّة والقبائح الأخلاقيّة ومؤامرات الأعداء بالقلب واليد واللسان وكسر صنم الأهواء النفسانيّة، فمثل هذا الإنسان هو الإنسان الكامل وهو المخاطب بقول تعالى: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ

الْمُطْمَئِنَّةُ»[۵۲۳].

وجملة

«فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ..»

اقتباس من قوله تعالى: «وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي»[۵۲۴]. (سواءً كانت هذه الجملة واردة على لسان يوسف عليه السلام أم على لسان زوجة عزيز مصر، وعلى أية حال فإنّ القرآن قد أمضى هذه المقولة).

ورغم أنّ الكثير من المتقين يخشون من وساوس الشيطان، ولكن هوى النفس والوساوس الشهوانيّة والنوازع النفسانيّة أخطر من ذلك بكثير، ولعل هذا هو السبب فى أنّ الإمام عليه السلام يلفت نظر مالك الأشتر إلى هذه المسألة أكثر.

وصحيح أنّ المؤمنين المخلصين والأولياء الإلهيين قد تجاوزوا مرحلة النفس الأمارة إلى النفس اللوامة ومنها إلى النفس المطمئنة، ولكنّ هذا لا يعنى أنّ نفوسهم الأمارة قد ماتت ولا حاجة إلى الحذر من أخطارها ودسائسها.

تأمّل

أخطار النفس الأمارة

من المعلوم أنّ كبار العلماء والمفسّرين، وبالاستلهام من آيات القرآن الكريم، قالوا بوجود مراحل ثلاث للنفس الإنسانيّة فى حركتها المعنويّة فى خط التكامل:

النفس الأمارة، النفس اللوامة، النفس المطمئنة.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۴

أمّا النفس الأمارة فإشارة إلى الأهواء والشهوات المتمردة التى تأمر الإنسان دوماً بسلوك طريق الرذيلة وإرتكاب المنكرات، والنفس اللوامة إشارة إلى حالة الندم الحاصل بسبب إرتكاب الإثم والمعصية، وتنمو وتشتد هذه النفس من خلال تقوية روح التقوى فى الإنسان، أمّا النفس المطمئنة فهى المرحلة العالية من تكامل الروح الإنسانيّة بحيث تصل إلى مرتبة تخضع لها جميع الأهواء والنوازع النفسانيّة بشكل كامل من خلال آليات الضبط العقلى والإيمانى.

ويرسم الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام فى المناجاة الثانية من المناجاة الخمسة عشر المعروفة، النفس الأمارة بكل وضوح ويشكو إلى اللَّه تعالى منها بهذه الكلمات (بوصفه قدوة لعموم الناس) ويقول:

«إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً وَبِمَعَاصِيكَ مُولَعَةً وَبِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الْأَمَلِ إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ».

أجل فهذه معالم وخصائص النفس الأمارة على نحو الدقّة، ويستفاد من الروايات الشريفة أنّ النفس الأمارة تزيّن للإنسان الذنوب وتقبح له الخيرات والطاعات، وعندما يرتكب الإنسان تلك القبائح والذنوب وتتجلى أمامه عواقب تلك الذنوب، تنكشف عن عينه ستائر الغفلة، وأحياناً يوصد من خلفه باب العودة والإنابة فلا سبيل له للتوبة من الرذائل والمنكرات.

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام (كما ورد فى غرر الحكم) فى كلام موجز أنّ:

«النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ الْمُسَوِّلَةُ تَتَمَلَّقُ تَمَلُّقَ الْمُنافِقِ وَتَتَصَنَّعُ بِشَيْمَةِ الصِّدِيقِ الْمُوافِقِ حَتَّى إِذا خَدَعَتْ وَتَمَكَّنَتْ تَسَلَّطَتْ تَسَلُّطَ الْعَدوِّ وَتَحَكَّمَتْ تَحَكُّمَ الْعُتُوِّ فَأَوْرَدَتْ مَوارِدَ السَّوْءِ»[۵۲۵].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۵

ومن هنا أوصى الأولياء وعلماء الأخلاق أن يراقب الإنسان هذه النفس مراقبة دقيقة لئلا يتورط فى شراكها وينخدع بخداعها، ويقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى كلام آخر (طبقاً لما ورد فى غرر الحكم):

«إِنَّ هذَه النَّفْسِ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فَمَنْ أَهْمَلَها جَمَحَتْ بِهِ إِلَى الْمَآثِمِ»[۵۲۶].

فالنفس الأمارة تعتبر فى الحقيقة أهم وسائل الشيطان وأدواته فى إغواء الإنسان، فلو أنّ الإنسان تخلص من شراكها ومصائدها فإنّه يتخلص كذلك من شرّ الشيطان وتسويلاته.

أهميّة بلاد مصر

تعتبر مصر أحد أقدم مراكز الحضارة البشرية وأقدم مهد للتمدن فى التاريخ البشرى، وهناك آثار تاريخيّة مهمّة فى بلاد مصر احتار العلماء فى كيفية تشييدها وبنائها حتى مع الأخذ بنظر الاعتبار الوسائل والأجهزة الحديثية، وكأنّ مقولة أنّ هذه الأرض كانت من قديم الأيّام من أكثر البلدان تطوراً وإزدهاراً فى العالم حقيقة لا غبار عليها.

والمدارك والأسناد التاريخيّة تشير إلى أنّ مصر كانت ذات حضارة مزدهرة منذ عشرة قرون قبل ميلاد المسيح، فكانت تحتوى على مدارس كبيرة ومكتبات ومراكز للتحقيق العلمى، وقد إقترنت الحضارة المصرية باليونانيّة من قديم الأزمان وكانت العلوم والمعارف متبادلة بينهما.

ومن النعم الإلهيّة الكبيرة على هذا البلد التاريخى، نهر النيل العظيم الذى يسقى أراضى مصر الواسعة، ولولا هذا النهر العظيم فإنّ قسماً عظيماً من أراضى هذا البلد ستتعرض للجفاف والتصحر، وتغدوا صحراء قاحلة لا زرع فيها.

وفى السنة العشرين من الهجرة وفى زمن الخليفة الثانى استولى المسلمون على

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۶

هذا البلد، ومن عجائب التاريخ أن عمر بن الخطاب منع من دخول جيش الإسلام إلى مصر، ولكن عمرو بن العاص جهز جيشاً وتحرك بنفسه إلى مصر فوصل الخبر إلى عمر بن الخطاب، وقد كان يخشى أنّ جيش الإسلام إذا دخل مصر فسوف يتحد الرومان والمصريون ويهزموا الجيش الإسلامى، ولذلك كتب كتاباً إلى عمرو بن العاص وأرسله بيد عقبة بن عامر، وعندما وصل عقبة بن عامر إلى عمرو بن العاص وهو على مقربة من مصر، لم يسمح عمرو بن العاص لعقبة باللقاء به ولم يستلم الكتاب منه إلى أن دخل إحدى المدن الساحلية فى مصر، ثمّ التفت إلى عقبة وقال:

هات الكتاب، فدفع إليه الكتاب، وكان عمر بن الخطاب قد كتب فيه أنّك إذا لم تدخل مصر فعليك بالعودة فوراً، فقال عمرو بن العاص لجنوده: هل أنّ هذا المكان هو مصر أو خارج مصر فقالوا: لقد دخلنا مصر، فقال: إنّ الخليفة قد أمر أننا إذا لم ندخل مصر فعلينا بالعودة، ولكننا الآن فى مصر ويجب علينا المضى والتقدم، ولكن عمرو بن العاص واجه مشكلة فى فتح مصر وخاف من الهزيمة، فكتب إلى عمر بن الخطاب وطلب منه إرسال التعزيزات والمعونات، فجهّز الخليفة الثانى جيشاً من اثنى عشر ألف نفر وأمّر عليهم عدد من رجال الإسلام الشجعان وأرسله لنصرته، وأخيراً فتحت مصر واعتنق المصريون الإسلام بشوق بالغ، وأنتجت مصر الكثير من علماء الإسلام فى فنون العلم المختلفة وفتتحت المدارس الإسلاميّة فيها واحدة بعد الأخرى وازدهر العلم فى هذا البلد.

ومن امتيازات مصر أنّ محبّى أهل البيت عليهم السلام وعشّاق المذهب العلوى كثيرون فيها، وحتى أنّ أهل السنّة فى مصر يعشقون أهل البيت عليهم السلام ويزورون «رأس الحسين» و «المرقد المنسوب للحوراء زينب» فيها حيث أضحى مزاراً عاماً لسكنة تلك الديار.

ولولا تدخل السياسة، لأمكن القول إنّ مصر بإمكانها أن تكون وسيلة جيدة لإيجاد الوحدة والاتحاد بين المذاهب الإسلاميّة، والشاهد على هذا المدعى الفتوى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۷

المعروفة التى أصدرها «الشيخ شلتوت» عن اتّباع فقه الإماميّة وأنّ هذا الفقه يقع فى عرض مذاهب أهل السنّة الأربعة ويجوز العمل به.

وعلى أيّة حال فبسبب أهميّة هذا البلد الإسلامى، اختار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أقوى شخصيّة من أنصاره وأصحابه وأعرفهم وأشجعهم، وهو مالك الأشتر، لإدارة أمور هذا البلد وكتب إليه العهد المعروف وهو مورد البحث الذى يشمل أدقّ التعاليم والتوصيات فى مسألة إدارة الحكومة والولاية وسلّمه إليه.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۲۹۹

القسم الثانى

اشارة

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّى قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِى مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَايَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِى الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِى الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِى الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِى تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِى الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

الشرح والتفسير: احترام حقوق جميع المواطنين!

يتابع الإمام عليه السلام توصياته العميقة والشاملة التى ورد بعضها فى القسم الأوّل من العهد، ويخاطب الإمام عليه السلام مالك الأشتر مشيراً إلى عدّة نقاط خاصّة، بداية يقول:

«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّى قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِى مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۰

قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ».

ثمّ يضيف عليه السلام:

«وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ».

فى هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام يشير الإمام من باب المقدّمة إلى وضع مصر (وقطعاً لا ينحصر بمصر) وأنّه قد كانت قبلك حكومات عادلة وجائرة، الحكومة العادلة من قبيل حكومة مصر فى عصر النّبى يوسف عليه السلام، وأمّا حكومة الجور فتتمثّل فى

الكثير من الفراعنة منهم فرعون المعاصر للنّبى موسى بن عمران عليه السلام.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى هذا الموضوع المهم، وهو أنّ معيار تقييم الحكومات من حيث العدل والجور يرتبط بأفكار عامّة الناس وتصوّرهم عن حكومتهم، وهذا هو المتداول فى هذا العصر من أنّ رأى الشعب هو الميزان، رغم أنّ الغالب فى مقام العمل لا يؤخذ به تماماً، ولكن فى ذلك العصر وعندما تحدّث الإمام عليه السلام بهذا الكلام، قلّما كان شخص يعتقد بهذه العقيدة وكان الناس يتصورون أنّ الحكومة لا يمكن أن تتحقق وتدوم إلّاآليات الاستبداد، والاستبداد بدوره مقترن بالظلم والجور.

وقد جاء فى كلمات العلماء:

«أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ أَقْلامُ الْحَقِّ»

أو

«أَلْسِنَةُ الرَّعِيَةِ أَقْلامُ الْحَقِّ إِلَى الْمُلُوكِ»

وهما بمعنى واحد، وهو أنّ كلام جمهور الناس يعتبر قلم الحقّ تعالى الذى يكتب توصياته ورسائله إلى الملوك والقادة، أو أنّ اللّه تعالى بهذه الوسيلة يخاطبهم ويكاتبهم، وعلى أيّة حال فالغاية من ذلك أنّ الحكم الصادر من عامة الناس ومن الوعى الجمعى للُامّة هو المعيار الجيد لمعرفة قيمة الحكومات وصلاحيتها ومصداقيتها.

وطبعاً أحياناً تقوم الحكومات من خلال التبليغ الكاذب والتظاهر والرياء بتحريف وتشويش أفكار الناس، أو تقوم بعمليّة غسيل الأدمغة، ففى مثل هذه الموارد يكون الرأى العام مريض ويفقد أثره المطلوب فى القضاوة.

ومهما يكن من أمر فمن الجدير بقادة المسلمين الحاليين أن يكتبوا بعبارة:

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۱

«وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ»

، بماء الذهب ويضعونها نصب أعينهم ويقرأونها كلّ يوم ويحفظونها فى قلوبهم، ومن أجل تحقيق هذا المضمون يجب عليهم إبعاد المتملقين والانتهازيين من حولهم ولا- يكتفون بشهادة أنصارهم وأصحابهم فقط، بل يعرفون صلاحيتهم ومصداقيتهم من خلال الإتصال المباشر مع الناس عامّة.

وجاء فى كتب التاريخ أنّ بعض القادة القدماء كان راغباً فى إقامة العدالة فى حكمه فأحياناً كان يلبس ملابس أخرى ويخرج متنكراً ويطوف فى المناطق المختلفة فى المدينة وخاصّة فى المناطق المحرومة، ويدرس الأمور والأوضاع عن كثب بدون استخدام الوسطاء.

ثمّ يصدر الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من عهده ست توصيات مهمّة لمالك الأشتر ويقول:

«فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ».

ويقول القرآن الكريم: «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً»[۵۲۷].

وفى آية أخرى يقول: «اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»[۵۲۸].

وفى تفسير آخر أنّ العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ويعمل على ترسيخ العقائد السليمة فى واقع الإنسان وقلبه.

ونقرأ فى سورة العصر: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفى خُسْرٍ* إِلَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ»[۵۲۹].

وفى التوصية الثانية والثالثة يقول الإمام عليه السلام

«فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَ ۵۳۰] بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۲

يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ».

إنّ ضبط الأهواء النفسانيّة وكبح جماحها، والذى يؤكّد عليه الإمام عليه السلام، هو أن يستطيع الإنسان عند فوران الشهوة وثورة

الغريزة أن يضبطها ويجعلها تحت إرادته، وبعكس ذلك إذا سيطر هوى النفس على فكر الإنسان وعقله وقواه وملكاته الأخرى فإنّه سيقود صاحبه إلى وادى الهلكة والخسران.

ونقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«احْذَرُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَحْذَرُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْدَى لِلرِّجَالِ مِن اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَحَصَائِدِ أَلْسِنَتِهِمْ»[۵۳۱].

وجاء فى حديث آخر فى «غرر الحكم» عن الإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام:

«أَمْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ بِدَوامِ جِهادِها»[۵۳۲].

فالشح بالنفس فى مقابل المحرمات لا يعنى سوى أن يتصرف الإنسان كالبخيل الذى لا يجد فى نفسه رغبة فى إنفاق الدرهم والدينار من أمواله على الآخرين، فمثل هذا الإنسان يقف فى مقابل المحرمات كالبخيل فلا يعطى من نفسه شيئاً يؤدّى به إلى خسرانه دينه وإيمانه ويبعده عن طريق الإنصاف والصلاح، سواءً فى الأمور التى يجد فى نفسه ميلًا إليها أم فى الأمور التى لا يشتهيها.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام فى التوصية الرابعة إلى مسألة مهمّة جدّاً تعكس عظمة القوانين الإسلاميّة ويطرح أمراً لم يكن له وجود فى ذلك العصر فى المجتمعات البشرية، ويقول:

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ».

ومعلوم أنّ «أشعر» من مادة «شعار» وشعار فى الأصل يطلق على الملابس التحتانيّة للإنسان والتى تلتصق مباشرة ببدنه، واختيار الإمام عليه السلام لهذا التعبير يشير إلى أنّ قلبك يجب أن يلتصق بالرحمة والمحبّة واللطف بالنسبة للرعية.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۳

ولعلّ الفرق بين الرحمة والمحبّة واللطف، أنّ الرحمة تمثّل المرتبة الاولى من الصداقة وحسن الخلق، والمحبّة فى مرتبة أعلى منها، واللطف يمثّل آخر مرتبة من التعاطف مع الآخرين، وربّما يكون التفاوت فى هذه المراتب بالنسبة لمواقع أفراد المجتمع والرعيّة، فبعضهم يستحق الرحمة، والبعض الآخر فمن هو أنفع للناس فإنّه جدير بالمحبّة، والأشخاص الذين يخدمون الناس ويسعون فى إيصال الخير أكثر فإنّهم جديرون باللطف.

وقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ وَحُسْنُ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ يَلِي حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ»[۵۳۳].

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة من موقع التأكيد على ما مرّ فى التوصية الرابعة ويقول:

«وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً[۵۳۴] تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ:

إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

ولا شك ولا ريب فى أنّ أركان الحكومة الصحيحة والمقتدرة والعادلة هى التى تمتد سيطرتها على قلوب الناس وعواطفهم لا على أساس القوّة والسيف، فالولاة الذين يحكمون على قلوب الناس ويملكون عواطفهم فإنّ المجتمع يعيش الأمن والأمان، أمّا من كان يحكم بآليات القوّة والقهر فإنّهم يعيشون هاجس الخطر دائماً.

ومن أجل تشويق مالك الأشتر على أمر الحكومة على القلوب والعواطف يأمر الإمام عليه السلام بالتعامل مع الرعيّة بلغة الرحمة والمحبّة واللطف، ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام النقطة المقابلة لذلك، وهى الحكومة التى تقوم على أساس البطش والقوّة ويكون الحاكم فيها كالحيوان المفترس يأكل حقوق الرعيّة ويحسبها غنيمة له، ثمّ يختار الإمام

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۴

أفضل دليل على هذه التوصيات، وهو أنّ الرعيّة فى الحكومة الإسلاميّة ليس خارجة عن اثنين: فالغالبية مسلمون، ونعلم أنّ الإسلام يقرر أنّ المسلم أخو المسلم، أو أقلّية من غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين حياة سلمية، وهم بشر ويتصفون بالإنسانيّة،

والإنسان يجب أن يتعامل مع الإنسان الآخر بآلية المحبّة والمودّة.

وهذا الكلام فى الحقيقة يشطب بخط البطلان على التبليغات المسمومة للأعداء الذين يقولون: إنّ المسلمين لا يعترفون بحق الحياة لغير المسلمين ويعتقدون أنّ جميع الأفراد من غير المسلمين يجب أن يقتلوا أو يسلموا كرهاً، أجل فإنّ كلام الإمام عليه السلام المذكور أعلاه يقرر أنّ جميع أفراد البشر وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى بإمكانهم أن يعيشوا مع المسلمين حياة سلمية وطيبة ويتمتعون فى داخل البلاد الإسلاميّة فى ظلّ قوانين الإسلام بكافة حقوقهم وتكون نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وحيثياتهم محفوظة، خلافاً لما نراه فى عالمنا المعاصر، فحتى الاختلاف فى لون الجلد فى بعض الدول التى تدعى التقدم والحضارة كأمريكا يكون سبباً للتمييز العنصرى، وخلافاً لما يتبجحون به فى إعلاناتهم السياسيّة فإنّ البيض هناك يكرهون السود غالباً، والمراكز الاجتماعيّة للبيض منفصلة عن مراكز السود وهم غير مستعدين للتعاون فى الكثير من المسائل الاجتماعيّة.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام حقيقة تعتبر من أهم تعاليم وتوصيات الإدارة الناجحة ويقول:

«يَفْرُطُ[۵۳۵] مِنْهُمُ الزَّلَلُ ۵۳۶]، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِى الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِى تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ».

وبديهى أنّ كلّ إنسان غير معصوم من الخطأ والزلل (سوى المعصومين عليهم السلام) وأنّ

الكبير والصغير، والعالم والجاهل كلّ واحد منهم يبتلى بما يتناسب مع حاله بالأخطاء، ولا أحد بإمكانه أن يدعى أنّه برىء من الخطأ والزيغ، بل ورد فى حالات بعض الأنبياء الإلهيين أنّهم كانوا يرتكبوا أحياناً ترك الأولى، ورغم أنّه ليس بذنب ومعصية، ولكنّه غير لائق بمقامهم.

وهكذا أحياناً يفقد الإنسان حالته العادية بسبب بعض الآلام والمتاعب الجسميّة والروحيّة، وفقدان الأعزّة، الفشل فى العمل وأمثال ذلك، ففى مثل هذه الحالة يسلك عادة فى دروب الزيغ والخطأ.

وبما أنّ الإمام عليه السلام يريد لمالك الأشتر الولاية والحكومة على جمهور كبير من الناس، يعنى أهالى مصر، فإنّه يأمره بالعفو عن الزلل والخطأ (فى الموارد الميسورة والممكنة)، ومن أجل إثارة الباعث فى نفسه على هذا العمل وتقويته فى نفسه يذكره الإمام بأخطائه وزلاته فى مقابل البارى تعالى، ويقول: ألا ترغب فى أن يعطيك اللّه من عفوه وصفحه ويتجاوز عن أخطائك وسيئاتك؟ إذن فعليك بالعفو والصفح عن خطايا الرعيّة ولا تشدد عليهم، وطبعاً هذا فى الموارد التى لا يكون فيها العفو والصفح موجباً للاخلال فى النظم وتضيع حقوق المظلومين.

ونقرأ فى تاريخ صدر الإسلام عندما شاعت قضية الإفك بين المسلمين بواسطة المنافقين واتّهم جماعة منهم زوجة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالانحراف عن جادة الشرف والعفّة، فإنّ جماعة من المؤمنين، سلكوا، عمداً أو سهواً، فى مسير إشاعة هذه التهمة، فنزلت الآيات القرآنيّة ونهت بشدّة عن هذا السلوك الشائن، بحيث إنّ بعض المسلمين عزموا على قطع رابطتهم مع هؤلاء الأشخاص من مثيرى الفتنة ومروجى الإشاعة، ويحرمونهم من معوناتهم المادية، فنزلت الآية الشريفة: «وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»[۵۳۷].

والفرق بين العفو الصفح، أنّ العفو يعنى صرف النظر عن العقاب على الخطأ والزلل، وأمّا الصفح فى مثل هذه الموارد فهو إزالة العقوبة على الخطأ من ذهنه ووضعها فى زاوية النسيان.

وجملة:

«يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ ..»

لا- تعنى أنّه يجب على الوالى أن يأخذ بيد المخطئين ويهديهم سواء السبيل كما ذكر ذلك بعض الشرّاح، بل بمعنى أنّ الأعمال الخاطئة تجرى على أيديهم.

ثمّ يتحرك الإمام على مستوى التوضيح والتأكيد أكثر ويقول:

«فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ».

فالإمام عليه السلام فى هذه العبارة يؤكّد على هذه الحقيقة، وهى أنّ كلّ شخص يحكم على جماعة فهو بدوره يقع تحت حكومة شخص آخر، فإذا كنت حاكماً على مصر، فعليك بالانتباه بأننى حاكم عليك ومراقب لأعمالك، فإذا كنت حاكماً عليك فينبغى أن أنتبه إلى أنّ اللَّه تعالى حاكم علينا، ومعلوم أنّ الالتفات إلى هذا الأمر يؤدّى بالإنسان أن يتعامل مع الناس بآليات العفو والصفح والمحبّة ما أمكنه ذلك لكى يتوقع بالتالى عفو الحاكم عنه وأعلى من ذلك يتوقع العفو الإلهى عنه.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۷

القسم الثالث

اشارة

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ، لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

الشرح والتفسير: لا تكن مغروراً أبداً!

يواصل الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من كتابه لمالك الأشتر ويوصيه بسبع توصيات مهمّة أخرى.

بداية يقول::

«وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ، لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ».

المراد من الحرب مع اللَّه، كما ذكر الكثير من شرّاح نهج البلاغة، هو الظلم والجور على عباد اللَّه وتضييع حقوقهم ولا- يشمل كلّ معصية وإثم، وصحيح أنّ جميع الذنوب قبيحة وذميمة، ولكن التعبير بالحرب مع اللَّه يعنى أكبر من ذلك.

والشاهد لهذا المعنى ما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام عن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۸

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

: «لَقَدْ أَسْرَى رَبِّي بِي فَأَوْحَى إِلَيَّ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَوْحَى وَشَافَهَنِي إِلَى أَنْ قَالَ ۵۳۸] لِي يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَمَنْ

حَارَبَنِي حَارَبْتُهُ»[۵۳۹].

ويستدل الإمام عليه السلام لعدم الحرب مع اللّه بأمرين: أحدهما، الحاجة إلى عفوه ورحمته، والآخر، اجتناب عقوبته وعذابه.

وفى التوصية الثانية والثالثة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَ ۵۴۰]

بِعُقُوبَةٍ».

وهـذا الكلام إشارة إلى أنّك يجب أن تلتزم جانب العفو ما أمكنك ذلك وقلل من موارد العقوبة، لأنّ أثر العقوبة إذا كان نافعاً لمدّة قصيرة فإنّ أثر العفو يمتد لمدّة طويلة.

وطبعاً فإنّ هذا الحكم يصدق على غالبية الناس، ولكن لدى بعض الناس- وهم أقليّة تكون نتيجة العفو والصفح عكسية ويتحمل الجناة ذلك على محمل الضعف والخوف من قِبل الوالى، فلابدّ من استخدام الشدّة والقوّة مع هؤلاء.

وفى التوصية الرابعة يقول عليه السلام:

«وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ[۵۴۱] وَجَدْتَ مِنْهَا

مَنْدُوحَةً[۵۴۲]».

ومعلوم أنّ الإنسان عندما يملكه الغضب فإنّه يفقد إعتداله الفكرى، وقد جرّبنا مراراً بأنّ كلّ قرار نتخذه فى ذلك الوقت سيثبت خطأه بعد ذلك، وحتى أعقل الناس

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۰۹

ربّما يتحول فى صورة الغضب والحدّة إلى أجهل الناس، والمعروف بين العامّة من الناس أنّهم يقولون: عندما أغضب فإنّ الدم يغطى على عينى ويحول بينى وبين رؤية الأشياء فأرتكب العمل الفلانى، وهذا فى الحقيقة إشارة إلى هذه الحالة.

ولذلك ورد فى الحديث الشريف عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«الغَضَبُ يُرْدِى صاحِبَهُ وَيُبْدِى مَعايِبَهُ»[۵۴۳].

وجاء فى حديث آخر عنه عليه السلام أيضاً:

«بِئْسَ الْقَرِينُ الْغَضَبُ يُبْدِى الْمَعَائِبَ وَيُدْنِى الشَّرَّ وَيُبَاعِدُ الْخَيْرَ»[۵۴۴].

وهذه الحقيقة تتضح أكثر عندما يأتى بعض الأشخاص من طرف واحد ويتحدّثون للوالى بكلام معين، فلو عزم على أمر فى هذا الحال فسوف يندم، فيجب التريث قليلًا وسماع حجّة الطرف المقابل، فربّما يختلف الحال بعد هذا التحقيق.

ومن هذا المنطلق ينبغى العمل وفقاً للمثل المعروف: «عند الغضب لا عقوبة ولا أمر ولا تصميم».

فى التوصية الخامسة ينهاه الإمام عليه السلام بشدّة عن حالة الغرور والفخر ويقول:

«وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّى مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ ۵۴۵] فِى الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ[۵۴۶] لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ

مِنَ الْغِيَرِ[۵۴۷]».

ولا شك أنّ أحد الآفات الخطيرة لمسألة الحكومة والولاية، الغرور والكبر والاستبداد، وكما قال الإمام عليه السلام أنّ ذلك ترتب عليه ثلاثة أمور خطيرة، الأوّل: أن

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۰

يفسد فكر الإنسان وتنقلب لديه الحقائق ويتخذ قرارات عجولة وغير عادلة ومجانبة للصواب، والآخر، أنّ الإنسان يتورط بأنواع المعاصى والذنوب والظلم ممّا يوهن إيمانه ودينه، والثالث، أنّ هذه الحالة تتسبب فى إيجاد متغيرات كثيرة فيما يتصل بعلاقة الحكومة مع الناس والكثير من الإنتفاضات والثورات على إمتداد التاريخ البشرى تنبع من هذه القضية.

وبخلاف ذلك إذا كان الوالى متواضعاً وأخرج من ذهنه ريح الغرور والتكبر، فسوف يعتدل فكره ويتصرف بحكمة وكذلك لا يلوث

نفسه بالـذنوب ولاـ يضـعف إيمـانه، ومن جهـة أخرى يحفظ علاقته الحميمـة مع الناس، وهـذه العلاقـة هى الأصل والأساس للحكومة الصالحة حيث تمنح الحكومة القدرة والهيمنة.

ويقول الإمام عليه السلام فى كلماته القصار فى «غررالحكم» عبارة مثيرة فى مصير المغرورين وعاقبتهم الوخيمة:

«طُوبى لِمَنْ لَمْ تَقْتُلْهُ قاتِلاتُ الْغُرورِ»[۵۴۸].

وفى مورد آخر يقول:

«سُكْرُ الْغَفْلَةِ وَالْغُرُورِ أبْعَدُ إفاقَةً مِنْ سُكْرِ الْخُمُورِ»[۵۴۹].

أجل، فإنّ سكر الشراب ربّما يزول بعد يوم أو ليلة، ولكن سكر الغرور ربّما يستمر إلى خمسين عاماً.

ويشير الإمام عليه السلام فى آخر الخطبة التالية من نهج البلاغة إلى جماعة من المنافقين والانتهازيين الذين تمردوا عليه ويقول:

«زَرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ وَحَصَدُوا الثُّبُور».

وبمـا أنّ عمـل الأطباء الواعين لا يقتصـر على تشـخيص وعلاج الألم والمرض، بل يمتـد إلى إراءة طرق العلاج أيضاً، ويعـدّ ذلك من الأركان الأصليّة لبرنامجهم الطبى، والإمام عليه السلام وهو الطبيب الإلهى، فى هذه الرسالة بعد أن يذكر آفات الغرور، يشير إلى طريق علاجها ويقول:

«وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً[۵۵۰] أَوْ

مَخِيلَةً[۵۵۱]، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَاتَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ

نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ ۵۵۲] إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ۵۵۳] وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ۵۵۴] وَيَفِيءُ إِلَيْكَ

بِمَا عَزَبَ ۵۵۵] عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ».

فالإمام عليه السـلام فى هـذه العبارات البليغـة والعميقـة المعنى، يقرر أنّ النظر إلى عظمـة ملك اللَّه تعالى وقدرته الواسـعة من شأنه أن يخلف ثلاثة آثار إيجابية للمغترين بقدرتهم:

الأوّل: أنّه ينزلهم عن مركب الغرور.

والآخر: يخفف من شدّة عملهم.

والثالث: يعيد إليهم عقلهم الذى أسدل عليه الغرور ستار الغفلة.

أجل، فإنّ أقوى الأفراد يجـد نفسه فى مقابل الحوادث والمظاهر الطبيعيـة التى تحـدث بأمر اللَّه كالريشـة فى مهب الريـح، وقـد سـمعنا كثيراً أنّ السـلاطين المسـتبدين قـد أخـذهم الأجل بين عشـية وضـحاها بسكتة قلبية مختصـرة، ونعلم أنّ هذه العارضة تنشأ من إنسداد بعض الشـعيرات فى القلب ويترتب عليه جلطة دموية، أو يموت بسـبب السـرطان، وهو ليس سوى طغيان خلية من خلايا البدن الضعيفة أو بواسـطة المكروب أو فيروس الـذى لاـ يرى بالعين المجردة، وأحياناً تحـدث زلزلـة وتهـدم جميع قصورهم، أو يهب اعصار ليحطم جميع مـا لـديهم، أو يأتى سـيل عظيم ويأخـذ معه كلّ ما لـديهم، وهكـذا، هـذه كلّها إشارات صـغيرة على قـدرة اللَّه المطلقـة، فلو أنّ الإنسان تفكر فى هذه الأمور، فإنّه سيكون متواضعاً وبعيداً عن حالات الغرور فى

أى مقام ومنصب كان.

إنّ التاريخ لا يذكر حكومة وسـلطة أعلى من سـلطة النّبى سليمان عليه السلام، فالقرآن يتحدّث عن سليمان عندما حان أجله فلم يمهله الموت حتى يجلس على الأـرض بـل أخـذ روحه وهو واقف متكىء على عصـاه وودع جميع مـا لـديه من إمكانـات عظيمـة فى لحظة واحدة ولم يعلم بموته أحد من الناس إلّابعد أن أكلت الإرضة عصاه فاختلّ تعادله وسقط على الأرض.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام، وفى التوصية السابعة، يتحدّث من موقع التأكيد على الأمور المذكورة آنفاً لغرض إزاحة حالة الغرور والتكبر عن الولاة والامراء من خلال التهديد بالعقوبة الإلهيّة ويقول:

«إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ[۵۵۶] اللَّهِ فِى عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِى جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ ۵۵۷]».

وفى الحقيقة فإنّ الأشخاص الذين ملكهم الغرور والتكبر يدّعون عملًا أنّهم فى سياق واحد مع اللَّه تعالى، فى حين أنّهم لا يمثّلون سوى ذرات تافهة فى مقابل بحر العظمة الإلهيّة، والعقوبة المترتبة على مثل هذا الغرور والشموخ العبثى هو أنّ اللَّه تعالى سيذلهم ويهينهم، وإذا التفت المتكبرون والمغرورون إلى نهاية عملهم فسوف ينزلون من مركب الغرور والكبر.

وقد وردت أحاديث شريفة فى هذا المجال عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

فنقرأ فى حديث شريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عندما سئل عن:

«أَدْنَى الْإِلْحَادِ»

. فقال عليه السلام:

«إِنَّ الْكِبْرَ أَدْنَاهُ»[۵۵۸].

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«الْكِبْرُ رِدَاءُ اللَّهِ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ أَكَبَّهُ اللَّهُ فِى النَّارِ»[۵۵۹].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۳

ومعلوم أنّ جميع هذه الأمور بسبب الآثار والتداعيات السلبيّة الفرديّة والاجتماعيّة التى تستولى على الشخص المغرور والمتكبر، وقد ورد روايات متعددة أنّ الكبر يتسبب فى تجاهل الإنسان للحق ويواجه أهل الحقّ من موقع التوبيخ والذم ويسحق حقوق الناس ۵۶۰].

ونختم هذا الكلام بحديث شريف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«الْكِبْرَ أَنْ تَتْرُكَ الْحَقَّ وَتَتَجَاوَزَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَتَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ وَلَا تَرَى أَنَّ أَحَداً عِرْضُهُ كَعِرْضِكَ وَلَا دَمُهُ كَدَمِكَ»[۵۶۱].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۵

القسم الرابع

اشارة

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَىْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

الشرح والتفسير: إحذر من لعنة المظلومين!

فى هذا المقطع من رسالة الإمام عليه السلام لمالك الأشتر يوصيه الإمام عليه السلام بعبارات بليغة ومحكمة بإقامة العدالة ورفع كلّ أشكال التمييز:

«أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى ۵۶۲] مِنْ رَعِيَّتِكَ».

ومعلوم أنّ المراد من الانصاف بالنسبة للَّه‌تعالى، إطاعة أوامره ونواهيه، والإنصاف بالنسبة للناس ترك كلّ أشكال التمييز والميل

لبعض الأفراد دون البعض، كما هو الحال فى سيرة غالبية المسؤولين والقادة فى الماضى والحاضر، فعندما يصلون إلى مسند القدرة والسلطة يمنحون أقاربهم وأصدقاءهم امتيازات خاصّة دون سائر الناس، وهذا التمييز يتسبب فى أنواع من الخلل والإرباك فى الحكومات.

وينبغى الالتفات إلى أنّ «الانصاف» من مادة «نصف» الذى يطلق على نصف كلّ شىء، وبما أنّ العدالة تؤدى إلى قيام الإنسان بتقسيم حقوقه الاجتماعيّة بينه وبين

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۶

الآخرين بالعدالة، فمن هذه الجهة يطلق عليه «انصاف» وبعبارة أخرى أنّ الانصاف هو أن يحبّ الإنسان للآخرين ما يحبّ لنفسه وأقربائه وأصدقائه، ويكره للآخرين ما يكره لنفسه والأشخاص المتعلقين به.

ونقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى لَاتَرْضَى بِشَىْءٍ إِلَّا رَضِيتَ لَهُمْ مِثْلَهُ»[۵۶۳].

وأمّا الانصاف بالنسبة للَّه‌تعالى فهو أن يقسم الإنسان المواهب الإلهيّة بشكل عادل، فنصفها ينفقها فى سبيل اللَّه ويبقى النصف الآخر لنفسه، وهكذا يقسم وقته وفكره وإمكاناته الأخرى بهذا المنوال حتى يراعى على الأقل الانصاف وإن لم يصل إلى حدّ الإيثار.

ومن الطبيعى أنّ هذا العمل ليس بالهين واليسير، لأنّ الإنسان يميل دوماً نحو ترجيح كفّة نفسه وأقربائه على كفّة الآخرين، ومن هنا ورد فى الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه:

«ألا اخْبُرُكَ بِأَشَدِّ ما فَرَضَ اللَّهُ عَلى خَلقِهِ»

، قلت:

بلى. قال:

«إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَمُوَاسَاتُكَ أَخَاكَ وَذِكْرُ اللَّهِ فِى كُلِّ مَوْطِن ...»[۵۶۴].

والفرق بين الانصاف والمواساة، هو أنّ الانصاف يكون فى مورد الحقوق، والمواساة تقع فى جميع مواهب الحياة ونعم اللَّه تعالى على الإنسان.

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه ويذكر دليلًا على قوله، وهذا الدليل مركب، فى الحقيقة، من صغرى وكبرى ونتيجة ويقول:

«فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ ۵۶۵] حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ ۵۶۶] أَوْ

يَتُوبَ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۷

ومن الواضح أنّ ترك الانصاف وممارسة أى شكل من أشكال التمييز يعتبر من الظلم الفاحش والجلى، ونعلم أنّ اللَّه تعالى عادل وحكيم وعدوّ للظالمين ونصير للمظلومين، والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد على هذا المعنى، وهو أنّ اللَّه تعالى إذا خاصم أى شخص فإنّه لا يقبل منه أى عذر وحجّة، والتعبير

«أَدْحَضَ حُجَّتَهُ»

إشارة إلى هذا المعنى، وربّما يملك الشخص المذنب بعض الأعذار غير الموجّهة فى ذنوب أخرى ويشمله لطف اللَّه تعالى وتكون أعذاره مقبولة بغفارية البارى تعالى، ولكن بالنسبة للظلم والجور لا يقبل منه أى عذر وذريعة، والطريق الوحيد للنجاة من خصومة اللَّه تعالى وعقوبته أن يرفع الإنسان يده من الظلم ويتوب من أعماله هذه ويعيد حقوق الناس إليهم ويجبر ما فات من أعماله.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى سياق كلامه هذا يبيّن العقوبة الشديد للظالمين وأنّها لا تشبهها أية عقوبة أخرى:

«وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ۵۶۷]، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ».

وهذا الكلام يعدّ تحذيراً شديداً للظالمين ليعلموا أنّ عقوبتهم لا تنحصر بيوم القيامة، بل سيواجهون جزاء أعمالهم فى هذا العالم أيضاً، وليس فقط فى مدّة طويلة بل فى مدّة قصيرة، أجل فإنّ ما يسرع فى تغيير النعم الإلهيّة وينزل العقوبة والعذاب الإلهى هو الإقامة والاستمرار على الظلم والإصرار على العدوان وسحق الحقوق.

ونقرأ فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«ما مِنْ أَحَدٍ يَظلِمُ بِمَظلَمَةٍ إِلّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِها فِى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ...»[۵۶۸].

وجاء فى الكلمات القصار للإمام عليه السلام فى غرر الحكم:

«مَنْ عَمِلَ بِالجَورِ عَجّلَ اللَّهُ هُلْكَهُ»[۵۶۹].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۸

وكذلك ورد فى رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ اللَّهَ عَزّ وَجلّ أَوحى إِلى نَبِىٍّ مِنْ أَنبيائِهِ فِى مَملَكَةِ جَبّارٍ مِنَ الجَبّارينَ أنْ ائت هَذا الجَبّار فَقُل لَهُ: إِنَّنِى لَمْ أَستَعمِلْكَ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ وَإِنَّما اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكُفَّ عَنِّى أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ، فَإِنِّى لَمْ أَدَعْ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّاراً»[۵۷۰].

يقول ابن عباس، الذى اقتبس الكثير من علومه من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام: «علمت من القرآن الكريم أنّ الظلم والجور يخرب البيوت، ثمّ أشار إلى هذه الآية: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ...»[۵۷۱]»[۵۷۲].

وجاء فى حديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أسرَعُ الخَير ثَواباً البِّرُ وَصِلَةُ الرَّحمِ وَأَسرَعُ الشّر عُقوبَةً البَغى وَقَطيعَةُ الرَّحمِ»[۵۷۳].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۱۹

القسم الخامس

اشارة

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِى الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِى الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

الشرح والتفسير: كن مع جمهور الناس!

يلفت الإمام عليه السلام النظر فى هذا المقطع من الرسالة إلى نقطة مهمّة ومؤثرة فى حياة الإنسان وبخاصّة المجتمعات البشرية المعاصرة وكيفية عمل الحكومات، ويقول:

«وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا[۵۷۴] فِى الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِى الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ».

وبديهى أنّ القوانين والمقررات التى تملك هذه الخصوصيات الثلاث تكون أشمل من حيث الحقوق، وكذلك أشمل من حيث

رعاية العدل، وأفضل فى كسب رضا عامّة الناس، فإنّها ستقع مورد رضا اللَّه تعالى والخلق، وعندما يكون اللَّه تعالى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۰

راضياً عن حكومة معينة وخلق اللَّه راضون كذلك، فإنّ ذلك يضمن بقائها ودوامها.

وهذا الكلام يعنى أنّ المهم هو تحقيق رضا الغالبية الساحقة من الناس لا الأقليّة من أصحاب الثروة من الانتهازيين الذين يعيشون فى بلاط الحاكم أو السلطان.

ويقول الإمام عليه السلام فى سياق كلامه:

«فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ ۵۷۵] بِرِضَى الْخَاصَّةِ،

وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ».

ما ورد من الجمل القصيرة أعلاه يمثّل فى الواقع البنية التحتيّة للحكومات الثابتة والمستقرة، فأفراد المجتمع ينقسمون عادة إلى قسمين: فئة هى الأقليّة من الأثرياء الذين يتمسكون بأطراف القادة والزعماء ويبرزون لهم مظاهر الإخلاص والتضحية بدافع التملق ويهتمون دائماً بمنافعهم الذاتية ومصالحهم الشخصيّة، وفى مقابل هناك الغالبية من الناس الذين تقع على أيديهم تحريك عجلة الحياة فى المجتمع، هؤلاء يعملون ويتعبون أنفسهم أكثر من الآخرين ويحبّون بلدهم ويتفانون فى خدمته أكثر من الطائفة الاولى، فلو أنّ الطائفة الاولى لم تكن راضية عن الوالى والحاكم وكانت الطائفة الثانية راضية ومسرورة، فلا تحدث مشكلة أو إرباك فى فضاء المجتمع، لأنّ مشاكل المجتمع تحلّ عادة بيد جمهور الناس ولا تؤثر صرخات الأقليّة فى تغيير مسار المجتمع، ولكن إذا رجّح الوالى رضا الطائفة الاولى وهم الأقليّة على حساب غضب عامّة الناس وسخطهم، فحينذاك تتعرض أركان الحكومة للاهتزاز والضعف.

وفيما لو استمر سخط العامّة فسوف ينتهى بهم الأمر إلى الثورة والانتفاضة ضد الحكومة.

إنّ سيرة نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام تعدّ أفضل نموذجاً حياً لهذه المسألة، فقد تحركا دوماً فى خط مواساة المحرومين ومساعدة ودعم الطبقة المتوسطة من

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۱

أفراد المجتمع ولم يهتما بمخالفة الخواص الذين يرون منافعهم فى خطر.

وهذا هو الأمر الذى يطلق عليه فى هذا العصر بالديمقراطية الشعبية، أو الديمقراطية الدينيّة، ولكن ربّما يكتفى السياسيون أحياناً بالألفاظ والظاهر لا بالحقيقة والواقع، فالديمقراطية فى الحقيقة تعتبر مفهوماً قديماً ولكنّهم أظهروه للناس بقوالب جديدة من الألفاظ والكلمات.

ونرى فى هذه الأيّام نوعاً من الأساليب الشيطانيّة المشبوهة من قِبل هذه الطائفة من الخواص الذين يتحركون، وبواسطة استخدام وسائل الاتصالات الجمعية، لخداع الرأى العام وكما يقال: يقومون بغسل الأدمغة بحيث يتصور الناس أنّ مطالب الخواص هى ما يريده عامّة الناس، ولكن مع قليل من الدقّة يمكن كشف هذا الزيف والخداع فى مقولاتهم.

وأحياناً يستخدمون اسلوباً آخر، وهو أن يفتحوا الباب على مصراعيه للملذات والأهواء والغرائز البدنيّة ويعملون على إلهاء الناس بهذه الأمور لكى لا يعرف الناس حقيقة ما يجرى فى المجتمع والحكومة، فلو أنّ الأشخاص العارفين بهذه الأمور والمخلصين للشعب يتحركون على مستوى تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم لئلا يسقطوا فى هذه المصيدة، فسوف تنفتح عيون الناس على الحقيقة ويتحركون على مستوى الثورة ضد النظام الحاكم ويلقوا بهؤلاء الانتهازيين فى مزبلة التاريخ.

وبما أنّ هذه المسألة تتمتع بأهميّة كبيرة فى الإسلام، فالإمام عليه السلام فى سياق كلامه يتعرض لشرح أكثر لهذا الموضوع ويبحث فى تفاصيل هذه المسألة ويذكر صفات تلك الطائفة من الخواص، وكذلك يذكر خصوصيات الطائفة الأخرى من عامّة الناس والعاملين فى المجتمع، وبداية يتحدّث الإمام عن الصفات الذميمة للخواص المغرورين ويذكر لهم سبع صفات:

يقول عليه السلام فى الصفة الاولى والثانية:

«وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۲

فهؤلاء يتوقعون الكثير من الوالى ومطالباتهم لا تعدّ ولا تحصى ولا تمتلىء جيوبهم بسهولة، وعند بروز المشكلات والأزمات يسحبون أنفسهم ويتراجعون إلى الوراء ويقولون بأنّ حفظ البلد والتضحية فى سبيله تقع على عهدة العامّة من الناس، ويتصورون أنّهم طبقة ممتازة من الصفوة والنخبة الذين يتكفّلون مهمّة الإشراف وإبداء الرأى فقط.

وفى الصفة الثالثة يقول عليه السلام:

«وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ».

لأنّهم يعتقدون بأنّهم شريحة ممتازة ونخبة مفضلة لا ينبغى أن يجعلوا فى عرض الآخرين فى أى برنامج ومشروع.

ويقول الإمام عليه السلام فى بيان الصفة الرابعة:

«وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ۵۷۶]».

لأنّهم يرون أنفسهم دائمين ومتفضلين، أضف إلى ذلك أنّهم من المقربين للولاة والحكّام وبإمكانهم أن يطرحوا مطالبهم مرات ومرات، بخلاف الجمهور من عامّة الناس الذين يطرحون مطالبهم باصرار أقل بكثير، وأساساً لا مجال لهم عادة للوصول إلى الحكّام والمسؤولين.

وفى الصفة الخامسة والسادسة يقول عليه السلام:

«وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ».

لأنّهم لا يرون العطاء والبذل خدمة من قِبل الحاكم تستحق الشكر بل إنّه أداء للدَّين، وفى مقابل الدَّين لا يستحق المدين شكراً ولا ثناءً، فهم يتصورون غالباً أنّه لولا نصرتهم للنظام وإشرافهم على أمر الحكومة، فإنّ هذه الحكومة لا يمكنها أن تستمر فى حياتها وتمارس دورها فى السيادة والهيمنة، ومن هذا المنطلق يرون لأنفسهم حقّ الحياة على الحكومة، فمهما اعطوا من المال والحقوق فهو قليل بحقّهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۳

ومن هذا المنطلق أيضاً لو لم تتمّ الاستجابة لمطاليبهم فإنّهم قلّما يقبلون العذر فى هذا المنع، ويرون أنّ جميع الأعذار فى هذا المجال غير مقبولة وغير مبررة وأحياناً يكون العذر أقبح من الذنب.

وفى الصفة السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ ۵۷۷]

الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ».

لأنّهم عاشوا حياة الرفاهية والنعمة وقلّما واجهوا المشكلات والتحديات، فلم يشتد لهم عود الصبر والاستقامة، على عكس الجماهير الكادحة فى المجتمع الذين تربوا فى أجواء المشكلات والأزمات وبنوا ذواتهم فى بوتقة المحن والابتلاءات فصاروا كالفولاد فى القوّة والمتانة.

والحقيقة أنّه لا يوجد وصف أفضل وأبلغ وأكثر شفافية لهؤلاء القلّة من الخواص المغرورين بامتيازاتهم والذين يعاملون الناس من موقع الاستعلاء والفوقية، ونعلم جيداً أنّ جميع هذه الخصائص والصفات ناشئة من تصوراتهم الموهومة عن امتيازاتهم الذاتية وحاجة الحكومة لهم وأفضليتهم على سائر طبقات المجتمع، وهذه الأوهام والخيالات الطوباوية، قادتهم إلى هذه المنزلقات والمتاهات.

أمّا خصائص الجماهير الكادحة فى المجتمع الإسلامى، وحسب تعبير الإمام عليه السلام عامة الناس، فتتلخص فى ثلاثة أمور: يقول

عليه السلام:

«وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ ۵۷۸]

الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ ۵۷۹] لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ».

ما أبلغ هذه العبارات وما أعمق مدلولها، فلولا دفاع العامّة من الناس فإنّ أصول الدين وفروعه ستطوى فى عالم النسيان ويصيب الخلل والإرباك مفاصل المجتمع

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۴

الإسلامى، فلا توجد قوّة للدفاع أمام هجوم الأعداء، ومن هذا المنطلق فإنّ الحكومة يجب أن لا تهتم بادعاءات الأقليّة المترفة وتحصر اهتمامها ورعايتها بالطبقة التى يتوقف عليها بقاء الدين والدنيا وهى الأساس والأصل فى حركة المجتمع نحو الإزدهار والتطور.

ويستفاد من مجموع عبارات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة أنّ الجماهير الكادحة من الناس تتمتع بعشر خصائص، وقد ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة منها فى المقطع مورد البحث وسبعة منها ذكرها الإمام عليه السلام عند بيان الصفات الذميمة للخواص المغرورين، وهى كالتالى:

۱. أنّهم خفيفو المؤنة فى حالات الاستقرار الاجتماعى.

۲. أنّهم يشمرون عن سواعدهم ويمدون يد العون فى الحكومة فى وقت الأزمات والمشكلات.

۳. أنّهم يفرحون من سلوك الوالى فى خط الانصاف ورعاية الحقوق للجميع.

۴. عندما يطلبون شيئاً ممّا يحتاجونه فى واقع الحياة لا يصرّون كثيراً على مطالبهم.

۵. إنّهم يواجهون الهداية والنعمة بالشكر والثناء.

۶. يقبلون العذر فيما لو وجدت موانع أمام تحقيق مطالبهم.

۷. يتمتعون بالصبر والاستقامة فى مقابل المشكلات والتحديات.

وعبارة

«وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ»

إشارة إلى أنّ هذه الشريحة من الجماهير الكادحة هى الركن الأساس للمجتمع الإسلامى، وهذا ما ورد فى روايات أخرى بوصفهم «السواد الأعظم»، وبعبارة أخرى لو أخذنا بنظر الاعتبار انفكاك أفراد المجتمع فإنّه لا يبقى هناك مفهوم للمجتمع والامّة، ولكن إذا توفرت عناصر التلاحم بين الأفراد، كما هو حال البناء الذى تشتد أواصره بقليل من الجص أو الاسمنت، فإنّ مفهوم المجتمع سيتحقق فى الواقع الخارجى، وهذا الأمر لا يتسنى إلّامن خلال هذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۵

الجماهير الكادحة فى جو المجتمع والامّة.

وجملة

«فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ»

مقتبسة فى الواقع من القرآن الكريم، وذلك فى خطابه للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً»[۵۸۰].

وليس النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقط مأموراً بالاعتماد على هذه الطبقة الفاعلة والتواصل معهم، بل إنّ جميع الأنبياء السابقين كانوا كذلك، فالقرآن الكريم يتحدّث عن النّبى نوح عليه السلام، عندما تجمع حوله بعض الشبّان المؤمنين واعترض عليه جماعة من

الأثرياء وأصحاب المواقع الاجتماعيّة أنّك إذا أردت أن ندخل فى دينك فيجب أن تطرد هؤلاءُ الفتية من حولك، فأمره اللّه تعالى أن يقول لهم: «وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ* وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنى مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ»[۵۸۱].

تأمّل

أنواع الحكومات

قسّم بعض العلماء الحكومات والنظم السياسيّة على إمتداد التاريخ البشرى إلى أربعة أقسام:

۱. الحكومة المستبدة: وهى الحكومة التى تحكم فيها شخص واحد على المجتمع ويديره بوحى من أفكاره الخاصّة دون الخضوع لقانون، فيفرض إرادته على جميع الأفراد (مثل حكومة رؤوساء القبائل فى العصور القديمة).

۲. الحكومة الملكية: وفيها يكون الحاكم شخص واحد، ولكنّها تملك قانوناً

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۶

ونظاماً لتيسير الأمور وتدبير الحكومة.

۳. حكومة الأشراف (الاريستوقراطية) وهى الحكومة التى يتولى أمرها طبقة الأشراف والنبلاء فى المجتمع.

۴. الحكومة الديمقراطية: وفيها يكون الشعب هو الحاكم الحقيقى لنفسه، ومن هنا يختار الشعب نوّابه وحكّامه من خلال صناديق الاقتراع، ويتولى هؤلاء الوكلاء والنوّاب ترتيب المسائل القانونيّة والقضائيّة والإجرائيّة، وأحياناً تكون الانتخابات بواسطة، وأخرى دون واسطة.

وطبعاً فالحكومة الإلهيّة، أى حكومة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، تتمتع بمكانة خاصّة، وذلك أنّهم منصوبون من قِبل اللّه تعالى لهذه الحكومة ويهدفون لما فيه خير المجتمع وصلاح الناس، ومعلوم أنّ هؤلاء الأولياء، ومن أجل تيسير عملهم وكسب تأييد الجمهور، يستخدمون فى الكثير من المواقع عنصر البيعة، ومع بيعة الناس للحاكم الإلهى تزداد مشروعية هذه الحكومة، وهذا الأمر تحقق بشكل كبير فى حكومة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۷

القسم السادس

اشارة

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِى النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِى أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَايَضِحُ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِىَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

الشرح والتفسير: عليك بستر العيوب!

اشارة

فى هذا المقطع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عن أهميّة الستر على الناس من قِبل الوالى والتأكيد بأنّ وظيفة الوالى لا تنحصر بمكافحة العيوب الظاهرة، بل ينبغى اجتناب التجسس على الناس والتوغل فى أمورهم الشخصيّة لمعرفة عيوبهم الباطنية وكذلك الابتعاد عن الأشخاص الذين يتحركون على مستوى كشف عيوب الناس وفضحهم، يقول عليه السلام:

«وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ ۵۸۲] عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ

لِمَعَايِبِ النَّاسِ».

وعادة تجتمع حول الوالى أو الحاكم جماعة من هؤلاء الانتهازيين، الذين يبحثون عن عيوب الناس ونقاط الضعف والقصور فيهم من أجل التقرب إلى الوالى والقائد، فيهتكوا أستار الآخرين ممّا يبعث على تشويش ذهن الوالى بالنسبة لهم

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۸

ويعيش سوء الظن بالنسبة لكلّ فرد من الأفراد، فالإمام عليه السلام يقول: يجب أن تبعد هذه الجماعة عن نفسك لأنّهم يتسببون فى إرباك الحكومة، فمن جهة يخلقون جو الفرقة والاختلاف بين الناس، ومن جهة أخرى يقومون بتوهين العلاقة بين الوالى والرعيّة، ومن جهة ثالثة يغرسون سوء الظن فى فضاء المجتمع الإسلامى.

أجل، ينبغى على الوالى أن يسلك معهم بهذه الطريقة حتى لا يتصور أحد أنّه، ومن خلال النميمة وافشاء عيوب الناس، يتقرب إلى الوالى ويكون من بطانته.

ولتأكيد هذا المعنى يبيّن الإمام عليه السلام دليلًا فى هذا الشأن ويقول:

«فَإِنَّ فِى النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِى أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا».

ويضيف عليه السلام:

«فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ».

وقد ورد فى الحديث الشريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لَا يُبْلِغْنِى أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَصْحَابِى شَيْئاً فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»[۵۸۳].

إنّ ما أشار إليه الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من كلامه يبيّن هذه الحقيقة، وهى أنّ غالبية الناس لهم نقاط ضعف تخفى على الآخرين، فلو أنّ نقاط الضعف هذه ظهرت للملأ فإنّ هذا من شأنه إشاعة حالة سوء الظن بين الناس، والوالى بدوره سيعيش سوء الظن بالنسبة للرعية، وهذه الحالة من سوء الظن، والتى أشار إليها النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً فى حديثه، من شأنها تقطيع أوصال المجتمع وتخريب الوحدة بين أفراده وإضعاف عنصر الثقة فيما بينهم، فلايعيش مثل هذا المجتمع التكاتف والتواصل بين الأفراد، وبينهم وبين الوالى، وهذا هو ما ورد فى القرآن الكريم من النهى بصراحة عن التجسس والبحث عن عيوب الناس الخفية تقول الآية:

«وَلا تَجَسَّسوا»[۵۸۴].

إنّ الواجب على الوالى أن يتصدى لمن يمزق ستار الحياء ويتجاهر بالفسق والفجوز ولا- يأبى من إظهار عيوبه للناس، ويتعامل معه بآليات الاصلاح السلمى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۲۹

ومن خلال الموعظة والنصيحة، ولو لم يوفّق من هذا الطريق فإنّه يستخدم القوّة والشدّة ويقيم الحدود الإلهيّة فيما يتعلق بهذا الشخص، فذلك بمثابة العمليّة الجراحية الضرورية لإدامة حياة المجتمع.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام وفى سياق كلامه يتحدّث عن هذا الموضوع من جهة أخرى ويقول:

«فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْکَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِکَ».

وهو إشارة إلى أنّ الإنسان ينبغى عليه ستر عيوب الناس ليستر اللّه عيوبه، وهذا بمثابة الثواب الإلهى فى الدنيا، وهناک ثواب أعظم ينتظره فى الآخرة.

وقد ورد فى حديث شريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَن سَتَرَ أخاهُ فِى فَاحِشَةٍ رَآها عَلَيهِ سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنيا وَالآخرَةِ»[۵۸۵].

وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله:

«كَانَ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامٌ لَهُمْ عُيُوبٌ فَسَكَتُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ فَأَسْكَتَ اللَّهُ عَنْ عُيُوبِهِمُ النَّاسَ فَمَاتُوا وَلَا عُيُوبَ لَهُمْ عِنْدَ النَّاس»[۵۸۶].

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه وخطابه لمالک الأشتر ويأمره بأربعة أمور أخرى، بداية يقول:

«أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ[۵۸۷]».

ومن المعلوم أنّ هناک عوامل مختلفة ربّما تثير العداوة بين الناس والوالى، فيجب على الوالى الأخذ بمقتضيات الحذر والانتباه إلى جذور هذه المسألة ونزع فتيل هذا الحقد والعداوة من صدورهم وذلک من خلال سلوكه الحسن معهم والتواصل معهم بشكل يمتص هذه العقد والأحقاد من نفوسهم.

ويحتمل أيضاً فى معنى هذه الجملة أنّ الوالى عليه أن يترک حالات الحقد على الناس، ولو أنّ أحداً إرتكب مخالفة فلا يضمرها فى قلبه بحيث تتحوّل إلى عقدة، بل عليه أن يتناساها، وقديماً قيل: لا ـ تنسى الخير الذى جاءک من الناس وعليک جبرانه فى الوقت المناسب ولا تتذكر إساءتهم لک وتعيش حالات الانتقام تجاههم،

نفحات الولايه، ج ۱۰، ص: ۳۳۰

ولكن المعنى الأوّل أنسب للعبارة.

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية:

«وَاقْطَعْ عَنْکَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ[۵۸۸]».

لأنّنا نعلم أنّ العداوات لا تحدث بدون سبب، إمّا أن تكون بسبب سوء المعاملة أو تضييع الحقوق أو التكبر والفخر على الآخرين وأمثال ذلک، فعندما يتمّ قلع هذه العوامل والأسباب فإنّ العداوات فى جو المجتمع تتبدل إلى محبّة ومودة.

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الثالثة:

«وَتَغَابَ ۵۸۹] عَنْ كُلِّ مَا لَايَضِحُ ۵۹۰] لَکَ».

وهذه إشارة إلى أنّه لا ينبغى لک الاصرار على التدخل فى تفاصيل حياة الناس وأعمالهم، وعليک بالتغافل مهما أمكنک ذلک، فإنّ التدخل فى جزئيات حياة الأفراد يعيقک عن الاهتمام بالمسائل الكلّية والهامة ويعمق الخلافات والعداوات فى فضاء المجتمع.

وفى التوصية الرابعة والخامسة يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ۵۹۱]

فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ ۵۹۲]، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ».

ونعلم أنّ النمام هو الشخص الذى ينقل الأخبار الصحيحة والسقيمة بين الأفراد ليوقع بينهم الشقاق ويزرع بذور العداوة فى صدورهم، وقديماً قالوا:

وَقَد قَطَعَ الواشُون ما كَانَ بَينناوَنحنُ إلى أنْ نُوصِلَ الحَبلَ أحوجُ

رَأوا عَورَةً فاستَقبلُوها بِألبِهمفَلم يَنهَهُم حِلمٌ وَلَم يَتَحرَّجُوا

وَكَانُوا اناساً كُنتُ آمنُ غَيبَهمفراحُوا على ما لا نُحبُّ وأدلَجُوا

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۱

وبعكس ذلك فقد أذن الإسلام فى عمليّة إصلاح ذات البين بالكذب لقلع فتيل العداوة وإزاحة غبار الكدورة عن القلوب، وبعبارة أخرى: على المسلم أن يصب الماء على نيران الخلاف والفرقة لا أن يضيف إليها حطباً ويزيدها اشتعالًا.

ونقرأ فى الحديث الشريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَ لَاأُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْمَعَايِبَ»[۵۹۳].

تأمّل

موارد الاستخبارات والتستر على عيوب الناس

ربّما يثار هذا السؤال بعدما رأينا ما يقوله الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الرسالة فيما يتصل بالتستر على الناس وطرد النمامين الذين يتحركون لفضح الناس أمام الوالى، والسؤال هو: إذن لماذا وضع النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام أميرالمؤمنين عليه السلام نفسه العيون والجواسيس فى شتى نقاط البلاد الإسلاميّة، والذين كانوا يوصلون إليه أخبار الامراء والولاة الخفية والجلية، فهل يعتبر هذا العمل مخالفاً لمسألة التستر؟

أضف إلى ذلك أنّه ورد فى التعاليم الإسلاميّة فيما إذا استشارك شخص حول أحد الأفراد، فلو كنت تعرف منه بعض العيوب الخفية فعليك أن تذكر ذلك لمن يستشيرك فيه وأنّ هذه المسألة من الأمور المستثناة من الغيبة.

ولا يخفى الجواب عن مثل هذا السؤال، لأنّ كلام الإمام عليه السلام فيما يتصل بالتستر وعدم الكشف عن عيوب الناس، يخص العيوب الشخصيّة والخصوصيّة التى لا تؤثر فى مصير الامّة أو يكون لها تأثير خفيف جدّاً، ولكن عندما تتعرض مصالح الامّة والنظام الإسلامى للخطر ويدور الحديث حول وجود مؤامرة تستهدف مصالح النظام والامّة، فهنا يكون لهذه المسألة حكم آخر، وبديهى أنّ الواجب فى هذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۲

الحالة هو التحقيق والتجسس وإيصال الخبر إلى الوالى لئلا يتسبب فى إيجاد الإرباك والخلل فى المجتمع الإسلامى وربّما تسفك بسببه الدماء وتنهب به الأموال وتنتهك به الحرمات، ففى هذا المورد لا مكان للتستر عن العيوب ونقاط القصور والتقصير.

وهكذا إذا أراد المسلم أن يقدم على عمل معين، سواء يتعلق بأمر الزواج، أو المشاركة فى تجارة، أو اختيار شخص لوظيفة وأمثال ذلك، وسأل شخص خبير ومطلع واستشاره فى ذلك، فهنا يعتبر التستر على ذلك الشخص نوعاً من الخيانة، فلا يحق للمستشار أن يكتم عيوب الطرف الآخر الذى استشاره صاحبه فى هذه الأمور.

وعلى ضوء ذلك يتبيّن الحد الفاصل بين لزوم التستر على عيوب الناس وحرمة فضحهم وكشف أسرارهم، وبين عمل الاستخبارات فى الأمور الاجتماعيّة والسياسيّة وفى مقام المشورة.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۳

القسم السابع

اشارة

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِی مَشُورَتِکَ بَخِیلًا یَعْدِلُ بِکَ عَنِ الْفَضْلِ، وَیَعِدُکَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَاناً یُضْعِفُکَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِیصاً یُزَیِّنُ لَکَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّی یَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

الشرح والتفسير: إحذر هؤلاء المستشارين!

اشارة

يتحدّث الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من رسالته وعهده عن مسألة المشاورين للوالی وصفاتهم وخصائصهم، والملفت للنظر أنّ الإمام لا يتحدّث عن لزوم المشورة لأنّه يعتبر أمراً مسلّماً ومطلوباً بأن يكون للوالی مستشارون أكفاء فی شؤون الإدارة السياسيّة والعسكريّة، ليستطيع من خلال الاستفادة من أفكارهم وآرائهم أن يختار الطريق الأفضل لتدبير الأمور ويبتعد بذلك عن الإستبداد بالرأی والاعتماد فقط علی أفكاره الفردية، وبالتالی يمكنه مراعاة مصالح الرعيّة مع المشورة بالمقدار الممكن.

يقول الإمام عليه السلام محذّراً مالك الأشتر من مشاورة ثلاث فئات ويبيّن له الآثار والتداعيات السيئة لهذه المشورة، وذلك بعبارات بليغة وموجزة ويقول:

«وَلَا تُدْخِلَنَّ فِی مَشُورَتِکَ بَخِیلًا یَعْدِلُ بِکَ عَنِ الْفَضْلِ، وَیَعِدُکَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَاناً یُضْعِفُکَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِیصاً یُزَیِّنُ لَکَ الشَّرَهَ ۵۹۴] بِالْجَوْرِ».

وفی الحقيقة فإنّ الإمام عليه السلام يوصی بالتحلی بثلاث قيم وملكات مهمّة ومؤثرة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۴

علی مستوی التدبير والإدارة: السخاء، الشجاعة والقناعة، وبديهی أنّ استشارة الشخص البخيل سيقف حائلًا أمام السخاء والكرم، ومشاورة الجبان من شأنها اضعاف عزيمة وجرأة الرجل الشجاع، وأمّا استشارة الحريص فإنّها تضعف القناعة وتثير فی الإنسان الطمع، وبالتالی تقوده هذه الصفات والحالات السلبية إلی ظلم الرعيّة.

ومن جهة أخری فإنّ البخلاء يعيقون كلّ عمل من شأنه الترفيه والترويح عن الرعيّة، وأمّا فی الأمور الدفاعية العسكرية فالجبناء يضعون العصی فی عجلات المواجهة مع الأعداء ويضخمون خطرهم ويحبّذون للوالی حالة الخنوع، وأمّا فی الأمور الاقتصاديّة فالحريص يقف حائلًا أمام الإزدهار الاقتصادی، وعلی هذا الأساس فالمشاورون للوالی يجب أن يتمّ انتخابهم بما ينتفع بهم فی شؤون إدارة البلاد ومدّ يد العون للوالی وتقوية عزيمته وإرادته ويحذرونه من الأمور التی تؤدّی إلی إرباك المجتمع وتعريض مصالح الناس للخطر.

وفی ختام هذا البحث يؤكّد الإمام عليه السلام علی البحث فی جذور هذه الصفات الذميمة ويقرر أنّها تمتد إلی أصل واحد ويقول:

«فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ[۵۹۵] شَتَّی یَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

فی هذه العبارة يدرس الإمام عليه السلام هذه المسألة من زاوية سيكولوجيّة عميقة ويقول: إنّ البخلاء لا يبخلون بشیء من مالهم إلّابسبب سوء ظنّهم باللَّه بأنّه سيمنعهم من فضله ومواهبه ويتصوّرون أنّهم إذا أنفقوا اليوم من أموالهم فإنّهم سيكونون غداً فقراء ومحتاجين، أمّا الجبناء فإنّهم يسيئون الظنّ باللَّه فی وعده للمؤمنين بالنصر علی أعدائهم ويتصوّرون أنّهم إذا لم يتراجعوا فی المعركة فربّما

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۵

بقوا لوحدهم وهلكوا فی مواجهة العدو، أمّا الأشخاص الذين يعيشون الحرص علی المال والثروة، فإنّهم لا يملكون حالة التوكل علی اللَّه، وفی الحقيقة أنّهم يسيئون الظن بقدرة اللَّه تعالی.

والآيات القرآنيّة بدورها شاهدة على هذه الحقيقة، ففى مورد يقول القرآن:

«الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا»[۵۹۶].

وفى آية أخرى يقول: «وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»[۵۹۷].

وفى مورد ثالث يقول: «وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[۵۹۸].

وما ورد من كلام الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة، يماثل ما ورد فى كلام النّبىالأكرم صلى الله عليه و آله فى وصيته للإمام على عليه السلام. فنقرأ فى كتاب «علل الشرائع» حديثاً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخاطب الإمام على عليه السلام ويقول::

«يَا عَلِيُّ لَاتُشَاوِرْ جَبَاناً فَإِنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَيْكَ الْمَخْرَجَ وَلَا تُشَاوِرِ الْبَخِيلَ فَإِنَّهُ يَقْصُرُ بِكَ عَنْ غَايَتِكَ وَلَا تُشَاوِرْ حَرِيصاً فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ شَرَّهَا وَاعْلَمْ يَا عَلِيُّ أَنَّ الْجُبْنَ وَالْبُخْلَ وَالْحِرْصَ غَرِيزَةٌ وَاحِدَةٌ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ»[۵۹۹].

تأمّل

أهمّيّة المشورة فى حياة الإنسان

إنّ مسألة المشورة والاستشارة تعدّ من أهم المسائل الاجتماعيّة، والدليل على ذلك واضح، لأنّ المشكلات الاجتماعية وحتى الشخصيّة تكون فى الغالب معقدة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۶

ومشوشة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فكل واحد من الأفراد يملك رأياً وفكراً ربّما يختلف عن الآخرين ويرى المسألة من زاوية واحدة، فلو اجتمعت الآراء والعقول لحلّ مشكلة معينة فربّما نحصل على حلول ناجعة للمشاكل الفرديّة والاجتماعيّة.

ومن هذه الجهة نقرأ فى حديث شريف فى «غرر الحكم» عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«حَقٌّ عَلى العَاقِلِ أنْ يُضيفِ إلى رَأيهِ رَأىَ العُقَلاءِ وَيَضُمِّ إلىْ عِلمِهِ عُلُومَ الحُكَماءِ»[۶۰۰].

وبديهى كلّما إزداد الأمر أهميّة وخطورة فإنّ أهميّة المشورة ستزداد أيضاً، والتجربة تدل على أنّ الأشخاص الذين يتحركون فى أعمالهم المهمّة بآلية المشورة والتباحث مع العقلاء وأهل الخبرة فى هذا الشأن فإنّهم قلّما سيواجهون الخلل والفشل، وبعكسهم المستبدون برأيهم الذين يشعرون بالاستغناء عن أفكار الآخرين نرى أنّهم فى الغالب يتورطون فى أخطاء وأخطار تعود عليهم بالضرر الفاحش، ولذلك نقرأ فى كلمات الإمام عليه السلام النورانيّة:

«مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِى عُقُولِهَا»[۶۰۱].

وجاء فى حديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنّه قال:

«مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إلَّا هُدُوا إلَى رُشْدِهِمْ»[۶۰۲].

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه نقل من التوراة هذه الحكمة:

«مَنْ لَمْ يَسْتَشِرْ يَنْدَم»[۶۰۳].

ولا فرق أن يستشير الإنسان من هو أعلم وأعقل منه أو يستشير من هو أدنى منه فى المرتبة كما ورد عن على بن الجهم قال: كنّا عند أبى الحسن الرضا عليه السلام

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۷

فذكرنا أباه قال:

«كان عَقلُهُ لايُوازن بِهِ العُقول، وَربَّما شاورَ الأسوَدَ مِن سُدانِهِ، فَقيَل لَهُ: تُشاوُر مِثلَ هذا؟ فَقالَ إِنَّ اللَّه تَبارَكَ وَتعالى رُبَّما فَتِحَ عَلَى لِسانِه»[۶۰۴].

والملفت للنظر أنّ الغرض من المشورة، مضافاً إلى ما تقدّم بيانه من التأكيد البالغ على الاستشارة، أنّ المستشار يفكر فى المسألة بنزاهة وبفكر خالص فى ذلك الموضوع فى حين أنّ صاحب المشكلة الذى يفكر بمنافعه، فإنّ فكره مشوب بالأهواء والمنافع الذاتية:

«إنّما حُضَّ عَلى المُشاوَرةِ لأنَّ رَأى المُشيرِ صَرفٌ وَرَأى المُستَشِيرِ مَشُوبٌ بِالهَوى [۶۰۵].

كما ورد فى كلام الإمام على عليه السلام فى هذا العهد: لا يصح استشارة أيّا كان، فالمستشار يجب أن يكون فرداً عاقلًا ومؤمناً لا يريد إلّاالخير لصاحبه، ولذلك نقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ المشورة لا تكون إلّابحدودها، فمن عَرَفَها بِحُدُودِها وَإلّا كَانَتْ مَضَرَّتَها عَلى المُستَشِير أَكثَرَ مِن مَنفَعَتِها لَهُ:

أَوَّلُها: أَنْ يَكونَ الّذِى يُشاوُره عَاقِلًا.

وَالّثانِية: أَنْ يَكونَ حُرّاً مُتديّناً.

الثّالُثة: أَنْ يَكونَ صَديقاً مُؤاخياً.

الرّابِعة: أَنْ تُطلِعَهُ عَلى سِرِّكَ فَيَكُونَ عِلمُهُ بِهِ كَعِلمِكَ بِنَفسِك، ثُمَّ يستر ذَلِكَ وَيَكتُمُهُ، فانَّهُ إذا كَانَ عَاقِلًا انتَفعَت بِمشوَرتِهِ، وإذا كَانَ حُرّاً مُتديّناً جَهَدَ بِنَفسِهِ فِى النّصِيحَةِ لَكَ، وَإذا كَانَ صَدِيقاً مُواخياً كَتَمَ سِرَّكَ».

وقال فى ختام كلامه عليه السلام:

«إذا أطلَعتَهُ عَلَيه، وَإذا أطلَعتَهُ عَلى سِرِّكَ كَانَ عِلمُهُ بِهُ كَعِلمِك، وَتَمَّتْ المَشورَةُ وَكَمُلتْ النَّصِيحَةُ»[۶۰۶].

وفى عالمنا المعاصر أضحت المشورة والشورى أوسع بكثير من السابق،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۸

فأحياناً يظنّ الإنسان أنّ اتساع أمر المشورة من شأنه إصلاح أحوال الدنيا فى حين أنّ مجالس الشورى هذه- وللأسف- ترتبط بصبغة سياسية وتتحرك فى خط المنافع الفردية أو الفئوية، وفى الحقيقة أنّها تفقد الخلوص والقداسة، والشاهد على ذلك أنّ الكثير من الأشخاص أو الفئات يسعون من خلال بذل نفقات باهظة ليكونوا نوّاباً ينتخبهم الناس لمثل هذه المجالس، وهذا يبيّن بوضوح أنّ هدفهم ليس تأمين مصالح الامّة، بل بما يعود عليهم أنفسهم بالنفع عاجلًا أم آجلا.

والكلام عن المشورة كثير ومفصّل، والغاية هنا مجرّد إشارة مختصرة فى هذا الباب وفى صفات المستشار الذى يتولى مسؤوليّة ثقيلة فى هذا الأمر، ونختم هذا البحث بحديث شريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَلَمْ يَمْحَضْهُ النَّصِيحَةَ سَلَبَهُ اللَّهُ لُبَّهُ»[۶۰۷].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۳۹

القسم الثامن

اشارة

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِى الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً

لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ؛ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

الشرح والتفسير: الوزير الجيد والوزير السيىء!

بعد أن بيّن الإمام عليه السلام صفات المستشارين فى المقطع السابق، فإنّه يتحدّث فى هذا المقطع عن خصائص الوزراء والمعاونين فى الحكومة، ففى البداية يعرّف الإمام عليه السلام الأشخاص الذين يملكون صفات سلبية، ثمّ يتحدّث عن الواجدين للصفات الحسنة والإيجابية، ثمّ يطرح توصياته اللازمة فيما يتصل بكيفية التعامل معهم، يقول عليه السلام:

«إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[۶۰۸]».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۰

فى هذه العبارة يشير الإمام عليه السلام إلى مسألة حسن السابقة وسوء السابقة، ولزوم التحقيق فى سوابق الأشخاص الذين يروم اختيارهم لمناصب مهمّة ومسؤوليّات ثقيلة، وهذا هو المتعارف عليه فى عالمنا المعاصر فيما يتصل بملف وسوابق المسؤولين.

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام الدليل على ذلك بشفافية ويقول:

«فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ[۶۰۹]، وَإِخْوَانُ

الظَّلَمَةِ».

وهذه إشارة إلى أنّ الشخص الذى عاش مع الظالمين وساند الجائرين والأشرار فإنّ هذه الصفة الذميمة ستتحول فى نفسه ملكة وسجية، فحتى لو أظهروا التوبة والإنابة فإنّهم لا يصلحون للوثوق بهم وبخاصة مع وجود الأفراد اللائقين فى المجتمع الإسلامى الذين لا يملكون مثل هذه السوابق السيئة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى سياق كلامه:

«وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ ۶۱۰] وَأَوْزَارِهِمْ ۶۱۱] وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً

عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ».

ويستفاد من هذه العبارة أنّ الأشخاص الذين يملكون نقطة سوداء واحدة فى ملف أعمالهم السابقة، فلا ينبغى اختيارهم للأعمال المهمّة كالوزارات وأمثالها، بل ينبغى أن يكون تاريخهم وسابقتهم الحسنة واضحة للجميع.

وفى ختام هذا الكلام يستنتج الإمام عليه السلام هذه النتيجة:

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص ۳۴۰

«أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى ۶۱۲] عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[۶۱۳] فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۱

خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ۶۱۴]».

فى هذه العبارات الموجزة والعميقة فى معناها يطرح الإمام عليه السلام أربع نقاط القوّة للذين ليس لهم سابقة سيئة فى تاريخهم وحياتهم، ويقول:

۱. أنّ هؤلاء الأفراد لا يثقلون على كاهل الوالى فى النفقات، لأنّهم فى السابق لم تكن لهم منافع غير مشروعة مع حكّام الجور والظلم ليتوقعوا أكثر من حقهم.

۲. أنّ مساهمتهم فی تحمل المسؤولیّة أفضل وأکبر لأنّ نیاتهم خالصة فی هذا السبیل وما یقدمونه من معونة فی أمور تحمل المسؤولیّة یقصدون بها الخیر للناس والقربة إلی اللّه.

۳. أنّ حبّهم للوالی أکثر من غیره، لأنّهم یتفقون معه فی الفکر والدوافع والتیّارات ممّا یتسبب فی فوران محبّتهم وشدّة تعاطفهم مع الوالی.

۴. أنّ هؤلاء لا یرتبطون برابطة مشبوهة مع الأجانب والغرباء، فلا یتواصلون إلّا معک ولا یرون سواک.

ومن الجلی أنّ أنصار الظلمة السابقین لیسوا فقط غیر صالحین للتعاون معهم، بل بما أنّ الناس یعرفون سوابقهم السیئة ممّا یؤدّی إلی ضعف اعتمادهم علی الوالی وعدم التعاون معه بشکل جید.

وینقل ابن أبی الحدید هذه القصة بعد أن یروی هذا الخبر الوارد فی الروایات:

«یُنادی یَومَ القِیامَةِ أَینَ مَنْ بَری لَهُم- أی للظَّالِمینَ- قَلَما»

أتی الولید بن عبدالملک برجل من الخوارج، فقال له: ما تقول فی الحجّاج؟ قال: ما عَسیت أن أقول فیه، هل هو إلّاخطیئة من خطایاک، وشرر من نارک؟ فلعنک اللّه ولعن الحجّاج معک، وأقبل یشتمهما، فالتفت الولید إلی عمر بن عبدالعزیز فقال: ما تقول فی هذا؟ قال: ما أقول فیه، هذا رجل یشتمکم، فإمّا أن تشتموه کما یشتمکم، وإمّا أن تعفو عنه، فغضب

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۳۴۲

الولید وقال لعمر: ما أظنّک إلّاخارجیاً، فقال عمر: وما أظنّک إلّامجنوناً، فقام وخرج مغضباً، ولحقه خالد بن الریّان صاحب شرطة الولید، فقال له: ما دعاک إلی ما کلّمت به أمیرالمؤمنین، لقد ضربت بیدی إلی قائم سیفی أنتظر متی یأمُرنی بضرب عنقک، قال: أو کنت فاعلًا لو أمرک؟ قال: نعم، فلمّا استخلف عمر جاء خالد بن الریان فوقف علی رأسه متقلّداً سیفه، فنظر إلیه وقال: یا خالد، ضع سیفک، فإنّک مطیعنا فی کلّ أمر نأمرک به- وکان بین یدیه کاتب کان للولید، فقال له: ضع أنتَ قلمک، فإنّک کنت تضرّ به وتنفع، اللّهم إنّی قد وضعتهما فلا ترفَعهما، قال: فواللّه ما زالا وضیعَین مهینین حتی ماتا[۶۱۵].

وبعد أن ذکر الإمام علیه السلام مسألة حسن السابقة فی الوزراء والمسؤولین تطرق إلی ذکر الصفات والخصوصیات لدی الجیدین منهم، بدایة یقول:

«ثُمَّ لْیَکُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَکَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَکَ».

وفی الخصوصیة الثانیة یقول:

«وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِیمَا یَکُونُ مِنْکَ مِمَّا کَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِیَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِکَ مِنْ هَوَاکَ حَیْثُ وَقَعَ».

وهذه إشارة إلی أنّک لو سلکت سبیل الخطأ أحیاناً فإنّهم سوف لا یساعدونک فی ذلک، لتکون منتبهاً وتتجنب التورط فی الخطأ والضلالة وتعود إلی خط الصواب، وبعبارة أخری أنّهم یملکون شخصیّة مستقلة وتفکیراً مستقلًا، فهم یعینونک فی الحقّ ولا یعینونک فی الباطل.

وفی الخصوصیة الثالثة والرابعة یقول الإمام علیه السلام:

«وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ».

«الورع» یعنی التقوی فی حدّها الأعلی، و «الصدق» هو الإخلاص فی المشورة وإیصال الأخبار الحسنة والسیئة للوالی.

وعبارة «

بِمُرِّ الْحَقِ

» الواردة فی العبارة أعلاه، تبیّن أن بیان الحقّ أحیاناً یکون

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۳۴۳

مستساغاً وحلواً ولكن فى الكثير من الأوقات يكون مرّاً وصعباً، ولكنّه بمثابة الدواء الشافى الذى ربّما يكون مرّاً لشاربه بصورة مؤقتة، إلّاأنّه يبعد عن الإنسان المرض الخطير، وهذه إحدى الاختبارات للخواص والمعاونين للوالى، وذلك بأن يملكون الجرأة والشجاعة لقول الحقيقة للحاكم ولو كانت مرّة ولكنّها مفيدة، فلا يخشون سخط الحاكم لأجل قول الحقيقة.

وفيما لو سلك الحاكم طريق الخطيئة والزيغ فإنّ ذلك يشكل امتحاناً آخر لبطانته، بأن يتحلوا بالشجاعة اللازمة ولا يعينونه أو يتماهوا معه فى هذا الطريق بل يعيدونه إلى صوابه وينبهونه من غفلته ولا يتبعونه اتّباع الأعمى ويرجحون رضاه على رضا اللّه والخلق.

وفى ختام هذا المقطع من التوصيات يقول الإمام عليه السلام فيما يتصل بالوزراء والمعاونين:

«ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ[۶۱۶]، وَتُدْنِى مِنَ الْعِزَّةِ[۶۱۷]».

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ «رضهم» من مادة «رياضة» فإنّه فى هذا المورد تعنى التمرين والتربية، وجملة «يطروك» من مادة «اطراء» بمعنى المدح والثناء الكثير، و «يبجحوك» ما مادة «بجح» (على وزن فرح) وتعنى الفرح، وغرض الإمام عليه السلام أنّه لا ينشرح صدرك وينفتح وجهك فى مقابل مدح المداحين، فلا ينبغى أن تظهر السرور لذلك، سواء فيما يتصل بأعمالك الحسنة أو ترك الأعمال السيئة، لأنّ تكرار هذا العمل من قِبل الحاشية سيؤدّى تدريجاً إلى التأثير فى قلب الوالى، وزرع الغرور والعجب فى نفسه، ومعلوم أنّ الغرور بذاته منبع الكثير من الانحرافات الخطيرة.

وجاء فى الحديث الشريف عن ابن عباس أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«لا تُطرُونى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۴

كَمَا أَطرَتْ النّصارى عِيسى بنَ مَريم إنّما أنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبدُهُ»[۶۱۸].

ونقرأ فى رواية معروفة:

«احْثُوا فِى وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَاب»[۶۱۹].

وجاء فى حديث عن أميرالمؤمنين على عليه السلام فى كتاب «غرر الحكم»:

«إِيَّاكَ أَنْ تَثِنِى عَلى أَحَدٍ بِما لَيسَ فِيهِ فَإِنْ فَعَلَهُ يَصدُقُ عَنْ وَصفِهِ وَيُكَذِّبُكَ»[۶۲۰].

ومعلوم أنّ هذا العمل ليس باليسير بأنّ تتحدّث البطانة والحاشية مع الحاكم بدون خوف وخشية منه وبدون توقع للصلة والثواب، فيمحضوه النصيحة ويخبروه بالحقائق دون أن يخافوا بطشه ولا يتوقعون ماله ورضاه، وهذا هو شأن الموحّدين الحقيقيين.

وكما قال الخطيب المعروف: إنّ النصيحة للملوك هى من شأن من لا يخاف ولا يطمع.

وطبعاً فإنّ هذا الكلام يعدّ توصية أكيدة لجميع المسؤولين فى مراكز القدرة والسلطة بأن يعلّموا مشاوريهم وبطانتهم على قول الحقّ وأن يكونوا مستعدين لقبول الحقائق المرّة[۶۲۱].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۵

القسم التاسع

اشارة

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِى ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِى الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيسَ شَىْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيسَ لَهُ قِبَلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِى ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ

يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ. وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

الشرح والتفسير: إحيى السنن الحسنة

يوصى الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة العهدية لمالك الأشتر بعدّة وصايا أخرى.

بداية يؤكّد الإمام عليه السلام على الإحسان للمحسنين وإنزال العقوبة بالمسيئين ويقول:

«وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۶

الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً[۶۲۲] لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ».

ما يبيّنه الإمام عليه السلام فى هذه التوصية يعتبر أحد الأصول المهمّة للإدارة الجيدة، من إدارة اللَّه تعالى والأنبياء للبشرية إلى إدارة ربّ الاسرة لعائلته وأبنائه.

القرآن الكريم يأمر النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالبشارة والإنذار ويعتبره «مبشراً» و «نذيراً»، وكذلك وعد اللَّه تعالى الصالحين بالثواب الجزيل والنعيم الدائم فى الجنّة، ووعد المسيئين بالنار والعذاب الأليم.

وهذا الأصل موجود فى جميع الأقوام البشرية مع تنوعهم واختلافهم فى العقائد والثقافات والأنظمة الحكوميّة، ويندرج تحت عنوان الترغيب والترهيب، والدليل على ذلك بيّن، لأنّ استمرار عمليّة الإحسان وإسداء المعروف للآخرين يتطلب تحفيز الباعث النفسى، ومنع المخالفات أيضاً يستدعى وجود المحفز والباعث، فربّما تؤثر الدوافع المعنويّة والعقائد الدينيّة فى هذا المجال، ولكن هذا الدوافع لا تتوفر فى جميع الأفراد، أضف إلى ذلك فإنّ وجود مسألة الثواب والعقاب من قِبل الوالى والحاكم من شأنه تجميد البواعث السلبية وترشيد الدوافع الخيرة.

وجملة «

وَأَلْزِمْ كُلًّا

...» إشارة لطيفة لهذه النقطة، وهى أنّ المرء عندما يتقبل شيئاً لنفسه فلا مسوغ لأن يقوم الحاكم بمنعه، فالمحسن اختار الثواب لنفسه، والمسيىء اختار العقاب لنفسه، ومن هذا المنطلق ينبغى اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه.

والأهم من ذلك أنّ الإحسان للمحسنين يؤثر على عمل المسيئين ويرغبهم فى ترك الإساءة، وعقوبة المسيئين تدعو بدورها المحسنين للإستمرار فى إحسانهم كما ذكر الإمام عليه السلام فى كلام آخر له فى نهج البلاغة:

«ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ»[۶۲۳].

وهذه إشارة إلى أنّ المسيىء عندما يرى نفسه محروماً من الثواب المادى

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۷

والمعنوى للمحسنين ينتبه إلى خطئه ويثوب إلى رشده وربّما يتوب من عمله ويرتدع عن سلوكه.

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه فى بيان التوصية الثانية ويبيّن أفضل وسيلة لجلب حسن الظّن تجاه الوالى وكسب محبّة الرعايا له ويقول:

«وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ».

والتعبير ب «

مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ

» مع الالتفات إلى أنّ «قِبَل» تأتى أحياناً بمعنى «عند» وأحياناً أخرى بمعنى «القدرة»، يمكن أن يكون معنى الجملة: الشيء الذى ليس عندهم (وليس فى عهدتهم) أو الشيء الذى لا يقدرون عليه ولا يطيقونه ۶۲۴].

وهذه الحقيقة قد أثبتتها التجارب الكثيرة، فالوالى إذا كان يفكر بأمر الرعيّة، وتحرك المسؤولون للتخفيف عن الضرائب التى تثقل كاهلهم ولم يحمّلوهم ما ليس فى طاقتهم من الوظائف والتكاليف، فإنّ ذلك من شأنه تقوية الرابطة العاطفيّة وتوثيق العلاقة بينهم وبين الحكومة، هذه العلاقة الحميمة يمكنها أن تلعب دوراً فاعلًا فى حلّ الأزمات والمشاكل المعقدة.

وهنا نقطة مهمّة أيضاً، وهى أنّ الإمام عليه السلام يتحدّث عن عوامل حسن الظن للوالى برعيته لا حسن ظن الرعيّة بالوالى، فى حين أنّ المناسب حسب الظاهر أن يكون التعبير الأوّل فى مثل هذه الموارد أنسب، ولكن مراد الإمام عليه السلام التأكيد على أنّ الولاة وزعماء الامّة يسدون الخير والمعروف للرعية إلى درجة أنّهم يطمئنون إلى تأييدهم ووفائهم لهم.

وعلى هذا الأساس يقول الإمام عليه السلام فى سياق كلامه:

«فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً[۶۲۵] طَوِيلًا».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۸

وبديهى أنّ الوالى عندما يسيء الظن برعيته فإنّه يحتمل دوماً أن يثور الناس ضده أو يتعاملون معه بآليات التآمر والخيانة، وهذا التذكير والموقف السلبى من الرعيّة يجعله يعيش دائماً حالات التوجس والخوف وعدم الاطمئنان، ولكن عندما يطمئن الوالى لوفاء الرعيّة له وتأييدهم لحكومته فإنّه سيتحرك على مستوى تدبير ونظم الأمور وإعمار البلاد ودفع شرّ الأعداء براحة بال وثقة بالنفس.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام شرحه لهذه التوصية بعبارات بليغة أخرى يقول:

«وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ ۶۲۶] عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ».

وهذه إشارة إلى أنّ الإحسان للرعية يسبب حسن الظن بهم، فكلما زاد إحسانك لهم زاد حسن الظن بهم، وكما أنّ الإساءة لهم تتسبب فى سوء الظن، فكلما إزدادت الإساءة إزداد سوء الظن أيضاً.

وجاء فى كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة: «كان ابن عباس يقول: ما رأيت رجلًا أوليته معروفاً إلّاأضاء بينى وبينه، ولا رأيت رجلًا أوليته سوءً إلّا أظلم ما بينى وبينه»[۶۲۷].

ونستوحى ممّا تقدم هذه النتيجة، وهى أنّ الأشخاص الذين وقعوا مورد العقوبة والمؤاخذة، مهما كان الدليل والمسوغ، فإنّ على الوالى والحاكم أن يلتزم جانب الحذر منهم ويتجنب حسن الظن بهم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۴۹

يذكر الإمام عليه السلام فى سياق كلامه نقطة مهمّة أخرى، ويحذر مالك الأشتر من نقض السنن والتقاليد الصالحة، ويقول:

«وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ[۶۲۸] هَذِهِ

الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ».

وتأتى كلمة «سنّة» على معنيين: فأحياناً يراد منها العادات والتقاليد الموروثة من الأسلاف والقدماء، وهذه بدروها على قسمين: حسنة وسيئة، كما ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف المعروف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عَمِلَ بِها مَنْ بَعْدَهُ كانَ لَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِها بَعْدَهُ كانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْءٌ»[۶۲۹].

والمعنى الثانى للسنّة: كلام النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفعله وتقريره، وكلام الإمام عليه السلام فى هذه العبارة ناظر إلى المعنى الأوّل بقرينة جملة:

«وَلا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ ...»

مثلًا: أن يقوم شخص أو جماعة فى كلّ اسبوع معين من السنة بوصفه اسبوع الإحسان إلى اليتامى أو اسبوع تنظيف المساجد، أو غرس أنواع الأشجار دون أن ينسبوا هذا الأمر للشرع المقدّس وتبقى هذه السنّة الصالحة ويعمل بها جملة من الناس وتفرز معطيات حسنة على المستوى العام، فالإمام عليه السلام يأمر مالك الأشتر بأن لا ينقض مثل هذه السنن الخيرة بل يترك الناس يعملون بها وينتفعون من بركاتها.

وطبعاً إذا كانت السنن فاسدة ومفسدة من قبيل ما كانت متداولًا فى زمان الجاهليّة من ظاهرة الثأر والانتقام ووأد البنات وأمثال ذلك، فينبغى التصدى لمثل هذه السنن الخرافية والخاطئة وغير الإنسانيّة.

ويشير تاريخ الإسلام إلى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد أمضى السنن الصالحة للقدماء

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۰

ولم ينقضها أبداً، من قبيل السنن التى تركها عبدالمطلب فى قومه، ولكنّه حارب السنن الخرافية والسيئة ودعا إلى تركها ونبذها.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام هذا الموضوع بصورة أخرى ويقول:

«وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِى تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا».

وفى الحقيقة يريد الإمام عليه السلام القول: إنّ السنن الصالحة للقدماء لا ينبغى لك نقضها لا بصورة مباشرة ولا من خلال إيجاد العوائق أمامها ليتركها الناس، بل عليك بحفظ هذه السنن والتقاليد لينتفع الناس منها فى حال ممارستها والمداومة عليها.

وحول أهميّة السنن الحسنة وفرقها مع البدع وكذلك مع السنن السيئة وإفرازاتها فى المجتمعات البشرية، سنتحدّث عن ذلك فى خاتمة هذا البحث.

وفى آخر توصية الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة العهدية، يأمر الإمام عليه السلام مالك الأشتر بأن يكون إلى جانب العلماء والحكماء ويقول:

«وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ[۶۳۰] الْحُكَمَاءِ، فِى تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ».

وفى الحقيقة فإنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصاياه لمالك الأشتر يؤكّد له السعى فى الاستزادة من العلم والمعرفة فيما يتصل بالأحكام والموضوعات وذلك من خلال الإرتباط بالعلماء وأهل الخبرة ومجالستهم حتى يتعرف أكثر على الأحكام الإلهيّة وكيفية إدارة الأمور فى حكومته وينتفع من تجاربهم فى تشخيص الموضوعات المهمّة، وعندما تزداد معرفة الوالى بالنسبة لهذين القسمين، فإنّ ذلك من شأنه إصلاح أمر البلاد وبقاء السنن الحسنة للماضيين فى واقع الحياة الاجتماعيّة.

وينقل الشيخ الكلينى فى الجزء الأوّل من اصول الكافى فى باب تحت عنوان

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۱

«بابُ مُجالَسَةِ الْعُلَماءِ وَصُحْبَتِهِمْ» عدّة روايات فى هذا المجال، منها:

عن الإمام صادق عليه السلام فى حديث أنّه قال:

«لَمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ إِلَى مَنْ أَثِقُ بِهِ أَوْثَقُ فِى نَفْسِى مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ»[۶۳۱].

وفى حديث آخر عن لقمان ينصح فيه ابنه ويقول:

«يـا بُنيَّ اختَر المَجالسِ عَلى عَينِكَ فإنْ رَأَيتَ قَوماً يَذكُرُونَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزّ فاجلِس مَعَهُم فإنْ تَكُنْ عَالِماً نَفَعَكَ عِلْمُكَ، وإنْ تَكُنْ جَاهِلًا عَلّمُوكَ، وَلعلّ اللَّهُ أنْ يُظِلّهُم برحمَتِهِ فَيَعُمُّكَ مَعَهُم، وَإذا رَأيتَ قَوماً لايَذكُرُونَ اللَّهَ فَلا تَجلِس مَعَهُم، فإنْ تَكُنْ عَالِماً لَمْ يَنفَعُكَ عِلمُكَ، وإنْ كَنتَ جَهِلًا يَزِيدُوكَ جَهلًا، وَلعلّ اللَّهُ أنْ يُظلَّهم بِعُقُوبَةٍ فَيَعُمُّكَ مَعَهُم»[۶۳۲].

وفى الدعاء المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى يتحدّث الإمام زين العابدين عليه السلام عن عوامل سلب التوفيق ويقول:

«أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي».

ومن جملة بركات مجالسة العلماء ومحادثتهم أنّ الإنسان لا ينسى علومه ومعارفه، ولو لم يعرف شيئاً فإنّه سيتعلمه كما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام فى كلام آخر له، قال:

«مَنْ أَكْثَرَ مُدارَسَةَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ ما عَلِمَ وَاسْتَفْادَ ما لَمْ يَعْلَمْ»[۶۳۳].

تأمّل

سبب ظهور السنن

كلمة «سنّة» فى الأصل من مادة «سنّ» (على وزن فن) وتعنى إجراء الماء على الوجه، ثمّ اطلقت على كلّ أمر فيه جريان وسريان، وتشمل جميع العادات والآداب الحسنة والسيئة من قِبل شخص أو فئة فى المجتمع، ولهذا السبب قسمت إلى سنّة حسنة وسيئة، مثلًا: اقرار برنامج مستمر فى كلّ عام من أجل إكرام اليتامى، أو المصالحة بين المتخاصمين والمتشاحنين، هذا يعتبر سنّة حسنة، وأمّا ما جرت عليه

نفحات الولاية، ج ١٠، ص: ٣٥٢

عادة العرب فى الجاهليّة من وأد البنات فى التراب أو ما عليه بعض الشبّان فى عصرنا الحاضر من اللعب بالمواد المتفجرة فى يوم الأربعاء من آخر كلّ سنة يعتبر سنّة سيئة.

وقد ورد فى الروايات الإسلاميّة بحوث كثيرة عن الأشخاص الذين يضعون سنّة حسنة أو سنّة سيئة، وقد تقدّمت بعض النماذج والأمثلة عن هذه المسألة فى البحوث السابقة، وقد ورد التأكيد فى هذه الروايات على أنّ من يضع سنّة حسنة فله أجر وثواب بقدر الأشخاص الذين يعملون بها دون أن ينقص من ثوابه شىء، وأمّا الأشخاص الذين يضعون سنّة سيئة فإنّهم يحملون وزراً بعدد الأشخاص الذين يعملون بها وتكتب فى صحيفة أعمالهم دون أن يقل من عقوبة المرتكبين لهذه الأعمال السيئة، وهذا فى الواقع من قبيل التسبيب والتعاون على الخير والشر، لأننا نعلم أنّ الإنسان تارة يقوم بعمل بشكل مباشر وأخرى بالتسبيب بإيجاد سنّة حسنة أو سيئة ممّا يدعو الآخرين للإقتداء به.

ومعلوم أنّ مسألة السنن والتقاليد الاجتماعيّة لا ترتبط بالبدع كما تصور بعض الوهابيين المتعصبين، لأنّ البدعة هى ما ينسب إلى الشارع المقدّس والقرآن الكريم وسنّة نبى وليست منها، ولكن السنن والتقاليد المتداولة هى نوع من البدع العرفيّة والاجتماعيّة دون إسنادها إلى الشرع المقدّس، فلو أنّها كانت تصب فى مسير أهداف الشريعة المقدّسة، مثل إكرام اليتامى ومساعدة المحرومين فهى سنّة حسنة ومحبّذة وإذا كانت على خلاف ذلك مثل وأد البنات فى الجاهليّة فهى سنّة سيئة وغير محبّذة.

ومن هنا يتبيّن ما عليه الوهابيون المتعصبون من موقفهم المخالف لبعض المظاهر العرفيّة والدينيّة من قبيل الاحتفال بميلاد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو إقامة مراسم العزاء على الأموات، وهو ناشىء من سوء فهمهم وخلطهم السنّة بالبدعة، فى حين أنّ الروايات التى تتحدّث عن السنّة الحسنّة والسيئة واردة فى كتبهم ومدوّناتهم ۶۳۴].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۳

القسم العاشر

اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَايَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

الشرح والتفسير: الطبقات الاجتماعيّة المختلفة

اشارة

فى هذا المقطع من عهد الإمام عليه السلام المعروف يتطرق الإمام لأحد أهم البحوث الاجتماعيّة والسياسيّة ويقسم الناس فى المجتمع إلى سبع طبقات أو سبع شرائح وفئات، وقبل أن نستعرض هذه الأقسام والفئات نشير إلى هذه النقطة التى أشار إليها بعض شرّاح نهج البلاغة، وهى أنّ الإنسان خلق اجتماعياً «مدنى بالطبع» لأنّه من جهة يعيش حاجات متنوعة وكثيرة لا يستطيع كلّ فرد لوحده أن يؤمن هذه الحاجات، مضافاً إلى أنّ كلّ فرد لا يقنع بحياة تسير على وتيرة واحدة، بل إنّ المجتمع البشرى يسير دائماً نحو التحوّل والتكامل، وهذا التكامل يستدعى تنوع الحاجات وزيادتها، ومن أجل حلّ المشكلات وإشباع هذه الحاجات المتنوعة لا يوجد طريق عقلائى سوى أن تقوم كلّ جماعة بإشباع بعض هذه الحاجات، ويتمّ التبادل مع الآخرين فى واقع الحياة الاجتماعيّة لينتفع الجميع من عملهم وأتعابهم،

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۴

فجماعة منهم يتولون مسؤوليّة النظم والأمن، وجماعة أخرى يهتمون بالزراعة والرعى لتأمين المواد الغذائيّة، وفئة منهم يختصون بأمر التعليم وتربية الأبناء والجيل الناشىء، وفئة يتجهون نحو الصناعات المختلفة، آخرون يتكفلون مسألة الطب وعلاج المرضى، وجماعة يأخذون على عاتقهم أمر القضاء وفصل الخصومات و ... الخ.

وقد وصل الحال فى هذا العصر إلى حدٍّ أنّ تأمين حاجات البشر فى مورد واحد يستدعى وجود مئات أو آلاف الفروع التخصصية، وكل جماعة يعملون فى فرع خاص منها.

وعلى هذا الأساس قسّم الإمام عليه السلام المجتمع إلى سبع طبقات، وهى فى الواقع سبعة أعمدة لخيمة الحياة الاجتماعيّة، رغم وجود طبقات أخرى أيضاً يمكن فرضها فى واقع المجتمع، ولكن العمدة والأساس هى سبع طبقات أو سبع شرائح اجتماعيّة.

يقول الإمام عليه السلام: «يا مالك» اعلم أنّ الناس فى المجتمع أو البلد يتشكلون من فئات متعددة وأنّ كلّ فئة منهم لا تستغنى فى صلاحها إلّابالأخرى، وكل واحد منها تحتاج إلى أخرى.

فجماعة يمثّلون جنود اللّه (وهم الذين يتكفّلون حفظ الأمن والنظام فى المجتمع ويتولون الدفاع عنه فى مقابل الأعداء).

وفئة أخرى هم الكتّاب من العامّة والخاصّة (ومسؤوليتهم حفظ الحسابات الماليّة للحكومة وتنظيم الميزانيّة وتثبيت الأسناد والوثائق وتعليم وتربية الناس).

وفئة ثالثة هم القضاة الذين يتولون إقامة العدل والفصل بين الخصومات وإحقاق الحقوق.

وفئة أخرى هم العاملون بالانصاف والرفق، وهم الموظفون فى الدوائر الحكوميّة.

وفئة تتولى أخذ الجزية والخراج من غير المسلمين الذين يعيشون فى ظلّ الحكومة الإسلاميّة، (ويدفعون الضرائب فى مقابل حفظ أنفسهم وأموالهم من قِبل الحكومة الإسلاميّة).

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۵

والمسلمون الذين يعملون فى الأراضى الخراجيّة ويدفعون خراجها إلى الدولة.

وجماعة أخرى من التجّار وأهل الصنائع، وجماعة من الطبقة السفلى من المحرومين والمساكين (والعجزة والمسنين الذين لا يقدرون على الكسب والعمل:

«وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَايَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِى الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ».

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إشارة إجماليّة لحقوق ووظائف كلّ منها، ثمّ يفصّل الكلام عن خصوصيات وصفات ووظائف وحقوق كلّ واحدة من هذه الفئات والطبقات.

ويقول عليه السلام فى إشارة إجماليّة:

«وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِى كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً».

ومعلوم أنّ المراد من جنود اللَّه هم أفراد الجيش الذين يتولون حفظ الثغور وحدود البلد الإسلامى فى مقابل هجوم الأعداء.

أمّا الفئة الثانية التى عبّر عنها الإمام عليه السلام بكتّاب العامّة والخاصّة، فالكتّاب الخاصّة هم الذين يكتبون الكتب الرسمية للوالى والمسؤولين ويحفظون أسرار الحكومة ويوقّعون على العقود المهمّة كعقود الصلح وأمثالها، وأمّا الكتّاب العامّة فهم جميع الموظفين الذين يتولون أمر حساب النفقات والواردات لخزينة الدولة ويتولون أمور القروض وتسديدها ويجمعون مطالب الناس، وربّما يشمل هذا المعنى فى عصرنا مراكز التعليم والتربية للشبّان والفتيات.

أمّا قضاة العدل فيشمل جميع الموظفين فى جهاز القضاء الإسلامى وعلى رأسه القضاة.

وأمّا عمّال الانصاف والرفق، فهو إشارة للُامراء والولاة على المحافظات لإدارة المدن والمناطق المختلفة فى البلد الإسلامى، وإضافة كلمة «الإنصاف والرفق»

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۶

إشارة إلى أنّه يجب انتخابهم من بين الأشخاص الذين يتمتعون بهاتين الصفتين:

الانصاف من خلال إيصال الحقوق إلى أصحابها، وكذلك يتعاملون مع الناس بآليات الرفق والمداراة والمحبّة.

وأمّا أهل الجزية والخراج فهى إشارة إلى فئتين من المواطنين فى البلد الإسلامى، فأهل الجزية إشارة إلى غير المسلمين من أهل الكتاب الذين يعيشون فى كنف الحكومة الإسلاميّة ويدفعون ضرائب سنوية، وهى فى الغالب مبلغ زهيد، للحكومة، وفى مقابل ذلك تتولى الحكومة الإسلاميّة الدفاع عن حقوقهم وحفظ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم.

والقسم الثانى هم الزراع الذين يتولون زراعة الأراضى المتعلقة بالمجتمع الإسلامى، (وتدعى الأراضى الخراجيّة) ويقومون بأمور الزراعة والبستنة فى مقابل دفع مبلغ من المال فى كلّ عام بعنوان الخراج، وهو فى الواقع ثمن اجرة تلك الأراضى.

أمّا التجّار وأهل الصناعات الذين يذكرهم الإمام عليه السلام بوصفهم شريحة مهمّة من شرائح المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت وكذلك فى هذا العصر، الإمام يوصى بعدّة وصايا فى هذه الرسالة العهدية فيما يتعلق بهم.

وآخر فئة من الفئات السبع هى الطبقة السفلى ويتشكلون من العجزة والمسنين والمعاقين وأهل الحاجات الخاصّة الذين يؤكّد الإمام

عليه السلام كثيراً فى هذه الرسالة على ضرورة الاهتمام بأمورهم أكثر من أى فئة أخرى من هذه الفئات السبع التى ذكرها الإمام عليه السلام فى كلامه.

تأمّل

الشرائح الاجتماعيّة

يعبر عنها أحياناً الطبقات الاجتماعية، كلمة «طبقة» فى اللغة تأتى لمعانٍ كثيرة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۷

متقاربة، من قبيل: جماعة، مرتبة، نسل، صنف، وطبقات الأرض أو طبقات البناية، وفى هذا المقطع من الرسالة جاءت بمعنى الشريحة الاجتماعيّة، ولكنّ هذه المفردة تستخدم فى عصرنا الحاضر للإشارة إلى الفئات التى تعلو كلّ واحدة منها على الأخرى فى الامتيازات والمقامات، ومن هنا فإنّ الحياة الطبقية تشير إلى الحياة التى يعيش فيها جماعة من الأثرياء وجماعة من الفقراء فى المجتمع، ومن هذه الجهة يتبادر إلى الذهن مفهوم سلبى عن هذه الكلمة، وطبعاً فإنّ هذا المفهوم السلبى ليس هو المعنى اللغوى فى الأصل، وكلام الإمام عليه السلام بدوره لا يشير إلى هذا المعنى السلبى للطبقيّة.

وهذه الكلمة من مادة «طَبَق» وتعنى المساواة بين شيئين، ولذلك تستخدم كلمة المطابقة والتطابق بهذا المعنى.

وربّما يتصور البعض وجود مجاميع وفئات أخرى فى المجتمع البشرى لا ينضوون تحت أى عنوان من هذه العناوين السبعة، ومن ذلك: طبقة العمّال، الاستخبارات، عمّال الحسبة، وهم الأشخاص الذين يتولون الإشراف على الأمور الأخلاقيّة فى المجتمع والمسؤولين عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأمثال ذلك.

ولكن مع التدقيق فى المسألة يمكننا إدخال كلّ هذه الفئات تحت مجموعة من هذه المجاميع السبع المذكورة، مثلًا عمّال الحسبة يدخلون تحت مظلّة جماعة القضاة، والعمّال يندرجون فى فئة «أَهْلَ الصِّناعَات»، والكسبة يدخلون تحت عنوان التجّار، وأفراد الاستخبارات تحت عنوان «عُمّالُ الإنْصافِ وَالرِّفْق».

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۵۹

القسم الحادى عشر

اشارة

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لَاقِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِى يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لَاقِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِى الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَايَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِى اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِى حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِى مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى

لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

الشرح والتفسير: الأواصر بين الطبقات الاجتماعيّة

أشار الإمام عليه السلام فى المقطع السابق من هذه الرسالة إشارة إجماليّة شاملة إلى سبع فئات أساسيّة فى المجتمع الإسلامى، ثمّ شرع فى هذا المقطع والمقاطع التالية بشرح الوظائف والمسؤوليّات الملقاة على عاتق على كلّ واحدة من هذه الفئات، وبما أنّ قوات الأمن والجيش تعدّ أهم ركن من أركان المجتمع فقد بدأ الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۰

بهذه الشريحة.

يقول عليه السلام:

«فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ[۶۳۵] الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ».

فى هذه الجمل الوجيزة يبيّن الإمام عليه السلام خمسة نتائج ايجابية ومعطيات مهمّة لوجود أفراد الأمن والجيش المخلصين.

الأوّلى: أنّهم حصون الرعيّة، وهذا يعنى أنّ البلاد ومن أجل حفظها من خطر الأعداء تحتاج إلى حصن حصين وملجأ آمن، وهذا الحصن والملجأ يتمثّل بأفراد الجيش الإسلامى المقتدر، لأنّ كلّ أشكال الضعف والفتور فى القوات العسكرية يؤدّى إلى طمع الأعداء ويورث أنواع المشكلات للمجتمع الإسلامى، وفى الماضى وبما أنّ الأسلحة كانت بسيطة جدّاً وابتدائية فإنّ وجود الحصون والقلاع القوية من شأنه أن يمنع الكثير من الأخطار والأضرار، رغم أنّ وجود هذه الحصون فى هذه الأيّام ومع تطور الأسلحة من طائرات حربية وصواريخ ومدافع بعيدة المدى لم يعدّ مؤثراً كثيراً فى ميزان القوى.

الثانية: يعتبر الإمام عليه السلام أنّ الجيش زينة القيادة والحكومة، لأنّ الحاكم أو القائد يحضى باحترام عامّة الناس ويملك القدرة والنفوذ فى أمر الولاية، وهذه القدرة تتمثّل فى الدرجة الاولى بوجود جيش قوى ومطيع لأوامر القيادة.

الثالثة: أنّ الجيش سبب عزّة الدين وقدرته، وهذه إشارة واضحة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الأمور المعنويّة للناس لا تتيسر من دون وجود جيش قوى وفاعل، وقسم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحقاق الحقوق وإجراء الحدود وبسط العدل وإقامة القسط، يحتاج إلى القدرة الكافية لتجسيدها وترجمتها

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۱

على الأرض والواقع الاجتماعى، وهذا مرتبط بوجود جيش قوى.

الرابعة: يتحدّث فيها الإمام عليه السلام عن حالة الأمن الذى يتحقق بواسطة الجيش‌القوى، ويشير إلى أنّ الجيش القوى ليس فقط يتولى اخراج العدو من أراضى المسلمين: بل «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم»[۶۳۶]، أى يخيف أعداء الداخل أيضاً، أو بمعنى أنّ الجنود فى هذا المورد أعم من قوى الأمن والجيش، أو يراد بذلك أنّ الحكومة الإسلاميّة وفى موارد استثنائية لا تتمكن فيها قوات الأمن والشرطة من تحقيق الأمن فى ربوع المجتمع الإسلامى، فإنّها تعتمد على الجيش فى هذا الأمر لتحقيق الأمن فى فضاء المجتمع.

الخامسة: يقول الإمام عليه السلام: إنّهم قوام الرعيّة، وربّما تكون هذه الجملة بمثابة النتيجة لما سبق بيانه فى الجمل الأربع السابقة، ويحتمل أيضاً أن تكون جملة مستقلة، والمراد منها أنّ الجيش فى الكثير من المواقع يهب لمساعدة الناس فى الزلازل والسيول والحوادث الطبيعية الصعبة، بحيث تضطر الدولة للإستعانة بقوات الجيش لمساعدة الناس.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام الإرتباط الوثيق بين هذه الفئة من المجتمع مع الفئات الأخرى ويتحدّث عن الرابطة بين الجيش وعمّال الخراج:

«ثُمَّ لَاقِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِی يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَی جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ».

ويستفاد من تاريخ الإسلام أنّ الجيش الإسلامی لم يكن فی عصر رسول اللَّه صلی الله عليه و آله بشكل شريحة منفصلة ومستقلة عن المجتمع، بل إنّ كلّ أفراد المجتمع من الشبّان والشيوخ، الكبار والصغار الذين يستطيعون حمل السلاح يهبون للدفاع عن الإسلام والمسلمين فی مقابل الأعداء ويتّجهون مع النّبی الأكرم صلی الله عليه و آله إلی ميادين الحرب والقتال، وفی الغالب يهيئون سلاحهم ودوابهم بأنفسهم، ومعلوم أنّ النّبی الأكرم صلی الله عليه و آله

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۲

وقبل حركة الجيش نحو ميدان القتال يأمر بتجهيز الزاد والمتاع لأفراد الجيش من طريق الزكاة والتبرعات التی يقدّمها المسلمون فی سبيل اللَّه.

ولكن فی العصور اللاحقة وبعد أن اتسعت الدولة الإسلاميّة وإمتدت إلی مساحات وبلدان كبيرة ولضطرت الحكومة لتجهيز جيش مدرّب ومهنی لمقابلة الأعداء، واضطر المسلمون لتنظيم جيشهم وتوفير المعسكرات اللازمة له [۶۳۷].

وأساساً فإنّ مدينة الكوفة عرفت بأنّها «كوفة الجند» وكانت بمثابة معسكر كبير للجيش الإسلامی.

طبعاً كان الأفراد العاديون يلتحقون بالجيش فی المواقع الحساسة ويؤدّون دورهم تحت عنوان الجهاد فی سبيل اللَّه والذی هو وظيفة جميع الأفراد القادرين علی الجهاد.

علی أيّة حال فإنّ هذه الفئة التی وضعت نفسها فی خدمة الإسلام وحفظ ثغور المسلمين والدفاع عن حياضهم ينبغی أن يعيش أفرادها الطمأنينة وفراغ البال من معيشتهم وممّا يحتاجونه فی حياتهم المادية، ولذلك وضع الإسلام ضرائب خاصّة تدعی بالخراج وكذلك وضع سهماً من الزكاة بعنوان: فی سبيل اللَّه، لهؤلاء الجند.

والجمل الثالث المذكوة أعلاه ربّما تكون إشارة إلی حاجات الجند المختلفة، فجملة

«الَّذِينَ يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَی جِهَادِ عَدُوِّهِمْ»

إشارة للحاجات التی تتصل بالحرب والقتال من قبيل السلاح والمركب.

وجملة:

«وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ»

إشارة لتأمين ضروريات الحياة.

وجملة:

«وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ»

إشارة إلی الأمور الترفيهية، وذهب بعض الشرّاح إلی أنّ المراد من هذه الجملة أنّ أفراد الجيش لابدّ أن يكون لهم مرتب مستمر وحقوق ماليّة من شأنها رفع جميع حاجاتهم.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن إرتباط هاتين الفئتين مع الفئة الثالثة والرابعة والخامسة، أی

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۳

القضاة والموظفين والمحاسبين، ويقول:

«ثُمَّ لَاقِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ[۶۳۸]، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا».

وفی الواقع أنّ الإمام عليه السلام فی هذه العبارة النورانيّة أدغم ثلاث فئات من الفئات الاجتماعيّة فی صنف واحد، وبعنوان الصنف

الثالث فى مقابل الصنفين السابقين، أى الجيش وعمّال الخراج، وذكر لكلّ واحد من هذه الأصناف أثر اجتماعى مهم.

فبالنسبة للقضاة يقول عليه السلام: إنّهم يعملون على إحكام العقود، لأنّه لولا إشرافهم ومراقبتهم لهذه العقود والمواثيق فإنّ الكثير من الناس يجدون الفرصة فى عدم الالتزام بعهودهم، ولكن وجود المحاكم العادلة يعمل على ضبطهم والتزامهم بالعقود، لأنّهم سيكونون ملاحقين من قبل المحاكم ويعاقبون على مخالفتهم.

ويتحدّث الإمام عليه السلام عن العمّال أى الموظفين والولاة والمسؤولين الذين يتولون الإشراف على جمع المنافع، فصحيح أنّ المأمورين على جمع الضرائب والخراج يتحركون على مستوى جمعها وإرسالها لبيت المال، ولكن المشرف على أعمالهم وسلوكياتهم هم العمّال، يعنى الولاة ورؤساء مجالس المحافظات والنواحى التابعة لهم.

ويبيّن الإمام عليه السلام فائدة وجود الكتّاب، وذلك فى ضبط الأمور العامّة والخاصّة والنفقات وحساب بيت المال والميزانيّة فى الحكومة الإسلاميّة، وعندما تتضامن وتتكاتف هذه الفئات الثلاثة فسيتمّ إصلاح أمر الخراج والضرائب، ومع إصلاحها سيتمّ إصلاح وضع الجنود وقوات الحرس والأمن.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ هذه الفئات الثلاثة صنف واحد وتتلخص فى القضاة والعمّال، وما ورد فى الجمل الثلاثة يعود إلى القضاة، فى حين أنّهم ثلاث

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۴

فئات اجتماعيّة قطعاً، وسبق أن أشار إليها الإمام عليه السلام فى كلامه، وفى هذا المورد أيضاً، ذكر الإمام عليه السلام وظيفة وبرنامج كلّ واحدة منها، بالرغم من وجود الارتباط القريب والوثيق بينها، ومن هنا ذكرت هذه الفئات بوصفها صنف ثالث.

وربّما يطرح هذا السؤال نفسه، وهو أنّ الإمام عليه السلام سبق وأن أشار إلى صنفين، وطرح مسألة جمع الخراج بوصفها الصنف الثانى فكيف يكون العمّال هنا واحدة من الفئات الثلاثة التى يتشكل منها الصنف الثالث؟

والجواب على هذا السؤال أنّ الإمام عليه السلام كان يتحدّث فى بداية كلامه عن الجيش والمزارعين الذين يزرعون الأراضى الخراجيّة ويدفعون الخراج إلى الحكومة، ولكنّه فى هذا المورد يتحدّث عن عمّال الدولة، أى الولاة والمحافظين الذين يقع على عاتق أمر الإشراف على جمع الخراج ويتصدى موظفيهم لجمعه.

والجدير بالذكر أنّ العمّال جمع «عامل» وردت فى كلمات الإمام عليه السلام كرات عديدة ويراد بها منصب المحافظ والقائم مقام وغير ناظر إلى ما ورد فى القرآن الكريم فى مورد الزكاة من قوله: «

عامِلِينَ عَلَيْها

» أى المأمورون على جمع الزكاة.

والتعبير ب «

خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا

» إشارة إلى أنّ عمل الكتّاب تارة يتحدد فى إثبات وضبط المسائل السرّيّة، وأخرى يرتبط بإثبات النفقات والموارد الماليّة الاعتيادية، فهؤلاء يتولون وظيفة حفظ الاسناد والوثائق وترتيبها، وكذلك حساب النفقات والواردات.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام إرتباط فئة أخرى مع الأصناف السابقة ويقول:

«وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِى الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ۶۳۹]، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ ۶۴۰] بِأَيْدِيهِمْ مَا لَايَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۵

ومعلوم أنّ جملة: «

فِيمَا يَجْتَمِعُونَ

...» و «

يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ

» إشارة إلى التجّار والكسبة الذين يقع على عاتقهم تجميع وتوفير ما يحتاجه الناس من المناطق القريبة والبعيدة وعرضها فى الأسواق ووضعها تحت اختيار المستهلكين، ولكن جملة «

وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ

...» إشارة إلى أهل الصنائع الذين يوفرون بتعبهم وعملهم الوسائل التى تحتاجها الناس فى معيشتهم، وذلك بصناعتها بأيديهم (طبقاً لظروف ذلك الزمان) ويضعونها فى اختيار من يحتاجها من الناس.

وربّما يتصور البعض أنّ التجّار ليس لهم دور مهم فى حياة الناس، فلا يقومون بعمل إنتاجى ولا صناعى، ولا يعملون بالزراعة والرعى، فكيف جعلهم الإمام عليه السلام من أركان المجتمع البشرى، ولكن إذا كان التاجر ملتزماً بالقيم الإيمانيّة والأخلاقيّة فإنّه يلعب دوراً مهماً فى نسيج المجتمع، لأنّه من جهة يقوم بتوفير الأجناس والبضائع من مناطق مختلفة من العالم لا تتوفر فى مناطق أخرى، فلو أنّ الناس أرادوا الانتفاع من جميع النعم والبركات الإلهيّة على الأرض، فينبغى أن تتولى جماعة نقل هذه البضائع التى يحتاجها الناس من نقطة إلى أخرى، وهذه الجماعة هم التجّار، ومن جهة أخرى ففى الموارد التى يتولى فيها أهالى المدينة الواحدة إنتاج ما يحتاجونه من البضائع واللوازم المعيشية فإنّ المنتجين فى الغالب لا يستطيعون عرض ما ينتجونه فى السوق ويبيعونه إلى المشترين، بل يضطرون لبيع منتوجاتهم جملة واحدة لشخص يملك رأس مال كافٍ، ويتولى ذلك الشخص بيعها إلى الكسبة فى السوق، والكسبة بدورهم يبيعونها إلى المشترين.

ومن جهة ثالثة فإنّ الكثير من المحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية التى ربّما لا يتسنى لها التصريف والبيع فى محل إنتاجها وينبغى جمعها وعرضها على السوق، فهنا يجب أن تتولى جماعة هذا العمل على أساس أنّه من الصادرات

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۶

والواردات، وهذه الجماعة هم التجّار وبخاصة المحاصيل التى تحتاج فى حفظها وإدخارها إلى مخازن مجهّزة خارجة عن عهدة المنتج وأرباب الصناعات، فالتجّار لهم دور مهم فى هذه الأمور الثلاثة، وهذا يعنى أنّ وجود هاتين الواسطتين «التجّار والكسبة» ضرورى لغرض تداول أموال المحاصيل والمنتوجات بشكل صحيح، ولكن إذا تعددت الوسائط وأرادت كلّ جماعة أن تستغل التجار بدون أن توفر عملًا إيجابياً وتريد زيادة ثمن البضاعة أو المنتوجات الزراعية والصناعية، أو يقوم بعض التجّار والكسبة باحتكار البضائع أو تداولها من يد إلى أخرى وتشكيل سوق سوداء بأثمان زائفة ووهميّة، فذلك يعدّ انحرافاً فى التداول الاقتصادى للمال ولا يرتبط بمسألة التجارة.

ولهذا السبب نرى أنّ جميع الحكومات جعلت إحدى الوزارات باسم وزارة التجارة من أجل الإشراف على أمر التجارة، بل تساهم فى مدّ يد العون للتجار واعطائهم رؤوس أموال لازمة للقيام بعمليّة الصادرات والواردات، وهذا العمل يمثّل فى الواقع حلقة مكملة لعمل أصحاب الصناعة والزراعة والرعى.

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام عن الطبقة الدنيا فى المجتمع ويقول:

«ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ ۶۴۱] وَمَعُونَتُهُمْ».

ومن المعلوم أنّ فى كلّ مجتمع بشرى هناك أفراد لا يستطيعون العمل والكسب وهم مستهلكون فقط، وذلك بسبب الشيخوخة، المرض المزمن، الإعاقة فى الأعضاء، وبسبب الحوادث المختلفة، المتخلفون ذهنياً وعقلياً وأمثالهم من ذوى الحاجات الخاصّة، فالكثير من أفراد هذه الفئة كانوا فى السابق وفى أيّام الشباب يعيشون سلامة الجسم والروح ومن المنتجين والفاعلين فى المجتمع، ولكن

بسبب مرور الزمان والحوادث المختلفة صاروا بهذه الحالة، فلا العقل ولا الوجدان يقبل أن يهمل هؤلاء ولا تتمّ حمايتهم على المستوى الاجتماعى والاقتصادى، ولهذا السبب

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۷

نجد فى كافة أقطار الدنيا أنّهم يفتحون حساب خاصّاً لهؤلاء المقعدين ويخصصون قسماً من ميزانيّة الدولة لانفاقه عليهم ويفتحون لهم مراكز لاحتضانهم وحمايتهم، وقد وردت التوصيات الأكيدة فى الإسلام فيما يتصل بالتواصل مع هذه الفئة المحرومة، وقد فرضت الشريعة الإسلاميّة سهماً خاصاً لهم من الخمس والزكاة.

أضف إلى ذلك لو اهملت هذه الشريحة فإنّ ذلك من شأنه إفراز مشكلات مهمّة لباقى الشرائح والفئات الأخرى فى المجتمع، فمن جهة ربّما يسعى أفراد هذه الفئة المحرومة ومن أجل تأمين معيشتهم، لإرتكاب جرائم مختلفة وسلوك طريق الانحراف والجنوح، أو ترى الفئات الأخرى حال هؤلاء فيؤثر ذلك على معنوياتهم ويفكرون فى أنّهم إذا حلّ بهم يوماً ما حلّ بهؤلاء فماذا يكون مصيرهم؟ ولكن عندما يرون أنّ الحكومة والمجتمع سيعتنى بهم ويهب لحمايتهم فى حال إعاقتهم وعجزهم عن العمل والكسب، فإنّهم سيعيشون الأمل فى مستقبلهم.

وعبارة «

أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ ...

» إشارة إلى طائفتين: أهل الحاجة هم الأشخاص الذين يعملون للكسب وتوفير المعيشة ولكنّ عائدهم المالى لا يسدّ نفقاتهم، وأهل المسكنة إشارة إلى العجزة والمقعدين الذين ليس لهم وارد مالى ولا يتمكنون من العمل مطلقاً.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام وضعية الترابط بين هذه الطبقات الاجتماعيّة، أشار إلى نقطة مهمّة وقال:

«وَفِى اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِى حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ».

وهذه إشارة إلى أنّ جميع هذه الطبقات والفئات ومن أجل التوصل لتحقيق مرادهم، فإنّهم يستمدون المعونة من مصدرين: الأول: مصدر الخلق والرزق، وهو اللَّه الذى خلق كلّ هذه المواهب والنعم والإمكانات فى هذا العالم، وكل واحدة من هذه الفئات بإمكانها الانتفاع من هذه المواهب من خلال السعى وبذل الجهد، هذا بحسب عالم التكوين، أمّا بحسب عالم التشريع، فالحكومة الإسلاميّة موظفة بمدّ يد العون لجميع هذه الفئات لإيصالها إلى مقاصدها، لأنّ الحكومة تملك القدرة الماليّة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۸

من جهة، وتملك من جهة أخرى القدرة التنفيذيّة، وبإمكانها من خلال هاتين القدرتين مساعدة جميع الطبقات الاجتماعيّة.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه فى كيفية أداء الوظيفة الشرعية للوالى بصورة صحيحة، ويقول:

«وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِى مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ ۶۴۲] نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ

ثَقُلَ».

وفى الواقع ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة شروط لنجاح الوالى فى أداء وظيفته فى مقابل هذه الفئات الاجتماعيّة وقال: الشرط الأوّل: السعى وبذل الجهد فى هذا السبيل، الشرط الثانى: الاستمداد من لطف اللَّه وكرمه، والشرط الثالث: الاستعداد لتحمل الصعاب والمشكلات فى هذا الطريق، ومعلوم أنّ الوالى إذا توكل على اللَّه تعالى وسعى جاهداً ومخلصاً، ولم يتردد فى طريق أداء الوظيفة من مواجهة المشكلات والتحديات، فإنّه سينجح فى عمله وسيكتب له التوفيق فى إدارته.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۶۹

القسم الثانى عشر

اشارة

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِی نَفْسِکَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِکَ، وَأَنْقَاهُمْ جَیْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ یُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَیَسْتَرِیحُ إِلَی الْعُذْرِ، وَیَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَیَنْبُو عَلَی الْأَقْوِیَاءِ، وَمِمَّنْ لَایُثِیرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا یَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِی الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُیُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْکَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ. ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا یَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا یَتَفَاقَمَنَّ فِی نَفْسِکَ شَیْءٌ قَوَّیْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِیَةٌ لَهُمْ إِلَی بَذْلِ النَّصِیحَةِ لَکَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِکَ. وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِیفِ أُمُورِهِمُ اتِّکَالًا عَلَی جَسِیمِهَا، فَإِنَّ لِلْیَسِیرِ مِنْ لُطْفِکَ مَوْضِعاً یَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِیمِ مَوْقِعاً لَایَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

الشرح والتفسير: شروط قادة الجيش

فی هذا المقطع من الرسالة العهدية يتحدّث الإمام عليه السلام بالتفصيل عن شروط قادة الجيش، وهذا من قبيل ذكر التفصيل بعد الاجمال، وفی المجموع يذكر الإمام عليه السلام أربعة عشر صفة لقادة الجيش، ويقول:

«فَوَلِّ مِنْ جُنُودِکَ أَنْصَحَهُمْ فِی نَفْسِکَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِکَ، وَأَنْقَاهُمْ جَیْباً[۶۴۳]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۰

وهذه الصفات الثلاث اللازم توفرها فی قادة الجيش، تؤدی: أوّلًا: أن يعيش القائد العسكری هاجس الحقّ ويفكر فی نصرة الدين واعلاء كلمة التوحيد ونصرة النّبی الأكرم صلی الله عليه و آله والإمام عليه السلام، وثانياً: أن يسعی فی هذا الطريق من موقع الإخلاص والتفانی، ثالثاً: يعمل علی تدبير أمور الجيش بآليات المداراة والعقلانيّة والخبرة الكافية.

مفردة «حلم» فی هذا المورد يمكن أن تشير إلی العقل ۶۴۴] ويحتمل أن تأتی بمعنی الصبر وضبط النفس، ولكن الجمل اللاحقة تقوی المعنی الثانی.

وبعد أن يذكر الإمام عليه السلام هذه الصفات الثلاث يشير إلی صفتين أخريين، وهما فی الواقع من باب التفصيل للصفة الأخيرة، يقول:

«مِمَّنْ یُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَیَسْتَرِیحُ إِلَی الْعُذْرِ».

وبديهی أنّ مراده عليه السلام ليس التساهل وقبول العذر فی مقابل المسائل المهمّة والمصيرية بل المراد التسامح فی مقابل الأخطاء الجزئية التی ربّما يمكن صدورها من جميع الأفراد، فالقائد العسكری يجب أن يتعامل مع هذه الأخطاء بدم بارد وبآليات التسامح وقبول العذر.

وفی سياق هذا الكلام يتعرض الإمام عليه السلام للصفة الرابعة ويقول:

«وَیَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَیَنْبُو[۶۴۵] عَلَی الْأَقْوِیَاءِ، وَمِمَّنْ لَایُثِیرُهُ ۶۴۶] الْعُنْفُ، وَلَا یَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ».

وهذه الصفات الأخلاقيّة من شأن الأشخاص الذين يتمتعون بشخصية قوية وشجاعة، فمثل هؤلاء يتعاملون مع الضعفاء من موقع المحبّة والشفقة، ويتحركون لحمايتهم ومدّ يد العون إليهم، أمّا فی مقابل أصحاب القدرة والثروة فإنّهم يقفون موقفاً صلباً ولا يطأطؤون برؤوسهم لهم، ويحلّون المشاكل التی تواجههم بآليات

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۱

العقل والتدبير والحزم، ولا يبدون حالات الضعف والتراجع أمام أی شخص وأی عمل.

وبعد أنّ بيّن الإمام عليه السلام هذه الصفات التسع، يشير إلی ثمان صفات أخری لابدّ أن يتمتع بها القائد اللائق أو الوالی المحنك،

ويقول:

«ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِى الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ».

«مُرُوءَاتِ

» جمع «مروءة» من مادة «مَرء» وتأتى عادة بمعنى أصحاب الشخصيّة المتميزة.

«أَحْسَابِ

» جمع «حَسَب» إشارة إلى أصالة النسب والأبعاد الإيجابية فى الوراثة، كأن نقول إنّ الشخص الفلانى من طائفة بنى هاشم ومن السادات المحترمين.

«أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ

» إشارة إلى الاسر والعوائل النظيفة والمرموقة فى المجتمع.

و «

السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ

» ناظرة إلى الاسر التى تملك سمعة حسنة، ليس فقط فى هذه الأيّام بل فى الماضى بسبب أعمالهم الصالحة بحيث إنّهم تركوا سمعة حسنة فى الذهنية العامّة.

«النَّجْدَةِ

» فى الأصل تعنى الارتفاع وفى هذا المورد تعنى الرفيع فى المقام والكبير فى الروح والعالى فى مكانته الاجتماعيّة.

«الشَّجَاعَةِ

» وتعنى من يملك الجرأة فى مواجهة الصعوبات.

«السَّخَاءِ

» يعنى الكرم والجود.

و «

السَّمَاحَةِ

» تعنى سعة الصدر والتحلى بالحُلم.

وعلى هذا الأساس فإنّ لكلّ وحدة من هذه الكلمات الثمان معنىً مختلفاً وتشير إلى إحدى الفضائل والصفات المتميزة للإنسان، رغم أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۲

ذهبو إلى أنّ بعض هذه الكلمات مترادفة، مثل: «النجدة» و «السخاوة»، وكذلك:

«السخاء و «السماحة»، وهكذا فى «أحساب» و «أهل البيوتات الصالحة».

وعبارة «

أَلْصِقْ

» إشارة إلى الروابط القريبة والعلاقات الوثيقة، وهذا يعنى لزوم إيجاد رابطة عميقة مع هذه الجهات التى تملك هذه الخصائص المتميزة لغرض اختيار قادة الجيش منها.

ولا شك أنّ الأشخاص الذين يملكون مثل هذه الصفات المتميزة يكونون جديرين بالاعتماد عليهم ويتحركون بفاعليّة أكثر فى مسألة كسب النصر والظفر.

أمّا الحسب والوراثة وحسن السابقة والأعمال التى تشير إلى الحلم والشجاعة والسخاء والفتوة فإنّها تصلح أن تكون دليلًا على شخصيّة صاحبها السامية، وفى الحقيقة فإنّ الإمام عليه السلام فى هذا المورد يتحدّث بمنطق علم النفس والتحليل النفسى ليتمكن مالك الأشتر من اختيار أفضل الرجال لقيادة الجيش.

ومن هذه الجهة يواصل الإمام عليه السلام كلامه ويقول:

«فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ ۶۴۷] مِنَ الْكَرَمِ،

وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ».

كلمة «

عُرْف

» إشارة إلى جميع أنواع المحاسن والفضائل، وهذه المفردة من مادة «عرفان» و «معرفة» وتأتى بمعنى المعروف أيضاً، وبما أنّ الفضائل معروفة لدى عقل الإنسان وروحه، فقد وردت التعبير عنها بالمعروف أو العرف، خلافاً للقبائح والرذائل التى لا تتناسب وفطرة الإنسان النقيّة، فهى أمور منكرة وغير معروفة، فيقول الإمام عليه السلام فى هذه العبارة إنّ الأشخاص الواجدون لهذه الصفات الثمان يمثّلون مركزاً مجسّداً للفضائل والصفات الإنسانيّة المتميزة.

وبعد أنّ ذكر الإمام عليه السلام هذه الصفات المهمّة والمتميزة، يتحرك على مستوى بيان أربع توصيات لقادة الجيش فيما يتصل بسلوكهم ونشاطهم بداية يقول:

«ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۳

وعلى ضوء ذلك فقائد الجيش ينبغى أن يتعامل مع القادة فى المراتب الأدنى، بل مع جميع أفراد الجيش، كالوالد الحنون والامّ العطوف، ويتواصل معهم من موقع المحبّة والسؤال والاستفسار عن حاجاتهم وتعميق العلاقة العاطفيّة معهم فيما يتسبب فى بقاء وفائهم وإخلاصهم وطاعتهم لقائد الجيش وثباتهم فى ميدان القتال.

ويضيف الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية:

«وَلَا يَتَفَاقَمَنَ ۶۴۸] فِى نَفْسِكَ شَىْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ».

وهذه إشارة إلى أنّ خدماتك مهما تكن كبيرة وكثيرة فينبغى أن تعدّها صغيرة وتفكر فى الإتيان بالأفضل منها.

وفى التوصية الثالثة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ ۶۴۹] بِهِ وَإِنْ قَلَّ».

ثمّ يقيم الإمام عليه السلام دليلًا لهذه المقولة (وهى الاهتمام بالأمور الكليّة والجزئيّة لقادة الجيش والجنود) ويقول:

«فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ».

وفى التوصية الرابعة يقول عليه السلام:

«وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَايَسْتَغْنُونَ عَنْهُ».

وهذه النقطة جديرة بالانتباه والتدقيق، وهى أنّ القادة بل جميع مدراء المجتمع الإسلامى لا ينبغى أن يغفلوا عن الأمور الصغيرة والكبيرة، أو يهتموا فقط بالأمور الكبيرة والمصيرية ويعتنوا بالحاجات المهمّة للمجتمع، بل يضعون كلّ واحدة فى مكانها، لأنّه أحياناً تكون الغفلة عن الأمور الفرعية مضرّة بقدر الغفلة عن الامور الكلّية.

والنقطة الملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى جميع المسائل السابقة وبدلًا من اهتمامه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۴

بمسائل التعليم والعسكرى والامور المتعلقة بالأسلحة وأمثال ذلك يهتم بالأمور المعنويّة والأبعاد الروحية لقادة الجيش، لأنّ العنصر الأساس فى تحقيق النصر هو هذه الأمور رغم أنّ الأمور الأخرى لها مكانها المناسب.

فى عالمنا المعاصر قلّما يُبحث، فى مسألة اختيار القادة العسكرين ومدراء المجتمع، عن الخصائص العائليّة والصفات المعنويّة وحالات الكرم والتقوى والطهارة من الرذائل فى شخصيّة الأفراد، ومن هذه الجهة حدثت الكثير من الخيانات الكبيرة من قِبل هؤلاء المدراء والمسؤولين الكبار.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۵

القسم الثالث عشر

اشارة

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ. وإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

الشرح والتفسير: أفضل قادة الجيش

فى هذا المقطع من الرسالة يتابع الإمام عليه السلام توصياته فى اختيار قادة الجيش، ويتجه نحو الاهتمام بأمر الجند وأفراد الجيش ويوصى مالك الأشتر باختيار القادة والضباط من الذين يهتمون بأمر الجيش بشكل أفضل، يقول عليه السلام:

«وَلْيَكُنْ آثَرُ[۶۵۰]

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۶

رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ ۶۵۱]، بِمَا يَسَعُهُمْ

وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ ۶۵۲] أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ

الْعَدُوِّ».

وفى عالمنا المعاصر نرى أنّ العلاقة بين قادة الجيش والجنود تتميز بالجفاف وانعدام الاحساس العاطفى، وتكون العلاقة عسكرية أكثر منها عاطفية، فمثل هذه العلاقة تدور فى الغالب حول محور العقوبة والسجن والتهديد، فى حين أنّ الإمام عليه السلام أكد قبل أربعة عشر قرناً على أن تكون العلاقة عاطفية، وينبغى على قادة الجيش أن يأخذوا بنظر الاعتبار مشاكل الجنود وحتى مشاكل عائلاتهم أيضاً ويوفروا لهم معيشة مقبولة وبالمقدار الممكن، كيما يتحرك الجنود فى ميدان القتال بالتركيز على مسألة الجهاد وقتال الأعداء لا غير، وبديهى أنّ مثل هذا الجيش سيكون أقرب لتحقيق النصر والغالبة.

عندما ينظر الجيش بعين إلى ميدان المعركة وبالعين الأخرى إلى الأهل والأولاد ويعيشون القلق تجاههم فإنّ إرادتهم على قتال العدو ستضعف وترتبك.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام راعى فى حياته الشخصيّة الحد الأعلى من الزهد وقد أمر الولاة والقادة أيضاً بهذه التوصية، وقد سبق الحديث عن ذلك فى شرح رسالة الإمام عليه السلام لعثمان بن حنيف، ولكن بالنسبة للمجموعات الخاضعة لكفالته أوصى بتوفير المعيشة الكافية والمعقولة.

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام فى مقام بيان العلة لهذه التوصية يقول:

«فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۷

ومع الالتفات إلى أنّ الضمير فى

«عَلَيْهِم»

و

«قُلُوبَهُم»

يعود إلى أفراد الجيش ظاهراً، فإنّ معنى هذا الكلام: عندما تتواصل مع أفراد الجيش بالمحبّة من خلال محبتك قادة الجيش فإنّ أفراد الجيش سيمنحوك حبّهم ووفائهم من صميم القلب ۶۵۳].

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام هذا الكلام ويشير إلى نقطة مهمّة هى السبب فى دوام الحكومة والدولة، ويقول:

«وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ».

وهذه إشارة إلى أنّ إقامة العدل والقسط تتسبب فى تقوية العلاقات العاطفيّة بين الناس من جهة، والقادة والولاة من جهة أخرى، ولذلك يعتبر إقامة العدل أفضل وسيلة لحفظ الحكومة ودوامها.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى عوامل ظهور المودّة والمحبّة من قِبل الناس تجاه الوالى ويقول:

«و إِنَّهُ لَاتَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ».

وسلامة الصدور إشارة إلى حسن الظن ونفى كلّ أشكال الحقد والعداوة، وبديهى أنّ الرعيّة إذا كانت تملك حسن الظنّ بأعمال الولاة والمسؤولين ولم يشعروا نحوهم بأى حقد وعداء، فإنّ مظاهر المحبّة والوفاء تجاه الحكومة ستظهر جليّاً.

وربّما تكون هذه العبارة إشارة إلى الكثير من الناس وبحكم الاجبار والخوف يتحركون على مستوى المدح والثناء للوالى والمسؤولين فى حين أنّهم لا يعيشون سلامة الظهر وحسن الظن بهم، فالمودة الواقعية لا تظهر إلّاإذا كانت القلوب تعيش المودة والمحبّة تجاه المسؤولين.

ويضيف الإمام عليه السلام:

«وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۸

اسْتِثْقَالِ ۶۵۴] دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ[۶۵۵] انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ».

واللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام ولأجل بقاء واستمرار الحكومات لا يعتمد على عنصر الاقتدار الظاهرى وتسلط الجيش وقوى الأمن والاستخبارات على الناس، بل يعتمد تماماً على قلوب الناس والبعد العاطفى لهم ويهتم بكيفية كسب محبّتهم وجذبهم، فى حين أنّ الكثير من الحكومات فى الماضى وحتى فى الحال الحاضر يعتقدون أنّ بقاءهم على رأس السلطة منوط بالقدرة الظاهريّة على الناس، ونرى غالباً أنّ الناس الذين يعيشون عدم الرضا عن الحكومة بمجرّد أن تتوفر لهم الفرصة فإنّهم يثورون ضد الحكومة

ويزيحونها ويلقونها فى مزبلة التاريخ.

وجاء فى شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى أنّ الزهرى قال: دخلت يوماً على عمر بن عبدالعزيز، فبينا أنا عنده إذا أتاه كتاب من عامله أنّ المدينة قد احتاجت إلى مرمّة، فقلت له: إنّ بعض عمّال على بن أبى طالب كتاب بمثل هذا، فكتب عليه السلام إليه:

«أَمَّا بَعْدُ، فَحَصِّنْها بِالْعَدْلِ وَنَقِّ طُرُقَها مِنَ الْجَوْرِ»

فكتب (عمر بن عبدالعزيز) ذلك إلى عامله ۶۵۶].

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام عن مسألة التشويق المادى ويقول:

«فَافْسَحْ فِى آمَالِهِمْ ۶۵۷]».

للآمال مفهوم واسع يشمل جميع الحاجات الضرورية والترفيهيّة، وبديهى أنّ قادة الجيش والجنود إذا لم يعيشوا راحة البال والفكر من جهة تأمين معيشتهم فإنّ أداءهم العسكرى فى ميدان القتال سيشهد الضعف والفتور.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۷۹

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى سياق كلامه هذا عن التشويق النفسى والمعنوى ويقول:

«وَوَاصِلْ فِى حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ[۶۵۸] مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ

لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ[۶۵۹] الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ ۶۶۰] النَّاكِلَ ۶۶۱] إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومعلوم أنّ مسألة تشويق أفراد الجيش اللائقين والفعّالين سيقع مؤثراً فى تطوير وتفعيل النشاطات الاجتماعيّة، وخاصّة أنّه يحضى فى عالمنا المعاصر بالأهميّة القصوى، فاختيار الاستاذ النموذجى، والعامل النموذجى، والمزارع النموذجى، والقادة المثاليين وإعطائهم لوحات التقدير والجوائز الكبيرة وذكر أسمائهم فى أجهزة الإعلام العام يدخل كلّه فى هذا الباب.

والجدير بالذكر أنّ مثل هذا التشويق، كما ذكر الإمام عليه السلام فى كلامه أعلاه، له أثر من جهتين: فمن جهة يحثّ الأفراد اللائقين على العمل والفعّاليّة، ومن جهة أخرى يؤثر على الأفراد الكسالى الذين يرون أنفسهم فى هذا الحال منكسرين فيفكرون فى تغيير سلوكهم وتنشيط أدائهم.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتابع فى كلامه هذا، أى فى مسألة التشويق، ليتعرض لتوضيح أكثر فى هذا المجال ويقول:

«ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَ ۶۶۲] بَلَاءَ

امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ».

فى هذه العبارات الثلاث والتى تتضمّن كلّ واحدة منها إشارة نقطة خاصّة فى ذات الوقت مكملة للأخرى، يؤكّد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر أن يكون منتبهاً ومراقباً

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۰

لأعمال وسلوكيات من هم تحت إمرته ويقدّر لهم أتعابهم، فإذا قام أحدهم بعمل مهم فينبغى أن ينسب له ذلك العمل، ومضافاً إلى لزوم معرفة الشخص الجيد والذى يقدّم خدمة جليلة للجيش، أن يتعرف بدقّة على مقدار خدمته أيضاً.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام توصيتين اخريين فى سياق إكمال هذه التوصيات ويقول:

«وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً».

وبعبارة أخرى أن تنظر إلى العمل نفسه ثمّ إلى العامل، بخلاف ما هو متداول لدى غالبية الناس أنّهم ينظرون إلى العامل أولًا ثمّ إلى عمله، وهذا الأمر يتسبب فى وقوع الخطأ فى تقييم أعمال الأشخاص.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من كتابه لمالك الأشتر يبيّن فى البداية الصفات البارزة فى قادة الجيش، ثمّ يبيّن التوصيات اللازمة بالنسبة لأفراد الجيش، وبعد ذلك يتحدّث عن عامّة الرعيّة، وفى الختام يتحدّث مرّة أخرى عن المسائل

المتعلقة بتشويق وحثّ قادة الجيش ويبيّن توصياته المؤكّدة لهم.

ومن هنا يبدو أنّ الإمام عليه السلام فى ثنايا البحوث المتعلقة لقادة الجيش وجنوده وبشكل جملة معترضة، يتوجه فى كلامه مخاطباً جميع أفراد المجتمع الإسلامى.

***

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۱

القسم الرابع عشر

اشارة

وَارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

الشرح والتفسير: طرق حلّ المشكلات

اشارة

فى هذا المقطع من الرسالة بيّن الإمام عليه السلام وظيفة مالك الأشتر فيما يتصل بأحكام الشرع، وكما يقال فى الشبهات الحكميّة وطريق الكشف عن الأحكام الإلهيّة فى المسائل المتعلقة بالجيش والحرب والصلح وسائر المسائل التى تتصل بشأن الحكومة وإدارة البلاد حيث يدعوه الإمام عليه السلام للاجتهاد فى الأحكام الإلهيّة من خلال استفادة من المنابع الأصليّة، لأنّه يرى فيه القابلية لمثل هذا الاستنباط الشرعى يقول عليه السلام:

«وَارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ».

ثمّ يستند الإمام عليه السلام إلى الآية الشريفة ويقول:

«فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»[۶۶۳]».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۲

ثمّ يضيف عليه السلام:

«فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ».

وجملة «

ما يُضْلِعُكَ

» مع الالتفات إلى أنّ «ضَلْع»؛ (على وزن منع) فى الأصل تعنى الحمل الثقيل الذى يجعل حامله يميل من هذه الجهة إلى الأخرى وهذه إشارة إلى أنّ كلّ حكم مشكل ومعقد يواجهه الإنسان لابدّ له لحمله من مراجعة الكتاب والسنّة.

وكلمة

«خُطُوب»

جمع «خطب» (على وزن ختم) ويعنى الأمر المهم، تطلق على أى نوع من الأعمال، وهذه إشارة إلى أنّ الإنسان المؤمن يجب عليه، سواءً فى الأمور الهامة أم فى الأمور العادية، الرجوع إلى نصوص الكتاب أو السنّة أو العمومات والإطلاقات، فيما لو واجه مشكلة فى حكم من الأحكام الشرعية ويستوحى من النصوص الشريفة الحلول لتلكم المشاكل.

وعبارة

«أُولِى الأَمْر»

تعنى أصحاب الاختيار وذوى الشأن، وهذه إشارة إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام ومصداقها البارز فى ذلك الوقت الإمام على عليه السلام نفسه.

وعبارة

«مُحْكَمُ كِتابِهِ»

إشارة إلى محكمات الآيات القرآنيّة التى لا شك ولا شبهة فى مفهومها وتفسيرها.

وعبارة

«السنّة الجامعة غير المفرّقة»

إشارة إلى الأحاديث النبوية وسيرة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله المقبولة والمشهورة بين المسلمين ولا يتسبب الأخذ بها الخلاف والفرقة بأى شكل من أشكال.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال: لماذا لم يتحدّث الإمام عليه السلام عن دليل العقل والإجماع اللذين يعتبران من الأدلّة القطعيّة فى عمليّة الاستنباط الفقهى فى دائرة الأدلّة الأربعة المعروفة؟

والجواب عن هذا السؤال بيّن، لأنّ الكتاب والسنّة أيدا بصراحة حجّية دليل العقل وحجّية الإجماع أيضاً، سواءً قلنا بأنّ الإجماع يعدّ دليلًا مستقلًا أو أنّه يعود إلى السنّة وكلام المعصوم.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۳

تأمّل

من هم اولوا الأمر؟

بالنسبة لتفسير «اولوا الأمر» هناك خلاف بين المفسّرين، فالمفسّرون من أهل السنّة يرون أنّ أولى الأمر هم القادة والولاة والحكّام فى كلّ عصر، والعجيب أنّهم لم يقولوا بوجود استثناء من هذه القاعدة، وبالتالى يجب على المسلمين اتّباع كلّ شكل من أشكال الحكومة حتى لو كانت حكومة المغول والتتر، ولكن بعض المفسّرين المتأخرين منهم، الذين يتمتعون بافق أوسع وذهن أرحب كصاحب تفسير «المنار» و «فى ظلال القرآن»، يعتقدون بأنّ المراد من أولى الأمر هم نوّاب الشعب والعلماء وأصحاب المناصب الذين لهم دور مهم فى حياة الناس، ولكنّهم يشترطون بأن لا يسير هؤلاء بخلاف مقررات الإسلام وأحكامه.

هذا والحال أنّ البعض الآخر يحصر اولوا الأمر بالعلماء والزعماء المعنويين فقط، وذهب آخرون إلى أنّ أولى الأمر هم الخلفاء الأربعة عشر ولازمه عدم وجود أولوا الأمر فى الأزمنة الأخرى

وذهب بعضهم إلى أنّ الصحابة من أولى الأمر أيضاً، حيث يرد عليه نفس الإشكال والايراد.

ولكنّ المفسّرين الشيعة متفقون بأنّ أولى الأمر هم أئمّة المعصومين عليهم السلام فقط وهم قادة الخلائق إلى اللّه فى جميع الأمور

المادّيّة والمعنويّة، والدليل على ذلك واضح، وهو أنّ إطاعة أولى الأمر الوارد فى الآية الشريفة مطلقة، وبديهى أنّ الطاعة المطلقة للشخص الذى يتورط فى الذنب أو الخطأ لا معنى لها، وخاصّة أنّ أولى الأمر معطوفة مباشرة على رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وجملة «اطيعوا» التى جاءت قبل ذلك تشمل الإطاعة للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأولى الأمر على حدّ السواءً.

والجدير بالذكر أنّ بعض المفسّرين من أهل السنّة تحركوا فى هذا المورد من موقع الانصاف واعترفوا بهذه الحقيقة، يقول الفخر الرازى فى تفسيره فى ذيل هذه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۴

الآية: «إنّ قوله «وأولى الأمر منكم» يدلّ عندنا على أنّ إجماع الامّة حجّة والدليل على ذلك أنّ اللّه تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومَن أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً من الخطأ، وإذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللّه اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ اللّه تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ فثبت قطعاً أنّ أولى الأمر المذكورة فى هذه الآية، لابدّ أن يكون معصوماً»، وبما أنّ الفخر الرازى لم يعتقد بعصمة أئمّة أهل البيت عليهم السلام يقول: «ذلك المعصوم إمّا مجموع الامّة أو بعض الامّة، لا جائز أن يكون بعض الامّة لأنا بيّنا أنّ اللّه تعالى أوجب طاعة أولى الأمر فى هذه الآية قطعاً (وهم الامّة)»[۶۶۴]. النتيجة أنّ أولى الأمر يقصد به الإجماع!

ولكن الفخر الرازى غفل عن هذه النقطة، وهى أنّ القرآن الكريم يقول إنّ المسائل المشكلة والمعقدة التى تواجهكم فى الحياة، عليكم حلّها بواسطة إطاعة أولى الأمر، ومن المعلوم أنّ المسائل مورد الاتفاق محدودة ومعدودة ولا يمكن حلّ جميع المشكلات عن طريق تحصيل اتفاق جميع أفراد الامّة أو علمائها، أضف إلى ذلك أنّ المستفاد من الآية الشريفة أنّ المسلمين يجب أن يذعنوا لحكومة أولى الأمر، وحكومة مجموع الامّة واتفاقهم غير ممكن حتى لو استخدمنا آلية الانتخابات لاختيار نوّاب الامّة لمثل هذه الأمور، فقلّما يمكن أن يتفق الناس على اختيار هؤلاء النوّاب، ومن هذا المنطلق فإنّ إطاعة أولى الأمر بمعنى حكّام البلاد الإسلاميّة مجانب للصواب.

يبقى سؤال مهم، وهو أنّ أولى الأمر بمعنى الإمام المعصوم لم يكن موجوداً فى زمان النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فكيف أمر القرآن الكريم باطاعتهم؟

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۵

والجواب عن هذا السؤال بيّنٌ، لأنّ المخاطبين لهذه الآية ليسوا فقط الأشخاص الذين كانوا فى زمن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وفى عصر نزول هذه الآية، بل الآية ناظرة لجميع الأزمنة والعصور، ولذلك فجميع القادة والحكّام مشمولون لمدلول الآية، وحتى الفخر الرازى الذى يرى أنّ أولى الأمر تعنى إجماع المسلمين، يرى أيضاً أنّ المعيار هو تحقيق الإجماع فى كلّ عصر وزمان.

وينبغى القول أنّ المنابع الإسلاميّة، من الشيعة وأهل السنّة، ذكرت روايات عديدة فى أنّ المراد من أولى الأمر على بن أبى طالب عليه السلام (بوصفه المصداق الكامل)[۶۶۵].

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۷

القسم الخامس عشر

اشارة

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِى نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَاتَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِى الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ

الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ. وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ. وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

الشرح والتفسير: يجب أن يتصف القضاة بهذه الصفات الاثنى عشر!

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من رسالته لمالك الأشتر عن موضوع مهم فى شأن القضاة، ويجعله بحثاً مستقلًا عن البحوث السابقة، للإشارة إلى مسألة الاستقلال القضائى المتداولة فى عالمنا المعاصر والذى يحضى بأهميّة كبيرة حيث تكون السلطة القضائيّة قوّة مستقلة فى عرض السلطة التنفيذيّة (الحكومة) والسلطة التشريعية (البرلمان)، مضافاً إلى ذلك فإنّ الإمام عليه السلام ذكر خصائص القضاة بعد ذكر خصائص قادة الجيش ممّا يوحى إلى أنّ الجيش الإسلامى يحفظ الامّة فى مقابل

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۸

الأجانب، والسلطة القضائيّة تحفظ الامّة فى مقابل المخاصمات والنزاعات الداخليّة، وبعبارة أخرى أنّ أحدهما يؤدّى دور حفظ الامّة من الخارج، والآخر حفظ الامّة من الداخل.

بداية يقول عليه السلام:

«ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ».

وهذا التعبير يوحى أنّ الحاكم فى مورد اختيار القضاة يجب أن يختار الأفضل والأجدر منهم، لأنّ مسألة القضاء أمر حساس وخطير جدّاً وأنّ الأفضل والأجدر من الجميع هو الذى يستطيع تولى هذا المنصب.

وجملة

«اخْتَرْ»

تشير إلى أنّ القضاة لا ينتخبون بآراء الناس، كما هو المتداول فى بعض البلدان المعاصرة، بل يختارهم القائد والإمام بشكل مباشر أو بواسطة الأفراد الموثوقين، لأنّ مسألة صلاحية القضاة ليست شيئاً يمكن الرجوع فيه إلى آراء الناس للحكم فى ذلك.

ثمّ يعدد الإمام عليه السلام اثنى عشر صفة لابدّ من توفرها فى القاضى، وهذا فى الواقع من قبيل التفصيل بعد الاجمال، ويشير إلى من هو الأفضل والأجدر لحيازة هذا المنصب المهم:

۱. يقول عليه السلام:

«مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ».

وهذه إشارة إلى أنّ معرفة القاضى فيما يتصل بالمسائل المختلفة والقوانين الإسلاميّة ومعرفة الموضوعات إلى درجة من التعقيد فى كلّ مسألة بحيث ينبغى للقاضى معرفة طريق الحلّ فيها ولا يواجه مشكلة فى هذا الأمر، وبعبارة أخرى أن يكون عارفاً بأحكام الشرع من جهة، وله معرفة فى تشخيص الموضوعات أيضاً من جهة أخرى، ليستطيع ردّ الفروع على الأصول واستنباط الفروع من الأصول، وهذه الصفة لا توجد إلّافى المجتهدين المبرزين.

۲. ويقول عليه السلام فى بيان الصفة الثانية:

«وَلَا تُمَحِّكُهُ ۶۶۶] الْخُصُومُ».

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۸۹

يعنى أن يملك من سعة الصدر بحيث لو تنازع المتخاصمين فى مجلسه وارتفعت أصواتهم فلا يثيره ذلك ولا يخرجه عن حدّ الاعتدال، بل يصدر الحكم الإلهى العادل فى حقّهما مهما كانا وشرسين وعدمى الإدب.

۳. ويقول الإمام عليه السلام فى بيان الصفة الثالثة للقضاة الموثوقين واللائقين:

«وَلَا يَتَمَادَى ۶۶۷] فِى الزَّلَّةِ».

ومعلوم أنّ الشخص اللجوج والمعاند عندما يرتكب خطأ ويلتفت إلى هذا الخطأ لا يجد فى نفسه استعداداً للاعتراف بهذا الخطأ وتغيير مساره والعودة إلى الصراط المستقيم، وهذا بدوره يتسبب فى أن يصدر أحكاماً جائرة وغير واقعية، وهو من الظلم المتعمد وغير القابل للمغفرة.

ويتحدّث القرآن الكريم عن جماعة من الكفّار: «وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وَكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ»[۶۶۸].

وكثيراً من يؤثر العناد والتعصب فى فكر الإنسان إلى درجة أنّه يرى الباطل حقّاً والحقّ باطلًا، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«اللِّجاجُ يُفْسِدُ الرَّأْىَ»[۶۶۹]

ويقول فى مورد آخر:

«اللِّجاجُ أَكْثَرُ الْأَشْياءِ مَضَرَّةً فِى الْعاجِلِ وَالْآجِلِ»[۶۷۰].

۴. ويقول عليه السلام فى بيان الصفة الرابعة:

«وَلَا يَحْصَرُ[۶۷۱] مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ».

وهذه الصفة فى الحقيقة وجه آخر لعدم العناد واللجاج، وبعبارة أخرى هى نتيجة لها، فالإنسان إذا لم يتحرك فى خط اللجاج والعناد وتبيّن له الحقّ فى المسألة فإنّه

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹۰

سيعود إليه بكل سهولة ويصلح جميع تداعيات الخطأ الذى اقترفه، وبعبارة أخرى هو الشخص الذى يملك الشجاعة للاعتراف بخطئه وإصلاح هذا الخطأ والاشتباه، ومثل هذه الشجاعة تعتبر من أهم أغصان الفضيلة الإنسانيّة.

۵. قوله عليه السلام:

«وَلَاتُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ».

وبديهى أنّ القاضى إذا كان يعيش حالات الطمع، حتى فى أدنى مستوياته فبالإمكان إغوائه بسهولة عن طريق تقديم الرشوة وبالتالى منعه من إصدار الحكم بما يتفق مع الحقّ فى الحكم.

ونقرأ فى حديث شريف عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«رَأْسُ الْوَرَعِ تَرْكُ الطَّمَعِ»[۶۷۲].

ونقرأ أيضاً فى الكلمات القصار لأميرالمؤمنين عليه السلام:

«أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»[۶۷۳].

وببيان آخر، مع الالتفات إلى أنّ الإشراف يعنى النظر إلى الشىء من جهة العلو فهذا الكلام من الإمام عليه السلام يشير إلى أنّ الإنسان الطامع من شأنه أن يسقط من ذروة الفضيلة إلى هوة الرذيلة.

۶. قوله عليه السلام:

«وَلَا يَكْتَفِى بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ».

وهذه إشارة إلى أنّ القاضى ينبغى، فى مجال فهم المسائل، أن يملك من سعة الصدر بحيث يحيط بجميع جوانب المسألة، سواءً فى الشبهات الحكميّة أم فى الشبهات الموضوعيّة، ويحقق فى شروط المتخاصمين الذين حضرا عنده فى القضاء والحكم بينهما، ثمّ بعد

ذلک یصدر حکمه من موقع الوضوح فی الرؤیة.

۷. یقول علیه السلام:

«وَأَوْقَفَهُمْ فِی الشُّبُهَاتِ».

ونعلم، کما ورد فی الحدیث النبوی المعروف، أنّ الأمور علی ثلاثة أنحاء: فمنها ما یکون الحقّ فیها جلیّاً، والآخر ما یکون الباطل فیها جلیّاً، ولکن القسم الثالث هو

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۳۹۱

الشبهات، یعنی الأمور التی لا یتسنی للإنسان الاحاطة بها بسهولة، ففی مثل هذه الموارد یجب أخذ جانب الاحتیاط، والشخص الذی یتحرک فی وادی الشبهات فسوق یقوده ذلک إلی دورب المحرمات والغرق فی المتاهات، والشخص الذی یجتنب الشبهات فإنّه یترک المحرمات الواقعیة بشکل أفضل ویجتنبها.

یقول رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«حَلَالٌ بَیِّنٌ وَحَرَامٌ بَیِّنٌ وَشُبُهَاتٌ بَیْنَ ذَلِکَ فَمَنْ تَرَکَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَکَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَلَکَ مِنْ حَیْثُ لَایَعْلَمُ»[۶۷۴].

وهذا الکلام لا- یعنی أنّ القاضی یمتنع من إصدار الحکم لأنّ وظیفته الشرعیة فصل الخصومة وانهاء النزاع، بل المراد أن یتوقف ویحتاط ویدرس جمیع جوانب المسألة ویزیل ظلمة الشبهات بنور العلم والمعرفة، وأحیاناً یقوم بمصالحة طرفی النزاع فیما تدعوه مواقف الاحتیاط.

۸. یقول علیه السلام:

«وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ».

إنّ أهم عمل القاضی التحقیق فی أدلّة الطرفین، فیأخذ بالأدلة القویة والمقبولة، ویمتنع عن قبول الأدلّة الضعیفة والمهزوزة.

ویحتمل أیضاً أنّ مراده من هذه الجملة أنّ القاضی یجب أن یتحرک أکثر من أی شخص آخر فی البحث عن الدلیل، بمعنی أنّه أحیاناً لا یوجد أی دلیل حسب الظاهر فی المسألة مورد الخصومة لیبیّن الحقّ فی المسألة، ولکن القاضی یستطیع ومن خلال البحث والتدقیق فی زوایا القضیّة، أن یعثر علی أدلّة قویة لکشف الحقّ من الباطل، کما هو الحال فی الکثیر من قضاء أمیرالمؤمنین علیه السلام، إذ أنّ الإمام علیه السلام ومن خلال استخدام أسالیب نفسیة یستطیع إمّا فی أخذ الاعتراف والإقرار من المجرم، وإمّا أن یتوفر له العلم من مجمل القرائن والشواهد المتوفرة، مثلًا فی قضیّة اختلاف امرأتین علی طفل واحد، وإصرار کلّ واحدة منهما علی أنّ هذا الطفل هو ابنها،

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۳۹۲

فحسب القاعدة یجب علی القاضی فی هذا المورد اللجوء إلی القرعة للفصل بینهما، ولکن الإمام علیه السلام تحرک علی مستوی البحث عن الأدلّة، فأمر بأن یأتوا له بالسیف وقال: سوف أشق هذا الولد إلی نصفین، فکل واحدة منکما تأخذ نصفاً من هذا الطفل، فصاحت الام الحقیقیة بأننی تنازلت عن حقّی فادفعوا هذا الطفل إلی المرأة الاخری، فعرف الإمام علیه السلام بهذه الطریقة المدعی الحقیقی من الکاذب، وهناک الکثیر من هذه الأمثلة فی قضایا أمیرالمؤمنین علیه السلام وقضائه ۶۷۵].

۹. وقوله علیه السلام:

«وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً[۶۷۶] بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ».

فی الکثیر من الحالات یکون لکلّ واحد من الطرفین المتخاصمین أدلّة وشواهد عدیدة ویطرحها بالتالی علی القاضی ممّا یسبب له إزعاجاً وإرهاقاً، وإذا کان القاضی ضیق الصدر وسریع الانفعال فسیقوم بطردهما، وما أکثر الأدلّة الواقعیة التی تبقی طی الکتمان بهذا

العمل، ولكن إذا كان يملك سعة الصدر ولا ينفعل بسهولة فإنّه يستطيع إعادة الحقّ إلى أهله.

يجب على القاضى أن يمنح طرفى النزاع مقداراً كافياً من الوقت ليبيّنا له ما أمكنهما من الشواهد والأدلّة لإثبات الدعوى.

نفحات الولاية ؛ ج ۱۰ ؛ ص ۳۹۲

. وقوله عليه السلام:

«وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ».

وبديهى أنّ القاضى لو كان عجولًا ومتسرعاً فسوف لا تتضح لديه حقيقة الأمر وبخاصّة فى الدعاوى المعقدة، ولكن إذا كان يتحلّى بالصبر والتريث ولا يصدر حكمه النهائى بسرعة، فإنّه يستطيع بشكل أفضل أن يكشف الستار عن وجه الحقّ فى المسألة، وهذا الكلام لا يعنى أنّ الملفات القضائيّة، كما هو الحال فى زماننا، يتمّ تأخيرها إلى أيّام وشهور عديدة بحجّة التحقيق فى الملف، وأحياناً يتأخر الحكم

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹۳

فى قضية معينة لسنوات عديدة، وخاصّة إذا قام المحامون بوضع العصى لإعاقة عجلة الحكم، فأحياناً وبذريعة بسيطة يتمّ تأخير إصدار الحكم فى القضية فى الحكم.

۱۱. قوله عليه السلام:

«وَأَصْرَمَهُمْ ۶۷۷] عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ».

وهذه إشارة إلى أنّ الاحتياط الذى يمارسه القاضى والصبر فى مقابل بيان حجج الطرفين والتحقيق فى الأدلّة لا يعنى أنّه سيتردد فى مقام إنشاء الحكم ويبتلى بالوساوس ويوكل إنشاء الحكم إلى غدٍ وبعد غد، بل ينبغى أن يكون كالسيف الصارم فى الحزم وفصل الخصومة بإنشاء الحكم القاطع ولا يفكر بتداعياته وآثاره فيما بعد، لأنّ إنشاء الحكم عادة يقع بنفع أحد الطرفين ويؤدّى بالتالى إلى امتعاض الطرف الآخر وعدم رضاه وسيلجأ للمحامين والأصدقاء وأحياناً للقبيلة والطائفة لفرض رأيه على القاضى، وهذه المسألة من اللوازم الطبيعية للقضاء، ومَن يفكر فى هذه الأمور ويتحرك على مستوى الاحتياط فى إصدار الحكم لا ينبغى أن يجلس على كرسى القضاء.

۱۲. وفى آخر صفة من الصفات القاضى اللائق يقول الإمام عليه السلام:

«مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ ۶۷۸] إِطْرَاءٌ[۶۷۹] وَلَا يَسْتَمِيلُهُ ۶۸۰] إِغْرَاءٌ[۶۸۱]».

وغير خفى عن البيان أنّ الأشخاص المغرورين والمعجبين بأنفسهم عندما يسمعون عبارات المدح والثناء والتمجيد من قِبل البعض تجاههم، فربّما ينحرفون عن مسير الحقّ ويؤثر حبّ الذات فى ميلهم إلى جهة المداحين، وبسبب هذه العلاقة النفسية يحكم هذا القاضى بما يصبّ فى نفع هذا الشخص ظلماً وعدواناً، وهنا يؤكّد

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹۴

الإمام عليه السلام أنّ مثل هؤلاء الأشخاص ليسوا جديرين بمنصب القضاء بين المسلمين حتى لو توفرت فيهم الصفات الأخرى

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن ذكر هذه الصفات الإثنى عشر، التى كلّ واحدة منها أهم من الأخرى يتوجه نحو القضاة الذين يستطيعون، عند مواجهة أعقد المسائل وأصعب الملفات، من تشخيص الحقّ من الباطل بكل شجاعة وفطنة ويحكمون وفق ما توفر لديهم من أدلّة وشواهد ويعيد الحقّ إلى صاحبه حتى لو كان من أضعف الأفراد فى المجتمع، وكان مخالفه من أقوى الأفراد، وطبعاً كما قال الإمام عليه السلام فى نهاية حديثه عن هذه الصفات:

«وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ».

ولكن المهم للوالى أن يدرس جميع جوانب المسألة بصبر وأناة وللعثور على هذا القليل ممَن تتوفر فيهم هذه الشروط من بين المرشحين لهذا المنصب ووضعه على كرسى القضاء بين المسلمين.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام خصوصيات وصفات القاضى اللائق، تحدّث عن وظائف الوالى فى مقابل هؤلاء القضاة ويأمره بثلاثة أوامر مهمّة جدّاً.

بداية يقول عليه السلام:

«ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ[۶۸۲] قَضَائِهِ»

، وهذه إشارة أنّه مهما كان هؤلاء القضاة واجدين لهذه الصفات ومورد الاعتماد، فمع ذلك وبما أنّ مسألة القضاء مهمّة جدّاً وربّما يبتلى القاضى بالخطأ والزيف أو الانحراف، فمن الضرورى أن ترسل بعض المفتشين ليحققوا فى الأحكام القضائيّة الصادرة عنهم، أو تتولى هذه المسألة بنفسه وتحقق عن كثب فى بعض الأحكام القضائيّة لهم، ومثل هذا العمل يمنح القاضى قوّة فى التزامه الواعى بقيم العدالة.

طبعاً فإنّ هذا الكلام لا يعنى وجود مسألة الاستئناف والتمييز فى نظام القضاء الإسلامى بل بمعنى أنّ الوالى لو عثر على خطأ مسلّم فى الحكم وجب عليه ابطاله وتجرى إعادة التحقيق مرّة أخرى.

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹۵

وفى التوصية الثانية يقول عليه السلام:

«وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ».

وهذه إشارة إلى أنّ أحد عوامل الفساد فى السلطة القضائيّة، قلّة الحقوق الماليّة للقضاة والموظفين فى الجهاز القضائى، فينبغى أن يضع الوالى لهم مخصصات ورواتب شهرية كبيرة ليتنسى لهم‌العيش بشكل معقول وشريف ولايفكروا بعد ذلك بقبول‌الرشوة.

يقال إنّ فى بعض البلدان فى هذا العصر يصدرون صكاً أبيضاً ويسلّموه للقضاة ليكتبوا فيه أى رقم يريدونه لتمرير المسألة لصالحهم.

وهذا الكلام، سواءً كان صحيحاً أو مبالغ فيه أو كان كاذباً يعكس لنا هذه الحقيقة، وهى أنّ القاضى يجب أن يكون له نصيب من بيت المال يتناسب مع حياته ومعيشته.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام بالنسبة لمسألة تأمين الحقوق الماليّة لضمان معيشة محترمة، سواءً بالنسبة للقضاة أم بالنسبة لقادة الجيش كما تقدّم سابقاً، يبرز الإمام عليه السلام حساسية شديدة تجاه هذه المسألة، فصحيح أنّ جميع الموظفين والمسؤولين وحتى أفراد الجهاز القضائى وأفراد الجيش الإسلامى يجب أن تتوفر لهم معيشة كافية، ولكنّ تأكيد الإمام عليه السلام على هاتين الفئتين بالخصوص يشير إلى لزوم الاهتمام أكثر بأعمال هاتين الفئتين من أجل حفظ الحدود والثغور وكذلك من أجل حفظ حقوق الناس.

ثمّ يتطرق الإمام عليه السلام للتوصية الثالثة ويقول:

«وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ ۶۸۳] الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ».

وهذه النقطة مهمّة، وهى أنّ القاضى يجب أن يعيش الحرية الكاملة فى إنشاء الحكم العادل ولا ينبغى أن يخضع تحت أية ضغوط اجتماعيّة وفئويّة، وهذا لا يتسنى إلّاإذا كان القاضى أقرب الناس إلى الوالى والقائد، لأنّه لو كان هناك أفراد

نفحات الولاية، ج ۱۰، ص: ۳۹۶

أقرب منه إلى الوالى، فسوف لا يشعر القاضى بالأمن من حكمه وقضائه، فربّما يتوجه الخصم إلى حاشية السلطان ويسعى فى تشويه سمعة القاضى لديه فيضطر القاضى إلى إصدار حكمه وفقاً لما يريده الخصم، وبعبارة أخرى يجب أن يكون القضاة مصونين من كلّ جهة ليحفظوا لهم استقلالهم القضائى.

وبعد هذه التوصيات الثلاث يقول الإمام عليه السلام مؤكّداً:

«فَانْظُرْ فِی ذَلِکَ نَظَراً بَلِیغاً».

وکلمة

«ذلِکَ»

ربّما تشیر إلی التوصیة الأخیرة أو إلی التوصیات الثلاث بل حتی إلی الصفات الاثنی عشر للقاضی، بمعنی ینبغی أن تنظر بدقّة فی اختیار القضاة وکذلک فی التحقیق فی أعمالهم ورفع حاجاتهم وضمان حریتهم فی ممارسة دورهم القضائی.

وفی نهایة هذا المقطع من الکلام یتجه الإمام علیه السلام لذکر الدلیل علی کلّ هذه التأکیدات التی سبق ذکرها، ویقول:

«فَإِنَّ هَذَا الدِّینَ قَدْ کَانَ أَسِیراً فِی أَیْدِی الْأَشْرَارِ، یُعْمَلُ فِیهِ بِالْهَوَی، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْیَا».

ومعلوم أنّ هذا الکلام یشیر إلی زمان الخلیفة الثالث عثمان حیث أمسک بعض الأفراد الفاسدین والمفسدین من بنی امیّة وبنی مروان زمام السلطة والقدرة ونهبوا أموال بیت‌المال ولم‌تکن مسألة حفظ الإسلام والرسالة الإلهیّة مطروحة فی قاموسهم.

أمّا أنّ الفساد الإداری والمالی فی زمن عثمان قد امتد بشکل واسع فی تفاصیل وأبعاد الحکومة فلا یشک أحد من المؤرخین فی ذلک، غایة الأمر أنّ بعض علماء أهل السنّة ومن أجل حفظ مکانة عثمان قالوا: کان رجلًا ضعیفاً لم یتمکن من السیطرة علی هذه الجماعة الشریرة وبالتالی فلت زمام الأمور من یدیه وتولی رجال بنی امیّة الحکم، ومن هنا فهو معذور!! وأمّا الکلام فی معقولیّة مثل هذا العذر، فهی مسألة أخری.

وقد أشار الإمام علیه السلام فی الخطبة الشقشقیة إلی هذه المسألة حیث قال:

«وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِیهِ یَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِیعِ».

نفحات الولایة، ج ۱۰، ص: ۳۹۷

ملاحظة: قمنا بتقسیم عهد مالک الأشتر رحمه الله التاریخی إلی ثلاثین مقطعاً، تحدّثنا عن ۱۵ مقطعاً منها فی الجزء العاشر، وسیأتی الکلام عن ۱۵ مقطع آخر فی الجزء الحادی عشر، وذلک لحفظ التعادل فی صفحات الکتاب.

ولا یسعنی فی هنا إلّاأن نذکر صدیقنا العزیز المرحوم حجّة الإسلام والمسلمین الحاج الشیخ محمّد جعفر الإمامی الذی واکبنا إلی آخر لحظة ثمّ وافاه الأجل ولبی دعوة الحقّ وانتقل إلی رحمة اللّه الواسعة، وکذلک الصدیق الوفی المرحوم حجّة الإسلام والمسلمین الحاج الشیخ إبراهیم البهادری حیث انتقل إلی رحمة قبل فترة وجیزة، وکان المرحومین من المخلصین والمتقین والمؤمنین وباحثین ومحققین جادین فی عملهما وعالِمَین عامِلَین، فبقیت ذکریاتهم فی خواطرنا ولا ننساهم إنشاءاللّه، ونسأل اللّه الغفور الرحیم أن یجعلهما فی غریق رحمته الواسعة.

اللّهم! لک الحمد ولک الشکر علی هذه النعمة العظیمة أن وفقتنا لإکمال هذا المشروع المبارک وإدامة شرح نهج البلاغة حتی أتممنا الجزء العاشر منه ببرکة مولی الموحدین- علیه آلاف التحیة والثناء- وقریباً سنقدم للقرآء الأعزاء الجزء الحادی عشر منه، والذی به ینتهی قسم الکتب والرسائل فی نهج البلاغة، وفی القریب العاجل سنقدم للطبع الأجزاء الخاصّة بشرح وتفسیر الکلمات القصار للإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام وبذلک یکتمل هذا الشرح الجامع فی أربعة عشر جزءً (

بحول اللّه وقوّته وبمنّه وکرمه

). نهایة الجزء العاشر

ربیع‌الأوّل ۱۴۳۱ ه- ۲۰۰۹ م

[۱] (۱). سند الرسالة:

لم ينقل فى مصادر نهج البلاغة سند خاص لهذه الرسالة سوى ما ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فى مقدمة هذه الرسالة وصرّح فى ختامها أنّ ما ذكر السيّد الرضى فى نهج البلاغة يمثّل مقطعاً من رسالة الإمام على عليه السلام والتى ذكرها أبوالحسن على بن محمّد المدائنى بكاملها، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر غير نهج البلاغة لدى ابن أبى الحديد حيث نقل عنه عبارات اخرى لهذه الرسالة(على بن محمّد المدائنى من مؤرخى فى القرن الثالث الهجرى وتوفى فى سنة ۲۲۵، وقد ورد فى بعض العبارات أنّ الطبرى والبلاذرى نقلوا عنه فى كتبهم التاريخيّة، وقيل إنّ اسم الكتاب فتوحات الإسلام، طبقاً لنقل ريحانة الأدب ونقلًا عن دائرة المعارف دهخدا(بالفارسية)، مادة مدائنى).

[۲] (۱).« أرديت» من مادة« إرداء» بمعنى إهلاك.

[۳] (۲).« جِيل» الجماعة والصنف والنسل.

[۴] (۳).« جاوزوا» من مادة« جواز» وتعنى العبور والعدول.

[۵] (۴).« نَكَصُوا» من مادة« نكوص»، بمعنى العودة والرجوع.

[۶] (۵).« عَوَّلُوا» من مادة« تعويل» وهى الاعتماد والاتكال.

[۷] (۶).« أَحْسَاب» جمع« حَسَب» على وزن« نَسَب» تأتى أحياناً بمعنى الفضائل التى تنسب للآباء والأجداد ويفتخربها الإنسان، وأحياناً أخرى تعنى الصفات البارزة والملكات المشهودة للإنسان نفسه كالشجاعة والسخاء والعلم والمعرفة.

[۸] (۱).« مُوَازَرَة» من مادة« وزر» تعنى الحمل الثقيل، وإنّما سمى الوزير وزيراً لأنّه يحمل مسؤوليّة ثقيلة على عهدته، وموازرة تأتى أيضاً بمعنى المعاونة والمساعدة، لأنّ الإنسان عندما يعين الشخص الآخر فإنّما يحمل قسماً من عمله ومسؤوليّته على عهدته.

[۹] (۱). انظر: شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۱۰، ص ۲۶۹.

[۱۰] (۲).« جَاذِب» صيغة أمر، يعنى مأخوذ من مادة« جذب» بمعنى جر الشىء إلى نفسه.

[۱۱] (۳).« قِيَاد» بمعنى زمام، وأصلها من« قيادة» وهى الزعامة وتولى أمور الآخرين.

[۱۲] (۱). سورة الأنعام، الآية ۲۸.

[۱۳] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۳۶.

[۱۴] (۱). سند الرسالة: ورد فى مصادر نهج‌البلاغة أنّ ابن أبى الحديد وابن مثيم فى شرحهما لنهج البلاغة ذكرا فى شأن صدور هذه الرسالة: أنّ معاوية أرسل جماعة من أهل الشام بشكل خفى إلى مكّة فى موسم الحج لدعوة الناس للإنضمام إليه واطاعته والتمرد على الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أو تقوية هذه الشبهة فى الأذهان أنّ الإمام على عليه السلام هو قاتل عثمان أو على الأقل لم يمد له العون والنصرة فى الموقع المناسب، وفى كلا الحالتين فإنّ على بن أبى طالب لا يصلح لمقام الإمامة والخلافة، وكذلك يتحدّثون عن كرم معاوية وسخائه وما إلى ذلك، وعندما وصل هذا الخبر إلى الإمام على عليه السلام كتب هذه الرسالة إلى واليه على مكّة قثم بن عباس وحذره من هذه المؤامرة.

ثمّ إنّ صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة يستنتج ممّا تقدم أنّ ابن أبى الحديد وابن ميثم كانا يملكان مصدراً آخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۱۹)، ولكن لا يبعد أنّهما أخذا هذا الكلام من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى المتوفى سنة ۳۱۴، حيث أورد هذا الكلام فيما يتصل بهذه الرسالة(الفتوح، ج ۴، ص ۲۲۰- ۲۲۲).

واللافت وجود سند آخر لهذه الرسالة فى كتاب« الغارات» وهو كتاب الذى تمّ تأليفه فى القرن الثالث وقبل ولادة السيّد الرضى بسنوات، وهو يختلف عمّا أورده السيّد الرضى، ولكنّ أساس كلا الرسالتين واحد(الغارات، ج ۲، ص ۵۰۹).

[۱۵] (۱).« عين» أصلها فى اللغة العضو المبصر فى الوجه، ولكن بما أنّ عناصر الاستخبارات فى الحكومة بمثابة العين لرئيس الحكومة فاطلقت هذه الكلمة عليهم.

[۱۶] (۱).« المغرب»: فى هذه العبارة تعنى الشام لأنّها تقع شمال غرب العراق.

[۱۷] (۲).« الْمَوْسِم» من مادة« وَسَمَ» على وزن« رسم» فى الأصل تعنى جعل علامة، ثمّ اطلقت على محل الاجتماع أو زمان الاجتماع، لأنّ ذلك المحل أو الوقت علامة على ذلك التجمع، وتطلق هذه الكلمة ولا سيما فى الفقه على أيّام الحج.

[۱۸] (۳).« العمى»، جمع« أعمى .

[۱۹] (۴).« الصم»، جمع« أصم».

[۲۰] (۵).« الكُمه»، جمع« أكمه».

[۲۱] (۶). سورة الأعراف، الآية ۱۷۹.

[۲۲] (۷).« يلبَسُون» من مادة« لَبَسَ» على وزن« حَبَسَ» وهو التشويش وخلط الأمور، و« لُبس» على وزن« خُمس» تعنى اللباس والملبس.

[۲۳] (۱).« يَحْتَلِبُونَ» من مادة« حَلَبَ» على وزن« حَمَدَ» بمعنى اخراج اللبن من الضرع.

[۲۴] (۲).« دَرَّ» بمعنى اللبن أو اللبن الكثير، وبمعناها المصدرى تعنى هطول المطر أو السوائل الأخرى

[۲۵] (۳). سورة الزلزلة، الآيتان ۷ و ۸.

[۲۶] (۱).« الصَّلِيب» من مادة« صلب» على وزن« صبح» الشدّة والصلابة فى كلّ شىء، وإنّما يقال للصليب« صليب» لأنّة يستخدم فى صنعه أخشاب صلبة لتعليق المصلوب.

[۲۷] (۲).« اللَّبِيب» هو صاحب العقل والفهم، وأصلها من« لُب» وتعنى الدماغ والمخ.

[۲۸] (۳).« بَطَرَ» هو الشخص الغارق فى النعمة، وأصلها من« بطَرْ» على وزن« نظَر».

[۲۹] (۴).« فَشِلَ» وهو الشخص الكسول والضعيف وأصلها من« فشل» على وزن« نظر» يعنى الضعف والاستكانة أو الضعف المقترن بالخوف.

[۳۰] (۱). مكاتيب الأئمّة، الاستيعاب، اسد الغابة، ولغةنامه دهخدا(بالفارسية).

[۳۱] (۱). سند الرسالة: نقل هذه الرسالة قبل السيّد الرضى أبو الحسن المدائنى، والظاهر أنّه نقلها من كتاب فتوحات الإسلام، وإبراهيم بن الثقفى فى كتاب« الغارات»، والطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۸، والبلاذرى فى شرح حال الإمام على عليه السلام فى كتابه« أنساب الأشراف»(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۲۲).

[۳۲] (۱). اقتبس من: مصادر نهج البلاغة وكتب أخرى.

[۳۳] (۱).« مَوْجِدَة» بمعنى الغضب والاستياء.

[۳۴] (۲).« تَسْرِيح» ارسال الشخص لطلب شىء وأداء عمل معين، وتستعمل لكلّ تحرير وإزالة القيود، ومن هنا يطلق على الطلاق بأنّه تسريح لأنّ الزوج يطلق ويسرح زوجته من قيود الزوجيّة.

[۳۵] (۳).« عَمَل» فى هذا المورد تعنى الولاية والامارة، ولذلك يقال للوالى أنّه« عامل»، فى الرسالة السابقة قرأنا أنّها رسالة من الإمام على عليه السلام إلى قثم بن العباس» عامله على مكّة.

[۳۶] (۴).« اسْتِبْطَاء» ضد الاسراع، أى تأخر فى سيره، بطىءً من مادة« بطء» على وزن« كُفر».

[۳۷] (۱). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۴۴.

[۳۸] (۲).« نَاقِم» المنكر والمعترض، وإذا كان اعتراضه على مستوى العمل والممارسة فتعنى الانتقام من مادة« نَقَمَ» على وزن« قلم».

[۳۹] (۳).« حِمَام» من مادة« حَمَّ» على وزن« غمّ» بمعنى الشيء المقدر، وبما أنّ الموت يعدّ تقديراً إلهيّاً على الإنسان فلذلك يطلق عليه الحمام.

[۴۰] (۴).« أَوْلى من مادة« ولاية» وتعنى الشخص الذى يكلّف بعمل معين أو يوضع فى اختياره شيء، وهنا جاءت بالمعنى الثانى، يعنى أنّ اللَّه تعالى يضع رضاه وجنّته التى تعتبر نتيجة رضا اللَّه تعالى فى اختيار مالك الأشتر.

[۴۱] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۴۴.

[۴۲] (۲).« أَصْحِرَ» فعل أمر من مادة« اصحار» وتعنى الخروج والظهور فى الصحراء.

[۴۳] (۳).« شَمِّر» من مادة« تشمير»، وأصل شمّر على زون« تمر» وتعنى الجمع وحسب المنتوج والاستعداد لعمل معين.

[۴۴] (۱).« يُنْزَلُ» بصيغة فعل المضارع من باب« إفعال» وفاعلها اللَّه تعالى، ولكن فى هذا المورد لا يتناسب هذا المعنى، ولذلك وردت هذه الجملة فى الكثير من نسخ نهج البلاغة بصيغة« نزل» وبصيغة الفعل الماضى بدون الإسناد الى اللَّه، ولكنّ بعض الكتّاب ذكرها بصيغة الفعل المضارع من الثلاثى المجرّد، أى« ينزل» بفتح الياء لا من باب الإفعال بضم الياء.

[۴۵] (۱). انظر: نفحات الولاية، ج ۳، ص ۷۶.

[۴۶] (۱). سند الرسالة: من جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى، الطبرى فى تاريخه بتفاوت يسير فى حوادث سنة ۳۸، وكذلك إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتابه« الغارات»(نقلًا عن مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۲۶).

[۴۷] (۱).« نَحْتَسِب» من مادة« احتساب» و« حسبة» بمعنى استلام الأجر، وعليه فإنّ« إحتساب» تأتى بمعنى طلب الأجر، رغم أنّ« إحتساب» فى الأصل تعنى كلّ عمل يعمله الإنسان بنيّة التقرب إلى اللَّه تعالى ويجعله فى حسابه فى الآخرة، ومعناه بالملازمة طلب الأجر من اللَّه تعالى(لمزيد من الاطلاع راجع كتاب مقايس اللغة ولسان العرب).

[۴۸] (۱).« وَلَداً» ذكر البعض أنّ ولداً منصوب بوصفه عطف بيان، والبعض الآخر ذهب إلى أنّه بدل من ضمير المفعول فى« نحتسبه»، ولكن لا يمكن أن يكون مفعولًا ثانياً لنحتسب، لأنّ معنى الجملة سيتبدل.

[۴۹] (۲).« كَادِح»، وهو الشخص الذى يبذل الكثير من الجهد والسعى، وأصلها من« كدح» على وزن« مدح» بمعنى السعى الحثيث والعمل الجاد.

[۵۰] (۳). وامّ محمّد أسماء بنت عميس الخثعمية وهى اخت ميمونة زوج النّبى صلى الله عليه و آله، وأُخت لبابة ام الفضل وعبداللَّه زوج العباس بن عبدالمطلب، وكانت من المهاجرات ا لى أرض الحبشة، وهى إذ ذاك تحت جعفر بن أبى طالب فولدت له هناك محمّد بن جعفر، عبداللَّه، عوناً، ثمّ هاجرت المدينة، فلمّا قتل جعفر تزوجها أبوبكر، فولدت له محمّد بن أبى بكر هذا، ثمّ مات أبوبكر فتزوجها الإمام على عليه السلام وولدت له يحيى بن على ولا خلاف فى ذلك.(شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۴۲).

[۵۱] (۴).« حَثَثْتُ» بمعنى التشويق والإثارة.

[۵۲] (۵).« الْوَقْعَةِ»، الحادثة، وأحياناً تأتى بمعنى وقوع الحرب والقتال، وهنا قصد منها المعنى الثانى.

[۵۳] (۶).« عَوْداً» و« بِدأً» تعنى كما ورد فى بعض كتب اللغة أولًا وآخراً، وفى بعضها بمعنى تكرار الشيء، وهنا يحتمل فيها كلا المعنيين.

[۵۴] (۱).« الْمُعْتَل» تعنى المريض، وأحياناً تعنى الشخص الذى يعتذر لفعله ويأتى بمبررات لتسويغ فعله.

[۵۵] (۲).« خَاذِل» وهو الشخص الذى يمتنع من مدّ يد العون إلى الآخر وبالتالى يؤدّى إلى ذلّة ومهانة الطرف المقابل.

[۵۶] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۸۱-/ ۸۳.

[۵۷] (۲). سورة الأنفال، الآية ۶.

[۵۸] (۳). سورة الأحزاب، الآية ۱۳.

[۵۹] (۱). سورة التوبة، الآية ۸۱.

[۶۰] (۲).« تَوْطِين» تعنى تهيئة الشىء، وأصلها من« وطن» على وزن« بطن» وتعنى اختيار الوطن، وبما أنّ كلّ إنسانعندما يختار محلًا للسكن فإنّما يهيىء نفسه للحياة فى ذلك المكان، فالتوطين يعنى التهيؤ.

[۶۱] (۱). خلف الأحمر من علماء القرن الثانى للهجرة وهو صاحب اليد الطولى فى الشعر والأدب والتاريخ.

[۶۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۴۵ و ۱۴۶(مع التلخيص).

[۶۳] (۱). سند الرسالة: جاء فى مصادر نهج البلاغة أنّ هذه الرسالة نقلها قبل السيّد الرضى، إبراهيم بن الثقفى فى كتابه« الغارات»، وأبو الفرج الاصفهانى فى كتاب« الأغانى» وابن قتيبة الدينورى فى كتاب« الإمامة والسياسة».(مصادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۳۳۲). وتقدّم شرح أكثر عن سند هذه الرسالة فيما يتصل بالخطبة ۲۹ للإمام على عليه السلام فى الجزء الثانى من هذا الكتاب(نفحات الولاية، ج ۲، ص ۱۳۵).

[۶۴] (۱). مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۲۹ و ۳۳۰.

[۶۵] (۱).« سَرَّح» من مادة« تسريح»، وكما تقدّم فى شرح الرسالة ۳۴ أنّها تعنى ارسال شخص لعمل معين، وتستعمل أيضاً بمعنى مطلق الارسال والتحرير.

[۶۶] (۲).« كَثِيف»، يعنى الغليظ والكثير الملتف، وأصلها من« كثافة».

[۶۷] (۳).« نَكَصَ»، من مادة« نكص» على وزن« مكث»، والنكوص يعنى التراجع والعودة.

[۶۸] (۱).« جَرِيض» هو شخص المختنق من شدّة الحزن أو الهيجان.

[۶۹] (۲).« الْمَخَنَّق» هو محل الخنق، من مادة« خنق» على وزن« حرب» وهو الضغط على المخنق أو ضغط رقبة الشخص.

[۷۰] (۱). الغارات، ج ۲، ص ۴۳۹.

[۷۱] (۲).« تَرْكَاض» هو الركض الشديد، من مادة« ركض» على وزن« ضرب»، والتركاض صيغة مبالغة للركض.

[۷۲] (۳). تجوال، بمعنى كثرة الجولان والتراكض فى الميدان.

[۷۳] (۴). الشقاق، بمعنى العداوة والمخالفة والانفصال.

[۷۴] (۵).« الجماح» بمعنى التمرد، و« جموح» على وزن« قبول» وأصله بمعنى الحيوان المتمرد والمنفلت، ثمّ استعملت فى الإنسان المتمرد والحوادث التى ليست باختيار الإنسان وإرادته إطلاقاً.

[۷۵] (۱). مجمع الزوائد، الهيثمى، ج ۹، ص ۱۱۸؛ كنز العمال، ج ۱۳، ص ۱۷۶، ح ۳۶۵۲۳.

[۷۶] (۱).« الْمُحِلِّينَ» جاء فى صحاح اللغة أنّ« المحل» يقال للشخص الذى ينقض عهده وينكث بيعته ويخرج من إطاره.

[۷۷] (۱). سورة الزمر، الآية ۳۶.

[۷۸] (۲). سورة المائدة، الآية ۴۴.

[۷۹] (۳).« ضَّيْم» بمعنى الظلم والجور ويأتى مصدره على هذا الوزن أيضاً، ويعنى ايقاع الظلم على الآخر وقهروالتغلب عليه.

[۸۰] (۴).« سَلِسَ» المطيع والمنقاد، وأحياناً تأتى بمعنى السهل واليسير.

[۸۱] (۵).« وَطِيءَ» صفة مشبهة بمعنى اللين والملائم.

[۸۲] (۱).« رَيْب» تأتى أحياناً بمعنى الشك وأخرى بمعنى الحوادث المشكلة والتحديات الصعبة.

[۸۳] (۲).« صَلِيب» تعنى المحكم والشديد، وأصلها من« صلب».

[۸۴] (۳).« كَآبَة»، تعنى الحزن والغم والانكسار الناشىء منه.

[۸۵] (۴).« يَشْمَت» من مادة« شماة» وهى فرح العدو.

[۸۶] (۵).« عَاد» يعنى العدو، من مادة« عداوة».

[۸۷] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۵۲.

[۸۸] (۲). شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۷، ص ۵۰۲.

[۸۹] (۱). سند الرسالة: لهذه الرسالة مطلع حذفه السيّد الرضى طبقاً لمنهجه فى الانتقاء، وقد اقتصر على ذكر ذيل هذه الرسالة، وقد نقل المرحوم ابن ميثم وابن أبى الحديد صدر هذه الرسالة كما سنشير إلى ذلك لاحقاً، وهذا يشير إلى أنّهما عثرا على مدرك ومصدر غير نهج البلاغة ذكر فيه صدر الرسالة(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۳۲).

[۹۰] (۱). تمام نهج لبلاغة، ص ۸۳۸؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۵۳.

[۹۱] (۱).« اطِّرَاحِ» من مادة« طرح» يعنى إلقاؤه بعيداً.

[۹۲] (۱). سورة الأحزاب، الآية ۷۲.

[۹۳] (۲). سورة آل عمران، الآية ۳۲.

[۹۴] (۱). سورة يس، الآية ۶۰.

[۹۵] (۲).« الْحِجَاج» يعنى المجادلة للتغلب على الطرف المقابل.

[۹۶] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۵۴.

[۹۷] (۱). فى ظلال نهج البلاغة، ج ۳، ص ۵۴۹.

[۹۸] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۵۴.

[۹۹] (۲). صفين، ص ۷۶.

[۱۰۰] (۱). سند الرسالة: نقل هذه الرسالة جماعة من المؤرخين والعلماء عاشوا قبل السيّد الرضى، فى كتبهم، منهم: الطبرى فى تاريخه المعروف فى حوادث سنة ۳۸ للهجرة، والشيخ المفيد فى كتابيه الاختصاص والأمالى، وابن الهلال الثقفى فى موردين من كتاب« الغارات»، ففى المورد الأوّل نقلها عن صعصعة بن سوحان وفى المورد الثانى عن المدائنى عن أحد غلمان مالك الأشتر، قال: عندما توفى مالك الأشتر(فى طريقه إلى مصر بسبب السم) رأوا رسالة مشدودة إلى رجليه وهذه الرسالة من الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أهالى مصر(مصادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۳۳۶).

[۱۰۱] (۱).« سُرَادِق» أصلها فارسية بمعنى الخيم التى تتخذ لتشكيل المجالس المختلفة وأحياناً تنصب فى باحة الدار، وأخرى بشكل مستقل.

[۱۰۲] (۲).« الظَّاعِن» هو المنتقل من محل لآخر، من مادة« ذعن» على وزن« طعن» وهو الانتقال.

[۱۰۳] (۱). انظر: سيرة ابن هشام، والاستيعاب، ابن عبدالبر.

[۱۰۴] (۱). لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع راجع هذا الكتاب(نفحات الولاية الجزء الثانى استناد لما ورد فى‌تاريخ الطبرى).

[۱۰۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۵۶.

[۱۰۶] (۲). شرح نهج البلاغة، لابن ميثم وفى ظلال نهج البلاغة.

[۱۰۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۹۱، ص ۹۴، ح ۱۰.

[۱۰۸] (۲).« لَا يَنْكُل» فى الأصل من مادة« نكول» ويعنى التراجع عن خوف، وأحياناً تطلق على كلّ تراجع من أداء عمل معين.

[۱۰۹] (۳).« الرَّوْع» الخوف والوحشة، وأحياناً تأتى بمعنى التخويف والترهيب.

[۱۱۰] (۴).« مَذْحِج» قبيلة فى اليمن، ويعتبر مالك الأشتر من رؤوساء تلك القبيلة ثمّ جاء إلى المدينة ومنها إلى الكوفة وأضحى من

جملة شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام الخاصين وأتباعه المخلصين.

[۱۱۱] (۱). شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۷، ص ۶۰۴.

[۱۱۲] (۲). كنز العمال، ج ۵، ص ۷۹۲، ح ۱۴۴۰۱.

[۱۱۳] (۳).« كَلِيل» هو الضعيف والعاجز، من مادة« كَلَّ» على وزن« حَلَّ».

[۱۱۴] (۴).« الظُّبَة» حافة السيف والرمح والخنجر.

[۱۱۵] (۵).« نَابِى» هو السيف الكليل الذى لا يعمل، والكلمة فى الأصل من« نوبة» على وزن« ضربة» وهو المكان المرتفع، وبما أنّ السيف الكليل لا يدخل فى الموضوع ويقف فى أعلاه فقيل عنه« نابى».

[۱۱۶] (۶).« الضَّرِيبَةِ» بمعنى المضروب والمحل الذى وجهت له ضربة.

[۱۱۷] (۱). انظر: الكامل، لأبن الأثير، ج ۲، ص ۳۵۸؛ اسد الغابة، ج ۴، ص ۲۷۷ فى ترجمة حياة مالك بن نويرة.

[۱۱۸] (۲).« يُحْجِمُ» من مادة« احجام» و« حجم» على وزن« رجم» فى الأصل بمعنى تكميم فم الحيوان، ثمّ اطلقت على كل منع وإعاقة لعمل معين.

[۱۱۹] (۳).« شَكِيمَة» هى اللجام الذى يوضع فى فم الدابة ويمنعها من أن تتحرك بما يخالف إرادة صاحبها، وفى الجملة أعلاه إشارة إلى أنّ مالك الأشتر يكبح جماح عدوكم ويمنعه من التحرك.

[۱۲۰] (۱). سند الرسالة: من جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة فى كتبهم قبل السيّد الرضى، نصر بن مزاحم فى كتاب صفين مع تفاوت يسير، وطبعاً هذا الكلام ذكره ابن أبى الحديد، ولكنّ بعض المحققين الذين قرأوا كتاب نصر بن مزاحم قالوا: لا وجود لهذه الرسالة بهذه الصورة فى نسخة كتاب نصر بن مزاحم الذى بين أيدينا(راجع شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۷، ص ۵۱۴، والغدير، ج ۲، ص ۱۳۰، ويضيف العلّامة الأمينى فى الغدير أنّ ما بين أيدينا من كتاب نصر بن مزاحم يمثّل مقطعاً خاصاً منه، وأصل الكتاب أكثر بكثير ممّا بين أيدينا وقد حذف الكثير منه عند طبعه)، ومن جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة بعد السيّد الرضى فى كتابهم ابن الجوزى الحنفى فى كتاب« تذكرة الخواص» والطبرسى فى« الاحتجاج».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۳۷).

[۱۲۱] (۱). تمام نهج البلاغة، الرسالة ۴۶، ص ۸۲۶.

[۱۲۲] (۱).« مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ» هو الشخص الذى شقّة حجب الحياء لشدّة استهانته ودنائته، وأصلها من« هتك» يعنى الشق‌والتمزيق.

[۱۲۳] (۲).« يَشِين» من مادة« شين» على وزن« عين» بمعنى يقبح.

[۱۲۴] (۳).« الْحَلِيم» تعنى فى مثل هذه الموارد العاقل، من مادة« حَلم» على وزن« ربع» وتعنى العقل.

[۱۲۵] (۴).« بِخِلْطَتِهِ» من مادة« خلطة» بمعنى المعاشرة والاختلاط.

[۱۲۶] (۱). أنساب الأشراف، ج ۵، ص ۶۲(مع التخليص).

[۱۲۷] (۱).« الضِّرْغَام»، يعنى الأسد.

[۱۲۸] (۲).« مَخَالِب» من مادة« مخلب» على وزن« منبر» أظافر الحيوان المفترس.

[۱۲۹] (۳).« فَرِيسَة»، الصيد، من مادة« فرس» على وزن« فقط» بمعنى القتل.

[۱۳۰] (۴). تاريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۲۲۲، وللمزيد من الاطلاع انظر شرح الخطبة ۸۴ من هذا الكتاب، ج ۳.

[۱۳۱] (۱). شرح نهج البلاغة، لمحمّد عبده، فى أوّل الرسالة المذكورة.

[۱۳۲] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۶۱.

[۱۳۳] (۱). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة العقد الفريد(ابن عبد ربه المتوفى، ۳۲۸ ه)(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۵۵) والعجيب أنّ الشارح المعروف ابن ميثم لم يذكر هذه الرسالة فى شرحه لنهج البلاغة.

[۱۳۴] (۱). أنساب الأشراف البلاذرى، ص ۱۶۹؛ جواهرالمطالب ابن الدمشقى، ج ۲، ص ۷۹.

[۱۳۵] (۱).« أخْزَيتَ» من مادة« خِزْى» على وزن« حزب» فى الأصل تعنى الإنكسار الروحى والخجل، الذى تصيب الإنسان إمّا من ناحية ذاتية وبشكل حياء مفرط، أو من ناحية أخرى يفرض على الإنسان من خارجه وهذه المفردة تارة تأتى بمعنى السقوط فى البلاء، وأخرى الفضحية والخجل الناشىء منه.

[۱۳۶] (۱). سورة لقمان، الآية ۱۶.

[۱۳۷] (۱). سند الرسالة: أورد ابن قتيبة(المتوفى سنة ۲۷۶) مقاطع من هذه الرسالة فى كتاب عيون الأخبار، والبلاذرى(المتوفى ۲۷۹) فى كتاب أنساب الأشراف، وابن عبد ربه(المتوفى ۳۲۸) فى العقد الفريد، وهؤلاء جميعاً عاشوا قبل السيّد الرضى، ومن الأشخاص الذين جاءوا بعد السيّد الرضى وذكروا هذه الرسالة فى كتبهم، أحمد بن محمّد بن الميدانى فى مجمع الأمثال، وسبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص.

يقول ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: اتفق الرواة على أنّ هذه الرسالة من الإمام على عليه السلام وقد وردت فى أكثر الكتب التاريخيّة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۴۴).

[۱۳۸] (۱).« شِعار» يطلق على الملابس الداخليّة التى تلتصق بشعر بدن الإنسان، ومن هذه الجهة تطلق هذه الكلمةعلى صاحب السرّ ومحرم الأسرار، فى مقابل« دثار» وتعنى اللباس الخارجى، ومفردة« شعار» لها معنى آخر وهو العلامة، وكذلك تطلق على الكلمات والعبارات التى تشير إلى أهداف القوم والجماعة، وقد وردت فى الرسالة أعلاه بالمعنى الأوّل.

[۱۳۹] (۱).« بِطانَة» وتعنى أيضاً الملابس الداخليّة، فى مقابل« ظهارة» وتعنى اللباس الخارجيّة، وكذلك تطلق كلمةبطانة على أصحاب السرّ من الأصدقاء الموثوقين، ومراد الإمام عليه السلام من هذه المفردة المعنى الأخير.

[۱۴۰] (۲).« مَوازَرَة» تعنى المعاونة من مادة« وِزر» بمعنى الثقل، لأنّ الشخص الذى يساعد الآخر بأنّه يحمل ثقله على ظهره، ومن هذه الجهة اطلقت كلمة وزير على معاون الملك أو الزعيم.

[۱۴۱] (۳).« كَلِبَ» فعل ماضى من مادة« كلب» على وزن« قلب» وفى الأصل تعنى الحصان بالمهميز.(المهميز شىء لهنصل مدبب يوضع إلى قطب الحصان فيستفاد منه الراكب لحث الفرس على السرعة) وكَلِب تعنى هنا الشدّة والصعوبة.

[۱۴۲] (۴).« فَنَكَتْ» فعل ماضى من مادة« فَنَك» على وزن« قلب» وتعنى العدوان والتمرد واللجاجة.

[۱۴۳] (۵).« شَغَرَتْ» فعل ماضى من مادة« شَغر» على وزن« صبر» وتعنى عدم الملجأ ما يدافع به.

[۱۴۴] (۶).« المَجِنَّ» تعنى الدرع من مادة« جَن» على وزن« فن» وتعنى التغطية، لأنّ الدرع يغطى الإنسان من ضربات العدو.

[۱۴۵] (۱).« آسَيْتَ» من مادة« مُواساة» وتعنى المعاونة والمساعدة.

[۱۴۶] (۲).« غِرَّة» وتعنى الخدعة والإغفال.

[۱۴۷] (۱).« كَرَّة» تعنى الهجوم.

[۱۴۸] (۲).« الوَثْبَة» من مادة« وَثْب» على وزن« وصف» تعنى الانتصار، ثمّ استعملت بمعنى القفز للامساك بشىء.

[۱۴۹] (۳).« اخْتِطَاف» تعنى أخذ الشىء بسرعة.

[۱۵۰] (۴).« الأَزَلّ» من مادة« زَلَل» تعنى الإنسان أو حيوان الذى يملك أفخاذاً ضعيفة، وبما أنّ مثل هذا الشخص باستطاعته الركض بسرعة فاطلقت هذه الكلمة بمعنى السريع وفى العَدُو.

[۱۵۱] (۵).« دَامِيَة» تعنى المجروحة والتى يخرج منها الدم، من مادة« دَم».

[۱۵۲] (۶).« المِعزَى» فصيلة من الغنم واليشاه.

[۱۵۳] (۷).« الكَسِيرَة» التى تكسر عظمها، وعندما تستعمل فى الأغنام وأمثالها تأتى بمعنى المكسورة اليد أو الرجل.

[۱۵۴] (۸).« رِحِيب» بمعنى الواسع من مادة« رُحب» على وزن« قفل» وتعنى السعة، ورحيب الصدر يقال للشخص الباردالمزاج والذى يملك سعة الصدر وعدم المبالاة فى مواجهة المثيرات.

[۱۵۵] (۹).« مُتَأَثِّم» الشخص الذى يشعر بالذنب.

[۱۵۶] (۱۰).« حَدَرْتَ» من مادة« حَدْر» على وزن« قدر» بمعنى الهبوط والنزول إلى الأسف، وبما أنّ النزول عادة يتمّ بسرعة، فاطلقت هذه الكلمة على السرعة أيضاً.

[۱۵۷] (۱).« نِقَاش» بمعنى الدقّة والتصعّب فى الحساب.

[۱۵۸] (۲). سورة الزلزلة، الآيتان ۷ و ۸.

[۱۵۹] (۱).« تَسِيغ» من مادة« سَوْغ» على وزن« قوم» بمعنى الهنيىء وتطلق عادة على الأطعمة والأشربة، ولكنّهاتستعمل كناية فى أمور أخرى أيضاً.

[۱۶۰] (۱).« أَفاءَ» من مادة« فَىء» بمعنى العودة، وكأنّ الأموال التى بيد الكفّار ذات طابع غصبى، فعندما تغنمهاالمسلمون منهم فإنّها تعود إلى أصحابها الأصليين.

[۱۶۱] (۲).« أعذرن» من مادة« إعذار» بمعنى إظهار الشخص لعذره.

[۱۶۲] (۱).« هَوَادَة» بمعنى الليونة والصلح والعلاقة بالشخص، وهنا جاءت بمعنى الأوّل.

[۱۶۳] (۲).« أُزِيحَ» من مادة« إزاحة» تعنى الإزالة.

[۱۶۴] (۱). سورة الزخرف، الآية ۸۱.

[۱۶۵] (۲). سورة النور، الآية ۲.

[۱۶۶] (۳). سورة النساء، الآية ۱۳۵.

[۱۶۷] (۴). الكافى، ج ۲، ص ۱۴۰، ح ۳. وردت روايات أخرى فى هذا الباب وفى هذا الموضوع.

[۱۶۸] (۱).« ضَحَّ» صيغة أمر من مادة« تَضْحية» وفى الأصل تعنى رعى الأغنام عند طلوع الشمس، وجملة« فَضَحَّ رُوَيْدَاً» تطلق على مورد يكون المقصود منه أنّ الأغنام تتحرك ببطء فى المرتع إلى أن تشبع تماماً، ثمّ استخدمت هذه الجملة فى الموارد التى يقصد منها الحفظ والهدوء.

[۱۶۹] (۲).« مَدَى» تعنى نهاية العمل والوصول إلى سنين المتقدمة.

[۱۷۰] (۳).« الثَّرَى» تعنى التراب.

[۱۷۱] (۴). مفردة« لاتَ» تعنى للنفى، وفى الأصل« لا» النافية، واضيفت لها تاء التأنيث للتأكيد،« مناص» من مادة« نوص» وتعنى الملجأ والملاذ، يقال: إنّ العرب عندما يواجهون حادثة صعبة وموحشة وحاصّة فى الحروب يكررون هذه الكلمة ويقولون: مناص، مناص، يعنى أين الملجأ، أين الملجأ؟ وبما أنّ هذه المفهوم يقترن مع الهرب والفرار، فإنّه يستخدم أحياناً محلّ الفرار والمهرب، ومن هذه الجهة فإنّ جملة« ولاتَ حِينَ مَناصٍ» تعنى: لا يوجد طريق للفرار والنجاة.

[۱۷۲] (۵). سورة ص، الآية ۳.

[۱۷۳] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۱۷۲.

[۱۷۴] (۲). شرح نهج البلاغة، لابن ميثم، ج ۵، ص ۹۰.

[۱۷۵] (۱). انظر: شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۸، ص ۸۹.

[۱۷۶] (۲). المصدر السابق، ص ۹۲، نقلًا عن تذكرة الخواص، ص ۱۵۰..

[۱۷۷] (۱). انظر: معجم رجال الحديث، ج ۱۰، ص ۲۳۸، به نقل عن الطبرى.

[۱۷۸] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۲، ص ۱۵۲، ح ۲۰.

[۱۷۹] (۱). سند الرسالة: جاء فی کتاب مصادر نهج البلاغة: من الأشخاص الذین نقلوا هذه الرسالة قبل السیّد الرضی: ابن واضح الیعقوبی(المتوفی ۲۸۴) فی تاریخه المعروف، والبلاذری(المتوفی ۲۷۹) فی کتابه أنساب الأشراف است.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۴۶).

[۱۸۰] (۱).« تَثْرِیب» من مادة« ثَرْب» علی وزن« سرو» فی الأصل تعنی الجلد الذی یغطی المعدة والأمعاء، وعندما تأتیهذه المفردة من باب تفعیل(تثریب) تعنی إزاحة هذه الجلدة، ثمّ استخدمت بمعنی اللوم والتوبیخ والتقریع، وکأنّ الإنسان بهذا العمل یکشف غطاء الذنب عن وجه الطرف المقابل.

[۱۸۱] (۲).« ظَنِین» تعنی المتهم، من مادة« ظنة» أی التهمة، والفرق بینها وبین المتهم فی العبارة المذکورة ربّما یکون بأنّ سوء الظن بالمتهم أکثر وأشد من الظنین، وتستخدم فی موارد توجد فیها قرائن علی إتهام الشخص.

[۱۸۲] (۳).« مَأْثُوم» تعنی الشخص الذی ذکرت له ذنوب، ولکن« آثم» تعنی الشخص المذنب وکلیهما من مادة« إثم» علی وزن« اسم» ویعنی الذنب.

[۱۸۳] (۱).« اسْتَظْهِر» من مادة« استِظهار» ویعنی طلب المعونة من الشخص الآخر والإطمئنان لمساعدته.

[۱۸۴] (۱). الإستیعاب، ح ۱۸۸۲، فی شرح حال عمر بن أبی سلمة.

[۱۸۵] (۲). شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۱۶، ص ۱۷۳.

[۱۸۶] (۳). عیون الأخبار، ج ۱، ص ۳۸، ح ۸.

[۱۸۷] (۱). انظر: مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۴۵ و ۳۴۶.

[۱۸۸] (۱). سند الرسالة: ذکر هذه الرسالة قبل السیّد الرضی، البلاذری فی کتابه أنساب الأشراف، وکذلک وردت فی تاریخ الیعقوبی(ابن واضح) مع تفاوت یسیر، وجاء فی الخطبة ۴۴ الجزء الأوّل من هذا الکتاب موارد أخری من سیرة مصقلة وحیاته.

[۱۸۹] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۳، ص ۱۲۷.

[۱۹۰] (۱).« أعْتام» من مادة« إعتیام» ومن مادة« عیم» علی وزن« عیب» فی الأصل تعنی العطش والرغبة بتناول اللبن، وبما أنّ الإنسان عندما یشعر بمیل شدید نحو شیء فإنّه یسعی إلی اختیار أفضل أنواعه، وکلمة« عیمة»(بکسر المیم) تعنی کلّ شیء جید ومختار من الشیء، وعلیه فإنّ جملة« اعتامک» تعنی أنّهم اختاروک.

[۱۹۱] (۱).« النَّسَمَة» فی الأصل بمعنی التنفس ویقال لهبوب الریح الملائمة« نسیم» وأحیاناً تطلق علی نفس الإنسانأو روحه.

[۱۹۲] (۲).« مَحْق» تعنی المحو والهلاک.

[۱۹۳] (۱). سورة الکهف، الآیتان ۱۰۳ و ۱۰۴.

[۱۹۴] (۱). تاریخ الیعقوبی، ج ۲، ص ۲۰۱.

[۱۹۵] (۲). فتوح البلدان البلاذری، ج ۲، ص ۴۱۱.

[۱۹۶] (۱). سند الرسالة: أورد هذه الرسالة قبل السیّد الرضی، المدئنی(فی کتاب فتوح الإسلام)، والجدیر بالذکر أنّ الروایة التی ینقلها المدائنی تختلف الروایة التی نقلها السیّد الرضی نهج البلاغة، ویشیر إلی أنّ السیّد الرضی لم یأخذ هذه الروایة بل من مصدر آخر، ونقلها بعد السیّد الرضی، ابن الأثیر فی کتابه الکامل فی حوادث سنة ۴۴، وفی أسد الغابة، وابن عبدالبرّ فی الاستیعاب فی شرح حال زیاد.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۵۲).

[۱۹۷] (۱).« یَسْتَزِلّ» من مادة« زَلل» علی وزن« قمر» بمعنی الخطأ، و« یستزل» یعنی أنّه یرید أن یوقع الآخر فی الخطأ.

[۱۹۸] (۲).« لُبّ» فی الأصل بمعنی المخ فی کلّ شیء، ویقال للعقل« لبّ».

[۱۹۹] (۱).« يَسْتَفِلَّ» من مادة« فَلل» على وزن« قمر» بمعنى كسر الشيء أو التقليل من حدّة السكين.

[۲۰۰] (۲).« غَرْب» بمعنى النشاط، وكذلك التصميم.

[۲۰۱] (۳).« لِيَقْتَحِم» من مادة« اقتِحام» بمعنى إدخال الشيء بالقوّة في شيء آخر.

[۲۰۲] (۴).« يَسْتَلِب» من مادة« استِلابة» بمعنى النهب والغارة والسرقة، وأصلها من« سلب».

[۲۰۳] (۵).« غِرّة» بمعنى الغفلة والتساهل.

[۲۰۴] (۱). سورة طه، الآية ۸۲.

[۲۰۵] (۲). سورة هود، الآية ۶.

[۲۰۶] (۳). سورة الأعراف، الآية ۱۲۸.

[۲۰۷] (۴). سورة سبأ، الآية ۵۴.

[۲۰۸] (۵). بهج الصباغة، ج ۱۴، ص ۳۷۲.

[۲۰۹] (۶). مجمع البيان، ذيل الآية ۱۷ من سورة الأعراف.

[۲۱۰] (۱).« فَلْتَة» من مادة« فَلت» على وزن« ثبت» في الأصل بمعنى فقدان الشيء، ولذلك تطلق هذه الكلمة على الكلام الذي يصدر من الإنسان بدون دقّة ويفلت من فمه وتقال:« فلتة»، وكذلك تطلق على الحوادث الفجائيّة وبدون تأمّل.

[۲۱۱] (۲).« نَزْغَة» من مادة« نَزغ» على وزن« نظم» بمعنى الدخول في عمل بقصد الإفساد وإيجاد النزاع بين الناس، و« نزغات شيطان» تقال للوساوس الشيطانيّة التي توقع النزاع بين الأفراد.

[۲۱۲] (۳). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ۱۶، ص ۱۸۰.

[۲۱۳] (۱).« مُدَفّع» من مادة« دفع»، تعني الشخص الذي يمنع من عمل معين.

[۲۱۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۵، ص ۸۳.

[۲۱۵] (۱). سورة الأحزاب، الآية ۴.

[۲۱۶] (۱). شرح نهج البلاغة عبده، ذيل الرسالة ۴۴، ص ۴۵۸.

[۲۱۷] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ۱۶، ص ۱۸۷.

[۲۱۸] (۱). سورة النمل، الآية ۳۷.

[۲۱۹] (۱). ما ورد أعلاه مقتبس من كتاب الاستيعاب، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وتنقيح المقال، للعلّامة المامقاني وشرح نهج البلاغة، للعلّامة التستري، فراجع.

[۲۲۰] (۱). سند الرسالة: صرّح صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة بأنّ الصدوق ذكر قسماً من هذه الرسالة في كتاب الأمالي قبل السيّد الرضي، والجدير بالذكر أنّ السيّد الرضي في شرحه لهذه الرسالة يقول في عدّة موارد وفي رواية أخرى ورد كذا وكذا، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر عنده نقل منه هذه العبارة المتفاوتة، بل إنّه في أحد الموارد يقول: إنّ جماعة نقلوا هذه العبارة بكذا وكذا، والتعبير بالجماعة جدير بالتأمل، مضافاً إلى ذلك فإنّ مقاطع من هذه الرسالة وردت في كتب متعددة بعد السيّد الرضي كخرائج للقطب الراوندي، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري، والمناقب لابن شهر آشوب، وربيع الأبرار للزمخشري مع اختلاف يسير، هذا الاختلاف يشير إلى مصادر أخرى لديهم(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۷۳).

وقد أورد هذه الرسالة« البرّي»(المتوفى قرن ۷) في كتاب الجوهرة في نسب الإمام علي، ص ۸۱، مع بعض الإضافات.

[۲۲۱] (۱). جملة« تستطاب لك» بمعنى أنّه يطلق لك جلب الأنواع الجيدة واللذيذة من الأطعمة، وهي من مادة« طيب» بمعنى الطاهر واللذيذ والجيد.

[۲۲۲] (۱).« عائل» بمعنى من له عيال محتاجين إليه.

[۲۲۳] (۲).« مجفوّ» بمعنى المحروم والشخص الذى لم يعطى حقّه.

[۲۲۴] (۳).« تقضمه» من مادة« قضم» على وزن« فهم» بمعنى مغض الطعام فى الفم، وأحياناً تأتى بمعنى الأكل، و« مقضم» يطلق على الطعام فى الفم.

[۲۲۵] (۴).« فالفظه» من مادة« لفظ» بمعنى اخراج الطعام من الفم، ويقال للألفاظ لأنّها تخرج من الفم.

[۲۲۶] (۱). الأعلام الزركلى، ج ۴، ص ۲۰۵.

[۲۲۷] (۱). الاستيعاب، ج ۳، ص ۸۹.

[۲۲۸] (۲). مستدركات علم رجال الحديث، ج ۵، ص ۲۱۳.

[۲۲۹] (۳). اسدالغابة، ج ۳، شرح حال عثمان بن حنيف، رقم ۳۵۷۱. وقد ورد ما يشبه هذا المعنى فى مسند أحمد، ج ۴، ص ۱۳۸؛ ومستدرك الحاكم، ج ۱، ص ۵۱۹. ويقول الحاكم بعد نقل هذا الحديث: إنّ هذا الحديث صحيح السند رغم أنّ البخارى ومسلم لم ينقلاه،(ليت المخالفين الجاهلين يتمسّكون لا أقل بمبانيهم الروائية ليعلموا مدى وقوعهم فى الاشتباه).

[۲۳۰] (۴). رجال المامقانى، شرح حال عثمان بن حنيف.

[۲۳۱] (۱).« طمر» تعنى الثواب الخلق والقديم، وفى الأصل من مادة« طمر» على وزن« أمر» ويعنى تغطية الشىء، وأمّااستخدام الإمام عليه السلام لهذه الكلمة بصيغة التثنية فمن أجل أنّ أحدهما يشير إلى الثوب والآخر إلى اللباس الداخلى.

[۲۳۲] (۱).« قُرص» فى الأصل بمعنى الشىء المدور، ولذلك يطلق على الشمس والقمر والخبز المدور فيقال قرص الخبز أو قرص الشمس، والتثنية فى عبارة الإمام عليه السلام إشارة إلى طعام يوم واحد، لأنّ كثير من الناس فى ذلك الزمان يتناولون الطعام فى اليوم والليلة مرّتين.

[۲۳۳] (۲). فى ظلال نهج البلاغة، ج ۴، ص ۱۶.

[۲۳۴] (۱).« تبر» قطعات الذهب والفضة قبل أن تصنع منها الزينة أو تكون مسكوكة.

[۲۳۵] (۲).« وفر» يقول أرباب اللغة أنّها تعنى المال الكثير من مادة« وفور» بمعنى الزيادة والكثرة، وأحياناً تطلق على كلّ شىء الكثير.

[۲۳۶] (۱).« عفصة» تارة تطلق على شجرة البلوط، وأخرى عل ثمرتها، وهذه المادة يترشح منها سائل أبيض ومضافاً إلى مرارته فإنّه قابض.

[۲۳۷] (۲).« مقر» تارة تأتى بمعنى المر، وأخرى بمعنى الحامض، وفى هذا المورد جاءت بمعنى الأوّل، وهى تأكيد على مفهوم« عفصة».

[۲۳۸] (۱).« شحت» من مادة« شحّ» على وزن« نُه» بمعنى البخل المصاحب للحرص.

[۲۳۹] (۲).« سخت» الجود والسخاء.

[۲۴۰] (۱).« مظانّ» جمع« مظنة» بمعنى المكان الذى يضم أو يطمئن الإنسان بوجود الشىء يطلبه فيه.

[۲۴۱] (۲).« جدث» بمعنى القبر.

[۲۴۲] (۳).« اضغط» من مادة« اضغات» بمعنى العصر من مادة« ضغت» على وزن« وقت» بمعنى استخدام القوّة فى الشىءوالضغط عليه.

[۲۴۳] (۴).« المدر» يقال للطين الصلب الملتصق ببعضه مثل قطعة الآجر.

[۲۴۴] (۱). شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۵، ص ۳۴۰.

[۲۴۵] (۲).« المزلق» بمعنى زحلق من مادة« زلق» على وزن« شفق» بمعنى التزحلق.

[۲۴۶] (۱). سورة الأنعام، الآية ۸۲.

[۲۴۷] (۲). سورة مريم، الآيتان ۷۱ و ۷۲.

[۲۴۸] (۳).« القمح» بمعنى الحنطة.

[۲۴۹] (۴).« نسائج» جمع النسيج بمعنى المنسوج.

[۲۵۰] (۱).« القزّ» بمعنى الحرير.

[۲۵۱] (۲).« جشع» بمعنى الحرص والطمع، وتأتى أحياناً بمعنى الحرص الشديد.

[۲۵۲] (۳).« مبطان» هو الشخص الذى إمتلأت بطنه من الطعام، من مادة« بطن» وهذه المفردة صيغة مبالغة.

[۲۵۳] (۴).« غرثى» تعنى الجوعان(وصيغة المفرد المؤنثة وجاء صفة للبطون).

[۲۵۴] (۵).« حرّى» بمعنى العطشان من مادة« حرارة».

[۲۵۵] (۶).« بطنة» كثرة الأكل(من مادة« بطن»).

[۲۵۶] (۷).« تحنّ» من مادة« حنين» بمعنى التمايل والاستعطاف لإلفات النظر.

[۲۵۷] (۸).« قـدّ» تعنى الجلد أو ما يشبه القربة التى التوضع فيها السوائل، وتطلق أحياناً على قطعات اللحم الجاف التى توضع فى القربة، ويقال عنها« قدّ»، وهذا الشعر لحاتم الطائى صاحب الكرم المعروف لدى العرب(شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۲۸۸).

[۲۵۸] (۱). إرشاد القلوب، للديلمى، ص ۲۲.(شعر أبى العتاهية).

[۲۵۹] (۲).« جشوبة» بمعنى الخشونة والعنف.

[۲۶۰] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۱۵۴.

[۲۶۱] (۲). أوردت هذه الآية فى سورة الأسراء الآية ۲۶، وهى مدنية كما صرح بذلك علماء أهل السنّة، رغم أنّ الآية« فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»(سورة الروم، الآية ۳۸) مكية كما ذهب إليه البعض، وذهب الآخرون بدون الالتفات إلى التفاوت بين الآيتين إلى مكية الآية الثانية ليتخذوها ذريعة فى نفى حادثة فدك.

[۲۶۲] (۳). شواهد التنزيل، ص ۱۶۸.

[۲۶۳] (۴). تفسير فتح القدير، ج ۳، ص ۲۲۴.

[۲۶۴] (۵). تاريخ المدينة المنورة، ج ۱، ص ۱۹۹.

[۲۶۵] (۱). بحار الأنوار، ج ۲۹، ص ۱۲۹.

[۲۶۶] (۲). الاحتجاج، للطبرسى، ج ۱، ص ۹۲.

[۲۶۷] (۳). بحار الأنوار، ج ۲۹، ص ۱۹۴.

[۲۶۸] (۴). سنن الدارمى، ج ۱، ص ۹۸؛ سنن ابن ماجة، ج ۱، ص ۸۱، ح ۲۲۳؛ الكافى، ج ۱، ص ۳۲، ح ۲.

[۲۶۹] (۱). صحيح البخارى، ج ۳، ص ۳۵ باب غزوة خيبر.

[۲۷۰] (۲). المصدر السابق، ج ۴، ص ۲۱۰؛ بحار الأنوار، ج ۲۹، ص ۳۳۶.

[۲۷۱] (۳). مستدرك الحاكم، ج ۳، ص ۱۵۳؛ المعجم الكبير، للطبرانى، ج ۲۲، ص ۴۰۱.

[۲۷۲] (۱). فتوح البلدان البلاذرى، ص ۳۸.

[۲۷۳] (۲). زهرا برترين بانوى جهان(الزهراء سيدة نساء العالمين).

[۲۷۴] (۳). فدك، ص ۶۰.

[۲۷۵] (۴). ولمزيد من الإطلاع انظر حول فدك: صحيح البخارى؛ مستدرك الحاكم، تاريخ الطبرى، سنن ابن ماجة وكتاب فدك،

تأليف باقر المقدسى؛ وكتاب فدك فى التاريخ تأليف آية اللّه الشهيد السيّد باقر الصدر؛ وكتاب بحار الأنوار، ج ۲۹.

[۲۷۶] (۱).« المربوطة» تعنى فى هذا المورد الحيوان الذى يربط لغرض زيادة سمنه ولحمه.

[۲۷۷] (۲).« تقمّم» بمعنى أخذ جميع ما يحتاج للسفر من طعام ومتاع، وفى الأصل من مادة« قمّ» على وزن« غمّ» وتعنى تنظيف الدار وتعديلها، وكذلك تطلق على قطف الرياحين والنباتات بشكل كامل بواسطة شفاه الحيوان.

[۲۷۸] (۳).« تكترش» من مادة« كرش» على وزن« كرج» وتعنى معدة الحيوانات، وعليه فإنّ« إكتراش» تعنى امتلاء المعدّة.

[۲۷۹] (۱).« سدى» بمعنى الباطل وعدم الفائدة.

[۲۸۰] (۲).« اعتسف» من مادة« اعتساف» بمعنى أداء العمل بدون فكر وهداية وإرادة، وتعنى الانحراف عن الجادة أيضاً.

[۲۸۱] (۳).« المتاهة» اسم مكان من مادة« تيه» بمعنى الحيرة والضلالة.

[۲۸۲] (۱). سورة القيامة، الآيات ۳۶- ۳۹.

[۲۸۳] (۲). سورة المؤمنون، الآية ۱۱۵.

[۲۸۴] (۳).« منازلة» بمعنى المقاتلة والحرب، من مادة« نزول» فالشخص المقاتل ينزل إلى الميدان فى مقابل خصمه ويقاتله.

[۲۸۵] (۴).« الرواتع» جمع« راتع» وهنا جاءت معنى الشجرة المزدهرة، من مادة« رتع» على وزن« نفع» بمعنى الأكل من المرتع.

[۲۸۶] (۱).« العذية» تطلق على الأرض البعيدة عن الماء، ولا يرويه إلّا ماء المطر.

[۲۸۷] (۲).« وقود» بمعنى الحطب.

[۲۸۸] (۳).« خمود» أى انطفاء النار ثمّ اطلقت على كلّ شيءٍ يهدأ ويسكن من نشاطه وفعاليته.

[۲۸۹] (۱). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۹ من الكلمات الغريبة للإمام عليه السلام.

[۲۹۰] (۲). كفاية الطالب، ص ۳۱۵ وما بعده طبقاً لنقل شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۷، ص ۴۶۸ و ۴۶۹.

[۲۹۱] (۳). تذكرة الخواص، ص ۳۷.

[۲۹۲] (۴). مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۵۱.

[۲۹۳] (۱). بحار الأنوار، ج ۳۱، ص ۲۵۹؛ تاريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۵۶.

[۲۹۴] (۲).« المركوس» أى المنقلب، من مادة« ركس» على وزن« عكس» أى انقلاب الشىء ظهر على عقب، أو وضع الشىء برأسه على الأرض.

[۲۹۵] (۳).« المدرة» قطعة الطين الجاف.

[۲۹۶] (۴).« الحصيد» بمعنى النبات المحصود من مادة الحصاد.

[۲۹۷] (۱). سورة التوبة، الآية ۷۳.

[۲۹۸] (۲). سورة آل عمران، الآية ۱۵۹. ويقول الفخر الرازى فى تفسيره لسورة الحمد، ج ۱، ص ۲۳۵:« لقد اشتهر أنّ النّبى صلى الله عليه و آله لمّا كسرت رباعيته قال:« اللّهمّ إهد قومى فإنّهم لا يعلمون».

[۲۹۹] (۱).« إليك عنّى» جملة تتشكل كلّ واحد منهما ظاهراً من جار ومجرور، فى حين أنّ« إليك» اسم فعل بمعنى« أبعد». ويحتمل أن تكون جملة لفعل مقدّر وهو« أرجع» و« أبعد»، يعنى« أرجع إليك وأبعد عنّى».

[۳۰۰] (۲).« غارب» بمعنى المحل الذى يقع على ظهر ورقبة الناقة، ويأتى بمعنى الرقبة وآخر نقطة من الظهر.

[۳۰۱] (۳).« انسللت» من مادة« سلّ» على وزن« حلّ» بمعنى سحب واخراجه بهدوء.

[۳۰۲] (۴).« مخالب» جمع« مخلب» على وزن« منبر» تطلق على أظافر الطيور والوحوش.

[۳۰۳] (۵).« أفلتّ» من مادة« فلت» على وزن« برف» بمعنى الخلاص والتحرر.

[۳۰۴] (۶).« حبائل» جمع« حبالة» بمعنى المصيدة والشرك.

[۳۰۵] (۷).« مداحض» جمع« مدحض» على وزن« مركز» بمعنى منزلق.

[۳۰۶] (۱).« مداعب» جمع« مدعبة» على وزن« مكتبة» بمعنى المزاح والمداعبة.

[۳۰۷] (۲).« رهائن» جمع« رهينة».

[۳۰۸] (۳).« مضامين» جمع« مضمون» فىالأصل تعنى الجنين فى باطن امّه، ثمّ اطلقت على كلّ شىء فى مطاوى شىء آخر.

[۳۰۹] (۴).« اللحود» جمع« لحد» على وزن« مهد» ويعنى الشق الذى يقع فى أسفل القبر ويوضع الميت فيه.

[۳۱۰] (۵). الأنوار البهية، ص ۲۴۴.

[۳۱۱] (۱). شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۶، ص ۳۹۰؛ بحار الأنوار، ج ۱۲، ص ۱۷۵.

[۳۱۲] (۲).« المهاوى» جمع« مَهوى» و« مَهواة» يعنى الوادى ويطلق على كلّ مكان خطر يتعرض فيه الإنسان للهلكة.

[۳۱۳] (۳).« ورد» تعنى فى الأصل الوصول إلى حافة النهر، ثمّ اطلقت على كلّ وصول أو دخول.

[۳۱۴] (۴).« صدر» ضد« ورد» يعنى الخروج من الشاطىء ثمّ اطلقت على كلّ أنواع من الخروج.

[۳۱۵] (۱). سورة يوسف، الآية ۱۱۱.

[۳۱۶] (۲). سورة الدخان، الآيات ۲۵- ۲۹.

[۳۱۷] (۳).« دحض» بعنى منزلق.

[۳۱۸] (۴).« زلق» من مادة« زلق» على وزن« دلق» بمعنى التزحلق.

[۳۱۹] (۵).« لجج» جمع« لجة» على وزن« حجّة» بمعنى القسم العظيم المتلاطم من البحر.

[۳۲۰] (۶).« ازورّ» من مادة« ازورار» بمعنى الجنوح والانحراف من شىء، وهو من مادة« الزيارة».

[۳۲۱] (۷).« مناخ» فى الأصل بمعنى المحل الذى يبرك فيه الإبل، ثمّ اطلقت على كلّ محل للإستقرار.

[۳۲۲] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۴۵۹، ح ۲۱.

[۳۲۳] (۲).« اعزُبى» أى ابتعدى عنّى من مادة« عزوب» على وزن« غروب» بمعنى الابتعاد عن الشىء، ويطلق على من لم‌يتزوج أعزب لأنّه بعيد عن الحياة العائليّة.

[۳۲۴] (۳).« أسلس» من مادة« سلاسة» بمعنى المطيع وتأتى أحياناً بمعنى السهل والميسور.

[۳۲۵] (۱). سورة إبراهيم، الآية ۲۲.

[۳۲۶] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۳۶۳.

[۳۲۷] (۱).« أيم اللَّه» بمعنى« اقسم باللَّه»، وقيل إنّها فى الأصل من« أيمن» جمع يمين بمعنى القسم، وألفه ألف وصل، وتقرأ أحياناً بالفتح وأخرى الكسر، ثمّ حذفت النون منها وصارت« أيم اللَّه»، وأحياناً تحذف الياء أيضاً ويقال:« امُ اللَّه» وعلى أيّة حال نظراً لأنّ هذه العبارة جمع، فإنّها تدلّ على القسم المؤكّد.

[۳۲۸] (۲).« رياضة» فى الأصل بمعنى ترويض وتطويع النفس أو البدن وتربيته، ومن هذه الجهة يقال للرياضات الجسمانيّة والنفسانيّة بأشكالها المختلفة« رياضة» ويقال للبستان روضة من جهة أنّ الإنسان يهتم بتنظيمها وترتيبها وفق برنامج مدروس لتكون مزدهرة وخضراء.

[۳۲۹] (۳).« تهش» من مادة« هشاشة» على وزن« حوالة» بمعنى الفرح التبسم.

[۳۳۰] (۴).« مأدوماً» من مادة« إدام» بمعنى المرق(الشى الذى يأكل مع الخبز) وعليه فإنّ« مأدوم» الشىء الذى يؤكل‌على شكل مغمس بالمرق.

[۳۳۱] (۱).« مقلة» يطلق على كرة العين بأجمعها، وأحياناً يراد منها سواد العين فقط.

[۳۳۲] (۲).« نضب» من مادة« نضوب» فى الأصل بمعنى ذهاب الماء فى الأرض وجفاف البئر أو الغدير، وهذه المفردة تستعمل أحياناً فى مورد العين أيضاً عندما يجف دمعها.

[۳۳۳] (۳).« معين» من مادة« معن» على وزن« طعن» بمعنى جريات الماء و« ماء معين» يراد منها الماء الجارى، ثمّ استخدمت فى جريان الدموع من العيون.

[۳۳۴] (۴). سورة الكهف، الآيتان ۲۳ و ۲۴.

[۳۳۵] (۱).« السائمة» الحيوان الذى يترك ليرعى فى الصحراء، من مادة« سوم» على وزن« قوم».

[۳۳۶] (۲).« رعيها» تعنى العلف الذى يأكله الحيوان أثنا الرعى، من مادة« رعى» على وزن« وحى».

[۳۳۷] (۳).« تبرك» من مادة« بُروك» بمعنى الاستقرار والهدوء على الأرض.

[۳۳۸] (۴).« الربيضة» قطيع الغنم وأمثال ذلك عندما يعود مع الراعى إلى محل استقراره أى الحضيرة. من مادة« ربض» و« ربوض» على وزن« قبض» و« قبوض» أى جمع الحيوان ليده ورجله للجلوس على الأرض.

[۳۳۹] (۵).« عشب» النباتات الرطبة فى مقابل الحشيش وهو النباتات الجافة.

[۳۴۰] (۶).« يهجع» من مادة« هجوع» على وزن« ركوع» بمعنى النوم الخفيف.

[۳۴۱] (۷).« الهاملة» الحيوان المتروك من مادة« همل» على وزن« حمل» بمعنى ترك الحيوان بدون راعى.

[۳۴۲] (۸).« المرعية» اسم مفعول من مادة« رعى» على وزن« سعى» وهو الحيوان الذى يساق للمرعى.

[۳۴۳] (۹). مجانى الأدب، ج ۲، ص ۳۷.

[۳۴۴] (۱). غرر الحكم، ح ۴۸۰۹.

[۳۴۵] (۲). المصدر السابق، ح ۴۷۹۱.

[۳۴۶] (۳). كنز العمّال، ح ۴۴۱۷۶.

[۳۴۷] (۴). ميزان الحكمة، ح ۷۵۴۱.

[۳۴۸] (۵). تذكرة الأولياء، ج ۱، ص ۲۳۵.

[۳۴۹] (۱).« تاريخ تصوف» للدكتور الغنى، ص ۳۶۱، بالفارسية.

[۳۵۰] (۲). تذكرة الأولياء، ج ۲، ص ۱۶۴.

[۳۵۱] (۱). سورة المؤمنون، الآية ۵۱.

[۳۵۲] (۱).« طوبى» مؤنث« أطيب» ولها معنىً واسع وتشمل أطهر وأفضل الخيرات والطيبات، وفى مثل هذه المواردتشبه الدعاء للآخرين.

[۳۵۳] (۲).« عركت» من مادة« عرك» على وزن« أرك» فى الأصل تعنى التمرغ ثمّ اطلقت على كلّ ما يؤثر على كلّ شىء وينتهى لفنائه وزواله.

[۳۵۴] (۳).« بؤس» يعنى كلّ أشكال الانزعاج والمساءة وهى فى مقابل النعمة والراحة.

[۳۵۵] (۴).« غمض» من مادة« غموض» بمعنى غض النظر عن الشىء وعدم رؤيته، ثمّ اطلقت على حالة النوم، لأنّ الإنسان يغمض عينه فيه، وفى الجملة أعلاه قصد بها هذا المعنى.

[۳۵۶] (۵).« كرى» يعنى النوم.

[۳۵۷] (۱).« توسّد» من مادة« وسادة» بمعنى المتكأ والمخدة.

[۳۵۸] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۸۴، ح ۷.

[۳۵۹] (۳). من لا يحضره الفقيه، ج ۴، ص ۳۵۸، ح ۵۷۶۲.

[۳۶۰] (۱).« أسهر» من مادة« سهر» على وزن« سفر» بمعنى اليقظة.

[۳۶۱] (۲).« تجافت» من مادة« تجافى» بمعنى التنحى والابتعاد ومادته الأصليّة« جفاء» بمعنى أبعاد الشىء.

[۳۶۲] (۳).« مضاجع» جمع« مضجع» بمعنى محل النوم.

[۳۶۳] (۴).« همهمت» من مادة« همهمة» بمعنى الكلام بصورة همس.

[۳۶۴] (۵).« تقشّعت» من مادة« تقشّع» على وزن« توقع» ويعنى التلف والتفرق من مادة« قشع» على وزن« مشق» بمعنى الرفع والدفع.

[۳۶۵] (۶). سورة السجدة، الآية ۱۶.

[۳۶۶] (۷). سورة الذاريات، الآيتان ۱۷ و ۱۸.

[۳۶۷] (۸). سورة المجادلة، الآية ۲۲.

[۳۶۸] (۹).« ولتكفف» من مادة« كفّ» بمعنى المنع، ولكن فى الكثير من نسخ نهج البلاغة وشروحها وردت« وَلْتَكْفِكَ» من مادة« كفاية» يعنى أنّ أقراص الخبز كافية لك فلا تقصد الموائد الفاخرة والأطعمة الملونة.

[۳۶۹] (۱). مروج الذهب، ج ۳، ۳۱۰.

[۳۷۰] (۱). ورد هذا الكلام عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى سنن الترمذى، ص ۲۴۴۳. وكذلك ورد هذا الحديث فى وسائل الشيعة ج ۱۱، ص ۳۱۵، ح ۱۳ باب استحباب الزهد فى الدنيا وحد الزهد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً.

[۳۷۱] (۲). نهج البلاغة، الخطبة ۸۱.

[۳۷۲] (۳). بحار الأنوار، ج ۷۹، ص ۲۹۹.

[۳۷۳] (۴). المصدر السابق، ج ۴۲، ص ۲۷۶.

[۳۷۴] (۱). كنز العمال، ح ۸۵۶۶.

[۳۷۵] (۱). المؤمنون هنا، بقرينة الآية السابقة إشارة إلى أميرالمؤمنين الإمام على عليه السلام وهى آية الولاية واعطاء الإمام خاتمه فى حال الركوع، وعلى فهذه الآية نازلة فى شأنه عليه السلام.

[۳۷۶] (۱). سند الرسالة: أجمل الكثير من شرّاح فى من هو المخاطب فى هذه الرسالة، ولكنّ صاحب كتاب(مصادر نهج البلاغة) يرى أنّ المخاطب لها هو مالك الأشتر، وكذلك ذكره صاحب كتاب(تمام نهج البلاغة) ويضيف صاحب المصادر: عندما عاد الإمام على عليه السلام من صفين أرسل مالك الأشتر إلى منطقة حكومته وإدارته« منطقة الجزيرة»(وفقاً لما ورد فى معجم البلدان أنّ الجزيرة منطقة فى العراق تقع بين نهرى دجلة والفرات) وعندما انتهت قضيّة التحكيم وتغيرت أوضاع مصر أرسل الإمام على عليه السلام مالك الأشتر إلى مصر بدلًا من محمّد بن أبى بكر وأرسل معه هذه الرسالة وقال: إنّ هذه المهمّة لا يقوم بها إلّاأنت، وأعطاه رسالة العهد التى ستأتى فى الرقم ۵۳.

ومن الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى، إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات، وكذلك البلاذرى فى أنساب الأشراف، والطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة ۳۸، ومن الأشخاص الذين ذكروا هذه الرسالة بعد السيّد الرضى، ابن الأثير فى كتابه« الكامل».(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۷۶).

[۳۷۷] (۱).« استظهر» من مادة« استظهار» بمعنى طلب المعونة والمساعدة.

[۳۷۸] (۲).« أقمع» من مادة« قمع» على وزن« قرض» بمعنى انصراف الشخص من إنجاز هدفه، وبمعنى القهر والضغط على الشخص للاستسلام، و« مِقمعة» تعنى العمود الحديدى الذى يضرب به الشخص أو الحيوان المتمرد على رأسه لمنعه من التمرد.

[۳۷۹] (۳).« نخوة» التكبّر والغرور.

[۳۸۰] (۱).« لهاة» بمعنى اللسان الصغير، ثمّ اطلقت على المخنق والحنجرة كما ورد فى الجملة أعلاه.

[۳۸۱] (۲).« الثغر» يعنى حدود البلد وفى الأصل بمعنى كلّ شقّ.

[۳۸۲] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۵۰۱، حوادث سنة ۳۶.

[۳۸۳] (۲).« منبج» على وزن« مجلس» اسم مدينة من مدن الشام.

[۳۸۴] (۳).« ضغث» على وزن« حرص» تعنى قبضة من الأعواد الرفيعة مثل سيقان الحنطة والشعير أو محمل التمر فى النخلة، ويأتى بمعنى حزمة من حطب أو نبات الجاف أيضاً، وأحياناً تطلق على المنامات المضطربة، وهنا وردت بمعنى مجموعة من عوامل اللين.

[۳۸۵] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۱۹، ح ۶.

[۳۸۶] (۲). مجانى الأدب، ج ۲، ص ۴۸.

[۳۸۷] (۱). مجانى الأدب، ج ۲، ص ۱۰۱.

[۳۸۸] (۲). سورة الحجر، الآية ۸۸.

[۳۸۹] (۳). سورة آل عمران، الآية ۱۵۹.

[۳۹۰] (۴).« آس» من مادة« مواساة» تعنى وقوع الأشياء فى صف واحد والتساوى فى المرتبة.

[۳۹۱] (۵).« حيف» الانحراف عن الحقّ والعدالة.

[۳۹۲] (۱). سند الرسالة: نقل هذه الوصيّة جماعة كثيرة قبل السيّد الرضى، ومنهم أبومخنف(لوط بن يحيى طبقاً لنقل مقاتل الطالبيين) وأبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرون، والطبرى فى تاريخه المعروف فى حوادث سنة ۴۰، والكلينى فى كتاب الكافى، والمسعودى فى مروج الذهب، والشيخ الصدوق فى من لا يحضره الفقيه، وجماعة آخرون.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۷۹- ۳۸۱).

[۳۹۳] (۱).« تبغيا» و« بغت» كلاهما من مادة« بغاء» على وزن« سناء» بمعنى طلب الشىء.

[۳۹۴] (۲).« زوى» من مادة« زىّ» على وزن« حىّ» وتعنى الإبعاد والنهى، وفى الجملة أعلاه« زوى» بمعنى اخذ.

[۳۹۵] (۳). سورة الحديد، الآية ۲۰.

[۳۹۶] (۴). سورة الحديد، الآية ۲۳.

[۳۹۷] (۱). تفسير در المنثور، ذيل الآية ۱۰ من سورة الحشر.

[۳۹۸] (۲). ميزان الحكمة، ج ۳، باب الحزن، ح ۳۷۸۹. وللاطلاع أكثر انظر الرسالة ۲۲ من هذا الكتاب.

[۳۹۹] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۲، ح ۸.

[۴۰۰] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۳۵۹.

[۴۰۱] (۲). غرر الحكم، ص ۴۴۶، ح ۱۰۲۱۰.

[۴۰۲] (۱). جاء فى رواية وفقاً لما ذكر صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة: عندما عاين الطبيب المعروف فى الكوفةالإمام عليه السلام قال: أنا آيس من بقاءك وحياتك، فأمر الإمام عليه السلام بأن يأتوا له بدواة وقلم.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۷۹).

[۴۰۳] (۲).« ذات» فى الأصل بمعنى الخلقة والبنية وأساس الشىء، وإن جاء فى اصطلاح الفلاسفة بمعنى عين الشىءوحقيقته، ومن هذه الجهة فإنّ إصلاح ذات البين أو صلاح ذات البين إشارة إلى إزالة الكدورات والأحقاد من الأصل والأساس.

[۴۰۴] (۱). سورة الحجرات، الآية ۱۳.

[۴۰۵] (۱). تفسير الثعلبى، ج ۹، ص ۸۰.

[۴۰۶] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۲۰۹، ح ۱.

[۴۰۷] (۱). الختن، زوج بنت الرجل وزوج اخته.

[۴۰۸] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۲۰۹، ح ۳ و ۴.

[۴۰۹] (۳). كنز العمّال، ح ۵۴۸۰؛ مجموعة ورام، ج ۱، ص ۳۹.

[۴۱۰] (۴). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۴۴.

[۴۱۱] (۵). المصدر السابق، ص ۴۳.

[۴۱۲] (۱).« تغبوا» من مادة« غَبّ» على وزن« حد» بمعنى العاقبة، وهذه المفردة تأتى أحياناً فى مورد الأعمال والأمور التى يؤتى بها بشكل غير متوالى، من قبيل ما ورد فى الحديث الشريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال لبعض أصحابه:« زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً»(مستدرك الوسائل، ج ۱۰، ص ۳۷۴، ح ۱۲۲۱۰).

[۴۱۳] (۱). مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۵۰۶.

[۴۱۴] (۲). المصدر السابق.

[۴۱۵] (۳). من بلاد كردستان قريبة من بغداد.

[۴۱۶] (۴). الكافى، ج ۱، ص ۴۰۶، ح ۵.

[۴۱۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۲۹.

[۴۱۸] (۲).« سيورثهم»« ورث»(صيغة الثلاثى المجرّد) تعنى أخذ الميراث، ولكن« ورّث» من باب التفعيل تعنى اعطاء الميراث أو ترك الميراث.

[۴۱۹] (۱). مستدرك الوسائل، ج ۸، ص ۴۲۴، ح ۱۴.

[۴۲۰] (۲). انظر: وسائل الشيعة، ج ۸، ص ۴۹۱، آداب العشره، باب ۹۰.

[۴۲۱] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۷، ص ۹.

[۴۲۲] (۱). بهج الصباغة، ج ۱۱، ص ۸۰.

[۴۲۳] (۲). نهج البلاغة، الخطبة ۱۸۲.

[۴۲۴] (۱). التهذيب، ج ۲، ص ۲۳۷، ح ۵.

[۴۲۵] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۹، ص ۲۱۸، ح ۳۶.

[۴۲۶] (۳). ذكر المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار، ج ۴۲، ص ۲۵۱، وجماعة من شرّاح لنهج البلاغة معنى الجملة كما ذكرناه فى المتن، وبهذا المعنى ورد فى مجمع البحرين، ولكن جماعة من الأكابر كالفيض الكاشانى فى الوافى، والمحقق السبزوارى فى ذخيرة المعاد، والسيّد أحمد العاملى فى مناهج الأخيار فى شرح الاستبصار فسّروا جملة:« لم تناظروا» بمعنى« لم تمهلوا».

[۴۲۷] (۱). الكافى، ج ۴، ص ۲۷۱.

[۴۲۸] (۲). ورد فى بعض نسخ الوسائل« ما أخلفك».

[۴۲۹] (۳). الكافى، ج ۴، ص ۲۷۱، ح ۱.

[۴۳۰] (۱). تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۱۲۳، ح ۸.

[۴۳۱] (۲). الكافى، ج ۵، ص ۸، ح ۱۱.

[۴۳۲] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۴۵، ح ۵.

[۴۳۳] (۲). المصدر السابق، ص ۳۴۶، ح ۷.

[۴۳۴] (۳). المصدر السابق، ص ۳۴۴، ح ۱.

[۴۳۵] (۱). الكافى، ج ۵، ص ۵۶، ح ۳.

[۴۳۶] (۱). الكافى، ج ۵، ص ۵۵، ح ۱.

[۴۳۷] (۲). المصدر السابق.

[۴۳۸] (۳). المصدر السابق، ص ۵۹، ح ۱۱.

[۴۳۹] (۱).« ألفينكم» من مادة« لفو» على وزن« لهو» فى الأصل بمعنى فصل الشىء عن غيره، مثل فصل اللحم عن‌العظم، والفاء هنا بمعنى العثور على الشىء فجأة.

[۴۴۰] (۲).« تخوضون» من مادة« خوض» فى الأصل بمعنى الغمس فى الماء، ثمّ اطلقت على الدخول العميق والتوغل فى كلّ شىء حتى فى البحوث العلمية.

[۴۴۱] (۱). انظر: شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۱۱، ص ۸۷.

[۴۴۲] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۱۱۱؛ الكامل، لابن الأثير، ج ۳، ص ۳۹۰.

[۴۴۳] (۲).« تمثّلوا» من مادة« مثل» على وزن« أصل» بمعنى قطع وفصل أعضاء البدن فى العقوبة.

[۴۴۴] (۳).« عقور» بمعنى المتوحش والهارى، وهى صيغة مبالغة من مادة« عقر» على وزن« عقد» بمعنى إصابته بجرح، وهذه المفردة تستخدم غالباً فى الكلاب، ولكن أحياناً تطلق على حيوانات أخرى.

[۴۴۵] (۴). سورة النحل، الآية ۱۲۶.

[۴۴۶] (۵). التفسير الأمثل، ذيل الآية ۱۲۶ من سورة النحل، نقلًا عن تفسير العياشى والدر المنثور والميزان.

[۴۴۷] (۶). بحار الأنوار، ج ۱۰۱، ص ۲۱۶، ح ۴.

[۴۴۸] (۱). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، وكذلك نقلها نصر بن مزاحم فى كتابه عن ابن دَيزيل وكلاهما كان يعيشان قبل السيّد الرضى، وكذلك ذكر أحمد بن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح وكان أيضاً قبل السيّد الرضى وأوردها بشكل أكثر تفصيلًا ممّا أورده السيّد الرضى، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر لهذه الرسالة.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۸۳ و ۳۸۴).

[۴۴۹] (۱).« الزور» على وزن« كور» فى الأصل من مادة« زور» على وزن« غور» وتعنى القسم العلوى من الصدر، ثم اطلقت‌على كل شىء ينحرف عن الحد الوسط، وبما أنّ الكلام الباطل منحرف عن الحق يقال له« زور»، وشهادة الزور تعنى شهادة الكذب والباطل.

[۴۵۰] (۲).« يوتغان» من مادة« وتغ» على وزن« وجب» بمعنى هالك وفاسد، وعندما تأتى من باب الأفعال تعنى إهلاك وإفساد.

[۴۵۱] (۱). انظر: بحار الأنوار، ج ۳۲، ص ۵۳۷.

[۴۵۲] (۲).« تألوا» من مادة« اليّة» على وزن« عطية» بمعنى القسم واليمين، وعندما تأتى من باب تفعّل(كما فى مورد البحث) تعنى صدور القسم من الطرفين، وفى بعض نسخ نهج البلاغة ورد كلمة« تأولوا» بدلًا من هذه المفردة، وهنا تعنى التفسير بالرأى، يعنى أنّ جماعة ولغرض التوصل إلى غاياتهم يأولون آيات القرآن وفقاً لميولهم وأهوائهم النفسانيّة.

[۴۵۳] (۱).« يغتبط» من مادة« غبطة» وتعنى الفرح والسرور، وأحياناً تأتى بمعنى الحسد،(ولكن ليس الحسد بمعنى‌السلبى يعنى تمنى سلب النعمة من الآخر، بل بمعنى الحصول على النعم التى حصل عليها الآخرون).

[۴۵۴] (۲).« أحمد» من مادة« حمد» بمعنى من يليق للمدح والثناء.

[۴۵۵] (۳).« أمكن» من مادة« إمكان» وهنا جاءت بمعنى التسهل وتوفير وسائل العمل، وبالتالى السيطرة على الشىء أو الشخص.

[۴۵۶] (۴).« قياد» تعنى اللجام، من مادة« قيادة» أى الرئاسة والزعامة.

[۴۵۷] (۱). سورة مريم، الآية ۳۹.

[۴۵۸] (۲). صفين، ص ۴۸۹.

[۴۵۹] (۱). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة ابن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح، والدينورى(المتوفى ۲۸۲) فى أخبار الطوال، ونصر بن مزاحم فى كتاب صفين وكلّهم عاش قبل السيّد الرضى، وقال جماعة من المؤرخين وشرّاح نهج البلاغة بأنّ المخاطب لهذه الرسالة هو عمرو بن العاص(ولمزيد من التوضيح انظر: مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۸۴).

[۴۶۰] (۱).« لهج» بمعنى العلاقة الشديدة والافتتان فى مقابل شىء.

[۴۶۱] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۱۳۶، ح ۲۴.

[۴۶۲] (۳). سورة ص، الآية ۲۳.

[۴۶۳] (۴). سورة ص، الآية ۲۴.

[۴۶۴] (۱). روضة الواعظين، ج ۲، ص ۴۲۹.

[۴۶۵] (۲). روضات الجنات، ج ۷، ص ۸۹ و ۹۰.

[۴۶۶] (۳). الكافى، ج ۲، ص ۵۸۶، ح ۲۴.

[۴۶۷] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۱۹، ح ۱۲.

[۴۶۸] (۲).« أبرم» من مادة« إبرام» بمعنى لف الحبل وتقويته، ثمّ إمتد هذا المعنى ليشمل كلّ عمل محكم ومتقن، وضده النقض، ويعنى فتح العقدة وإضعاف قوّة الشىء.

[۴۶۹] (۳). سورة الدخان، الآيات ۲۵- ۲۸.

[۴۷۰] (۴). سورة الحج، الآية ۴۶.

[۴۷۱] (۱). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة قبل السيّد الرضى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين(مع تفاوت يسير)، وبعد السيّد الرضى ذكرها الشيخ الطوسى فى الأمالى مع اختلاف يسير أيضاً.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۸۷) ومن الأشخاص الذين ذكروا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى أبو جعفر الإسكافى(المتوفى ۲۲۰) فى كتاب المعيار والموازنة، ص ۱۰۳.

[۴۷۲] (۱).« طَوْل» على وزن« قول» بمعنى النعمة ومن مادة« طُول» على وزن« نور» ويبيّن إمتداد الشىء، وبما أنّ النعم الإلهيّة تعتبر إمتداداً وجودياً لواهب النعم، فاطلقت هذه المفردة عليها.

وهذه الكلمة تطلق أحياناً على المقدرة الماليّة أو على كلّ مقدرة، و« اولو الطول» تعنى الأثرياء من الناس.

[۴۷۳] (۲). غرر الحكم، ص ۴۴۸، ح ۱۰۳۰۱.

[۴۷۴] (۱).« احتجز» من مادة« حجز» على وزن« عجز» ومعناه فى الأصل المنع وإيجاد الفاصلة، ثمّ اطلقت على عمليّة الإخفاء والتستر الذى يمنع من مشاهدة الشىء أو الإطلاع عليه.

[۴۷۵] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۲، ص ۳۶۶ وقائع سنة التاسعة للهجرة.

[۴۷۶] (۲). شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ۵، ص ۱۲۹.

[۴۷۷] (۳).« أطوى» من مادة« طى» فى الأصل تعنى إخفاء الشىء، والمعنى الآخر لكلمة« طى» لفّ الشىء ومن هذهالجهة اطلقت على السير فى الطريق« طى طريق» ولا يبعد أنّ كلا المعنيين يعودان لجذر واحد.

[۴۷۸] (۱). الكافى، ج ۷، ص ۴۱۴، ح ۶.

[۴۷۹] (۱). سورة المائدة، الآية ۳.

[۴۸۰] (۲).« تنكصوا» من مادة« نكص» على وزن« مكث» تعنى العودة من الشىء أو المكان، وبما أنّ التمرد وعدم الطاعة نوع من

العودة عن طريق الطاعة، استخدمت هذه الكلمة بهذا المعنى.

[۴۸۱] (۱).« غمرات» جمع« غمرة» على وزن« ضربة» فى الأصل من غمر وبمعنى إزالة أثر الشيء، ثمّ استخدمت فى الماءالكثير الذى يغطى جميع الوجه الشيء وظاهره، ويقال: غمرة وغامر، وفى العبارة أعلاه جاءت بمعنى أمواج الشدائد والمشكلات.

[۴۸۲] (۱). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۲۶.

[۴۸۳] (۲). سورة المائدة، الآية ۲۴.

[۴۸۴] (۳). سيرة ابن هشام، ج ۲، ص ۲۶۶ و ۲۶۷؛ الكامل، لابن الأثير، ج ۲، ص ۱۲۰.

[۴۸۵] (۱).« أعوجّ» من مادة« عَوج» على وزن« حرج» وتعنى انحراف الشيء وميلانه و« عِوج» بكسر العين، اسم مصدر وتشمل كلّ أشكال الانحراف والاعوجاج، وتطلق أحياناً بمعنى الانحرافات المعنويّة والعمليّة وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى.

[۴۸۶] (۱). سند الرسالة: ذكر هذه الرسالة قبل السيّد الرضى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، بشكل رسالتين وقد وردتا فى مكانين مختلفتين من هذا الكتاب مع تفاوت يسير عمّا أورده السيّد الرضى.(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۳۸۹)، وكذلك ذكرها أبوجعفر الإسكافى الذى كان يعيش قبل السيّد الرضى فى كتابه المعيار والموازنة، ص ۱۲۲، ولكنّه ذكر مقاطع من هذه الرسالة تشبه الرسالة مورد البحث، ولكن يحتمل كونها رسالة أخرى، وفى كتاب تمام نهج البلاغة، ص ۷۷۶ توجد رسالة شبيهة لرسالة أبى جعفر الإسكافى.

[۴۸۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۷۸.

[۴۸۸] (۲). سورة الحج، الآية ۷۸.

[۴۸۹] (۳). سورة البقرة، الآية ۱۸۵.

[۴۹۰] (۱). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۹۰.

[۴۹۱] (۲). الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ۱۹، ص ۵۲.

[۴۹۲] (۱). انظر: جواهر الكلام، ج ۲۲، ص ۲۰۰.

[۴۹۳] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۴۶، ح ۱۰.

[۴۹۴] (۲).« تحشموا» من مادة« احشام» وفى الأصل« حشم» على وزن« كرم» بمعنى إخجال الطرف الآخر، وعندما تأتى من باب الإفعال، تشير إلى هذا المعنى أيضاً، وأحياناً تأتى بمعنى الاغضاب أيضاً، وفى الجملة أعلاه المعنى الأوّل أنسب، و« حشمت» على وزن« حكمت» تعنى الحياء والخجل، وأحياناً بمعنى اللياقة أيضاً.

[۴۹۵] (۱).« معاهد» تستعمل فى معنيين، أحدهما أهل الذمّة والأقلّيات الدينيّة فى داخل البلدان الإسلاميّة الذين يعيشون بسلام مع المسلمين، والآخر: الكفّار الذين يعيشون خارج البلدان الإسلاميّة وتربطهم مع المسلمين رابطة العهد والميثاق، وفيما نحن فيه فالمراد المعنى الأوّل.

[۴۹۶] (۲).« تدّخروا» من مادة« ذخيرة» وعندما تأتى من باب إفتعال تتبدل الدال إلى ذال، والتاء فى باب افتعال تتبدلأيضاً إلى دال، وعليه فإنّ« لا تدخروا» تعنى لا تذخروا ولا تبقوا فى أنفسكم نصيحة.

[۴۹۷] (۱). وردت فى بعض الروايات هذه الجملة وما بعدها فى رسالة الإمام عليه السلام إلى قادة جيشه.(من كتاب صفين لنصر بن مزاحم، ص ۱۲۵)، والتعبير بالجند يتناسب مع هذا النقل.

[۴۹۸] (۲).« ابلوا»(من باب إفعال) بمعنى السعى وبذل الجهد لأداء الشيء، وأحياناً تأتى بمعنى الامتحان والاختبار أوالتحلل والانحلال، وفى هذا المورد جاء بالمعنى الأوّل.

[۴۹۹] (۳).« اصطنع» من مادة« اصطناع» بمعنى طلب الشيء، وأحياناً تأتى بمعنى صناعة الشيء وتربيته، وهنا جاءت بالمعنى الأوّل.

[۵۰۰] (۱). سند الرسالة: جاء فی کتاب مصادر نهج البلاغة أنّ هذه الرسالة ذکرها أبومنصور الثعالبی من المعاصرین للسیّد الرضی فی الباب الثالث من کتاب« الإعجاز والإیجاز» مع تفاوت ملفت، وقد ذکر صاحب المصادر هذا التفاوت، وفی المجموع یستنتج أنّ الثعالبی(قطعاً) لم یأخذ هذه الرسالة من نهج البلاغة للسیّد الرضی.(مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۳۹۰).

[۵۰۱] (۱).« تفیء» من مادة« فیء» یعنی العودة والرجوع.

[۵۰۲] (۲).« مربض» من مادة« ربض» علی وزن« نبض» بمعنی جلوس الحیوان علی صدره علی الأرض، وبما أنّ الحیوانات تجلس بهذه الصورة فی الحضیرة غالباً فإنّ المربض یأتی بمعنی الحضیرة محل استراحة الأغنام والماعز.

[۵۰۳] (۳).« عنز» الانثی من الماعز، والماعز یطلق علی کلّ أشکال هذا الحیوان، وأحیاناً یأتی بمعنی الحیوان الذی یملک الشعر من الأنعام لا الصوف، وقصیر الذَنَب.

[۵۰۴] (۱). ورد فی بعض نسخ نهج البلاغة بدل کلمة« حتی» حین. مثل کتاب اختیار مصباح السالکین، ص ۵۳۹ وکتاب‌حدائق الحقائق، ج ۲، ص ۵۱۷.

[۵۰۵] (۲). سورة الاسراء، الآیة ۷۸.

[۵۰۶] (۱). من لا یحضره الفقیه، ج ۱، ص ۲۸۳، ح ۸۷۰.

[۵۰۷] (۲). بحار الأنوار، ج ۳۳، ص ۶۰۷.

[۵۰۸] (۱). صحیح مسلم، ج ۲، ص ۱۵۱، باب الجمع بین الصلاتین فی الحضر، ح ۴۵ و ۵۰.

[۵۰۹] (۲). صحیح البخاری، ج ۱، ص ۱۴۰، باب وقت المغرب.

[۵۱۰] (۳). مصنّف عبدالرزاق، ج ۲، ص ۵۵۶.

[۵۱۱] (۴). المعجم الکبیر الطبرانی، ج ۱۰، ص ۲۱۹، ح ۱۰۵۲۵.

[۵۱۲] (۵). مسند البزاز، ج ۱، ص ۲۸۳.

[۵۱۳] (۱). سورة الاسراء، الآیة ۷۸.

[۵۱۴] (۲). التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ج ۲۱، ص ۲۷.

[۵۱۵] (۱). سند الرسالة العهدیة: هذه الرسالة المعروفة بعهد الإمام علیه السلام لمالک الأشتر من أشهر کتب ورسائل أمیرالمؤمنین علیه السلام والغنیة عن التعریف ولا تحتاج لذکر السند، وهذه الرسالة وردت فی کتب کثیرة قبل السیّد الرضی وکذلک بعده، وفی الحقیقة أنّ شهرة هذه الرسالة أسمی وأعلی من أن تحتاج إلی شرح مدارکها.

[۵۱۶] (۲) ولکنّ صاحب کتا ب مصادر نهج البلاغة یصرّح أنّ جماعة من الأکابر قبل السیّد الرضی، مثل الحسن بن علی بن شعبة(المتوفی ۳۳۲) ذکرها فی‌کتاب تحف العقول، وذکرها القاضی النعمان المصری(المتوفی ۳۶۷) فی کتاب دعائم الإسلام، وذکرها بعد السیّد الرضی، الرجالی المعروف النجاشی فی کتابه« الفهرست» فی شرح حال الأصبغ بن نباتة، وکذلک الشیخ الطوسی فی کتابه الفهرست، والنویری فی نهایة العرب مع اختلاف یسیر، وابن عساکر(المتوفی ۵۷۱) فی تاریخ مدینة دمشق حیث ذکر مقاطع منها.

والجدیر بالذکر أنّ العلماء والکتّاب کتبوا شروحاً کثیرة جدّاً علی هذه الرسالة، منهم: ۱. آداب الملوک نظام العلماء، ۲. أساس السیاسة للواعظ المعروف الشیخ محمّد الکجوری الملقب بسلطان المتکلّمین. ۳. التحفة السلیمانیة للسیّد ماجد البحرانی(المتوفی بعد ۱۰۹۷). ۴. الراعی والرعیّة للکاتب الاستاد توفیق الفکیکی. ۵. السیاسة العلویة تألیف عبدالواحد آل مظفر. ۶. شرح عهد أمیرالمؤمنین لمحمّد باقر بن صالح القزوینی. ۷. شرح عهد أمیرالمؤمنین للعلّامة المجلسی(المتوفی ۱۱۱۱). ۸. شرح عهد أمیرالمؤمنین للمیرزا حسن بن السیّد علی القزوینی(المتوفی ۱۳۵۸). ۹. شرح عهد أمیرالمؤمنین للمیرزا محمّد بن سلیمان التنکابنی. ۱۰. شرح عهد أمیرالمؤمنین الشیخ هادی بن محمّد حسین القائینی. ۱۱. شرح الفاضل. ۱۲. الفرمان المبارک لجواد. ۱۳. نصایح الملوک للمولی أبی الحسن

العاملى. ۱۴. مقتبس السياسة وسياج الرئاسة. ۱۵. القانون الأكبر فى شرح عهد الإمام للأشتر للسيّد مهدى السويج. ۱۶. مع الإمام على فى عهده لمالك الأشتر للعلّامة الشيخ محمّد باقر الناصرى(مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۴۲۶) وهناك شروح كثيرة أخرى كتبت فى عصرنا الحاضر، وقد سمعنا فى الأخبار أنّ هذه الرسالة ترجمت إلى لغات مختلفة ووضعت فى مبنى الامم المتحدة بعنوان سند تاريخى ووزعت على نوّاب دول العالم فى الامم المتحدة.

[۵۱۷] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۶، ص ۷۲ و ۷۳.

[۵۱۸] (۱). مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۴۲۵.

[۵۱۹] (۱). كتبنا فى شرح حال عبد اللّه أبى سرح- الأخ الرضاعى لعثمان- فى الإسلام، فى ذيل الرسالة ۳۸ من الجزءالتاسع من هذا الكتاب.

[۵۲۰] (۱).« جباية» مثل جمع الزكاة وأموال بيت المال وأمثال ذلك، وفىالأصل من مادة« جباوة» على وزن« عداوة» وتعنى الجمع أو التجميع.

[۵۲۱] (۱).« يزع» من مادة« وزع» على وزن« وضع» بمعنى المنع النفس وحفظها من الجنوح والجموح، وأحياناً تأتى بمعنى جمع الأفراد حول بعضهم، لأنّ ذلك يمنعهم من التفرق والانتشار.

[۵۲۲] (۲).« الجمحات» جمع« جمحة» على وزن« صدقه» بمعنى الحوادث أو عوامل التمرد والعناد.

[۵۲۳] (۱). سورة الفجر، الآية ۲۷.

[۵۲۴] (۲). سورة يوسف، الآية ۵۳.

[۵۲۵] (۱). غرر الحكم، ح ۴۶۸۳.

[۵۲۶] (۱). غررالحكم، ح ۴۷۷۹.

[۵۲۷] (۱). سورة الكهف، الآية ۱۱۰.

[۵۲۸] (۲). سورة فاطر، الآية ۱۰.

[۵۲۹] (۳). سورة العصر، الآيتان ۳ و ۴.

[۵۳۰] (۴).« شحّ» فى الأصل بمعنى البخل المقترن بالحرص، بحيث يصير عادة للإنسان، وهاتان الصفتان من الرذائل الأخلاقيّة المهمّة، وذكر بعض مفسّرى القرآن أنّ« شحّ» أشد من البخل، والاستفادة من هذه المفردة من كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى الالتزام بشدّة على اجتنابك للحرام وحفظ نفسك من هذه الرذيلة كما يمنع البخيل أمواله وثروته من بذلها للناس.

[۵۳۱] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۵، ح ۱.

[۵۳۲] (۲). غرر الحكم، ح ۴۸۹۸.

[۵۳۳] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۴۰۷، ح ۸.

[۵۳۴] (۲).« ضارياً» تعنى المتوحش، من مادة« ضرو» على وزن« ضرب» وفى الأصل بمعنى الهجوم الشديد على شخص أو شىء، ومن هذه الجهة اطلقت هذه الكلمة على هجوم الأغنام على الزرع أيضاً.

[۵۳۵] (۱).« يفرط» من مادة« فرط» على وزن« شرط» بمعنى العجلة والتسرع فى أداء العمل. وهذه المفردة تستخدم فىمورد أن يتحرك الشخص للتسابق فى عمل معين.

[۵۳۶] (۲).« زلل» و« زلة» على وزن« غلة» بمعنى الخطأ والزيغ.

[۵۳۷] (۱). سورة النور، الآية ۲۲.

[۵۳۸] (۱). هذا التعبير يساوق ما ورد فى القرآن الكريم:« وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرايِ حِجابٍ أَوْيُرْسِلَ رَسُولًا»(

سورة الشورى، الآية ۵۱).

[۵۳۹] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۳۵۳، ح ۱۰.

[۵۴۰] (۳).« تبجحنّ» من مادة« بجح» على وزن« وجب» بمعنى الفرح والافتخار.

[۵۴۱] (۴).« بادرة» الأفعال والحركات المتسرعة التى تصدر من الإنسان فى حالات الغضب والحدّة، من مادة« بدور» على‌وزن« صدور» وتعنى السرعة فى العمل.

[۵۴۲] (۵).« مندوحة» بمعنى الوسع وطريق الحل من مادة« ندح» على وزن« مدح» وهذه المفردة ربّما تأتى اسم مفعول وتعنى المكان الذى تمّت توسعته، أو المكان الواسع.

[۵۴۳] (۱). غرر الحكم، ح ۶۸۹۲.

[۵۴۴] (۲). المصدر السابق، ح ۶۸۹۳.

[۵۴۵] (۳).« إدغال» من مادة« دغل» على وزن« عقل» بمعنى الدخول فى مكان بشكل خفى، وبما أنّ الفاسدين و المفسدين يدخلون بهذه الصورة عادة، فإنّ هذه الكلمة تستبطن غالباً معنى الفساد، و« دغل» على وزن« قمر» بمعنى الفساد، وأحياناً تأتى بمعنى الشخص المفسد، وفى العبارة أعلاه جاءت بمعنى الفساد.

[۵۴۶] (۴).« منهكة» من مادة« نهك» على وزن« مدح» بمعنى المتعب والمضعف، وتطلق كلمة منهكة على الضعف والعجز أو على أسباب الضعف والعجز.

[۵۴۷] (۵).« غيَر» بمعنى الحوادث المغيرة للحال جمع« غيرة» على وزن« غيبة».

[۵۴۸] (۱). غرر الحكم، ح ۷۱۷۵.

[۵۴۹] (۲). المصدر السابق، ح ۵۷۵۰.

[۵۵۰] (۳).« ابّهة» بمعنى العظمة، وأحياناً تأتى بمعنى الكبر والغرور، وفى الجملة أعلاه وردت بهذا المعنى.

[۵۵۱] (۱).« مخيلة» بمعنى العُجب والأنانيّة.

[۵۵۲] (۲).« يطامن» من مادة« طمأنة» ويعنى إمتصاص الغيظ وتهدئت النفس وانزال الشىء إلى الأسفل.

[۵۵۳] (۳).« طماح» بمعنى التمرد.

[۵۵۴] (۴).« غرب» بمعنى الشدّة والحدّة.

[۵۵۵] (۵).« عزب» بمعنى الغائب.

[۵۵۶] (۱).« مساماة» بمعنى طلب العلو والمقابلة فى المثل.

[۵۵۷] (۲).« مختال» يعنى المتكبر والمغرور من مادة« خُيَلاء» على وزن« جهلاء» وتعنى التخيلات التى تدعو الإنسان لكى يتصور نفسه كبيراً وعظيماً.

[۵۵۸] (۳). الكافى، ج ۲، ص ۳۰۹، ح ۱.

[۵۵۹] (۴). المصدر السابق، ح ۵.

[۵۶۰] (۱). انظر: الكافى، ج ۲، باب الكبر.

[۵۶۱] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۹۰، ح ۳.

[۵۶۲] (۱).« هوى» بمعنى الميل والعلاقة.

[۵۶۳] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۴۴، ح ۳.

[۵۶۴] (۲). المصدر السابق، ص ۱۴۵، ح ۸.

[۵۶۵] (۳).« ادحض» من مادة« دحض» على وزن« محض» وتعنى بطلان الشيء، وعندما تأتى من باب إفعال تعنى إظهارالبطلان، وإبطال الحجّة فى مورد بمعنى عدم قبول العذر.

[۵۶۶] (۴).« ينزع» من مادة« نزع» على وزن« نظم» يعنى قلع وفصل الشيء وتركه، وينبغى الالتفات إلى أنّ التناسب فى الجملة أعلاه يقتضى أن تكون« أو» بمعنى الواو، وجاء فى بعض نسخ نهج البلاغة واو بدل« أو».

[۵۶۷] (۱).« المضطهدين» جمع« مضطهد» بمعنى المظلوم، من مادة« ضهد» على وزن« مهد» وتعنى الظلم.

[۵۶۸] (۲). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۲، ح ۱۲.

[۵۶۹] (۳). غرر الحكم، ح ۸۰۴۷.

[۵۷۰] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۳، ح ۱۴.

[۵۷۱] (۲). سورة النمل، الآية ۵۲.

[۵۷۲] (۳). التفسير الأمثل، ذيل الآية ۴۲ من سورة الكهف.

[۵۷۳] (۴). سنن ابن ماجة، ج ۲، باب البغى، ح ۴۲۱۲، ص ۱۴۰۸.

[۵۷۴] (۱).« أوسط» من مادة« وسط» بمعنى فى هذا المورد الأفضل من الأشياء، لأنّ الشيء الذى يقع فى الحد الوسطوالاعتدال هو الأفضل والأكمل، يقول القرآن الكريم فى سورة القلم الآية ۲۸:« قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ»، أى أعقلهم، وجاء فى لسان العرب:« أوسط الشيء أفضل الشيء وخياره».

[۵۷۵] (۱).« يُجحِف» من« اجحاف» ومن مادة« جحف» على وزن« جهل» فى الأصل بمعنى نزل جلد الشيء، ثمّ استخدمت هذه الكلمة بمعنى الايقاع فى المشقّة وتخريب الشيء واعطابه.

[۵۷۶] (۱).« الحاف» من مادة« لحف» على وزن« حرف» فى الأصل تعنى تغطية الشيء ووضع الستار عليه، ثمّ استخدمت للاصرار على شيء، وكأنّه يصرّ عليه إلى درجة أنّه يغطى جميع وجود الطرف الآخر.

[۵۷۷] (۱).« ملمات» من مادة« لمّ» على وزن« غم» تعنى تجميع الشيء، ثمّ استخدمت للحوادث الشديد والمؤلمة، وكأنمثل هذه الحوادث تجمع فكر الإنسان وتلفت نظره إليها.

[۵۷۸] (۲).« جماع» فى الأصل مصدر وفى مثل هذه الموارد تأتى بمعنى الوصف يعنى الجامع والمجمع.

[۵۷۹] (۳).« صغو» تعنى الميل إلى الشيء.« صغو» بفتح الصاد وكسرها تأتى بمعنى واحد كما ذهب إليه جماعة من المحققين.

[۵۸۰] (۱). سورة الكهف، الآية ۲۸.

[۵۸۱] (۲). سورة هود، الآيتان ۲۹ و ۳۰.

[۵۸۲] (۱).« اشنأهم» من مادة« شنأ» على وزن« شمع» وتعنى الحقد والعداوة.

[۵۸۳] (۱). بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۲۳۰.

[۵۸۴] (۲). سورة الحجرات، الآية ۱۲.

[۵۸۵] (۱). كنز العمّال، ح ۶۳۹۲.

[۵۸۶] (۲). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۲۱۳، ح ۴.

[۵۸۷] (۳).« حقد» العداوة المخبوءة فى قلب الشخص وينتظر الفرصة لإظهارها وإبرازها.

[۵۸۸] (۱).« وتر» على وزن« فكر» و« وتر» على وزن« سطر» كليهما بمعنى الوحيد والمنفرد، وبما أنّ الإنسان عندما يقتل فإنّ أقرباءه يجدونه وحيداً، ومن الطبيعى أن يضمروا الحقد فى قلوبهم، فاستخدمت هذه المفردة بمعنى اضمار الحقد والعداوة، وهو المراد فى الجملة أعلاه.

[۵۸۹] (۲).« تَغَاب» فعل أمر من مادة« تغابى» بمعنى تغافل من مادة« غباوة» بمعنى الجهل وعدم العلم، وكأنّ الشخص الذى يتغافل فكأنّه جاهل بذلك الشيء.

[۵۹۰] (۳).« يضح» من مادة« وضوح» بمعنى وضوح الشيء.

[۵۹۱] (۴).« ساع» من مادة« سعى» فى الأصل بمعنى كلّ حركة ونشاط لإنجاز عمل معين، ولكن فى هذه الموارد يطلق‌على الشخص الذى يسعى فى النميمة وذكر عيوب الآخرين.

[۵۹۲] (۵).« غاشّ» بمعنى الخائن والمسيء من مادة« غِشّ» بمعنى الخيانة والإساءة.

[۵۹۳] (۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۶۹، ح ۱.

[۵۹۴] (۱).« الشره» بمعنى الحرص الشديد.

[۵۹۵] (۱).« غرائز» جميع غريزة بمعنى الطبيعة والقريحة والدوافع المتمركزة فى باطن الإنسان أو الحيوانات الأخرى، وهى من مادة« غرز» على وزن« قرض» بمعنى ثقب الشيء أو إحداث ثقب فيه وكأنّ باطنه يثقب وتوضع الغريزة فى ذلك المكان.

[۵۹۶] (۱). سورة البقرة، الآية ۲۶۸.

[۵۹۷] (۲). سورة آل عمران، الآية ۱۳۹.

[۵۹۸] (۳). سورة التغابن، الآية ۱۶.

[۵۹۹] (۴). علل الشرايع، ج ۲، ص ۵۵۹، ح ۱. وينبغى الالتفات إلى أنّه عندما يقول الإمام عليه السلام« غرائز شتى» وفى كلام النّبى صلى الله عليه و آله« غريزة واحدة» وذلك بسبب النظرة من زوايا مختلفة إلى هذه المواضيع الثلاثة وهى بحسب الظاهر منفصلة عن بعضها ولكنّها فى الواقع تعود إلى أصل واحد.

[۶۰۰] (۱). غررالحكم، ح ۴۹۶.

[۶۰۱] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۶۱.

[۶۰۲] (۳). بحار الأنوار، ج ۷۵، ص ۱۰۵، ح ۴.

[۶۰۳] (۴). المصدر السابق، ج ۷۴، ص ۴۳، ح ۱۳.

[۶۰۴] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۱۰۱، ح ۲۵.

[۶۰۵] (۲). غرر الحكم، ح ۱۰۰۴۹.

[۶۰۶] (۳). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۱۰۲، ح ۳۰.

[۶۰۷] (۱). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۱۰۴، ح ۳۶.

[۶۰۸] (۱).« بطانة» فى الأصل بمعنى الملابس الداخليّة(ضد« ظهارة» وهى الملابس الخارجيّة) ثمّ استخدمت هذه المفردة بمعنى الشخص الموثوق لدرجة حفظ الأسرار، محرم السرّ.

[۶۰۹] (۱).« الأثمة» جمع« آثم» بمعنى المذنب.

[۶۱۰] (۲).« آصار» جمع« اصر» على وزن« مصر» فى الأصل بمعنى الحفظ والحبس، ثمّ اطلقت على الأعمال الثقيلة التى‌تمنع الإنسان من النشاط والفعاليّة وكذلك تطلق على الذنوب التى تثقل كاهل الإنسان، وفى الجملة أعلاه قصد بها هذا المعنى.

[۶۱۱] (۳).« أوزار» جمع« وزر» على وزن« مصر» فى الأصل بمعنى الحمل الثقيل، وتطلق على الذنوب الكبيرة التى تثقل مسؤوليّتها كاهل الإنسان، وذهب البعض إلى أنّ الوزر ذنوب أكبر وأثقل من الاصر.

[۶۱۲] (۴).« احنى» فى الأصل بمعنى عطف وإلفات نظر أو الشيء، والعطف هنا بمعنى المحبّة.

[۶۱۳] (۵).« الف» بمعنى الفة وانس.

[۶۱۴] (۱).« حفلات» جمع« حفل» على وزن« حرب» فى الأصل يعنى المحل الذى يتجمع فيه الماء، ثمّ اطلق على المحل والمجلس الذى يجتمع فيه كثير من الناس، ويقال للمجلس محفل أيضاً.

[۶۱۵] (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۷، ص ۴۳.

[۶۱۶] (۱).« الزهو» بمعنى التكبر والعجب.

[۶۱۷] (۲).« العزة» فى هذا المورد تعنى الغرور، وجاء فى بعض النسخ« غِرة» واستعمالها فى هذا المعنى أوضح.

[۶۱۸] (۱). الموطأ، ج ۱، ص ۱۲ وكتب أخرى.

[۶۱۹] (۲). من لا يحضره الفقيه، ج ۴، ص ۱۱.

[۶۲۰] (۳). غرر الحكم، ص ۴۶۶، ح ۱۰۷۳۵.

[۶۲۱] (۴). تحدّثنا عن المدح والثناء فى غير محلّه وحالات التملق والتزلف بشكل مفصّل فى الجزء الثامن ذيل الخطبة ۲۱۶.

[۶۲۲] (۱).« تَدْريب» بمعنى الاعتياد على شىء أو عمل معين، وفى هذا المورد تعنى التشويق فى مقابل« تزهيد».

[۶۲۳] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۷۷.

[۶۲۴] (۱). رغم أنّ البعض يعتقد بأنّ« قِبَل» إذا اضيفت للضمير فإنّها تعنى القرب، وإذا استعملت منفصلة تعنى القدرة والقوّة.

[۶۲۵] (۲).« نَصَب» بمعنى التعب والمشقّة، من مادة« نَصْب» على وزن« نصر» وتعنى إثبات الشىء، مثلًا عندما يضعون الرمح فى الأرض ويثبتونه يقال نصب الرمح، وبما أنّ التعب يؤدّى إلى توقف الإنسان عن العمل فاطلقت هذه الكلمة عليه، ويطلق على أعداء أهل البيت عليهم السلام نواصب لأنّه رفعوا لواء العداوة لهم.

[۶۲۶] (۱).« بَلاء» الاختبار والامتحان، وأحياناً يكون الاختبار بواسطة النعم وأخرى بواسطة المصائب، من هذه الجهةتطلق كلمة بلاء بمعنى النعمة وبمعنى المصيبة أحياناً أخرى، وفى الجملة أعلاه اريد بها كلا المعنيين أى بعنوان حسن البلاء وسوء البلاء(وهذه المفردة من مادة« بَلى يَبْلُو»).

[۶۲۷] (۲). عيون الأخبار، لابن قتيبة، ج ۱، ص ۶۴، حسب نقل شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۸، ص ۵۱۹.

[۶۲۸] (۱).« صُدُور» تعنى المتقدمين ومن كان يجلس فى الصدر، وكذلك مسلمى صدر الإسلام.

[۶۲۹] (۲). كنزالعمال، ح ۹۱۰، ووقد ورد مثل هذا الحديث فى المصادر الشيعية عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام بطرق مختلفة وبتعبيرات متفاوتة. انظر: بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۲۵۷ و ۲۵۸.

[۶۳۰] (۱).« مُناقَشَة» من مادة« نقش» فى الأصل تعنى اخراج الشوك من البدن بواسطة المنقاش، ثمّ اطلقت على كلّ بحث دقيق وحساب كامل، وعليه فإنّ مناقشة الحكماء تعنى البحث الدقيق مع العلماء.

[۶۳۱] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۳۹، ح ۵.

[۶۳۲] (۲). المصدر السابق، ح ۱.

[۶۳۳] (۳). غرر الحكم، ص ۴۹، ح ۲۷۳.

[۶۳۴] (۱). سنن البيهقى، ج ۴، ص ۱۷۶؛ مسند أحمد، ج ۴، ص ۳۶۲.

[۶۳۵] (۱).« عزّ» و« عزيز» من مادة« عزت» تعنى فى اللغة كلّ شىء يصعب الوصول إليه، ومن هذه الجهة يقال للأرض التى يصعب عبورها أو إيجاد الشق فيها أرض« عُزاز»، وكذلك يطلق على كلّ شىء يصعب الوصول إليه بسبب قلّته فيقال عزير، وكذلك يطلق على الأشخاص الأقوياء الذين يصعب التغلب عليهم أو يستحيل الغلبة عليهم، ولذلك تأتى« عزة» بمعنى القدرة والندرة، وأيضاً بمعنى الثمين، وفى العبارة أعلاه جاءت بمعنى القدرة.

[۶۳۶] (۱). سورة الأنفال، الآية ۶۰.

[۶۳۷] (۱). بحثنا حول الخراج بشكل مفصل فى ذيل الرسالة ۵۱.

[۶۳۸] (۱).« مَعاقِد» جمع« مَعْقِد» على وزن« مسجد» فى الأصل بمعنى محل العقدة فى الخيط أو الحبل، ثمّ اطلقت على كل معاملة وعقد اعتبارى لمناسبة وجود عقدة تربط بين الطرفين، والجذر الأصلى لها« عقد» بمعنى ربط الطرفين.

[۶۳۹] (۱).« مَرافِق» جمع« مرفق» على وزن« مسجد» وكذلك جمع« مرفق» على وزن« محور» ويعنى الأمور التى ينتفع بها الإنسان.

[۶۴۰] (۲).« التَّرَفُّق» يعنى الاستفادة والانتفاع من الشىء، وجملة(ما لايَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ) إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى قد خلق للإنسان قابليات وملكات مواقع اجتماعيّة مختلفة، فكثير من الأعمال التى يستطيع البعض القيام بها لا يستطيع البعض الآخر، وهذه هى طبيعة الحياة الاجتماعيّة، بحيث إنّ كلّ شخص يشتغل بعمل ينسجم مع استعداده وطاقاته، والآخرون ينتفعون من عمله وينتفع بدوره من أعمالهم وطاقاتهم.

[۶۴۱] (۱).« رِفْد» يعنى العطاء والعفو.

[۶۴۲] (۱).« توطين» يعنى دفع الشخص باتجاه معين و« توطين النفس» يعنى جعل النفس تعمل العمل الفلانى، فى‌الأصل من مادة وطن، وكأنّ الإنسان يجعل هذا العمل وطناً له ويتوقف فيه، وتأتى هذه المفردة أحياناً بمعنى الاعتياد على شىء أيضاً.

[۶۴۳] (۱).« جيب» فى الأصل بمعنى الشق فى الثوب من جهة الصدر، وبما أنّ هذا القسم من الثوب يكون على الصدر، والصدر بدوره مجاور للقلب، فستخدم هذه المفردة على الصدر وأحياناً أخرى على القلب.

[۶۴۴] (۱). يقول القرآن الكريم فى الكافرين:« أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ».(سورة الطور، الآية ۳۲).

[۶۴۵] (۲).« يَنْبو» من مادة« نَبْو» على وزن« نذر» فى الأصل بمعنى عدم تأثير السيف والسهم وأمثال ذلك، ثمّ اطلقت على عدم التوافق وعدم التسليم، وفى العبارة أعلاه قصد بها هذا المعنى.

[۶۴۶] (۳).« لا يُثيرُهُ» من مادة« إثارة» بمعنى تحريك الشىء أو دفعه باتجاه معين.

[۶۴۷] (۱).« جِماع» كما قلنا سابقاً إنّها فى الأصل مصدر، وفى هذه الموارد جاءت بمعنى الوصف أى الجامع والمجمع.

[۶۴۸] (۱).« لَا يَتَفَاقَمَنَّ» من مادة« تفاقُم» بمعنى الكبير والخطير، من مادة« فقم» على وزن« فهم».

[۶۴۹] (۲).« تَعَاهَدْتَهُمْ» من مادة« تعاهُد» ومن مادة« عهد» وأحياناً تأتى بمعنى إيجاد العقد والمعاهدة، وأخرى بمعنى القوامة على الشىء وبالاهتمام به، وما جاء فى بعض الروايات أنّ المسلم عندما يدخل إلى المسجد يتعاهد النعالين، إشارة إلى هذا المعنى والتحقيق فى نعليه لئلا يكونا ملوثتان، وجاء فى حديث شريف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:« تَعَاهَدُوا نِعَالَكُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ مَسَاجِدِكُمْ»(بحار الأنوار، ج ۸۰، ص ۳۶۷). وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى أى الاهتمام بأمر الجيش.

[۶۵۰] (۱).« آثَر» صيغة أفعل التفضيل، وتعنى الأفضل، من مادة« إيثار» وتعنى أفضيلة الآخر وترجيحه على النفس.

[۶۵۱] (۱).« جِدَة» بمعنى القدرة الماليّة، وهذه المفردة مصدر من مادة« وجود».

[۶۵۲] (۲).« خُلُوف» جمع« خَلْف» بمعنى من يبقيه المسافر فى بيته ووطنه ويتركهم ويسافر، وعادة تطلق على النساءوالأطفال والصغار والعاجزين.

[۶۵۳] (۱). انظر إلى أنّ هذا الكلام ينطلق من العلاقة العاطفيّة بين قادة الجيش والجنود ولا ينطلق من علاقة مالك الأشتر بأفراد الجيش، ولذلك جاء مرجع الضمائر أعلاه بشىء من عدم الاتساق والتناسب، ولكن إذا التفتنا إلى هذه الحقيقة وهى أنّ المرحوم السيّد الرضى قد حذف العبارات والجمل التى تقع فى مطاوى هذا الكلام وهى الجمل التى وردت فى كتاب« تحف العقول» وكذلك كتاب« تمام نهج البلاغة» فحينئذٍ يتبيّن أنّ الإمام عليه السلام كان قد أوصى مالك الأشتر بالاهتمام بأمور قادة الجيش وقال:« ثُمَّ وَاتِرْ إِغْلَامَهُمْ ذَاتَ نَفْسِكَ فى إِيثَارِهِمْ وَالتَّكْرِمَةِ لَهُمْ، وَالِارْصَادِ بِالتَّوْسِعَةِ وَحَقِّقْ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْفِعَالِ وَالأَثَرِ وَالْعَطْفِ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِم». وبذلك يتبيّن أنّ ضمائر الجمع تعود إلى قادة الجيش وعلاقة مالك الأشتر بهم.« فتدبّر».

[۶۵۴] (۱).« اسْتِثْقال» من مادة« ثِقْل».

[۶۵۵] (۲).« استبطاء» بمعنى المشى الخفيف من مادة« بُطْء» على وزن« قطب».

[۶۵۶] (۳). شرح نهج البلاغة، للعلّامة التسترى، ج ۸، ص ۵۳۸. وردت هذه القصّة فى تاريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۳۰۶.

[۶۵۷] (۴). يتصور أحياناً أنّ ضمير فى« آمالِهِم» وضمائر الجمع التى تأتى بعد ذلك ينبغى أن تعود إلى الرعيّة، لوجود ضمائر مشابهة قبل ذلك تعود جميعها عليهم، ولكن القرائن الموجودة فى عبارة(كلمة شجاع وناكِل) تشير إلى أنّ الجمل تعود إلى المسائل المتعلقة بقادة الجيش. مضافاً إلى ذلك أنّ المرحوم السيّد الرضى عندما انتقى هذه الجمل والعبارات، حذف الجمل فى الوسط، فى حين أنّ هذه الجملة تبيّن عودة هذه التوصيات إلى قادة الجيش، وجاء فى كتاب« تحف العقول» بعد ذكر جملة« انقِطاعِ مُدَّتِهِم»:« ثُمَّ لا تَكْلَنْ جُنُودَكَ إلى مَغْنَم وَزَعْتَهُ بَيْنَهُمْ».(تحف‌العقول، ص ۸۹).

[۶۵۸] (۱).« بَلاء» الاختبار والامتحان، وأحياناً يكون الاختبار بواسطة النعم وأخرى بواسطة المصائب، من هذه الجهةتطلق كلمة بلاء بمعنى النعمة وبمعنى المصيبة أحياناً أخرى، وفى الجملة أعلاه اريد بها كلا المعنيين أى بعنوان حسن البلاء وسوء البلاء(وهذه المفردة من مادة« بَلى يَبْلُو»).

[۶۵۹] (۲).« تهزّ» من مادة« هزّ» على وزن« حظّ» بمعنى التحريك الشديد والتثوير.

[۶۶۰] (۳).« تَحرّضْ» من مادة« تحريض» بمعنى الترغيب لعمل معين أو لشىء وإيجاد الدافع له.

[۶۶۱] (۴).« النّاكِل» يعنى الشخص الجبان أو المتكاسل والمتراجع عن العمل، من مادة« نكول» بمعنى الخوف والتراجع.

[۶۶۲] (۵).« لا تضمّنّ» من مادة« تضمّن» على وزن« تعهد» بمعنى أخذ الشىء وتحمل مسؤوليّته، وفى الجملة أعلاهإشارة إلى أنّك لا ينبغى أن تجعل نقاط قوّة شخص إلى آخر وتضمه إليه.

[۶۶۳] (۱). سورة النساء، الآية ۵۹.

[۶۶۴] (۱). تفسير الفخر الرازى، ج ۱۰، ص ۱۴۴، مطبعة مصر، سنة ۱۳۵۷.

[۶۶۵] (۱). لمزيد من الاطلاع على هذه الأحاديث انظر: إحقاق الحقّ، ج ۳، ص ۴۲۵ والتفسير الأمثل، ذيل الآية ۵۹ من سورة النساء.

[۶۶۶] (۱).« تُمَحِّكُهُ» من مادة« مَحْك» على وزن« مكر» بمعنى اللجاجة والعناد والتعدى.

[۶۶۷] (۱).« يَتَمادى من مادة« تمادى ومن مادة« مَدى» على وزن« دوا» ويعنى الاستمرار والدوام والإصرار على عمل شىء.

[۶۶۸] (۲). سورة المؤمنون، الآية ۷۵.

[۶۶۹] (۳). غرر الحكم، ص ۶۵، ح ۸۵۳.

[۶۷۰] (۴). المصدر السابق، ص ۴۶۳، ح ۱۰۶۴۰.

[۶۷۱] (۵).« لايَحْصَر» من مادة« حصر» على وزن« نصر» ويعنى الوقوع فى مضيقة، وكثيراً ما تطلق على التوقف والعجز عن الاستمرار فى الكلام، وفى العبارة وردت بكلا المعنيين.

[۶۷۲] (۱). غرر الحكم، ص ۲۷۲، ح ۵۹۵۴.

[۶۷۳] (۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۱۹.

[۶۷۴] (۱). الكافى، ج ۱، ص ۶۸، ح ۱.

[۶۷۵] (۱). وسائل الشيعة، ج ۱۸، ص ۲۱۲، ح ۱۱؛ بحار الأنوار، ج ۴۰، ص ۲۵۲، ح ۲۶، ولاطلاع أكثر انظر: وسائل الشيعة، ج ۱۸، كتاب القضاء الباب ۲۱.

[۶۷۶] (۲).« تَبَرُّم» من مادة« برم» فى الأصل بمعنى حياكة الحبل وأمثاله، ثمّ اطلقت على كلّ شىء يثير التعب والملل، وفى العبارة أعلان وردت بمعنى الانزعاج الشديد والتعب.

[۶۷۷] (۱).« أصْرِمَ» من مادة« صرم» على وزن« سرد» بمعنى قطع الشيء، وتأتي أحياناً للقطع المعنوي والقاطعيّة والحزم في إدارة الأمور.

[۶۷۸] (۲).« يَزْدَهيه» من مادة« إزدهاء» ويعني العجب والغرور والأنانية.

[۶۷۹] (۳).« إطْراء» بمعنى المدح والثناء الكثير والتبجيل.

[۶۸۰] (۴).« يَسْتَميلُهُ» من مادة« استمالة» بمعنى جذب الشخص أو الشيء نحوه.

[۶۸۱] (۵).« اغراء» في الأصل بمعنى الصاق شيء بشي آخر، ثمّ استخدمت بمعنى التشويق والتحريك لإنجاز لعمل معين، وفي الجملة أعلاه وردت بمعنى التشويق الكثير.

[۶۸۲] (۱).« تَعاهَدْ» بمعنى التحقيق والدراسة وقد ورد ذكر هذه المفردة فيما سبقها من الصفحات.

[۶۸۳] (۱).« اغْتِيال» في الأصل بمعنى إغفال الشخص الإضرار به، وأحياناً تطلق على القتل غدراً، وفي العبارة أعلاه وردت بالمعنى الأوّل.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التي يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– في آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – في أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹